سلسلة
نصوص ودروس
أبحاث إسلاميّة

السّفينة الجامعة لأنواع العلوم

الجزء الثّالث

تصنيف
الإمام شيخ الإسلام الحاكم
أبي سعد المحسن بن محمّد
بن كرامة الجشميّ البيهقيّ

تحقيق
عبد الرحمن بن سليمان السالميّ



السّفينة الجامعة
لأنواع العلوم

الجزء الثالث

السّفينة الجامعة لأنواع العلوم

الجزء الثالث

تصنيف:

الإمام شيخ الإسلام الحاكم
أبي سعد المحسن بن محمّد
بن كرامة الجشميّ البيهقيّ

تحقيق:

عبد الرحمن بن سليمان السالميّ



مدار المشرق

السفينة الجامعة لأنواع العلوم - الجزء الثالث

طبعة أولى ٢٠٢٤



الأشرفيّة - بيروت، لبنان
هاتف: ٩٦١-١-٢٠٢٤٢٣+
info@darelmachreq.com
www.darelmachreq.com

تصميم الغلاف، والإخراج: **فريق دار المشرق**

ISBN: 978-2-7214-8190-0

التوزيع:



فرن الشباك - بيروت، لبنان
هاتف: ٩٦١-١-٢٨٣٣٣٣+
info@librairiestephan.com
www.librairiestephan.com

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين وعليه نتوكّل

باب في العلم والعلماء

فصل في فضل العالم والعلم

قال الله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩]، وقال: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ [آل عمران:١٨]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:١١]، وقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨].

وأخبرنا الشيخ العالم أبو محمد رحمة الله عليه بإسناده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الفقيه أشد على الشيطان من ألف ورع، وألف مجتهد، وألف متعبد، وإن طير الهواء وحيتان البحر يصلون على معلِّم الخير ومتعلمه».

وقال علي عليه السلام: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»، رواه أنس، ورواه مكحول عن علي عليه السلام عنه صلى الله عليه وآله وسلم وزاد: «فكن أيها العبد عالمًا أو متعلمًا ولا خير فيما سوى ذلك».

وعنه عليه السلام: «فضل العلم[1] خير من فضل العبادة، وملاك الدين الورع».

أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «معلم الخير يستغفر له كل شيء، حتى الحوت في البحر، وكاتم العلم يلعنه كل شيء، حتى الحوت في البحر والطير في السماء».

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الناس كلهم أموات إلا العلماء، والعلماء كلهم

(١) العلم: العالم، م، ي. المستدرك للحاكم ١/ ١٧١.

نيام[٢] إلا العاملين[٣]، والعاملون[٤] كلهم مغترّون[٥] إلا المخلصين[٦]، والمخلصون منهم على خطر عظيم».

وعنه: «العلماء ورثة الأنبياء».

وعنه: «نوم العالم[٧] خير من عبادة الجاهل».

وعنه: «يشفع[٨] يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء» رواه عثمان عنه صلى الله علي وسلم، وقال: «إذا كان يوم القيامة يقول الله سبحانه للمجاهدين والعابدين: ادخلوا الجنة، فيقول العلماء: بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا، فيقول الله: أنتم عندي كالأنبياء، اشفعوا تشفعوا ثم ادخلوا الجنة».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما تصدق رجل بصدقة أفضل من علم يبثه في الناس».

وحدثنا الشيخ الإمام أبو محمد بإسناده عن أنس أن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم، ومعلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر، وطالب العلم تبسط له الملائكة أجنحتها رضًى بما يصنع[٩]».

زيد بن أسلم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الكلمة من الحكمة يسمعها الرجل، فيعمل بها أو يعلّمها خير له من عبادة سنة».

وعن سلمان بن سليم أن رجلًا جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: يا رسول الله أي العمل أفضل؟ قال: «العلم»، قالت: لست أسألك عن العلم إنما أسألك عن العمل؟ فقال عليه السلام: «عملٌ قليل في عِلْمٍ خير من [عمل][١٠] كثير في جهل».

(٢) نيام: ماتون، م، ي. تفسير التستري ١/ ٨٨.
(٣) العلماء: العاملون، م، ي. تفسير التستري ١/ ٨٨.
(٤) والعلماء: والعاملون، م، ي. تفسير التستري ١/ ٨٨.
(٥) مغترّون: مغرورون، م، ي. تفسير التستري ١/ ٨٨.
(٦) المخلصين: المخلصون م، ي. تفسير التستري ١/ ٨٨.
(٧) نوم العالم: يوم العلماء، م،ي. تنقيح القول الحثيث للسيوطي ص ٢٠.
(٨) يشفع: تشفع، م، ي. سنن ابن ماجه ٢/ ١٤٤٢ وغيره من كتب الحديث.
(٩) يصنع: تصنع، م، ي. مصنف عبد الرزاق ١/ ٢٠٤، وسنن ابن ماجة ١/ ٨٢ وغيرها من كتب الحديث.
(١٠) مصنف عبد الرزاق رقم ٢٠٥٦٨.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «قلت لجبريل: أي الجهاد أفضل؟ قال: طلب العلم، قلت: ثم بعد؟ قال: النظر إلى العلماء، قلت: ثم بعد؟ قال: ثم زيارة العلماء، ثم قال: من كتب العلم لله وأراد به صلاح نفسه وصلاح المسلمين ولم يرد بذلك عوضًا من الدنيا(١١) فأنا كفيله بالجنة».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من أراد رضاي فليكرم صديقي»، قيل: من صديقك؟ قال: «طالب العلم هو أحب إلي من ملائكة السماوات، من أكرمهم فقد أكرمني، ومن أكرمني فله الجنة، وليس شيء أحب إلى الله تعالى من العلم ولمذاكرة العلم ساعة أحب إلى الله تعالى من عبادة عشرين ألف سنة»(١٢).

أبو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من سلك طريقًا يطلب به علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنة، وصلت عليه الملائكة، حتى الحيتان في جوف البحر، وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن مصيبة العالم مصيبة لا تجبر، وثلمة لا تنسد، وضوء العلم ضوء نجم لا يطمس، ولهلاك قبيلتين(١٣) من قبائل العرب خير لهذه الأمة من هلاك عالم».

أنس عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان».

علي عليه السلام قال: الناس ثلاثة(١٤): عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، العلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة(١٥)، وأمثالهم في القلوب موجودة.

شعر:

العلم أنفس شيء أنت ذاخره ... من اقتنى العلم لم تَدْرُسْ مفاخرُه
فاجهد لتعلم ما أصبحت تجهله ... فأول العلم إقبالٌ وآخرُهُ

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «تعلموا العلم فإن العلم حياة القلوب من الجهل، ومصباح

(١١) الدنيا: الدينا، م، ي.
(١٢) ينابيع النصيحة في العقائد الصحيحة ٥٩٩.
(١٣) قبيلتين: قبلتين، م م، ي.
(١٤) ثلاثة: رجلان، م، ي. مفتاح السعادة لابن قيم الجوزية ص١٢٦.
(١٥) مفقودة: مقصودة، م، ي. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨/ ٣٤٦.

الأبصار من الظلم، وقوة الأبدان من الضعف، يبلغ به العبد منازل الأحرار ومجالس الملوك، والدرجات العلى في الدنيا والآخرة».

وعن ابن عباس عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «صحبة العلماء زين، ومجالستهم كرم، والنظر إليهم عبادة، والمشي معهم فخر، ومخالطتهم والأكل معهم شفاء، ينزل عليهم ثلاثون رحمة وعلى غيرهم رحمة واحدة، هم أولياء الله، طوبى لمن خالطهم، خلقهم الله شفاء للناس، فمن حفظهم لم يندم، ومن خذلهم ندم».

أنس عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «العلم خزائن، ومفاتيحه السؤال، فاسألوا رحمكم الله، فإنه يؤجر عليه أربعة: السائل، والمتكلم، والمستمع، والمحب لهم».

وقيل: ثلاثة توزن يوم القيامة: مداد العلماء، ودم الشهداء، ووضوء المؤمن».

ودخل صالح المري على الخليفة فألقى له وسادته فقال: رحم[١٦] الله الحسن، فقال: ماذا قال الحسن؟ قال: قال: إن هذا العلم يزيد الشريف شرفًا، ويبلغ بالمملوك مجالس الملوك، وإلا فمن[١٧] صالح المري حتى يجلس على وسادة أمير المؤمنين [لولا العلم][١٨].

الحسن: العلم قائد إلى الجنة، دليل إلى الهدى، غنىً عن الفقر، عز عن الذل، رفعة عن الخسة، تبجيل في الغربة، تعظيم عند أهل الصلاح.

وكتب حذيفة المرعشي إلى يوسف بن أسباط يشاوره في الغزو، فكتب إليه: باب من العلم تعلمه خير من سبعين غزوة.

وقال يحيى بن معاذ: العلماء أرأف بأمة محمد من آبائهم وأمهاتهم، قيل: وكيف؟ قال: لأن آباءهم يحفظونهم من نار الدنيا وآفاتها، والعلماء يحفظونهم من نار الآخرة وآفاتها وشررها.

سالم [بن] أبي الجعد: اشتراني مولاي بثلاثمائة درهم وأعتقني، فقلت: أي حرفة أحترف؟ فاحترفت العلم، فما تمت السنة حتى أتاني أمير المؤمنين زائرًا فلم آذن له.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ليس منا من لم يكن عالمًا أو متعلمًا».

---

(١٦) رحم: رحمكم،م، ي.

(١٧) وإلا فمن: لولا العلم من، م، ي. تنبيه الغافلين ص٣١٤.

(١٨) تنبيه الغافلين ص٣١٤.

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ألا أدلكم على أشراف أهل الجنة»؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «هم علماء أمتي، الكواكب زينة السماء، والعلماء زينة أمتي».

وروى أبو هريرة عنه: «بر الوالدين يزيد في العمر، والكذب ينقص الرزق، والدعاء يرد البلاء، ولله في خلقه قضاءان[١٩]: فقضاء نافذ، وقضاء منتظر، وللأنبياء على العلماء فضل درجتين، وللعلماء على الشهداء فضل درجة».

الحسن قال: من تعلم بابًا من العلم يبتغي به وجه الله خير له من أن لو كانت له الدنيا فأنفقها في سبيل الله.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لَيومٌ واحد من العالم الذي يعلم الناس الخير أفضل عند الله وأعظم أجرًا من عبادة العابد مائة سنة، ولعالم واحد أشد على إبليس من ألف عابد، وإنّ[٢٠] العالم الذي يعلم الناس الخير يستغفر أربعة أشياء: الملائكة في السماء، والدواب في الأرض، والطير في الهواء، والحيتان في البحر»، رواه عمرو بن ميسرة عن ابن مسعود عنه.

مبحث في ذكر الآيات في فضل العلم

سادات الخلق ثلاثة: الملائكة، والأنبياء، والسلاطين، وكلهم خضعوا للعلم، أُمر الملائكة بالسجود لآدم بفضل علمه، وأمّا[٢١] الأنبياء فحديث الخضر وموسى ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا﴾ [الكهف:٦٥]، وأما السلاطين ففي قصة يوسف عليه السلام: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف:٥٤].

اختلفوا في حدّ العلم، فعندنا[٢٢] هو ما يوجب سكون نفس[٢٣] المعتقِد إلى معتقَده.

وقيل: اعتقاد الشيء على[٢٤] ما هو به، وقيل غير ذلك.

---

(١٩) قضاءان: قضاءات، م، ي. كنز العمال ٨/ ١٩٨.
(٢٠) إنّ: أرى، م، ي.
(٢١) وأمّا: و، م، ي.
(٢٢) فعندنا: عندنا، م، ي.
(٢٣) نفس: النفس، م، ي.
(٢٤) على: إلى، م، ي. انظر: الهوامل والشوامل لأبي حيان التوحيدي ص١٧١.

وقال بعض الأشعرية: هو الصفة التي بوجودها يحدث[٢٥] اشتقاق اسم عالم للحي الذي هو قائم به. ويقال: العلم نعم الحارس، والعلم نعم الفارس.

شعر:

مــن كان مفتخــرًا بالمــال والحســب فإنمـا فخرنـا بالعلـم والأدب
لا خيـر فـي رجـل حـر بـلا أدب لا لا[٢٦] وإن كان معروفًـا مـن العـربِ

آخر:

زيـن الفتـى الفضـل والإيمـان والأدب والعلـم والرشـد والإسـلام والحسـب
إذا تكامـل هــذا فـي امـرئٍ كملـت فيـه الخصـال وإن أزرى بـه النسـبُ[٢٧]

وقيل: العلماء حرس الدين، وزينة الموحدين، وهداة المهتدين.

وروى أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مثل العلماء كمثل النجوم، يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم يوشك أن يضل الهداة»، شبه العلماء بالنجوم. وفي النجوم ثلاثة أشياء: زينة السماء ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾، وهداية لأهل الأرض ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل:١٦]، ورجمٌ[٢٨] للشياطين ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك:٥]، وهذه المعاني موجودة في العلماء.

أما الأولى: فالنجم زينة السماء والعلماء زينة الأرض وزينة البلاد والعباد، بهم زينة المحافل والقوافل، هم زينة المواكب والمراكب، هم زينة المجالس والمدارس، هم زينة الدنيا والعقبى، وهم أمناء المولى، وبهم الاهتداء والاقتداء، وعليهم مدار حفظ الشريعة والهدى.

وأما الهدى: فبهم يهتدي الضالون، وبهم يثبت على الطريق المهتدون، هم دار الشريعة يدفعون عنها الأهواء والبدعة.

فأما الثالث: فهم يذبُّون عن[٢٩] الإسلام ذبًا، ويدفعون كل ملحد[٣٠] دفعًا.

---

(٢٥) يحدث: تحت، م، ي.

(٢٦) لا لا: نعم، م، ي. معجم الأدباء للحموي ١/ ٤٥.

(٢٧) النسب: الحسب، م ي.

(٢٨) رجمٌ: رجمًا، م، ي.

(٢٩) يذبُّون عن: بذنوب، م، ي.

(٣٠) ملحد: ملحة، م، ي.

ويقال: العلم دواء القلوب، وشفاء الذنوب. ويقال: إن القلوب القاسية والأبدان العاصية كمثل الأرض الميتة، فإذا وجدت حظًا من الماء لانت واهتزت وربت، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى﴾ [السجدة:٢٧]، والقلب إذا وجد حكمة وموعظة لان وصلح.

قيل: واشواقاه إلى طبيب حاذق، وحكيم ناطق، وواعظ صادق، يهديني وأصحابي[٣١]، وينوح علي وعلى أضرابي، ويقول: يا أصحاب[٣٢] الأقلام، ويا أصحاب الأحكام، يا مضيعي الأيام باقتراف الآثام، نصبتم المنابر، وجمعتم المحابر، ونسيتم المقابر. أو يقول: يا علماء السوء تعلمتم القصص، واستعملتم الرخص.

وقيل: كم من مذكر بالله ناس لله، كم من مخوف بالله جريء على الله، وكم من قارئ لكتاب الله منسلخ عن آيات الله.

شعر:

يا واعظ الناس قد أصبحت متهمًا ... إذ عبت منهم أمورًا أنت تأتيها

يا كاسي الناس من عري وعورته ... للناس بادية ما إن يواريها

والحكاية المشهورة أن وفد العراق قدموا على عمر بن عبد العزيز، فتقدم شاب ليتكلم، فقال عمر: كبروا كبروا؛ أي قدموا كبيركم، فقال الشاب: يا أمير المؤمنين ليس هذا بالكبر ولا بالصغر، ولو كان كذلك لكان في قريش من هو أسن منك، وإنما الأمر بلسان وجنان إلى أشباه ذلك، فقال عمر: تكلم، فقال: يا أمير المؤمنين ما جئناك لرغبة ولا لرهبة، أما الرهبة فقد أعاذنا الله بعدلك من جورك، وأما الرغبة فقد أتت[٣٣] إلينا منازلنا، قال: فما أنتم إذًا؟ قال: إنما جئناكم لنشكر[٣٤] نعمك، فنحن وفد الشكر، أتيناك شوقًا إليك، وشكرًا لله إذ منَّ علينا بك. قال: عظني أيها الرجل، فقال: يا أمير المؤمنين إن من الناس ناسًا غرهم طول الأمل، وأفسدهم ثناء الناس، فلا يغرنك بنفسك من اغتر بالله فيك[٣٥] فمدحك بما[٣٦] علم الله منك خلافه، فما قال رجلٌ

(٣١) يهديني وأصحابي: يهتدي وبأصحابي، م، ي.
(٣٢) أصحاب: أصحابي، م، ي.
(٣٣) أتت: منت، م، ي. أنساب الأشراف ٥/ ٢٥٢.
(٣٤) لنشكر: لنشر، م، ي.
(٣٥) فيك: منك، م، ي. تاريخ دمشق ٦٨/ ١٩٥.
(٣٦) مدحك: خدعك، م ي، تاريخ دمشق ٦٨/ ١٩٥.

في رجلٍ شيئًا إذا رضي إلا وهو يقول [فيه] على حسب ذلك إذا سخط، فتهلل وجه عمر، ثم قال[٣٧]:

تعلم فليس المرء يولد عالمًا ... وليس أخو علم كمن هو جاهلُ
وإن كبير القوم لا علم عنده ... صغير إذا التفت عليه المحافلُ

فصل في صفة العالم الحقيقي وآدابه

أبو هريرة قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨]، فقال: «هم العقلاء الذين عقلوا عن الله أمره فاتبعوا محابّه وتجنبوا مكارهه».

ابن مسعود: كفى بخشية الله علمًا، وكفى بالاغترار بالله جهلًا.

الحسن: الذي يفوق الناس بالعلم جديرٌ[٣٨] أن يفوقهم بالعمل.

ودعا الرشيد الأوزاعي[٣٩] فأبى، فأتاه هارون الرشيد فسأله عن شيء فأجابه، فقال: ما بالي ملئت منك غيظًا، فإذا رأيتك ملئت منك رعبًا؟ فقال: سمعت أنس بن مالك يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من تعلم العلم لله لم يخف من شيء، وخاف منه كل شيء، ومن تعلم العلم لغير الله خاف من كل شيء، ولم يخف منه شيء».

ابن مسعود: منهومان لا يشبعان: طالب العلم، وطالب المال، أما صاحب العلم فيزداد في رضا الرحمن، وأما صاحب الدنيا فيزداد في الطغيان، ثم تلا: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق:٦، ٧].

وعنه: كونوا للعلم رعاة ولا تكونوا [له] رواة، فإنه قد يرعوي[٤٠] من لا يروي، وقد يروي من لا يرعوي[٤١].

(٣٧) تاريخ دمشق ٦٨/ ١٩٥.
(٣٨) جديرٌ: حقيقة، م، ي. الموافقات للشاطبي ١/ ٤٥.
(٣٩) الأوزاعي: الأودي، م، ي. علم القلوب لأبي طالب المكي ص٦٠.
(٤٠) يرعوي: يرعى، م، ي. كنز العمال ١٠/ ٢٤٩/ ٢٩٣٣٥
(٤١) يرعوي: يرعى، م، ي. كنز العمال ١٠/ ٢٤٩/ ٢٩٣٣٥

وعن علي عليه السلام موقوفًا ومرفوعًا: «الفقيه كل الفقه[٤٢] من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يؤمنهم من مكر الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله».

علي عليه السلام: من عَلِم وعمِل، وأعلم وعلَّم، فذلك يدعى العظيم في ملكوت السماوات.

وقيل للصادق: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «النظر إلى العالم عبادة»، فمن ذلك العالم؟ قال: هو من يذكرك النظر إليه الآخرة، وإلا فالنظر إليه فتنة.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «سلوا الله علمًا نافعًا، وتعوذوا بالله[٤٣] من علم لا ينفع»، رواه جابر.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تجلسوا إلا عند من تذكركم بالله رؤيته، ويدعوكم من خمس[٤٤] إلى خمس[٤٥]: من الشك إلى اليقين، وإلى التواضع من الكبر، وإلى النصيحة من العداوة، وإلى الإخلاص من الرياء، وإلى الزهد من الرغبة».

الأعمش: أدركت الناس وإنما همتهم من الأحاديث ما يقربهم إلى الجنة ويباعدهم من النار.

وعن أبي عبد الرحمن السلمي: كانوا يتعلمون عشر آيات لا يتجاوزونها إلى غيرها حتى يعملوا[٤٦] ما فيها من العمل، قال: فالتقى سفيان والفضيل فتذاكرا وبكيا، فقال سفيان: يا أبا علي، إني لأرجو أنا لم نجلس مجلسًا قط أعظم بركة [من] هذا. فقال الفضيل: لكني أخاف ألاّ يكون مجلس قد أضر علينا من هذا؛ قال: ولم يا أبا علي؟ قال: أولست عمدت إلى أحسن حديثك فحدثتني به، وعمدتُ إلى أحسن حديثي فحدثتك به، فتزينت لي وتزينت لك؟ قال: فبكى سفيان.

وكتب سلمان إلى أبي الدرداء: بلغني أنك تداوي الناس، فانظر ألاّ تقتل [مسلما] فتجب لك النار.[٤٧]

---

(٤٢) الفقه: الفقيه، م، ي.

(٤٣) بالله: إليه، م، ي.

(٤٤) خمس: الخمس، م، ي. إحياء علوم الدين ١/ ٦٣.

(٤٥) خمس: الخمس، م، ي. إحياء علوم الدين ١/ ٦٣.

(٤٦) يعملوا: تعلموا، م، ي.

(٤٧) انظر: الزهد للإمام أحمد بن حنبل ص١٢٦، وإتحاف السادة المتقين ١/ ٦٦٠.

وقال الحسن لمطر الوراق وقد قال له: أيها الفقيه، فرفع رأسه وقد اغرورقت عيناه: يا مطر هل رأيت فقيهًا قط؟ إنما الفقيه الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، المقيم على سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ينبغي للعالم أن يكون قليل الضحك، كثير البكاء، لا يمازح ولا يماري، ولا يجادل، إن نطق نطق بحق، وإن صمت صمت عن باطل، وإن دخل دخل بعِلْمٍ، وإن خرج خرج برفق».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن لله عبادًا هم الخصماء للصادين عن دين الله، يخاصمونهم بحجة، قادة الحق، والدعاة إلى الله، والذابون عن حريمه، والقائمون[٤٨] بأمره، أئمة الهدى، بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، أحباء الله وشهداؤه على خلقه، فمن تبعهم سلم، ومن خالفهم خسر، أولئك بنيت لهم جنات الفردوس نزلا، خالدين فيها لا يبغون عنها حولا، ولله عباد هم الصادُّون عن الله من آمن به، خصماء لأوليائه على سبيل الشيطان، يخاصمونهم بالباطل والأمثال والتشبيه والأماني ليدحضوا به حجج الله، فهم قادة الفتن، والدعاة إلى الفتن[٤٩] عدوًا على الله، انتهكوا حرم الله، بهم ظهر الفساد وبه ظهروا، وبهم نطق الكذب وبه نطقوا، أئمة الضلالة، والقادة إلى نار السعير»[٥٠]، رواه أبو سعيد الخدري.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «خصلتان لا تجتمعان في منافق: حسن صمت، وفقه في الدين»، رواه أبو هريرة.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «طوبى لمن ترك الجهل، وأتى الفضل، وعمل بالعدل»، رواه هشام بن سعد، وهو من أحاديث ابن قتيبة عن الليث.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يحمل هذا العلمَ من كلِّ خَلَفٍ عدولُه، ينفون عنه تحريف الغالين[٥١] وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»، رواه أبو صالح الأشعري.

(٤٨) القائمون: القائلون، م، ي. كتاب الوجود للنابلسي ص١٣٠.

(٤٩) الفتن: الفتون، م، ي.

(٥٠) كتاب الوجود للنابلسي ص١٣٠، ومسند الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ١٨٦.

(٥١) الغالين: العالمين، م، ي. مسند البزار ١٦/ ٢٤٧.

مالك بن دينار: قرأت في التوراة أن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت(٥٢) موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا.

إبراهيم بن أدهم: لقد أعربنا في كلامنا فما نلحن، ولحناً في أعمالنا فما نعرب.

شعر:

مكبٌّ(٥٣) على النحو يُعنى(٥٤) به ... ليسلم(٥٥) في قوله من خطل

يقول أقوّم زيغ اللسان ... فهلّا(٥٦) يقوّم زيغ العمل

وكثيرًا ما ينشد سفيان الثوري:

اعمل بعِلْمِي وإن قصَّرتُ في عملي ... ينفعك علمي ولا يضررك(٥٧) تقصيري

عثمان بن الحويرث: كانوا يفعلون ولا يقولون، ثم كانوا يفعلون ويقولون، ثم صاروا يقولون ولا يفعلون، ثم صاروا لا يقولون ولا يفعلون.

وقال الحسن لمطر الوراق: عظ أصحابك، فقال: إني أقول ما لا أعمل، فقال الحسن: وأينا يفعل ما يقول؟ يود الشيطان لو ظفر منكم بهذه، فلم يأمر أحد بمعروف، ولم ينه عن منكر، فضاع العلم والدين.

شعر:

فلا زال مُذْ كنَّا ملوكًا [وسوقةً] ... يموت بنا جورٌ ويحيا بنا عدل

إذا نحن قلنا صدق القولَ فعلُنا ... فكم قائلٍ قولًا(٥٨) يكذبه الفعل

فصل في موت العلماء

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرعد: ٤١]، قيل: فتح البلاد،

(٥٢) أي: زلقت ولم تثبت.
(٥٣) مكبٌّ: مكث، م، ي. كتاب التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار البلنيسي ٣/ ١٥٨.
(٥٤) يُعنى: ينحو، م، ي، كتاب التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار البلنيسي ٣/ ١٥٨.
(٥٥) ليسلم: يسلم، م، ي. كتاب التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار البلنيسي ٣/ ١٥٨.
(٥٦) فهلّا: فهل، م، ي. كتاب التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار البلنيسي ٣/ ١٥٨.
(٥٧) يضررك: يضرك، م، ي.
(٥٨) قولًا: لولا، م ي، جوهر الكنز نجم الدين الحلبي ص٣٠٣.

وغلبة المسلمين، عن ابن عباس، والضحاك، وقيل: خراب البلاد، عن ابن عباس، وقيل: موت الفقهاء والعلماء، عن مجاهد.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا مات [العالم][٥٩] انثلم[٦٠] في الإسلام ثلمة لا يسدها شيء إلى يوم القيامة».

ومما حدثنا به الشيخ الإمام أبو محمد رحمه الله بإسناده عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينزعه من الناس، ولكن بقبض العلماء، حتى إذا لم يترك عالمًا اتخذ الناس رؤساء جهالًا، فإذا سئلوا أفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «تعلموا قبل أن يُرفع العلم، ورَفْعُه ذهاب العلماء».

وعن عمر: موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار أهون من موت عالم يعلم ما أحل الله مما حرم الله، فانتفع به الناس، وإن كان لا يزيد على الفرائض.

وقال ابن عباس لما مات علي: مات رباني هذه الأمة.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «تعلموا القرآن وعلموه الناس، وتعلموا العلم وعلموه الناس، وتعلموا الفرائض وعلموها الناس، فإني مقبوض، وإن العلم سيقبض، وتظهر الفتن حتى يختلف الاثنان في الفريضة لا[٦١] يجدان من يفصل بينهما»، رواه ابن مسعود.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «خذوا العلم قبل أن ينفد[٦٢]»، قالوا: وكيف ينفد[٦٣] وفينا كتاب الله؟ قال: فغضب – لا يغضبه الله –[٦٤]، ثم قال: «ثكلتكم أمهاتكم، أولم تكن التوراة والإنجيل في بني إسرائيل ثم لم يغنيا[٦٥] عنهم شيئًا، إن ذهاب العلم ذهاب حملته، إن ذهاب العلم ذهاب حملته» – ثلاثًا، رواه أبو أمامة عنه.

ابن مسعود: لا يأتي عليكم [عام] إلا الذي قبله خير منه، قيل: يا أبا عبد الرحمن، إنه قد يكون العام أخصب. قال: إنما أعني ذهاب العلماء.

(٥٩) انظر: أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب ١/ ٤٨.

(٦٠) انثلم: ايثلم، م، ي. أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب ١/ ٤٨.

(٦١) لا: فلا، م، ي. سنن الدارقطني ٥/ ١٤٣.

(٦٢) ينفد: يفقد، م، ي. المعجم الكبير للطبراني ٨/ ٢٣٢.

(٦٣) كيف ينفد: ما نفقده، م، ي. المعجم الكبير للطبراني ٨/ ٢٣٢.

(٦٤) لعلها جملة دعائية اعتراضيّة، وهو الأليق بالسياق.

(٦٥) يغنيا: يعتبا. م، ي. مسند الدارمي ١/ ١٣٢.

أبو هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أمّا قراؤكم فقليل، وأما **فقهاؤكم** فكثير، وإن من ورائكم زمانًا يكثر قراؤه ويقل فقهاؤه، ويكثر سؤاله ويقل معطوه، ويكثر أمراؤه ويقل أمناؤه».

علقمة بن عبد الله قال: كيف أنتم إذا ألبستم فتنة يربو(٦٦) فيها الصغير ويهرم فيها الكبير، إذا ترك منها شيء [قيل]: تركت السُّنة؟ قيل: متى ذلك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: ذاك إذا ذهب علماؤكم، وكثرت جهالكم، وكثرت أمراؤكم، وقلت أمناؤكم، والتُمستْ(٦٧) الدنيا بعمل(٦٨) الآخرة، وتُفُقِّه لغير الدين.

ويقال: موت الآباء مصيبة للبنين، وموت الأبناء يقطع به الوتين، وموت الأنبياء يفرح به اللعين، وموت العلماء ثلمة في الدين، ليست المصيبة موت العامة، إنما المصيبة موت الأئمة.

ولما مات سفيان الثوري قال أبو إسماعيل الزاهد: رحمك الله أبا عبد الله يا زين الفقهاء، ويا سيد العلماء، ويا قريع الحكماء، ويا جليس الضعفاء، ويا نديم الحلماء، على مثلك تبكي العيون لفقده. ثم قال: أصيب المسلمون بعمر بن الخطاب في زمانه، وأُصبنا في زماننا بأبي عبد الله، فما زالت الجبابرة أذلاء ما دام أبو عبد الله حيًا، وما رأيت الغني أذل منه في مجلس الثوري ولا الفقير أعز منه في مجلسه.

وقد ذكرنا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم شبه العلماء بالكواكب، لأنهم زينة الدنيا، وهداة الخلق، ورجوم الشياطين، فإذا ماتوا(٦٩) ينثلم الدين.

لبعضهم في مرثية عمر بن عبد العزيز شعر:

أمسى بنوه وقد جلت مصيبتهم(٧٠) ... مثل النجوم هوى من بينها القمر

آخر:

كأن بني نبهان يوم وفاته ... نجوم سماء خَرَّ من بينها البدر

---

(٦٦) يربو: يرتوا، م، ي. الفتن لنعيم بن حماد ١/ ٤١.

(٦٧) التُمستْ: التمس، م، ي. سنن الدارمي ١/ ٢٧٨.

(٦٨) بعمل: بعلم، م، ي. سنن الدارمي ١/ ٢٧٨.

(٦٩) ماتوا: مات، ي.

(٧٠) جلت مصيبتهم: حلت مصيبته، ي. الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري.

ولأبي الفضل المِيكَالي في مرثية أبي بكر بن حامد الفقيه البخاري:

يا بؤس للدهر أي خطب دها به الناس في ابن حامد
قد استوى الناس مذ تولى[٧١] فما ترى موقفا[٧٢] لحامد
يبكي على فقده ثلاثٌ العلم والزهد والمحامد

ولبعضهم في مرثية العلماء شعر[٧٣]:

وا أسفا من فراق قوم هم المصابيح والحصونُ
والمدن والمزن والرواسي والخير والأمن والسكونُ
لم تتغير لنا الليالي حتى توفتهم المنونُ
فكل جَمْرِلنا قلوبٌ وكل ماءٍ لنا عيونُ

وقال المأمون لعلي بن موسى الرضا عليه السلام: أي رزية أعظم وأجلّ؟ قال: موت العالم، فإنما هو قبس حياة طفئت، ومشكاة ضوء سدّت، وأجنحة فوائد قصت.

سقراط: الجاهل يفرح بموت العالم كما تفرح الحية بموت الظربان[٧٤] يحترشها فيرض سمها ويقلع نابها.

أنو شروان: ما الأمهات بأبكى على فقد أبنائها من الأنام على عالمها.

وفي كتاب الهند: توفي في أيام قلائل عدة من العلماء، فقام حكيمهم وقال: يا معاشر الناس إنه قد خلت الأفلاك من كواكبها، وعطلت الأرض من مناهلها، وأفرغت العقول من أنوارها.

ورئي سفيان الثوري في المنام فقيل له: ما فعل [الله][٧٥] بك؟ فقال: أول قدميّ[٧٦] على الصراط والثاني في الجنة.

وقيل: سرور الأغنياء بقصورهم ودورهم، وسرور الشهداء بنشورهم، وسرور العلماء في قبورهم.

---

(٧١) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ٤/ ٤٣٥، أما المثبت في المخطوطة وهو (والمدن والمزن والرواسي) فليس لهذا الشاعر ولكنه لأبي أحمد الخزاعي من قصيدة نونية انظرها في وفيات الأعيان ٣/ ١٢١.

(٧٢) موقفا: موقف،م، ي.

(٧٣) اللطائف من دقائق المعارف ص١٤٦.

(٧٤) الظربان: الحوّان، م، ي.

(٧٥) إحياء علوم الدين ٤/ ٥٠٨.

(٧٦) قدميّ: قدم، م، ي. إحياء علوم الدين ٤/ ٥٠٨.

ورئي الأوزاعي في المنام فقيل له: يا أبا عمرو دلنا على عمل نتقرب به إلى الله تعالى، فقال: ما رأيت هناك درجة أنفع وأربع من درجات العلماء، ثم درجة المحزونين(٧٧).

وقيل: نحن من بعده في عناء، وهو في لحده في هناء(٧٨)، نحن من شوقه في نياحة، وهو في القبر في راحة، ليس اليتيم من مات أبوه وأمه، بل اليتيم من مات إمامه.

ويقال في ندبة الأئمة: أيها الإمام أيتمت الأصحاب والأحباب، أيتمت السرير والباب، أيتمت المجالس والمدارس، ذهب بذهابك كمالَ البهاء من بين الفقهاء، ذهب السرور وأمُّه إلى النشور.

شعر:

غبتـم فغـاب [أبـو] السـرور وأمـه ... فمغيبكـم تـرك السـرور يتيمـا

أفتذكـرون(٧٩) مجالسًـا كنـا بهـا ... جمعـا طئيـت وطلهـا يحمومـا

ويقال: أيها العالم كنت زينًا للمنابر فصرت دهنًا للمقابر، طال ما درست حتى اندرست، كنت طالعًا كالشمس فصرت في ظلمة الرمس، كنت للأصحاب جمالًا فصرت للتراب حمّالًا، كنت ذا شيبة وهيبة فصرت ذا غربة وغيبة، كنت محسودًا فصرت ملحودًا، السلام عليك يا شعلة(٨٠) الحسرات، السلام على من قامت قيامته، وزالت ولايته، ودامت ندامته، السلام على تلك الشيبة البهية، وعلى تلك الأخلاق الرضية، السلام على تلك الفصاحة والصباحة، وعلى تلك السياحة، السلام عليك من الأصحاب والأقران، ومن الأصدقاء والإخوان، السلام عليك من وسادتك وسجادتك وموضع عبادتك، السلام عليك من كل ذي جنب شفيق، وقلب حريق، مالي دعوتُك فلم تجبني، وسلمت فلم ترد عليّ؟ أين الوجه الصبيح، واللسان الفصيح؟ ثم قال: لو أذن له في الجواب لقال:

أنـا مشـغول بذنبـي ... عـن ذنـوب المذنبينـا

فـي ثـرى الأرض وحيـدًا ... تركـت قلبـي حزينـا

---

(٧٧) المحزونين: المخروس، م، ي، م، ي. البداية والنهاية ١٠/ ١٢٨، وصفة الصفوة ٤/ ٢١٧، وإتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ١٤/ ٤٠٠.

(٧٨) هناء: مناء، م، ي.

(٧٩) أفتذكرون: فاذكرت، م، ي.

(٨٠) شعلة: هدية، م، ي.

وتركت المال والأهـ ـل لغيري والبنينا
بعدما كنت جليلًا في عيون الناظرينا
صرت في ظلمة قبر خاليًا فيهِ[٨١] رهينا
ولقد عمرت جليلا[٨٢] بعد أحقاب سنينا
في نعيم وسرورٍ فوق وصف الواصفينا
فأتى الموت علينا بعد هذا ففنينا
أيها المغرور بادر في ثواب الصالحينا
كل شيء سوف يفنى غير محيي الميتينا

ومات عالم فقام ابنه مقامه، فقال بعض العلماء: يا قوم نحن في تعزية وتهنئة، نتقلب في وحشة وأنس، ومأتم وعرس، ترح وفرح، وجزع وطمع، كرب وطرب، صبر وشكر، صبرٍ على المفقود، وشكرٍ على الموجود.

شعر:

جرت جوار بالسعد والنحس فنحن في وحشة وفي أنس
العين تبكي والسن ضاحكة فنحن في مأتم وفي عرس
يضحكنا القائم الإمام ويبـ ـكينا وفاة الإمام بالأمس[٨٣]

هل رأيتم حيًا ميتًا، ناطقًا صامتًا، غائبًا حاضرًا، فهو هذا المتوفى، ميت جسمه، حي اسمه، صامت لسانه، ناطق إحسانه، غائب حلمه، حاضر علمه.

أيا غائبًا حاضرًا في الفؤاد سلام على الغائب الحاضر

فصل في علماء السوء

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ الآية [البقرة:١٥٩] ونظائرها كثيرة.

---

(٨١) فيهِ: فيها، م، ي. سلوة العارفين ٢/ ٢٣٥.
(٨٢) جليلا: عمرًا، م، ي. سلوة العارفين ٢/ ٢٣٥.
(٨٣) أصل الأبيات لأبي الشيص الخزاعي ت ١٩٦هـ وقد عدلها المؤلف فجعل كلمة (الإمام) في الشطر الأول من البيت الأخير فكان كلمة (الأمين).

وروى جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء، ولا لتماروا به السفهاء، ولا تخيّروا[٨٤] به المجالس، فمن فعل ذلك فالنار النار، ولكن تعلموه لله وللدار الآخرة».

وروي: من تعلم العلم لثلاث فهو في النار: ليماري به السفهاء، أو يباهي به العلماء، أول ليصرف به وجوه الخلق إلى نفسه.

عطاء عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من رجل حفظ علمًا فسئل عنه فكتمه إلا جيء به يوم القيامة ملجمًا بلجام من نار».

جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا لعن آخر هذه الأمة أولها فليظهر الذي عنده العلم علمه، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وآله وسلم،روي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنه كان يقول: اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ودعاء لا يسمع».

شعر:

إذا أنت لم ينفعك علمك لم تجد ... لعلمك مخلوقًا من الناس يقبله
وإن صانك العلم الذي قد حملته ... أتاك له من يجتنيه ويحمله[٨٥]

أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن أشد الناس عذابًا عالم لم ينتفع بعلمه».

سفيان الثوري: ما من عمل أفضل من طلب العلم إذا صحت فيه النية، قيل: يا أبا عبد الله وأي شيء النية؟ قال: تريد به وجه الله والدار الآخرة.

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «مثل الذي يعلم الخير ولا يعمل به مثل السراج يضيء للناس[٨٦] ويحرق نفسه».

شعر:

صرتُ[٨٧] كأني ذبالة وضعت ... تضيء للناس وهي تحترق

(٨٤) تخيّروا: لتحيروا،م، ي سنن ابن ماجة ١/ ٩٣.
(٨٥) له من يجتنيه ويحمله: بمن لا تحيه وتحمله، م، ي. جامع بيان العلم وفضله ليوسف بن عبدالبر ص٦٣٠.
(٨٦) للناس: للناي، ي. بحار الأنوار للعلامة المجلسي ٢/ ٣٨.
(٨٧) صرتُ: صبرت، م، ي. إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ١/ ٥٤٥.

أبو الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أوحى الله إلى بعض أنبيائه: قل للذين يتفقهون لغير الدين، ويتعلمون لغير العمل، ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة، يلبسون للناس مسوك[٨٨] الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب، ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمرُّ من الصبر، إياي[٨٩] يخادعون، وبي[٩٠] يستهزئون، لأتيحن لهم فتنة تذر الحليم فيهم[٩١] حيران».

علي عليه السلام: يا حملة العلم اعملوا به، فإنما العالم مَنْ علم وعمل، ووافق عملُه عِلْمَه، وسيكون أقوامٌ يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، تخالف سريرتُهم علانيتَهم، ويخالف عِلْمُهم عَمَلَهم، يقعدون حلقًا فيباهي بعضهم بعضًا، حتى إن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه، أولئك لا يصعد بأعمالهم إلى الله تعالى.

سلمان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يوشك أن يظهر العلم ويخزن[٩٢] العمل، يتواصل الناس بألسنتهم ويتقاطعون بقلوبهم، فإذا فعلوا ذلك طبع الله على قلوبهم».

ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يزول قدم ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس خصال: عن شبابه فيما أبلاه، وعن عمره فيما أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وماذا عَمِل فيما عَلِم».

وعنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تكون مسلمًا حتى يَسْلَم الناس من يدك ولسانك، ولا تكون عالمًا حتى تكون بالعلم عاملًا، ولا تكون عابدًا حتى تكون ورعًا، ولا تكون ورعًا حتى تكون زاهدًا، فأطل الصمت، وأكثر الفكر، وأقل الضحك، فإن كثرة الضحك مفسدة للقلب».

وأوحى الله إلى عيسى: عظ نفسك، فإن اتعظت فعظ الناس، وإلا فاستحي مني.

وقال مالك بن مغول: سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أي الناس أشر؟ قال: «العلماء إذا فسدوا[٩٣]».

ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «علماء هذه الأمة رجلان: رجل آتاه

---

(٨٨) المسوك: جمع (مَسْك) وهو الجلد. الصحاح (مسك).
(٨٩) إياي: أبي، م، ي. جامع بيان العلم وفضله ليوسف النمرى ١/ ٦٥٦.
(٩٠) وبي: أو بي، م، ي. جامع بيان العلم وفضله ليوسف النمرى ١/ ٦٥٦.
(٩١) فيهم: فيها، م، ي. جامع بيان العلم وفضله ليوسف النمرى ١/ ٦٥٦.
(٩٢) يخزن: يحزن،م م، ي. جامع بيان العلم وفضله ١/ ٧٠٠.
(٩٣) فسدوا: تفاسدوا، م، ي. حلية الأولياء ٧/ ٥، وجامع بيان العلم وفضله ١/ ٦٦٨.

الله علمًا فطلب به وجه الله والدار الآخرة، وبذله للناس، لم يأخذ عليه طمعًا، ولم يشتر به[٩٤] ثمنًا، فذلك يستغفر له حيتان البحور والطير في جو السماء، ورجل آتاه الله علمًا فبخل به من عباد الله، وأخذ عليه طمعًا، واشترى به ثمنًا، فذلك يلجم بلجام من نار يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، وينادي مناد: هذا فلان بن فلان آتاه الله علمًا فبخل به عن عباده، وأخذ عليه طمعًا، واشترى به ثمنًا، [فيظل] كذلك حتى يفرغ الناس من الحساب».

وأوحى الله إلى داود: يا داود لا تستشر في أمرك عالمًا أسكرته الدنيا، فيقطعك بسكره عن طريق محبتي، أولئك قطاع الطريق على عبادي.

أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «رأيت ليلة أسري بي إلى السماء رجالًا تقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ فقال: هؤلاء الخطباء الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون».

الحسن قال: أشد الناس حسرة يوم القيامة رجلان: رجل نظر إلى ماله في ميزان غيره، سعد به وشقي هو به، ورجل نظر إلى علمه في ميزان غيره، سعد هو به وشقي هو به».

عكرمة عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يكون في آخر الزمان علماء يزهِّدون الناس ولا يزهدون، ويرغِّبون في الآخرة ولا يرغبون، وينهونهم عن غشيان السلطان ولا ينتهون، يقربون الأغنياء ويبعدّون الفقراء، أولئك هم أعداء الرحمن».[٩٥]

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إخواني تناصحوا في العلم، ولا يكتمن بعضكم بعضًا، فإن خيانة الرجل في العلم أشد من خيانته في المال».

وقال وهيب بن الورد المكي: مثل العالم السوء كمثل الحجر يقع في الساقية، فلا هو يشرب الماء، ولا هو يخلي الماء فيحيا به الشجر.

فضيل بن عياض: لم تهلك أمة قط إلا من قبل علمائها السوء، جلسوا على طريق الرحمن فقطعوا طريق العباد من الله.

أبو ذر: إن شر الناس عند الله منزلةً عالمٌ لا ينتفع بعلمه.

حاتم الأصم: من اكتفى بالكلام من العلم دون الفقه والزهد يتزندق، ومن اكتفى بالزهد

(٩٤) به: بخ، م، ي.
(٩٥) في إحياء علوم الدين ١/ ٨٩ (الولاة) بدل (السلطان).

دون الفقه والكلام ابتدع، ومن اكتفى بالفقه دون الزهد والكلام تفسق، ومن تفنن في الأبواب كلها يتخلص.

مالك بن دينار: قرأت في التوراة: إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلَّتْ موعظتُه عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا.

وقال أبو يعقوب المكفوف: كان العلماء إذا تعلموا جعلوا العلم أسواطًا يقرعون بها أنفسهم في العبادة، فصرنا الآن نجعلها أسواطًا نقرع بها ألسنتنا للمقالة.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن أشد ما أتخوف على أمتي ثلاثة: زلة عالم، وجدال منافق بالقرآن، ودنيا تقطع رقابهم».(٩٦)

ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن أشد الناس عذابًا يوم القيامة من قتل نبيًا، أو قتله نبي، أو قتل أحد والديه، والمصورون، وعالم لم ينتفع بعلمه».

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لست أخاف عليكم بعدي من مؤمن موقن ولا كافر معلن، أما المؤمن فيمنعه إيمانه، وأما الكافر فيمنعه كفره، ولكني أخاف عليكم بعدي من عالم لسانه، جاهل قلبه، يقرأ القرآن يتأوله على غير تأويله، يقول ما تعرفون(٩٧) ويعمل ما تنكرون، فضلّ وأضل»(٩٨)، رواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «مررت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء خطباء من أهل الدنيا كانوا يأمرون الناس بالمعروف وينسون أنفسهم»، رواه أبو هريرة عنه.

وعن واصل بن عطاء: قصم ظهري عالم فاسق، وجاهل عابد، فهذا يدعو الناس إلى جهله بزهده، وذاك ينفر الناس عن علمه بفسقه.

فصل في ذكر المتعلم وآدابه

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «طلب العلم فريضة على كل مسلم، وطالب العلم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر».

---

(٩٦) كنز العمال ٨/ ٢١.

(٩٧) تعرفون: يعرفون، م، ي. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ١/ ٣١٣.

(٩٨) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ١/ ٣١٣.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «ليس التملق من أخلاق المؤمن إلا في طلب العلم».

معاذ بن جبل: معاشر الناس تعلموا العلم فإن تعليمه لله حسنة، وطلبه عبادة، والبحث عنه جهاد، ومذاكرته تسبيح، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة.

وعنه: إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورِّثوا[٩٩] دينارًا ولا درهمًا ولكن ورَّثوا العلم، مَنْ أَخَذَ به أخذ بحظ وافر.

ابن مسعود: لو لم يعلم طالب العلم ما له في طلبه لأنفق الدنيا بحذافيرها في باب العلم.

أبو ذر: لأن أتعلم بابًا من العلم أحب إليّ من أن أصلي [ألف] ركعة تطوعًا، ولأن أعلِّم بابًا من العلم عُمِل به أو لم يُعْمَل أحب إليّ من أن أصلي ألف ركعة تطوعًا.

وكيع بن الجراح قال: قال أبو الدرداء:كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به وكنا نستعين على طلبه - [أي: العلم][١٠٠] بالصوم.

قال أبو الدرداء: لأن أتعلم مسألة أحب إليّ من قيام ليلة.

وعنه: تعلموا العلم قبل أن يقبض، فإن قَبْضَ العلم قَبْضُ العلماء.

قتادة قال: لو اكتفى أحد من العلم لاكتفى نبي الله موسى حيث قال: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف:٦٦].

وقال الرشيد للمأمون: أيحسن[١٠١] بمثلي طلب العلم؟ فقال المأمون: والله لأن تموت طالبًا للعلم خير من أن تعيش قانعًا بالجهل.

وسألت امرأة خلف بن أيوب عن مسألة، فدلها على الحسن بن زياد، فقالت: رحمك الله إنه بالكوفة، فقال: من اهتم لدينه فالكوفة له قريبة.

وقيل لابن عباس: بأي شيء أصبت هذا العلم؟ فقال: بلسان سؤُول وقلب عقول.[١٠٢]

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «تعلموا من النجوم ما تهتدوا به في ظلمات البر

(٩٩) يورِّثوا: يرثوا، م، ي. جملة من كتب الحديث منها سنن الترمذي ٤/ ٣٤٦.

(١٠٠) الجامع لشعب الإيمان ٣/ ٣١١.

(١٠١) أيحسن: أتحسن، م، ي.

(١٠٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين ٢/ ١٨.

والبحر ثم انتهوا، وتعلموا من الأنساب ما تصلون[١٠٣] به أرحامكم، وتعلموا من النساء ما يحل لكم وما يحرم عليكم»، رواه ابن عمر.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «تعلموا وعلّموا فإن أجر العالم والمتعلم سواء»، قيل: وما أجرهما؟ قال: «مائة مغفرة ومائة درجة في الجنة»، رواه ابن مسعود.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «من ذهب في باب حقٍّ[١٠٤] كان ذهابه ورجوعه سواء[١٠٥]».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «تعلموا العلم فإن تعليمه لله حسنة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، ولأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبيل الجنة، والأنس في الوحدة، والصاحب في الغربة، والدليل على السراء، والزين عند الأخلاء، والمحدث في الخلوة، والسلاح على الأعداء، يرفع الله به قومًا فيجعلهم في الخير قادة، أئمة في الهدى، هداة يقتدى بهم، وترغب الملائكة في خلتهم، وبأجنحتها تمسحهم، وفي صلاتها تستغفر لهم، حتى حيتان البحر وهوامها وسباع الأرض وأنعامها والسماء ونجومها، ألا إن العلم حياة القلوب من العمى، ونور الأبصار من الظلم، به يطاع الله، وبه يُعبد، وبه يُحمد، وبه توصل الأرحام، وبه يُعرف الحلال والحرام، إمام العقل والعمل تابعه، يلهمه الله السعداء ويحرمه الأشقياء، ولا خير في عبادة بغير تفقه، ولا خير في قراءة بغير تدبر، ولقليل الفقه خير من كثير العبادة، ولمجلس ساعة في تفقه خير من عبادة سنة»، رواه أنس بن مالك.

وروى جابر عن ابن سنان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «طالب العلم بين الجهال كالحي بين الأموات».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «اغد عالمًا أو متعلمًا أو مستمعًا أو محبًا ولا تكن الخامس فتهلك».

عطاء بن مسلم: قال لي مسعر[١٠٦] بن كدام: يا عطاء، هذه خامسة[١٠٧]، زادنا الله في هذا

(١٠٣) تصلون: تصلوا، م، ي.
(١٠٤) حقٍّ: آخر، م، ي.
(١٠٥) سواء: سواه، م، ي. الفردوس بمأثور الخطاب عن عائشة ٣/ ٤٨٦.
(١٠٦) مسعر: مسعود، م، ي. الجامع لشعب الإيمان ٣/ ٢٢٩.
(١٠٧) يقصد الأثر السابق لهذا، فهناك ذكر أربع خصال محمودة، وخامسة مذمومة وهي الجهل.

الحديث لم تكن في أيدينا، إنّما كان في أيدينا: اغد عالمًا أو متعلمًا أو مستمعًا ولا تكن الرابعة فتهلك، ويل لمن لم يكن فيه واحدة من هذه.[١٠٨]

فصل في مجالس العلم والذكر

روي أبو يحيى زكريا بن يحيى البزاز بإسناده عن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها»[١٠٩]، قلنا: وما رياض الجنة؟ قال: «حِلَقُ الذِّكْر».

وعنه: «المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي ألف مجلس من مجالس السوء».

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما جلس قوم يذكرون الله إلا ناداهم من السماء: قوموا قد بُدِّلت سيئاتكم حسنات وغُفِر لكم جميعًا، وما قعد عدة من أهل الأرض يذكرون الله إلا قعد معهم عدة من الملائكة».

وروي أن الله تعالى أوحى إلى داود: يا داود أحبني وحببني إلى عبادي، فقال: يا رب أحبك، فكيف أحببك إلى عبادك؟ قال: ذكرهم آلائي ونعمائي.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن لأهل الذكر ثلاثة: الرحمة تغشاهم[١١٠]، والملائكة تحفهم، والبر يتناثر عليهم».

وعن أبي سعيد الخدري قال: خرج معاوية على حلقة في المسجد، فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله، قال: آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، فقال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقل حديثًا عنه مني، خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على حلقة فقال: «ما أجلسكم»؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن علينا بك، قال: « آلله ما أجلسكم إلا ذاك»؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: «أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم وإن جبريل أتاني فقال: إن الله يباهي بكم الملائكة».

---

(١٠٨) الجامع لشعب الإيمان ٣/ ٢٢٩.

(١٠٩) تهذيب الكمال ٣١/ ٣١٢.

(١١٠) تغشاهم: تغشا، م، ي.

عمرو بن عنبسة[١١١] عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «على يمين عرش الرحمن رجال ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغشى بياض وجوههم نظر[١١٢] الناظرين، يغبطهم النبيون والشهداء»، فقيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «هم جماع من نوازع القبائل يجتمعون على ذكر الله، ينتقون أطايب الكلام كما ينتقي آكل التمر أطايبه»[١١٣].

أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لأن أذكر الله مع قوم بعد صلاة الفجر حتى تطلع الشمس أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، ولأن أذكر الله مع قوم بعد صلاة العصر حتى تغيب الشمس أحب إلي من [أن][١١٤] أعتق ثمانية من ولد إسماعيل دية كل واحد منهم اثنا عشر ألفًا».

عن أبي أمامة قال: بينما نحن قعود على باب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورجل يقص[١١٥]، فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسكت الرجل، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يا هذا قص فلأن أقعد هذا المقعد من حين تُصلِّي[١١٦] الغداة إلى أن تطلع الشمس أحب إلي من أن أعتق أربع رقاب، ولأن أقعد هذا المقعد من حين تصلي[١١٧] العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إلي من أن أعتق أربع رقاب من ولد إسماعيل».

أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما جلس قوم في مسجد من مساجد الله، يتلون فيه كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا حفت بهم الملائكة، ونزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه».

أبو هريرة وأبو سعيد الخدري قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن لله ملائكة سياحين[١١٨] في الأرض فُضُلا عن كُتَّاب الناس، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا هلموا

(١١١) السراج المنير شرح الجامع الصغير ٣/ ٣٣٩.
(١١٢) نظر: كره، م، ي. السراج المنير شرح الجامع الصغير ٣/ ٣٣٩.
(١١٣) السراج المنير شرح الجامع الصغير ٣/ ٣٣٩.
(١١٤) السنن الكبرى للبيهقي ٨/ ٦٨ وشعب الإيمان ٢/ ٨٧، وغيرهما.
(١١٥) يقص: يعض، م، ي.
(١١٦) حين تُصلِّي: خير يصلي، م، ي. المعجم الكبير للطبراني ٤/ ٣٥٥.
(١١٧) حين تصلي: خير نصلي، م، ي. المعجم الكبير للطبراني ٤/ ٣٥٥.
(١١٨) سياحين: سياحون، م، ي. كتب الحديث. انظر: مسند أحمد ١٢/ ٣٨٩.

إلى بغيتكم[١١٩]، فيحفّون بهم إلى سماء الدنيا، فيسألهم ربهم: أي شيء تركتم عبادي يصنعون؟ فيقولون: تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويذكرونك، فيقول: هل رأوني؟ فيقولون: لا، فيقول: فكيف لو رأوني؟ فيقولون: ولو رأوك كانوا لك أشد تحميدًا وتمجيدًا وذكرًا، قال: فيقول: وأي شيء يطلبون؟ فيقولون: يطلبون الجنة، فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون[١٢٠]: لا، فيقول: وكيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها لكانوا أشد طلبًا وأشد عليها حرصًا، فيقول: من أي شيء يتعوذون؟ فيقولون: يتعوذون من النار، فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون[١٢١]: لا، فيقول: وكيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها لكانوا أشد منها تعوذًا وخوفًا، قال: فإني أشهدكم أني قد غفرت لهم، فيقولون: إن فيهم فلانًا الخطّاء لم يُرِدْهم، إنما جاء لحاجة، فيقول: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»[١٢٢].

الحسن عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ليس من ملأ اجتمعوا - قلّوا أو كثروا - يذكرون الله، فكان فيهم عبد له عند الله دعوة، فقال: اللهم اغفر لنا، إلا قال الله: قد غفرت لكم».

وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دفع إلى نفر من أصحابه وفيهم عبد الله بن رواحة يذكرهم بالله، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سكت، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ذكر أصحابك»، فقال: يا رسول الله أنت أحق، قال: «أما إنكم الملأ الذين أمرني الله أن أصبر نفسي معهم، ثم تلا: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ..﴾ إلى آخر الآية [الكهف:٢٨]، وما قعد عدتكم من أهل الأرض إلا قعد معهم عدتهم من الملائكة، فإن حمدوا الله حمدوه، وإن سبحوا الله سبحوه، وإن كبروا الله كبروه، وإن استغفروا الله أمّنُوا لهم، ثم يعرجون إلى ربهم فيسألهم - وهو أعلم منهم - فيقول: من أين ملائكتي؟ فيقولون: ربنا أَعْبُدٌ لك من أهل الأرض ذكروك فذكرناك، فيقول: ماذا قالوا؟ فيقولون: ربنا حمدوك، فيقول: أنا أولى من عُبد وأحق من حُمد، فيقولون: ربنا سبحوك، فيقول: مدحي[١٢٣] لا ينبغي لأحد غيري، فيقولون: ربنا كبروك، فيقول: لي الكبرياء في السماوات والأرض وأنا العزيز

(١١٩) بغيتكم: بيعتكم، م، ي.
(١٢٠) فيقولون: قالوا، م، ي. كتب الحديث. مسند أحمد ١٢/ ٣٨٩.
(١٢١) فيقولون: قالوا، م، ي. مسند أحمد ١٢/ ٣٩٠.
(١٢٢) مسند أحمد ١٢/ ٣٩٠.
(١٢٣) مدحي: مدحتي، م، ي. تاريخ دمشق ١٦/ ١٥٥.

الحكيم، فيقولون: ربنا استغفروك، فيقول: فإني أشهدكم أني قد غفرت لهم، فيقولون: فيهم فلان، فيقال: هم القوم لا يشقى [بهم][١٢٤] جلساؤهم».

وروى جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن لله سرايا من الملائكة تنزل وتَقِفُ على مجلس الذكر، فارتعوا في رياض الجنة»، قالوا: يا رسول الله وأين رياض الجنة؟ قال: «مجالس الذكر، فاغدوا وروحوا على ذكر الله، من أحب أن يعلم كيف منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده، فإن الله ينزل العبد حيث ينزله العبد من نفسه».

معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله ليدنو فيطلع على عباده فيقول للملائكة: انظروا إلى عبادي وخلقي وأنامي، فإذا رأى طائفة يذكرونه قال: انظروا إلى عبادي هؤلاء كيف يذكرونني ويخشونني[١٢٥] بالغيب ولم يروني، ويؤمنوا بي ولم يروني، انظروا إليهم شاخصة أبصارهم إلى رجل منهم يقص عليهم آياتي ويذكرهم بي، طوبى لهم، فأشهدكم أني قد غفرت لهم ذنوبهم».

عمار الراهب - وكان من العاملين المجتهدين - قال: رأيت مسكينة الطفاوية[١٢٦] في منامي - وكانت من المواظبات على حِلَق الذكر - فقلت: مرحبًا يا مسكينة مرحبًا، قالت: هيهات يا عمار ذهبت المسكنة[١٢٧] وجاء الغنى، قلت: هيه، قالت: ما تسأل عمن أتيحت له الجنة بحذافيرها تظل منها حيث تشاء، قال: قلت: بما ذاك يرحمك الله؟ قالت: بمجالس الذكر والصبر على الحق.

قال عمار: وكانت تحضر معنا مجلس عيسى بن زادان بالأُبلة[١٢٨] تنحدر من البصرة حتى تأتيها قاصدة، فقلت: ما فعل عيسى بن زادان؟ قال: فضحكت ثم قالت:

[قد] كُسي حلّة البهاء وطافت بأباريق حوله الخدام
ثم [حلي وقيل][١٢٩]: يا قارئ ارق فلعمري لقد براك الصيام

قال: وكان عيسى قد صام حتى انحنى وانقطع صوته.

---

(١٢٤) تاريخ دمشق ١٦/ ١٥٥.

(١٢٥) يذكرونني ويخشونني: يذكروني ويخشوني، م، ي. انظر: الهادي المهتدي في الفضائل ص٦٩.

(١٢٦) الطفاوية: الطغاوية، ي. المجالسة وجواهر العلم للدينوري ٣/ ٢٧٨.

(١٢٧) المسكنة: المسكينة، ي. المجالسة وجواهر العلم للدينوري ٣/ ٢٧٨.

(١٢٨) الأُبلة: الأيلة،م، ي. المجالسة وجواهر العلم ٣/ ٢٧٨. تاج العروس (أبل).

(١٢٩) المجالسة وجواهر العلم ٣/ ٢٧٨.

فصل في فضل من قص الحديث وقعد احتسابًا

قال الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥] ونظائرها.

أبو سعيد الخدري قال: قال صلى الله عليه وآله وسلم: «سيأتيكم أقوام من أقطار الأرض يسألونكم الحديث، فحدثوهم»، قال: وكان أبو سعيد إذا رأى طالب علم قال: مرحبًا بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال أبو هريرة: لولا آية من كتاب الله لما جلست للناس، وهي قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [البقرة:١٥٩].

وقيل لسفيان الثوري: ألا تحدثنا؟ فقال: والله لو علمت أحد يبتغي العلم لجئت[١٣٠] إلى منزله.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «لأن يهدي الله على يديك رجلًا خير لك مما طلعت عليه الشمس والقمر».

وعن الحسن: لولا العلماء صار الناس مثل البهائم.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من تعلم بابًا من العلم ليعلم الناس أعطي ثواب سبعين نبيًا».

عيسى ابن مريم صلوات الله عليه: لا تمنعوا الحكمة عن أهلها[١٣١] فتظلموهم.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من كتم علمًا عنده أُلجِمَ[١٣٢] بلجام من نار».

علي بن أبي طالب: لا خير في الصمت عن العلم، كما لا خير في الكلام على الجهل.

وقال يحيى بن معاذ: إن أردت أن تكون بذِكْرِك مذكورًا، [و]بصوتك في الملكوت مشهورًا، فلا تَبْغ[١٣٣] على كلامك منهم شكورا[١٣٤]، واقصد بقولك ملكًا غفورًا.

---

(١٣٠) لجئت: لحملت، م، ي.

(١٣١) أهلها: أهله، م، ي. تفسير الألوسي ٧/ ٣٩٩.

(١٣٢) أُلجِمَ: ألج، م، ي. الترمذي، حديث رقم: ٢٦٤٩ وغيره.

(١٣٣) تَبْغ: تقع، م، ي.

(١٣٤) شكورا: مشكورًا، م، ي.

سلمان: علم لا يقال به ككنز لا ينفق منه.

وجاء رجل إلى رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان قد أقبل على العبادة فسأله عن مسألة فقال: لا أعلمها، فقال الرجل: لو أن أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم أقبلوا على ما أقبلت عليه لضاع العلم.

وقال شداد بن الحكيم لمحمد بن جعفر: بلغنا أنك تجلس للناس فما أنت قائل لهم؟ قال: أذكرهم نعم الله وآلاءه حتى يشكروه، وأنبئهم كثرة حفاوته بهم(١٣٥) ليتوبوا منه، وأحذرهم كيد عدوهم إبليس لكي يحذروه، فقال شداد: حق لك أن تجلس. قال: وكان عيسى ويحيى عليهما السلام إذا دخلا قرية نزل يحيى على الأبرار وعيسى نزل على الفجار، فقيل له: يا روح الله ما بالكما تنزلان كذا؟ فقال: أنا طبيب أعالج المرضى.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «رحمة الله على خلفائي» -ثلاثًا-، قيل: يا رسول الله ومن خلفاؤك؟ قال: «الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله».

شعر:

لا تتركن العلم أن تستفيده ... فإن استفاد العلم أعظم مغنم
وكن للذي لم تحصه متعلمًا ... وأما الذي أحصيت منه فعلّم

فصل في ذم القُصّاص المرائين

الحرث عن علي رضي الله عنه أنه دخل المسجد فإذا بقاصٍّ، فلما رآه سكت، فقال علي: من هذا؟ فقال القصاص: أنا، فقال علي: أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «سيكون بعدي قُصّاص لا ينظر الله إليهم».

أبو أسلم قال: قال عيسى للحواريين: أنتم مِلْحُ الأرض، فإذا فسد الشيء دُووِي بالملح، فإذا فسح الملح بأي شيء يداوى؟ والمال فيه داء كثير، قالوا: ما داؤه؟ قال: لا يسلم من الفخر والخيلاء، قالوا: فإن سلم، قال: شَغَله إصلاحُه عن ذكر الله.

---

(١٣٥) حفاوته بهم: حفا هم، م، ي.

عن وهب بن منبه أنه كان يقول: إن السفيه[١٣٦] من دعاه الله إلى الجنة[١٣٧] والنعيم المقيم فقال: حسبي أن أكون مسكين العلم مسكين العمل، تلك[١٣٨] المنزلة من الأجر والثواب الذي ذكر للمتقين والمقربين[١٣٩] الذين أخلصوا الطاعة فأخلص لهم الكرامة. إنه تعالى [ذكر] في الإنجيل أن الأحبار والربانيين جلسوا على كرسي موسى، وأنهم يقولون ما لا يعلمون، فاسمعوا من قولهم ولا تعملوا بأعمالهم، فإنهم يحبون أن يسلم عليهم في الأسواق، فيسمون العظماء، ويكونون في حين العَشاء في رأس المتكأ، فالويل[١٤٠] لكم إذا سماكم الناس الصالحين.

وسئل الفضيل عن الجلوس إلى القاص وقيل له: إنه يقوم مرة ويجثو[١٤١] مرة ويرفع صوته بحديث يوسف عليه السلام وإسحاق وأيوب ونحوه مما يحدثهم، فقال: أخاف ألاّ يكون هذا لله إنما هذا بدعة، كان يقال: القاصّ ينتظر المقت ومن حوله ينتظرون الرحمة، ثم قال: لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا عهد أبي بكر وعمر، ولكن إذا كان الرجل يذكّر بالله ويخوّف ويشوّق[١٤٢] فلا بأس أن يجلس معه، رواه إبراهيم الأشعث.

وروي أيضًا عنه أنه قال: نظرتَ في كل شيء [لترى] أي شيء يحسن عند الناس، فتزينت به، حتى في لباسك تزينت بالصفيق، فلما لم تر أحدًا يرفع لك رأسًا تركته، ولبست الرقاق، وتزينت بالقرآن حفظت حروفه واختلافه، وجلست فلم تر أحدًا يرفع لك رأسًا، فأخذت[١٤٣] في الروايات عن فلان وفلان، فلما لم ترهم يذكرونك أخذت في الفتيا والرأي وأقاويل الرجال تتزين[١٤٤] لهم بالشيء بعد الشيء لتُعرف[١٤٥] به وتُذْكر، كل هذا لحب[١٤٦] الدنيا.

وروى قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بإسناده عن مالك بن دينار عن

(١٣٦) السفيه: السفينة، م، ي.
(١٣٧) الجنة: المسجد، م، ي.
(١٣٨) تلك: بتلك، م، ي.
(١٣٩) المقربين: المقربن،م م، ي.
(١٤٠) فالويل: قالوا: بل، م، ي.
(١٤١) يجثو: يحبو، م، ي.
(١٤٢) يشوّق: يسوف،م م، ي.
(١٤٣) فأخذت: أخذت، م، ي.
(١٤٤) تتزين: يتزين، م، ي.
(١٤٥) لتُعرف: تعرف، م، ي.
(١٤٦) لحب: الحب، ي.

الحسن، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما من عبد يخطب خطبة إلا والله تعالى سائله عنها يوم القيامة: ما أردت بها؟»، فكان مالك بن دينار يبكي عندها، ثم يقول: أفتحسبون أن عيني تقر بكلامي عليكم وأنا أعلم أن الله سائلي عنه يوم القيامة ما أردت بهذا؟ ثم يقول مالك: أنت الشهيد على ما في قلب مالك، لو [لم][١٤٧] يعلم مالكٌ أنه أحب إليك لم يقرئ اثنين أبدًا[١٤٨].

سعدون الراوي قال: كنت مع حاتم الخراساني، فقد كان يتكلم فقلَّ كلامه، فقيل له في ذلك، وقيل: كنت تتكلم فينتفع الناس بكلامك، فقال: لا أحب أن أتكلم بكلمة قبل أن أستعد جوابها لله، فإذا قال الله لي يوم القيامة: لم قلت كذا؟ قلت: يا رب لكذا.

مالك بن دينار قال: إنما العالم أو القاص الذي إذا أتيته فلم تجده في بيته، قَصَّ عليك بَيْتُه، ترى حصيرًا للصلاة، ترى مصحفًا، إجّانة[١٤٩] للوضوء، ترى أثر الآخرة.

وكان عبدان يتمثل:

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك تُقبل إن وعظت ويُقتدى ... بالرأي منك وينفع التعليمُ

وعن سعد بن أبي وقاص قال: نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القرآن فتلاه عليهم زمانًا، فقالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا، فأنزل الله تعالى: ﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ..﴾ إلى قوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف:١-٣]، فتلاه عليهم زمانًا فقالوا: يا رسول الله لو حدثتنا، فأنزل الله تعالى: ﴿نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر:٢٣].

يزيد الرقاشي، عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لأن أجلس مع قوم يذكرون الله غدوة إلى طلوع الشمس أَحَبُّ إلي مما طلعت عليه الشمس، ومن العصر إلى غروب الشمس أحب إليَّ من أن أعتق ثمانية من بني إسماعيل كلهم مسلم»، يعني: لأن أذكر الله. قال يزيد الرقاشي: كان أنس إذا حدثنا بهذا قال لنا: إنه والله ما هو بالذي تصنع أنت وأصحابك

(١٤٧) الترغيب والترهيب للمنذري رقم ١٣٩٥.
(١٤٨) الترغيب والترهيب للمنذري رقم ١٣٩٥.
(١٤٩) الإجَّانَةُ: التي تُغسل فيها الثياب. الصحاح (ركن).

- يعني القصص - يقعد أحدكم فتجتمعون حوله فيخطب، إنما كانوا إذا صلوا الغداة قعدوا حِلَقًا يقرأون القرآن فيتعلمون الفرائض والسنن ويذكرون الله تعالى.

بقية عن عتبة بن تميم التنوخي، عن أبان بن سليم الصوري[150] قال: ما جنَّب[151] عباد الله [قوم قط] عن الله تجنيب[152] القصاص، وذلك أنهم يقولون لهم: من قال كذا كتب الله له كذا وكذا، ومن سبح كذا وكذا كتب الله له كذا وكذا، قال بقية: فسمعها مني غيلان[153] الدمشقي قال: كيف قال الصوري؟ فأخبرته، فقال: صدق رحمه الله، وذلك بأنهم أخبروهم بما لهم ولم يخبروهم بما عليهم.

مالك بن دينار قال لثابت البناني: يا ثابت، أنا أبطُّهم[154] فأخرج القيح والدم، وأنت تدهنهم[155] بالكَدَى[156]؛ يعني: تحدثهم بالرُّخَص وأنا أشدد عليهم.

وعن المعلا بن زياد قال: سأل المغيرة الحسن فقال: يا أبا سعيد، إن لنا علماء مذكرين يخوفونا حتى كادوا يجلبون[157] قلوبنا، وآخرين في حديثهم سهولة، فقال الحسن: يا أبا عبد الله، والله مَنْ خوَّفك حتى تلقى الأمان خير ممن أمَّنك حتى تلقى المخافة.

أيوب عن أبي قلابة: ما أمات العلم إلا القصاص، يجلس الرجل [إلى] القاصّ فلا يتعلق منه بشيء، ويجلس[158] إلى العالم فلا يقوم[159] حتى يتعلق منه بشيء[160].

وعن أيوب قال: لقيت أبا قلابة في طريق مغضبًا وهو يقول: ما هم بالقراء ولكنهم المترفون، قال أيوب: فدنوت منه فقلت له: ما لي أراك مغضبًا؟ فقال: مررت بقاص في مسجد ونسوة

(150) الصوري: الصودي، م، ي. جامع بيان العلم وفضله 1/ 236.
(151) جنَّب: حب، م، ي.
(152) تجنيب: تحبيب، م، ي.
(153) غيلان: أبو المنتب، م، ي.
(154) بَطَّ الجُرح بطًّا: شَقَّهُ. تاج العروس (بطط).
(155) تدهنهم: تذهنهم، م، ي.
(156) والكَدَى: اللبن الذي ينقع فيه التمر ثم يُسَمَّن به الجواري. المحيط في اللغة (كدى). كذا في حلية الأولياء 2/ 377.
(157) يجلبون: يخلصوا، م، ي. الزهد للإمام أحمد ص 210.
(158) يجلس: تجلس، م، ي.
(159) يقوم: تقوم، م، ي.
(160) بشيء: شيء، م، ي.

شواب في الطريق، قال: فقرأ السجدة فسجدن[١٦١] معه، قال أيوب: فرأى منهن ما كره. وقال الخليل بن أحمد لرجل شعر:

اعمل بعلمي وإن قصرت في عملي ينفعك علمي ولا يضررك تقصيري
وانظر لنفسك ماذا أنت فاعله من الأمور وشمّر فوق تشميري

وعن أبي هريرة: قال ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لو نعلم أحب الأمور إلى الله اتبعناها، فأنزل الله سبحانه: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ..﴾ إلى قوله: ﴿فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ [الصف:١-٤].

وقال الحسن: من لم يحفظ هذا الحديث كان نقصًا في مروءته وعقله، قالوا: وما ذاك يا أبا سعيد؟ قال: فبكى وأنشأ يحدثنا، فقال: لو أن رجلًا من المهاجرين الأولين اطلع من باب مسجدكم هذا ما أدرك شيئًا مما كانوا عليه إلا قبلتكم هذه، ثم قال: أهلك[١٦٢] الناس ثلاث[١٦٣]: قولٌ ولا فعل، ومعرفة[١٦٤] ولا صبر [ويقين][١٦٥] ولا صدق، ما لي أرى رجالًا ولا أرى عقولًا، وأرى أجسامًا ولا أرى قلوبًا؟ دخلوا في الدين ثم خرجوا، وحرّموا ثم استحلوا، وعرفوا ثم أنكروا، إنما دين أحدهم على لسانه، ولئن سألته: هل تؤمن بالحساب؟ قال: نعم، كذب ومالك يوم الدين، إن من أخلاق المؤمنين قوة في دين، وحزمًا في لين، وإيمانًا في يقين، وحرصا[١٦٦] في علم، وشفقة في خيفة، وعملًا في علم، وقصدًا في غنى، وتحملًا في فاقة، وتحرجًا في طمع، وكسبًا من حلال، وبرًا في استقامة، ونشاطًا في هدى، ونهيًا عن شهوة، [ورحمة][١٦٧] للمجهود، إن المؤمن [من][١٦٨] عباد الله لا يحيف على من يبغض، ولا يأثم فيمن يحب، ولا يضيع ما استودع، ولا يحسد، ولا يطعن، ولا يلعن، ويعترف بالحق وإن لم يُشْهَد عليه، ولا يتنابز بالألقاب، [تراه] في الصلاة متخشعًا، إلى الزكاة مسرعًا، في الزلزال

---

(١٦١) فسجدن: فسجدت، م، ي.
(١٦٢) أهلك: هلك، م، ي.
(١٦٣) ثلاث: ثلاثًا، م، ي.
(١٦٤) معرفة: لا معرفة، م، ي.
(١٦٥) +: البحر المسجور في الرد على من أنكر فضل الله بالمأثور ص١٧٧.
(١٦٦) حرصا: فرضًا، م، ي.
(١٦٧) +: البحر المسجور في الرد على من أنكر فضل الله بالمأثور ص١٧٧.
(١٦٨) +: البحر المسجور في الرد على من أنكر فضل الله بالمأثور ص١٧٧.

وقورًا، في الرخاء(١٦٩) شكورًا، قانعًا بالذي له، لا يدعي ما ليس له، ولا يغلبه الشح عن معروف يريده، يخالط الناس كي يعلم، ويناظر الناس كي يفهم، وإن ظُلم أو بُغي عليه صبر حتى يكون الرحمن هو الذي ينتصر له، ثم قال الحسن: وعظني بهذا الحديث جندب بن عبد الله، وقال جندب: وعظني بهذا الحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: حقٌّ على كل مسلم حِفْظُه وتعلُّمه(١٧٠).

خباب بن الأرت، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن بني إسرائيل لما ضلوا قصوا».

زيد بن علي عليه السلام قال: إذا دعوتكم إلى أمرٍ ولم أسبقكم إليه فلا طاعة لي عليكم.

أبو قلابة قال لأيوب(١٧١): إذا حدث لك علم(١٧٢) فأحدث له عبادة ولا يكن(١٧٣) إنما همك أن تحدِّث به الناس.(١٧٤)

حماد بن أبي حنيفة قال: قال أبو طالب القاص لأبي(١٧٥) حنيفة: إني أقص على الناس وأعظهم، وبعض الناس يقول: إن القصص مكروه، فما ترى؟ فقال أبو حنيفة: القصص المكروه أن تحدث بما ليس له أصل معروف من أحاديث الأولين، أو تزيد في الأحاديث أو تنقص منها لتزين بها قصصك، أو تعظ الناس بشيء لا تتعظ به، أو تذِّكر الناس وقلبك ساهٍ، فأما ما سوى(١٧٦) ما وصفت لك من القصص والأنباء المعروفة فذلك غير مكروه.

ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاثة يدخلون النار(١٧٧): رجل قَاتَلَ(١٧٨)

(١٦٩) الرخاء: الرجال، م، ي.

(١٧٠) تعلُّمه: تعليمه، م، ي. نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول ٢/ ٢٦٣؛ البحر المسجور في الرد على من أنكر فضل الله بالمأثور ص١٧٧.

(١٧١) لأيوب: أيوب، م، ي. الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/ ٤٩.

(١٧٢) علمٌ: علمًا، م، ي.

(١٧٣) يكن: تكن، م، ي.

(١٧٤) الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/ ٤٩.

(١٧٥) لأبي: أبي، م، ي.

(١٧٦) سوى: سواء، م، ي.

(١٧٧) النار: المنابر، م، ي. مسند الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ١٠٠.

(١٧٨) قَاتَلَ: قاتل، م، ي. مسند الفردوس بمأثور ابن الخطاب ٢/ ١٠٠.

للدنيا، وعالم أراد أن يُذكر لا يحتسب تعليمه، ورجل وُسّعَ عليه فجاد به في [الثَّناء] وذِكْر الدنيا»[١٧٩].

فصل فيمن كره الفتيا والتحديث للناس

أما كراهية التحدث: فقد روى الحسن عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يغرن رجلًا من نفسه كثرة الناس حوله».

عبد الله: إنها ستكون أمور مشتبهة فعليكم بالقدوة، فإن الرجل يكون[١٨٠] تابعًا في الخير خير من أن يكون رأسًا في الضلالة.

حبيب بن أبي ثابت قال: تبع ناس ابن مسعود فجعلوا يمشون خلفه، فالتفت إليهم وقال لهم: ألكم حاجة؟ قالوا: لا، قال: فارجعوا فإنها ذلة للتابع وفتنة للمتبوع.

أبو أمامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «سيكون رجال من أمتي يأكلون أنواع الطعام، ويشربون ألوان الشراب، ويلبسون ألوان الثياب، ويتشدقون بالكلام، أولئك شرار أمتي».

محمد بن حازم قال: كان الأعمش يقول لأصحاب الحديث: تدرون ما مثلكم؟ كمثل قوم أُتوا بالطعام، فجعلوا يأخذون لقمة لقمة، ويرمونها وراء ظهورهم، ويقولون: زيدونا طعامًا، فمتى يشبع هؤلاء؟

الحسن: خَفْق[١٨١] النعال خلف الرجال لا يثبت[١٨٢] قلوب الحمقى.

ورأى سلمان ناسًا يتبعونه فقال: هذا خير لكم وشر لي.

ابن عباس: أما علمتم أن لله عبادًا أسكتتهم[١٨٣] خشية الله من غير عيٍّ[١٨٤] ولا خرس، فإنهم[١٨٥] الفصحاء الطلقاء.

(١٧٩) مسند الفردوس بمأثور ابن الخطاب ٢/ ١٠٠.

(١٨٠) يكون: يكن، م، ي.

(١٨١) خَفْق: تخفق، م، ي. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ١/ ١٥٠.

(١٨٢) يثبت: تثبت، م، ي. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ١/ ١٥٠.

(١٨٣) أسكتتهم: أسكتهم، م، ي. تاريخ دمشق ٥/ ٦٣٦.

(١٨٤) عيٍّ: هي، م، ي. تاريخ دمشق ٥/ ٦٣٦.

(١٨٥) فإنهم: فإن، م، ي.

أنس بن مالك: همة السفهاء الرواية، وهمة العلماء الدراية.

إبراهيم النخعي: تكره القصص لثلاث: لقوله: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٢]، ولقوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة:٤٤]، ولقوله حكاية عن شعيب: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود:٨٨].

وقيل لعلقمة: ألا تجلس لنا فتؤجر؟ فقال: أما يرضى المتكلم أن ينجو منه كفافًا[١٨٦]؟ إني أكره أن أقول ما لا أفعل.

ومر عوف بن مالك على كعب الأحبار وهو يقص فقال: يا كعب، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لا يحدث إلا أمير أو مأمور أو متكلف»، فأمسك عن القص، فقال له [معاوية]: ما شأنك؟ فقال: إن عوفًا حدثني عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكذا، قال معاوية: فإنا قد أمرناك.

يزيد بن أبي حبيب: إن من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع.

القاسم بن محمد: لَأَنْ يعيش الرجل جاهلًا بعد أن يعلم ما يحل له مما يحرم خيرٌ من أن يقول [ما] لا يعلم.

الفضيل: لو يُطلب[١٨٧] مني الدنانير أحب إليّ من يُطلب مني الأحاديث.

ميمون بن مهران: لا ينجو القاص من إحدى ثلاث: يسمّن قوله بما يهزل به دينه، أو يعجب بقوله إن لم يسمنه، وأدنى[١٨٨] ذلك أن يقول ما لا يفعل.

أبو قتادة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إياكم وكثرة الحديث عني، فمن قال فليقل حقًا أو صدقًا، ومن تقوَّل علي فليتبوأ مقعده من النار».

واعلم أن القصص والتحديث والرواية وكل ذلك على ضربين: منها أن يقصد الله تعالى ويقول حقًا، ويروي حقًا، ولا يقصد الرياء ولا يكذب[١٨٩]، ويبعد عما يشتبه، فهذه عبادة عظيمة لا ينبغي لأحد أن يكرهها، فأما من يقول باطلًا أوْ لا يأمن ذلك فينبغي أن يتجنب ذلك،

---

(١٨٦) يقصد: لا له، ولا عليه.

(١٨٧) يُطلب: تطلب، م، ي.

(١٨٨) وأدنى: فأدنى، م، ي.

(١٨٩) يكذب: تكذب، م، ي.

وكذلك من يقول للرياء والسمعة، وعلى هذا يحمل ما جاء في الكراهية، فأما ألا يعمل به فقد كرهه بعضهم.

والصحيح أنه لا ينبغي أن يترك الأمر بالمعروف وإن لم يعمل به، قال الحسن: ود الشيطان أن يظفر بهذه منكم؛ يعني لا يأمر بما لا يفعل.

فأما الفتوى: فإن كان من أهل الاجتهاد يفتي بما يعلم فإنه عبادة عظيمة وإن كان بخلافه يأثم(١٩٠).

وقد رُوي في كراهية ذلك أخبار تُحمل على هذا، ومن لم يُفْتِ من العلماء احتياطًا لأن هناك من يقوم مقامه رخص له في ذلك، فإذا(١٩١) لم يكن غيره يقوم مقامه يتعين عليه ويجب أن يفتي.

محمد بن المنكدر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «المفتي يدخل فيما بين الله وبين عباده».

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أجرؤكم(١٩٢) على النار أجرأكم على الفتيا».

ابن أبي ليلى: أدركت عشرين ومائة من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فما كان منهم محدث ولا مفتٍ(١٩٣) إلا ودّ أن أخاه كفاه.

ابن سيرين عن حذيفة: إنما يفتي ثلاثة: عالم، وأمير لا يجد بدًا، وأحمق متكلف. وكان ابن سيرين إذا سئل عن شيء يقول: لست من هذين وأكره أن أكون الثالث.

الأعمش: جهدنا على إبراهيم أن يجلس إلى سارية فأبى.

وسئل حامد اللفاف عن شيء وألح عليه السائل فقال له: أين تراني جالسًا؟ قال: على اللبد، قال: لست على اللبد أنا على شفير جهنم.

ابن مسعود: من أفتى الناس في كل ما يشتهون فهو مجنون.

---

(١٩٠) خلافه يأثم: خلاف فيأثم، م، ي.

(١٩١) إذا: فإذا، م، ي.

(١٩٢) أجرؤكم: أجرأكم، م، ي.

(١٩٣) مفتٍ: مفتي، م، ي.

إذا استفتيت عما فيـ ـه تحريم وإحلالُ
فلا تعجل ففي فتوا ك أخطار وأهوال
فإن أخطأت في الفتوى فبئس الأمر والحال
وإن أحسنت لا يعدو ك إعجاب وإدلالُ
وتأويل لمن قد خا لف الأقوال أفعال
وربي ذم أقوامًا بما لم يفعلوا قالوا

وعن بعضهم: من يفتي فإنما يوقِّع عن ربه، فلينظر كيف يفتي.

فصل في فضل رواية الحديث
وذم من يكذب في الرواية

الحسن وابن سيرين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من حفظ على أمتي أربعين حديثًا جاء يوم القيامة فقيهًا، وكنت له شاهدًا وشفيعًا».

ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من حمل عن أمتي أربعين فهو من العلماء».

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إني سألت اليهود عن موسى فحدثوني حتى كذبوا عليه، وإنه سيروى عني(١٩٤) أحاديث فاعرضوها على كتاب الله، فما وافق كتاب الله فهو مني وأنا قُلْتُه، وما لم يوافق كتاب الله فليس مني ولم أَقُلْه».

وروي أن عقبة بن عامر الجهني كان يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر فقال أبو موسى: إن صاحبك هذا لحافظ أو هالك، إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان آخر ما عهد إلينا أن قال: «عليكم بكتاب الله، وسترجعون إلى قوم يحبون الحديث عني، فمن قال علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار، ومن حفظ شيئًا فليحدث به».

علي بن أبي طالب عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من حدث عني بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين، مجالسة أصحاب الحديث أضر من مجالسة اليهود والنصارى»، تأويله: من روى منهم المناكير وما لا يصح لحب الغريب.

(١٩٤) عني: مني، م، ي.

وقال المغيرة الضبي: أدركت أصحاب الحديث وهم[١٩٥] خيار الناس، وهم اليوم شرار الناس.

أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع».

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «مثل الذي يسمع الكلمة فيحدث بشر ما يسمع مثل رجل أتى راعيًا فقال: يا راعي اجزر لي[١٩٦] شاة من غنمك، قال: اذهب فخذ بأذن خيرها شاة، فأخذ بأذن كلب الغنم».

ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «رحم الله امرءًا سمع منا حديثًا فبلّغه كما سمعه، فإنه رب مبلَّغ أوعى من سامع».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من حفظ أربعين حديثًا يريد بها وجه الله تعالى ويعلمها الناس، جاء يوم القيامة فيقال له: اشفع لمن شئت»، رواه ابن عباس.

وعنه: «من حفظ على أمتي أربعين حديثًا في أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فقيهًا عالمًا»، رواه معاذ بن جبل.

الحسن عن أبي الدرداء قال: قيل لرسول[١٩٧] الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما مقدار العلم الذي إذا بلغه الرجل كان فقيهًا؟ قال: «من حفظ على أمتي أربعين حديثًا في دينها جاء يوم القيامة وكنت له شاهدًا وشفيعًا».

وعن الحارث الأعور قال: دخلت المسجد فإذا الناس يخوضون في الحديث، فدخلت على علي عليه السلام فقلت: يا أمير المؤمنين ما ترى الناس يخوضون في الحديث، قال: أوقد فعلوها؟ قلت: نعم، قال: أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إنها ستكون فتن، قلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله، فيه خبر ما قبلكم، ونبأ ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة ترداده، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي من تركه من جبار قصمه الله،

---

(١٩٥) هم: هو، م، ي.

(١٩٦) اجزر لي: أحرز، م، ي. مسند أحمد رقم ٨٦٣٩.

(١٩٧) قيل لرسول: قال رسول، م، ي. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١/ ٢٤٩.

ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم»، خذه إليك يا أعور.

فصل في مخالطة العلماء للأمراء، وذكر علماء السوء سوى ما تقدم

أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان ويدخلوا[١٩٨] في الدنيا، فإذا دخلوا في الدنيا وخالطوا السلطان فقد خانوا الرسل، فاخذلوهم واحذروهم».

وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لكعب بن عجرة: «يا كعب أعاذك الله من إمارة السفهاء، أمراء يكذبون[١٩٩]، فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فليس مني ولست منه، ولن يرد علي الحوض يوم القيامة».

وقال سلمة بن نبيط[٢٠٠]: قلت لأبي وكان له صحبة: لو غشيت باب هذا السلطان؟ فقال: إني أخشى أن أشهد مشهدًا يدخلني به النار».

عبيد بن عمير: ما ازداد رجل من سلطان قربًا إلا ازداد من الله بعدًا.

فضيل: كنا نتعلم اجتناب باب السلطان كما نتعلم السورة من القرآن.

سعيد بن المسيب: إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فهو لص.

مكحول: من تعلم القرآن وتفقه في الدين ثم[٢٠١] صحب[٢٠٢] السلطان تملقًا إليه وطمعًا فيما لديه[٢٠٣] خاض في جهنم بعدد خطاه.

وقال علي بن معبد: ما جلست إلى عالم أفضل من عبيد الله بن عمير الرقي سأله رجل عمن

(١٩٨) يدخلوا: يدخلون، م، ي.

(١٩٩) يكذبون: يؤمرون، م، ي. كنز العمال ٣/ ٣٠.

(٢٠٠) نبيط: نميط، م، ي. الزهد لابن المبارك ص٣٨٧.

(٢٠١) ثم: إلى، م، ي.

(٢٠٢) صحب: صاحب، م، ي.

(٢٠٣) فيما لديه: في يديه، م، ي. نزهة الناظرين ص١٨.

يطلب الحديث ويغشى باب السلطان، فقال عبيد الله: ما أعلم طبقة بعد أهل الجحود أخبث من هذه الطبقة.

الفضيل: ما أقبح بالعالم أن يقال: أين هو؟ فيقال: عند الأمير.

وقال أبو هريرة: ليس شيء أضر لهذه الأمة من ثلاث: حب الدينار والدرهم، وحب الرئاسة والثناء من الناس، وإتيان أبواب السلطان، وقد جعل الله لهم مخرجًا.

ودخل خالد بن صبيح على أبي يوسف وهو يبكي، فقال: علام تبكي، عسى ندمت[٢٠٤] على ما صنفت؟ قال: إني لأرجو بذلك الفردوس الأعلى، ولكن أبكي لمخالطتي مع هؤلاء السلاطين.

وخرج مكحول وعطاء يريدان هشامًا وهو بالرصافة، فلما بلغا دخلا المسجد، فإذا بخصيف الجزريّ[٢٠٥] جالس، فلما رآهما قال: كان العلماء إذا علموا عملوا، وإذا عملوا شغلوا، وإذا شغلوا فُقدوا، وإذا فُقدا طُلبوا، وإذا طُلبوا هربوا، قال: فرجعا إلى راحلتهما فركباها ورجعا.

قال: ولما قدم معاوية المدينة يريد الحج تلقاه الناس من أهل المدينة، فقيل لأبي هريرة: ألا تركب فتلقى أمير المؤمنين؟ فقال: إني لأكره أن أركب مركبًا لا أكون فيه ضامنًا على الله.[٢٠٦]

شعر:

صاحب السلطان لا بد له ... من هموم تعتريه وغُمَمْ
والذي يركب بحرًا سيرى ... قحم الأهوال من بعد قحم

قال: ونظر أبو هاشم العابد إلى شريك يخرج من دار يحيى بن خالد فقال وبكى: أعوذ بالله من علم لا ينفع.

ولما خالط الزهري السلطان كتب إليه أخ من إخوانه: عافانا الله وإياك يا أبا بكر من الفتن، فإنك قد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو الله لك ويرحمك، أصبحت شيخًا كبيرًا قد نقلتك نعم الله بما[٢٠٧] فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه، وليس كذلك أخذ الله الميثاق

---

(٢٠٤) ندمت: مدمت، م، ي.

(٢٠٥) خصيف الجزريّ: حصيف الحرري، م، ي. تاريخ دمشق ١٦/ ٣٨٤ وتاج العروس (خصف).

(٢٠٦) الزهد للإمام أحمد ص١٤٥.

(٢٠٧) بما: لما، م، ي. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٩/ ١٤١.

على العلماء فقال: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران:١٨٧]، واعلم أن أَيْسَر ما ارتكبت وأخفَّ ما احتملت أنك آنست وحشة الظالم، وسهلت سبيل الغي بدنوِّك[٢٠٨] ممن لم يؤدِّ[٢٠٩] حقًا ولا يترك[٢١٠] باطلًا حين أدناك، اتخذوك قطبًا يديرون بك رحى باطلهم، وجسرًا يعبرون عليك إلا بلائهم، وسُلَّمًا لضلالتهم، يُدخلون بك الشك على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهال، فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك، وما أخذوا منك[٢١١] فيما[٢١٢] أفسدوا عليك، فما يؤمِّنك أن تكون ممن قال الله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ الآية [مريم:٥٩]، فإنك تعامل من لا يعجل، ويحفظ عليك من لا يغفل، فداوِ[٢١٣] دينك فقد دخله سقم، وهيئ زادك فقد حضر سفر بعيد، ولا يخفى على الله شيء في الأرض ولا في السماء، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وقيل ليحيى بن معاذ: لقيت العلماء؟ قال: نعم أكثرهم مفاليس ينفقون من كيس غيرهم. وسئل يحيى عن مسألة فيها تخليط فقال: مسائلهم شبه أفعالهم، ثم قال: من لم يسأل بنفسه لم ينتفع بمسألته.

وقيل لأبي سعيد البلخي: لِمَ[٢١٤] كان كلام السلف أنفع من كلام الخلف؟ قال: كان مرادهم ثلاثة: عز الإسلام، ونجاة النفوس، ورضى الرحمن، ومرادنا ثلاثة: عز النفوس، وطلب الدنيا، وثناء الخلق.

وقيل لبعضهم: ما لنا لا ننتفع بالمواعظ؟ فقال: لعل القائل أو[٢١٥] المستمع سقيم، وصارت الأطباء خونة يعطون مكان الترياق سمًا.

عن بعضهم: إن لم تكن ملحًا تصلح، فلا تكن ذبابا[٢١٦] يفسد.

يا معشر القراء يا ملح البلد ... ما يصلح الملح إذا الملح فسد

(٢٠٨) بدنوِّك: بدونوك، م، ي. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٩/ ١٤١.
(٢٠٩) يؤدِّ: يرد، م، ي. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٩/ ١٤١.
(٢١٠) يترك: يرد، م، ي. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٩/ ١٤١.
(٢١١) منك: عنك، م، ي. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٩/ ١٤١.
(٢١٢) فيما: مما، م، ي. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٩/ ١٤١.
(٢١٣) فداوِ: داو، م، ي. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٩/ ١٤١.
(٢١٤) لِمَ: لما، م، ي.
(٢١٥) أو: و، م، ي.
(٢١٦) ذبابا: ذنابا، م، ي.

وروى أبو يحيى البزاز بإسناده عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ثلاثة يدخلون النار: رجل قاتل لله رياء، وعالم أراد أن يُذْكر لا يحتسب بعلمه، ورجل وُسِّع عليه فجاد به في الثناء والذكر في الناس».

ولابن لنكك[٢١٧] في بعض الفقهاء:

أقول [لعصبةٍ][٢١٨] في الفقه صالت[٢١٩] وقالت ما خلا ذا العلم باطلْ
أجلْ لا علم يوصلكم سواه إلى مال اليتامى والأراملْ
أراكم تقلبون الحكم قلبًا إذا ما صُبَّ زيت في القنادل

ودخل أعرابي المدينة فرأى الخطيب يخطب فأحسن في كلامه وزهد الناس، فلما دخل داره فإذا فيها من أنواع الثياب والأثاث وهو جالس كجبار يأمر وينهى، فأنشأ يقول:

وقد رابني من أهل يثرب أنهم يهمهم تقويمنا وهم عُضَلُ[٢٢٠]
إذا ركبوا الأعواد قالوا فأحسنوا وما خير قول لا يصدقه الفعل

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «بئس القوم قوم يستحلون الشهوات بالشبهات».

أسامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه، فيدور كما يدور الحمار في الرحى، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون: فلان مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه».

فصل في كراهية القضاء

أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من جُعل قاضيًا فقد ذبح بغير سكين».

وعن بريدة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «القضاة ثلاثة، اثنان في النار، وواحد

---

(٢١٧) لنكك: ليكك، م، ي. ربيع الأبرار للزمخشري ٥/ ٣٢١.

(٢١٨) معجم الأدباء ٦/ ٢٦٢٠.

(٢١٩) صالت: طالب، م، ي. معجم الأدباء ٦/ ٢٦٢٠.

(٢٢٠) عُضَلُ: عفلُ، م، ي. مجموعة رسائل ابن أبي الدنيا ٢/ ١٧٣.

في الجنة: رجل علم علمًا فقضى بما علم فهو في الجنة، ورجل جهل فقضى بالجهل فهو في النار، ورجل علم علمًا فقضى بغير ما يعلم فهو في النار».

روى مكحول: لو خيرت بين القضاء وبين ضرب عنقي لاخترت ضرب عنقي عن القضاء.

وقيل للثوري: إن شريكًا استقضى، فقال: أي رجل أفسدوه.

محمد بن واسع: أول من يدعى إلى الحساب يوم القيامة القضاة.

وقيل لزيادة بن قدامة: إن الربيع قد ولي شيئًا من أمر السلطان، فبكى ثم قال: ربما كان عِلْمُ الرجل وبيانه وبالًا عليه.

ودعا مالك بن المنذر محمد بن واسع أن يجعله على قضاء البصرة فأبى، فعاوده فأبى، فقال: لتجلس أو لأجلدنك، فقال: فإن تفعل فأنت مسلط، وإن ذليل الدنيا خير من ذليل الآخرة.

مكي بن إبراهيم: كان ابن هبيرة يخرج أبا حنيفة فيضربه أن يدخل في أمره ويحلف ألاّ يدخل.

وعن ابن عيينة: سمعت مناديًا ينادي على أبي قُبَيْس[٢٢١]: الأمان للأسود والأبيض ما خلا اثنين: فلان الزنديق، وسفيان الثوري.

وأصيب سفيان الثوري بمصيبة فأتاه جار له يعزيه - وكان ممن يدخل على السلاطين - فقال له سفيان: أيسرك أن تحشر مع كل والٍ بالكوفة، وكان يجالس ولاة الكوفة؟ فقال: يا أبا عبد الله، إن لي عيالًا وإن علي دينًا، فقال سفيان: يزعم[٢٢٢] هذا أنه [إن][٢٢٣] أطاع الله أجاع عياله.

وأراد ابن هبيرة منصورًا على القضاء، فقال: ما كنت لألي ذلك بعدما حدثني إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال: إذا كان يوم القيامة قيل: أين الظلمة وأعوانهم حتى من لاق[٢٢٤] لهم دواة وبرى لهم قلمًا، فيجمعون في تابوت واحد فيلقون في جهنم، فقال ابن هبيرة: أما إن كنت أفسدت نفسي فلا أفسدك.

---

(٢٢١) أبو قُبَيْس: جبل بمكة. تاج العروس (قبس).

(٢٢٢) يزعم: تزعم، م، ي. الاعتبار وسلوة العارفين ١/ ١٥٠.

(٢٢٣) الاعتبار وسلوة العارفين ١/ ١٥٠.

(٢٢٤) يقال: لاقَ الدواةَ يَلِيقُها لَيْقَةً ولَيْقًا: أصلح مدادها. تاج العروس (ليق).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من طلب القضاء وكل إليه، ومن لم يطلبه أنزل الله عليه ملكًا يسدِّده[٢٢٥]».

شعر:

إذا خان الأمير وكاتباه ... وقاض الأرض داهن في القضاء
فويل ثم ويل ثم ويل ... لقاضي الأرض من قاضي السماء

وروى أحمد بن عمرو الحصاف عن أيوب قال: لما توفي عبد الرحمن بن أذينة دعي[٢٢٦] أبو قلابة للقضاء، فهرب حتى أتى الشام، فوافق ذلك عزل صاحبها، فهرب حتى أتى اليمامة، فأتيته بعد ذلك، فقلت له في ذلك، فقال: ما وجدت مثل القاضي إلا كمثل السابح في بحر فكم عسى أن يسبح حتى يغرق.

وعن أبي ذر قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تولَّ[٢٢٧] أمانة، ولا تقض بين اثنين».

وأدخل سفيان الثوري على المهدي، فلما رآه سل خاتمه فرمى إليه وقال: يا أبا عبد الله لتعمل في هذه الأمة بالكتاب والسنة، قال: فأخذ الخاتم، وقال: تأذن لي في الكلام يا أمير المؤمنين؟ قال: تكلم، قال: على أني آمنٌ؟ قال: نعم، قال: لا تبعث إلي حتى آتيك، ولا تعطني[٢٢٨] حتى أسألك، قال: ثم رمى بالخاتم، فحف[٢٢٩] به أصحابه، فقالوا: ما يمنعك وقد أمرك أن تعمل في هذه الأمة بالكتاب والسنة؟ قال: فاستضعف عقولهم وولى هاربًا.

وعن مسروق: إن القاضي إذا قبل الهدية فهو آكل السحت، وإذا بلغت الرشوة بلغت به الكفر.

أيوب السجستاني: وجدت أعلم الناس بالقضاء أشدهم هربًا منه.

وعن عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يجاء بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يود أنه لم يكن قضى بين اثنين».

---

(٢٢٥) يسدِّده: يشدده، م، ي. كنز العمال ٣/ ٣٨.

(٢٢٦) دعي: دعيا، م، ي.

(٢٢٧) تولَّ: تولي، م، ي.

(٢٢٨) تعطني: تعلمني، م، ي. حلية الأولياء ٧/ ٣٢.

(٢٢٩) فحف: فأخذوا، م، ي. حلية الأولياء ٧/ ٣٢.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ حَكَمَ بين اثنين فجار فقد ظلم، ولعنة الله على الظالمين».

فصل في الفقه[٢٣٠]

قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ [التوبة:١٢٢]، والمراد به الفقه؛ لأن الكلام [ليس] من فروض الأعيان.

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما عُبِد الله بشيء أفضل من فقه في الدين، ولفقيه أشد على الشيطان من ألف عابد، ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه».

وحدثنا الشيخ الإمام أبو محمد بإسناده عن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الفقيه أشد على الشيطان من ألف ورع وألف مجتهد وألف متعبد، وإن طائر الهواء وحيتان[٢٣١] البحر يصلُّون على معلم الخير ومتعلمه».

وبإسناده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا أراد الله بقوم خيرًا أكثر فقهاءهم وأقل جهالهم، فإذا تكلم الفقيه وجد أعوانًا، وإذا تكلم الجاهل قهر، وإذا أراد بقوم شرًا أكثر جهالهم وأقل فقهاءهم، فإذا تكلم الجاهل وجد أعوانًا، وإذا تكلم الفقيه قُهر».

عن أبي هارون العبدي قال: كنا ندخل على أبي سعيد الخدري فيقول: مرحبًا بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنه حدثنا فقال: «سيأتيكم قوم من الآفاق يتفقهون فاستوصوا بهم خيرًا».

أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»، والمراد به الفقه؛ لأن الكلام لا يكون بعد الإسلام، إنما يجب بعد الإسلام الفقه.

وعن أبي نضرةعن الخدري قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا اجتمعوا لم يكونوا يتحدثون إلا بالفقه أو يأمروا رجلًا أن يقرأ عشر آيات.[٢٣٢]

---

(٢٣٠) الفقه: أفضل الفقه، ي.

(٢٣١) حيتان: يتان، م، ي.

(٢٣٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ٣٨٥.

أبو وائل عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا أراد الله بعبد خيرًا فقهه في الدين وألهمه رشده».

وروى أبو يحيى البزاز بإسناده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الفقهاء في الدنيا هم الفقهاء في الآخرة».

فصل في فضل أبي حنيفة

هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن المرزبان.

قال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة: لم يجر الرق على أحد من آبائي.

روى أبو عبد الله الجرجاني بإسناده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «يكون في أمتي رجل اسمه النعمان وكنيته أبو حنيفة، هو سراج أمتي، هو سراج أمتي، هو سراج أمتي».

وذكر بإسناده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يكون في أمتي رجل اسمه النعمان وكنيته أبو حنيفة تحيا به سنتي».

وعن وهب قال: كان أبو حنيفة مقلًا جدًا، لم يكن في بيته إلا البُورِيَاء[٢٣٣]، وكان يشبه أكله أكل الطير قلة.

قال أبو الجويرية[٢٣٤]: صحبت حماد بن أبي سليمان ومحارب بن دثار وعلقمة بن مرثد وأبا حنيفة، فما كان في القوم أحسن ليلًا منه، ولقد صحبته ستة[٢٣٥] أشهر فما وضع جنبه.

محمد بن القاسم: صلى أبو حنيفة صلاة الفجر عشرين سنة بوضوء العشاء.

يوسف بن خالد السمتي[٢٣٦]: مر أبو حنيفة بقوم فقال بعضهم: هذا يحيي الليل كله، فسمعه فقال: إني أوصف بما لا أفعل، وكان يحيي نصف الليل، فكان بعد ذلك يحيي الليل كله.

محمد بن أبي مطيع: ما كان لأبي حنيفة فراش الليل.

سفيان بن عيينة: ما رأيت أحدًا أورع من أبي حنيفة.

(٢٣٣) البورياء: الحصير المنسوج. تاج العروس (برو). أخبار أبي حنيفة وأصحابه ص٤٧.

(٢٣٤) الجويرية: الحريرية، م، ي. مسند أبي حنيفة رواية أبي نعيم ص٢١.

(٢٣٥) ستة: بستة، م، ي. مسند أبي حنيفة رواية أبي نعيم ص٢١.

(٢٣٦) السمتي: السمي، م، ي. أخبار أبي حنيفة وأصحابه ص١٥٧.

وسئل مالك عن أبي حنيفة فقال: رأيت رجلًا لو قال: إن هذه الأسطوانة ذهب لدل عليه.

وعن الشافعي: الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة.

وعن ابن شريح وبلغه أن رجلًا يذكر أبا حنيفة فدعاه وقال: يا هذا إن لأبي حنيفة ثلاثة أرباع الفقه بالإجماع والربع الآخر لا يسلمه للناس[٢٣٧]، قال: وكيف ذاك؟ قال: إن الفقه سؤال وجواب، وهو الذي وضع كل أسئلة[٢٣٨] الفقه، فله النصف، ثم أجاب عن هذه الأسئلة[٢٣٩]، فزعم مخالفوه أنه أصاب وأخطأ، فإذا جعل صوابه كخطئه كان له نصف النصف الآخر، ويبقى الربع فزعم أنه أصاب، ويزعم المخالف أنه أخطأ، فله ثلاثة أرباع الفقه بالاتفاق.

وذكر عند الصادق أبو حنيفة فطعن فيه بعض المخالفين فقال: مه، فإنه نشأ في حرم أبي، وأفتى في دين جدي، وقتل في موالاة عمي.

فصل فيمن سئل فقال: لا أدري

عن عبد العزيز بن سعيد قال: أوصاني أبي فقال: يا بني أوصيك بما رأيت عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، رأيتهم حسنة أخلاقهم، محزونين[٢٤٠] كأنهم قوم لا يحسنون شيئًا، وإذا سئلوا عن شيء أحال[٢٤١] بعضهم على بعض، يا بني إياك أن تقول بغير علم فتخرج عن الدين.

عن سليم مولى عامر الشعبي، عن عامر أن رجلًا غريبًا سأله عن شيء وعنده أصحابه، فقال: لا علم لي به، فقال الرجل: إني غريب جئت من كذا، ما أتيت رجلًا إلا أرسل بي إليك، قال: فإني لا علم لي به، فرجع الرجل، فقال له أصحابه: ألا أفتيته، فإنا استحيينا[٢٤٢] أن تجيب عنه، ولولم تكن عندنا لأفتيناه، فقال: إني والله ما استحييت منه إن رددته، إن الملائكة لم يستحيوا من ربهم أن قالوا: لا علم لنا إلا ما علمتنا.

(٢٣٧) للناس: الناس، م، ي.
(٢٣٨) أسئلة: أسولة، م، ي. منهج ذوي النظر شرح منظومة علم الأثر ص٣٦٤.
(٢٣٩) الأسئلة: الأسولة، م، ي. منهج ذوي النظر شرح منظومة علم الأثر ص٣٦٤.
(٢٤٠) محزونين: محروس، م، ي، تعظيم الفتيا لابن الجوزي ص٤٣.
(٢٤١) أحال: أجاب، م، ي. تعظيم الفتيا لابن الجوزي ص٤٣.
(٢٤٢) استحيينا: استحيبنا، م، ي.

عروة بن الزبير قال: كنت عند ابن عمر فسأله رجل عن شيء، فقال: لا علم لي به، ثم قال بعدما ولى الرجل: نعم ما قال ابن عمر، قال لما لم يعلم: لا أعلم.

عن يحيى بن سعيد: كنت في حلقة رجل من دار عمر فسئل عن شيء، فقال: لا أعلم، فقلت: العجب أن تقول: لا أعلم وأنت ابن إمام. فقال: أولا أخبرك بأعجب مني عند الله وعند مَنْ عقل: من قال بغير علمٍ أو حدَّثَ من غير ثقة.

عن أبي سلمان بن بلال قال: كنت عند القاسم بن محمد والناس يسألونه، فقال: يا هؤلاء، بعضَ مسائلكم، فإنا لا نعلم كل شيء، وإن علمنا ما كتمناكم.

الهيثم بن جميل قال: سئل مالك عن ثمانية وأربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين: لا أدري.

سعيد بن المسيب:

انظر لنفسك حين ترضى ... وانظر لغيرك حين يغضب[٢٤٣]
فالمشكلات كثيرة ... والوقف عند الشك أصوبُ

فصل فيما جاء في العقل وفضله

أبو يحيى بإسناده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما عُبد الله بمثل عقل في الدين».

ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لكل شيء معدن، ومعدن التقوى قلوب العارفين».

ابن عمر قال: «قرأ رسول الله (تبارك الملك) حتى بلغ قوله: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [هود:٧] [فقال: ما معنى ذلك يا رسول الله؟ قال:][٢٤٤] أيكم أحسن عقلًا وأورعكم عن محارم الله تعالى وأسرعكم في طاعة[٢٤٥] الله».

الضحاك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «خلق الله تعالى خلقه فنظر إلى ما خلق،

---

(٢٤٣) يغضب: تغضب، م، ي.
(٢٤٤) +: فتح القدير للشوكاني ٢/ ٥٥٠.
(٢٤٥) أسرعكم في طاعة: أعلمكم بطاعة، م، ي. فتح القدير للشوكاني ٢/ ٥٥٠.

وخلق العقل فقال: أدبر، فأدبر، ثم قال: أقبل، فأقبل، فقال تعالى: ما خلقت خلقًا أحب إلي منك، بك آخذ وبك أعطي وبك أعاتب».

الحسن عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله لما خلق العقل قال له: أدبر، فأدبر، ثم قال له: أقبل، فأقبل، فقال: إني لم أخلق خلقًا أكرم عليّ منك ولا أحب إلي منك، بك أعرف، وبك أعبد، وبك أعطي، وبك آخذ».

علي عليه السلام: إن العقل في القلب، وإن الرحمة في الكبد، وإن الرأفة في الطحال، وإن النفس في الرئة.

جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن متعبدًا كان في بني إسرائيل، فبلغ في اجتهاده أن قال: يا رب لو أعلم أن رضاك أن أترك حمارك يعتلف من علف حماري لفعلت، فهمَّ النبي الذي هو فيهم أن يؤدبه، فأوحى الله إليه أن دعه فإنما أجازي العباد على قدر عقولهم.

عن أبي الدرداء قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا بلغه عن رجل شدة عبادته سأل: «كيف عقله»؟ فإن قالوا: حسن، قال: «أرْجُوه[٢٤٦]»، وإن قالوا غير ذلك قال: «لن يبلغ صاحبكم حيث تصفون».

عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «قد أفلح من جعل الله له عقلًا».

بشر بن رافع[٢٤٧] قال: مكتوب في حكم آل داود ورواه أيضًا أبو ذر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «حق على العاقل ألاّ يغفل عن أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلو فيها بإخوانه الذين يصدقونه عن نفسه ويخبرونه بعيوبه، وساعة يخلي بين نفسه ولذاتها فيما يحل دون ما يحرم، فإن هذه الساعة عون على تلك الساعات واستجمام للقلوب، وحُقّ على العاقل ألاّ يكون ظاعنا[٢٤٨] إلا في ثلاث: تزود لمعاد، أو مرمةٍ لمعاش، أو طلب لذة في غير محرم، وحُقّ على العاقل أن يكون عارفًا بزمانه، حافظًا للسانه، مقبلًا على شأنه»[٢٤٩].

أبو الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا عويمر ازدد عقلًا تزدد من

(٢٤٦) أرْجُوه: ارحموه، م، ي، إحياء علوم الدين ٣/ ٥٠٠.

(٢٤٧) رافع: دافع، م، ي.

(٢٤٨) ظاعنا: طاعًا، م، ي. كتاب الزهد لابن المبارك ص١٢٤.

(٢٤٩) ميزان الحكمه ٢/ ١١١١.

ربك قربًا»، قلت: فبأبي وأمي يا رسول الله ومن لي بالعقل؟ قال: «اجتنب مساخط الله، وأد فرائض الله، تكن عاقلًا، ثم تنفل بالصالحات من الأعمال تزدد من ربك قربًا وعليه عزًا».

أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «كرم المرء دينه، ومروءته عقله[٢٥٠]، وحسبه خلقه[٢٥١]».

الصادق عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يا علي، لا عبادة كالتفكر، ولا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق، ولا مال أعوذ من العقل»[٢٥٢].

ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يعجبكم إسلام امرئٍ حتى تعرفوا ما عقده عقله[٢٥٣]».

قتادة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يعتد بصلاة وصيام من لا عقل له».

وعنه: «رأس العقل بعد الإيمان بالله مدارات الناس، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، ولن يهلك امرؤ بعد مشورة».

سويد بن غفلة[٢٥٤] أن أبا بكر قال: يا رسول الله بم بعثت؟ قال: «بعثت بالعقل»، وقال: وبم أمرت؟ قال: «بالعقل»، قال: وبم يجازى يوم القيامة؟ قال: «بالعقل»، قال: يا رسول الله ومن لنا بالعقل؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن العقل لا غاية له، ولكن من أحل حلاله وحرم حرامه سمي عاقلًا، فإن اجتهد بعد ذلك سمي عابدًا، فإن سمح بعد ذلك سمي جوادًا، فأما من اجتهد في العبادة وسمح بالمعروف بلا حظ من عقل فأولئك هم الخاسرون».

شعر:

يعد رفيع القوم من كان عاقلًا ... وإن لم يكن في قومه بنسيب
وإن حل أرضًا عاش فيها بعقله ... وما عاقل في بلدة بغريب

جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «قوام المرء عقله، فمن لا عقل له لا دين له».

(٢٥٠) عقله: وعقله، م، ي. صحيح ابن حبان ٢/ ٢٣٢.
(٢٥١) خلقه: وخلقه، م، ي. صحيح ابن حبان ٢/ ٢٣٢.
(٢٥٢) جمع الجوامع ١٤/ ٣١٧.
(٢٥٣) عقده عقله: عقله عليه، م، ي. شعب الإيمان للبيهقي ٤/ ١٥٦.
(٢٥٤) مصنف ابن أبي شيبة ١/ ٢٨٥.

شعر:

وأفضل قسم الله للمرء عقله ... فليس من الخيرات شيء يقاربه

يزين الفتى في الناس صحة عقله ... وإن كان محظورًا عليه مكاسبه

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «قسم الله العقل ثلاثة أجزاء، فمن كن فيه فهو العاقل، ومن لم يكنَّ فيه فلا عقل له: حسن المعرفة بالله، وحسن الطاعة لله، وحسن الصبر لله»، رواه ابن جريج عن عطاء عن أبي سعيد الخدري.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «لكل رجل آل وعدَّة، وآل المؤمن وعدته العقل، ولكل شيء مطية، ومطية المجتهدين العقل، ولكل داء دواء، ودواء القلب العقل، ولكل حراثة بذر[٢٥٥]، وبذر[٢٥٦] حراثة الآخرة العقل، ولكل مسافر فسطاط، وفسطاط الأبرار العقل، وذلك أن أهل النار قالوا: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك:١٠]».

فصل في كتابة العلم

منهم من كره الكتابة، ومنهم من حض عليها، والصحيح جوازه.

روى ابن جريج عن ابن قال: يا رسول الله إنا نسمع منك الحديث أفنكتبه؟ قال: «نعم»، قلت: في الرضا والسخط؟ قال: «نعم، وإني لا أقول إلا حقًا».

معاوية بن قرة: من لم يكتب لم يعد علمه علمًا، قال الله تعالى: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ﴾ [طه:٥٢].

روى أبو هريرة: ما أحد من الصحابة أكثر حديثا[٢٥٧] مني إلا ابن عمر، فإنه كان يكتب وكنت لا أكتب.

الحسين بن علي: لا يعجز أحدكم أن يكون عنده من هذا العلم كتاب.

---

(٢٥٥) بذر: نذر، م، ي.

(٢٥٦) وبذر: ونذر، م، ي.

(٢٥٧) حديثا: أحاديثًا، م، ي. صحيح البخاري ١/ ٣٤.

قيل: ما كُتب قَرّ، وما لم يُكتب فَرّ. ويقال: الكتابة واجبة، والأولى أن يكتب ويحفظ. وقيل: علم لا يعبر معك[٢٥٨] الوادي لا يعمر بك النادي.

إنـي لأكـره علمًـا لا يكـون معـي إذ خلـوت بـه فـي جـوف حمّـام

وقال أبو الحسن[٢٥٩] بن طباطبا قولهم: الكتب حصون العقلاء إليها يلجأون، وبساتينهم فيها يتنزهون، فقال:

اجعـل جليسـك دفتـرًا فـي نَشْرِهِ[٢٦٠] للميـت مـن حكـم العلـوم نشـور
وكتـاب علـم للأديـب مؤانـس ومـؤدب ومبشـرٌ ونذيـرُ
ومفيـد آداب ومؤنـس وحشـة وإذا انفـردت فصاحـبٌ وسـميرُ

الحسن بن زياد: عمرت أربعين سنة ما قلت ولا نمت ولا اتكأت ولا قمت إلا والكتاب موضوع على صدري.

شعر:

أعزُّ مكانٍ[٢٦١] في الدّنى[٢٦٢] سرج سابحٍ وخيـر جليـس فـي الزمـان كتـابُ

النوفاني:

حصـون نفـوس الفضـل كُتْب علومهـا وعـز عليهـا أن تبـاح حصونهـا
أصـون كتابـي عـن يـد لا تصونـه صيانـة نفسـي[٢٦٣] عـن أخ لا يصونهـا

آخر:

أجـود بجـل مالـي لا أبالـي وأبخـل عنـد مسـألة الكتـابِ
وذلـك أننـي أنفـدت حرصًـا علـى تحصيلـه شـرخ الشـبابِ

---

(٢٥٨) معك: بك، م، ي. تحسين القبيح وتقبيح الحسن ص٥٠.
(٢٥٩) قال أبو الحسن: قرأ السين، م، ي. مطالع البدور في منازل السرور ٢/ ٢٧٢.
(٢٦٠) نَشْرِهِ: نشرة، م، ي.
(٢٦١) أعزُّ مكانٍ: أعزم مقام، م، ي. ديوان المتنبي بشرح العكبري ص١٨٧.
(٢٦٢) الدّنى: الدنا، م، ي.
(٢٦٣) نفسي: نفسٍ، م، ي.

فصل فيمن يؤخذ منه العلم

عباد بن كثير عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا تحدثوا عمن لا تقبلون شهادته».

السيد أبو طالب بإسناده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذوا دينكم».

الحسن: من قال قولًا حسنًا، وعمل عملًا شيئًا، فلا تأخذوا عنه.

علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من حدث الحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين».

تمّت فصول العلم

باب في العبادات الشرعية

فصل في الطهارة والوضوء وشرائطها

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة:٦].

الكلام في الطهارة يشتمل على ستة فصول:

أولها: أنها فرض.

وثانيها: فضائلها.

وثالثها: سننها وآدابها.

ورابعها: مبدؤها.

وخامسها: معنى الآية.

وسادسها: بيان الطهارات التي يحتاج إليها في الصلاة.

أما كونها فريضة: فللآية، ولما روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «لا صلاة إلا بطهور، ولا صدقة من غلول».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تقبل صلاة أحدكم حتى يضع الطهور مواضعه، ثم يستقبل القبلة، ويقول: الله أكبر».

وعنه أنه توضأ مرة مرة وقال: «هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به»، وتوضأ مرتين مرتين، وقال: «هذا وضوء من يضاعف الله له الأجر مرتين»، وتوضأ ثلاثًا ثلاثًا وقال: «هذا وضوئي ووضوء الأنبياء قبلي، ووضوء خليلي إبراهيم، فمن زاد ونقص فقد تعدى وظلم»، والإجماع يدل عليه.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يقبل الله صلاة بغير طهور، وإن الوضوء مفتاح الصلاة، والصلاة مفتاح الجنة، ولا صلاة لمن لا وضوء له، ولا إيمان لمن لا صلاة له، والوضوء مطردة الشيطان، معرجة للملائكة، وإن الطاهر كالصائم، وإسباغ الوضوء من السنن».

فأما فرض الوضوء: فغسل الوجه واليدين، ومسح الرأس، وغسل الرجلين، وقد تواتر الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن أصحابه وأهل بيته الطاهرين غسل القدمين، فلا تلتفت إلى قول الرافضة. والكلام في هذه المسألة ليس هذا موضعه.

فأما فضائل الطهارة فكثيرة، ونذكر جملًا: فروى أبو هريرة عن النبي - صلى الله عليهِ وآله وسلم - أنه قال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخُطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط».

علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «الغضب من الشيطان، وإنما تُطفأ النار بالماء، وإذا غضب أحدكم فليتوضأ».

وحدثنا الشيخ الإمام أبو محمد بإسناده عن الحسن، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما من مسلم يتوضأ ويحسن الوضوء ثم يقول بعد فراغه: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، إلا فتحت له ثمانية أبواب الجنة من أيها شاء دخل، فإذا قام رجلٌ في الصلاة المكتوبة مقبلًا إلى الله بقلبه وسمعه وبصره إلا انفتل من صلاته وقد خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه، وإنه ليغفر له بغسل وجهه كل خطيئة أصابها بوجهه».

وبإسناده عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «الوضوء نصف الإيمان، والصلاة جميع الإيمان».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من عبد يتوضأ فيغسل وجهه إلا تساقطت خطايا وجهه من طرف لحيته من باطنهما، فإذا أتى مسجد جماعة فصلى فيه فقد وقع أجره على الله، وإن قام فصلى ركعتين كانتا كفارة».

وعن سلمان قال: رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم آخذ غصنًا يابسًا فهزّه حتى تحات ورقه ثم قال: «إن المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء تحاتّت[1] خطاياه كما تحاتّ هذه الورق، ثم قرأ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود:١١٤]».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من أمتي أحد إلا أعرفه يوم القيامة»، قالوا: وكيف تعرفهم في كثرة الخلائق؟ قال: «أمتي يومئذ غر محجلون من الوضوء».

(١) تحاتّت: انحات، م، ي. مسند أحمد رقم ٢٣٧٠٧.

سلمان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من توضأ وجاء إلى المسجد فهو زائر الله، وحق على المزور أن يكرم الزائر».

ابن بريدة قال: دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أصبح بلالًا فقال: «بم سبقتني إلى الجنة، إني دخلت البارحة الجنة فسمعت خشخشتك[٢] أمامي؟ فقال: ما أصابني حدث قط إلا توضأت عنده وصليت ركعتين، قال: لهذا».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من رجل يذنب ذنبًا ثم يقوم فيتطهر فيحسن الطهور، ثم يصلي ويستغفر الله إلا غفر الله له، ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً..﴾ الآية [آل عمران:١٣٥]».

وسأل ابن عباس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هل يمسح المطهر الماء عن وجهه؟ فقال: «لا تمسح عن وجهك الخير، إن لك بكل قطرة إتيان حسنة وكفارة سيئة ورفع درجة».

أبو ذر: أوصاني حبيبي بثلاث لا أدعهن حتى أموت: ركعتا الفجر، والوتر، ولا أنام إلا على طهر.

ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من بات طاهرًا بات في شعاره[٣] ملك يقول: اللهم اغفر لعبدك فلان فإنه بات طاهرًا».

فأما سننه وآدابه: فمنها: إسباغ الوضوء، لما روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى لمعة في عقب رجل، فقال: «أسبغوا الوضوء، ويل للأعقاب من النار».

عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يا أنس أسبغ الوضوء تزد في عمرك، وسلم على من لقيت من أمتي تكثر حسناتك، فإذا دخلت بيتك فسلم على أهل بيتك تكثر بركة بيتك، وأكثر من النوافل في بيتك يكثر خير بيتك، وصلِّ صلاة الضحى فإنها صلاة الأوابين قبلك».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «إن مما يمحو الله به السيئات ويرفع به الدرجات إسباغ الوضوء في السبرات، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط».

---

(٢) خشخشتك: حشحشتك، م، ي. مسند أحمد رقم ٢٣٠٤٠.

(٣) شعاره: سعادة، م، ي. صحيح ابن حبان ٣/ ٣٢٨.

ومنها: ذكر الله عند الوضوء، لما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه».

وعن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من قال إذا توضأ: بسم الله، فإذا فرغ: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، [كتب في رقٍّ، ثم] طبع عليه بطابع من نور ثم وضع تحت العرش فلا يكسر إلى يوم القيامة»[٤].

ومنها: النية، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى».

ومنها: غسل الوجه واليدين ثلاثًا ثلاثًا، لما روي في كثير من الأخبار أنه توضأ ثلاثًا.

وعن علي عليه السلام أنه توضأ ثلاثًا ثلاثًا، وقال: هذا وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وعن عثمان نحو ذلك.

فأما الرأس: فمرة واحدة؛ لأن عليا وعثمان حكيا في حكاية الوضوء مرة واحدة.

ومنها: تخليل اللحية والأصابع، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «خللوا أصابعكم كيلا يخللها نار قليل بقياها[٥]».

وعن أنس: وضأت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخلل لحيته بأصابعه من تحت حنكه، وقال: «بهذا أمرني ربي».

فأما الرأس فيمسح مع الأذنين، لما روي أنه مسح أذنيه مع الرأس، وقال: «الأذنان من الرأس»، والكلام في هذا من مسائل الفقه.

فأما مبدأ الطهارة: فروي عن الحسن بن علي أن الملائكة لما فرغت من بناء البيت أمرهم الله تعالى بالوضوء من نهر تحت العرش يقال له الحيوان، ففعلوا، فذلك بدء الطهارة.

وقيل: إن آدم لما نزل تغير لونه مما كان في الجنة، فأمره الله تعالى بالوضوء، فعادت الوضاءة، فذلك مبدأ الطهارة.

وقيل: اختصاص الأعضاء الأربعة بها أن أول من أُمِرَ بالطهارة آدم، وكان توجه إلى الشجرة بوجهه، وتناول بيديه، ومشى إليها برجليه، ووضع يده على رأسه قبل التوبة، فأمر بغسلها.

---

(٤) السنن الكبرى للنسائي رقم ٩٨٢٩.

(٥) بقياها: تقياها، م، ي. والمعنى: أن النار لا تُبقي شيئا.

وقيل: الذنوب أربعة: ذنب السر والعلانية، وذنب الليل والنهار، فإذا غسلت جميع هذه الأعضاء غفر جميع ذلك.

وقيل: غسل الوجوه كفارة(٦) لذنبها، وغسل اليدين كفارة لذنبهما وكذلك الرجلان.

وقيل: [غسل] الوجه نجاة من سوداه، وغسل اليدين نجاة من الأغلال(٧)، ومسح الرأس نجاة من صب الحميم، وغسل الرجل نجاة من الدحض على الصراط.

وحكي أن كرز بن وبرة توضأ ليلة مات ثمانين مرة كي يموت وهو متوضئ.

وكان إبراهيم بن أدهم به إسهال فتوضأ في ليلة سبعين مرة، في كل مرة يصلي ركعتين.

وكان بإبراهيم الخواص علة البطن، فكان إذا قام توضأ، فخرجت نفسه في وسط الماء، وهو(٨) يغسل نفسه.

فأما معنى الآية: فالنداء على وجوه:

نداء نسبة كقوله: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الأعراف:٢٦]، ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [البقرة:٤٠].

ونداء تسمية كقوله: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾ [طه:١١].

ونداء عظمة كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ [المؤمنون:٥١].

ونداء مدحة كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [البقرة:١٠٤]، وفي القرآن ثمانون وشيء من الآيات فيها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾.

ونداء مذمة كقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون:١].

ونداء تصرف كقوله: ﴿وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾ [هود:٤٤].

ونداء جنس كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة:٢١]، فأمر الله تعالى بالوضوء للمحدث، والغسل للجنب، فإن لم تجد الماء فالتيمم.

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «يقول الله تعالى: من اغتسل من الجنابة فهو ولي حقا، ومن لم يغتسل فهو عدوي حقًا».

(٦) كفارة: كافرة، م، ي.
(٧) الأغلال: الإخلال، ي.
(٨) هو: كان، م، ي.

فأما الطهارات التي يحتاج إليها في الصلوات: فطهارة البدن من الحدث والنجاسة، وطهارة الثوب، لقوله: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر:٤]، وطهارة الموضع[٩]، وتفصيل ذلك في كتب الفقه.

وروى محمد بن كعب القرظي عن بعض موالي عثمان أن عثمان توضأ فأسبغ وضوءه ثم قال: لو لم أسمعه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا مرة أو مرتين أو ثلاثًا ما حدثتكم به، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «ما توضأ عبد فأسبغ وضوءه، ثم قام إلى الصلاة، إلا غفر له ما بينه وبين الصلاة الأخرى».

قال محمد بن كعب: وكنت إذا سمعت الحديث أطلبه في القرآن، فالتمست هذا فوجدته في قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ [الفتح:١-٢]، فعلمت أن الله لم يتم عليه النعمة حتى غفر له ذنوبه، ثم قرأت هذه الآية ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ﴾ [المائدة:٦]، فعرفت أن الله لم يتم عليهم النعمة حتى غفر لهم.

مبحث في السواك

وهو سنة في الطهارة وغيرها، وروي عن عاشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «صلاة بسواك خير من سبعين صلاة بغير سواك».

وعنه: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك حتى خشيت أن أدْرَد»[١٠].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب».

وعنه: «إن أفواهكم طرقٌ للقرآن فنظفوها بالسواك»[١١]، رواه علي.

وعنه: «لما أسري بي إلى السماء مررت بالحور العين، فقلن: يا محمد مر أمتك بالسواك، فكلما ازدادوا سواكًا ازددنا حسنًا».

القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «في السواك عشر

(٩) الموضع: البدن، م، ي.

(١٠) لم أقف على حديث بهذا اللفظ، ولكن هذا النص جاء ضمن حديثين، أحدهما: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء». رواه مالك والبيهقي والحاكم، والثاني: «أمرت بالسواك حتى خشيت أن أدرد». رواه البزار في مسنده رقم ٦٩٥٢. والدَّرد: سقوط الأسنان. اللسان (درد).

(١١) سنن ابن ماجة ١/١٠٦.

خصال: يجلو البصر، ويشد اللثة، ويبيض الأسنان، ويقطع البلغم، ويفرح الحفظة، ويزيد في الوضوء، ويرضي الرب، ويزيد في الحسنات، ويوافق السنة، وفيه شفاء من كل داء».

وقال: «خير خصال الصائم السواك».

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستاك بالسواك الرطب واليابس في أول النهار وآخره وهو صائم.

وعن أبي حنيفة: لا يكره السواك للصائم أول النهار وآخره، وعن الشافعي يكره في آخره.

فصل في الأذان وما جاء فيه مختصر

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فصلت:٣٣].

الكلام فيه من خمسة: معنى الآية، مبدأ الأذان، فضل الأذان والمؤذنين، ذكر ما يقول من سمع الأذان.

مبحث في معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾

فأما معنى الآية: فقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فصلت:٣٣]، قيل: هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم، عن الحسن والسدي، وقيل: هم المؤمنون، عن مقاتل، وقيل: هم المؤذنون، عن عائشة، ومن حمل ذلك عليه حمل قوله: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ على أنه يصلي ركعتين بعد الأذان، وقيل: الصالحات.

سهل بن عبد الله: الداعي إلى الله من دل عباد الله على عبادة الله.

مبحث في مبدأ الأذان

فأما مبدأ الأذان: فروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هَمَّ بالبوق والناقوس، ثم كره ذلك لمكان اليهود والنصارى، فجاء عبد الله بن زيد الأنصاري وقال: رأيت رجلًا عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسًا فقلت: أتبيع الناقوس؟ قال: وما تفعل به؟ قلت: ننادي به للصلاة،

فقال: هل أدلك على خير من ذلك؟ ثم قال: الله أكبر الله أكبر إلى آخره، فأتيت رسول الله فأخبرته فقال: «علمه بلالًا فإنه أندى منك صوتًا ينادي به»، فجاء عمر يجر ثوبه وقال: رأيت مثل ذلك، قال: الحمد لله، فذلك أثبت، وقد قيل غير ذلك، ذكر في الأخبار وهو الذي ذكره الهادي عليه السلام في الأحكام، أنه لما أسري به إلى السماء بعث الله ملكًا يعلمه الأذان، قال الهادي: والأول ليس بشيء، لأنه لا ينى شرع على رؤيا.

وقيل: إن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعلمه ذلك.

مبحث في معاني الأذان

وأما معاني الأذان: فإن الله تعالى لما علم غفلةعباده عن العبادات أمر بنصب المؤذنين ليناديهم في كل يوم وليلة خمس مرات، فكأنه يقول: الله أكبر مما أنتم فيه من أمر الدنيا يا مشاغيل، أشهد أن لا إله يوصلكم إلى جميع بغيتكم إلا الله، أشهد أن محمدًا قد بلغ ما أمره ربه، حي على الصلاة أي: دَعوا ما أنتم فيه وبادروا إلى الصلاة، كقوله: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [آل عمران:١٣٣].

وقيل: الله أكبر معناه: أجيبوا فالله أعظم من أن[١٢] يُغفل عن إجابته، أشهد أن لا إله إلا الله: أي يا أهل[١٣] الجحود اشهدوا كما شهدنا، تفوزوا كما فزنا، حي على الصلاة حي على الصلاة: أي ناداكم[١٤] ربكم فبادروا.

مبحث في التثويب

فأما التثويب فهو سنّة عند أبي حنيفة في صلاة الفجر، ومعناه: هلموا إلى ما هو خير لكم مما أنتم فيه من النوم والغفلة.

وعن عطاء عن ابن عباس قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حجرة أم سلمة وعليٌّ عنده، فكانت رِجْلُ رسول الله في حجر علي، وبيده إبرة يستخرج شوكة من رجل

(١٢) أن: أين، ي.

(١٣) يا أهل: ياهل، م، ي.

(١٤) ناداكم: أدلكم، م، ي.

النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأذن بلال فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبكينا لبكائه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أبا الحسن لو تعلم أمتي ما يقول بلال ومؤذنوهم ما استقروا في منازلهم حتى أجابوا»، فقال علي: ما يقول بلال يا رسول الله ومؤذنوهم؟ قال: «إذا قال المؤذن: الله أكبر، يقول: وجبت الصلاة يا مشاغيل، فيفزعوا، وإذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله، يقول: شهد من في السماوات ومن في الأرض أني خبير بكم، وإذا قال: أشهد أن محمدًا رسول الله قال: شهد لي الرسل أني خيرتكم في كل يوم وليلة خمس مرات، وحجتي عند الله قائمة، وإذا قال: حي على الصلاة، قال: أمر الدين قد قومه الله فقوموه، وإذا قال: حي على الفلاح، يقول: خوضوا في رحمة الله وخذوا سهمكم منها، وإذا قال: الله أكبر الله أكبر، يقول: حرمت الأعمال، قيل: وإذا قال لا إله إلا الله يقول: أمانة سبع سماوات وسبع أرضين، فإن شئتم فأقبلوا، فإن شئتم فأدبروا».

مبحث في فضل الأذان والمؤذن

فأما فضل الأذان والمؤذن: فروى ابن عمر قال: بشرت بلال فقال: بم تبشرني يا عبد الله؟ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «يجيء بلال يوم القيامة على راحلة رجلها من ذهب، وزمامها من در وياقوت، معه لواء يتبعه المؤذنون فيدخلهم الجنة، حتى إنه ليدخل الجنة من أذن أربعين صباحًا يريد بذلك وجه الله».

البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الله وملائكته يصلون على الصف المقدم، والمؤذن يغفر له مد صوته، ويصدقه كل رطب ويابس، وله مثل أجر من صلى معه».

أبو سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا كان يوم الجمعة يوم القيامة جيء بكراسي من ذهب مشبكة بالدر والياقوت، ثم ينادي المنادي: أين المؤذنون، أين من كان يشهد في كل يوم خمس مرات أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله؟ قال: فيقوم المؤذنون وهم أطول الناس أعناقًا، فيقولون: نحن هم، فيقال لهم: اجلسوا على تلك الكراسي تحت تلك القباب حتى يفرغ الله من حساب الخلائق، فإنه لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون».

جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن المؤذنين والملبين يخرجون من قبورهم يؤذن المؤذن ويلبي الملبي، ويغفر للمؤذن مد صوته، ويشهد له كل شيء سمع صوته من حجر

أو شجر أو مدر أو رطب أو يابس، ويكتب للمؤذن بكل أذان من صلى معه في ذلك المسجد مثل حسناتهم، ويعطيه الله ما بين الأذان والإقامة كل شيء سأل ربه، إما أن يعجل له في دنياه [أو يدخر له في الآخرة] أو يصرف عنه شرًا، وله ما بين الأذان والإقامة من الأجر كالمتشحط في دمه في سبيل الله»(١٥).

عن أحمد بن عبد الحميد قال: حملت متاعًا من(١٦) البصرة أريد مصر، فقدمتها فبينا أنا في طرفها إذا أنا بشيخ طوال آدم شديد الأدمة، أصلع، أبيض الرأس، فقلت: من هذا؟ فقيل: بلال، فرجعت إلى منزلي وأخذت ألواحي فأتيته فسلمت عليه، فرد علي، قلت: حدثنا حديثًا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: وما يدريك من أنا؟ قلت: أنت بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فبكى وبكيت، واجتمع الناس، فقال: يا غلام من أي بلد أنت؟ قلت: من العراق، قال: بخ بخ، ثم قال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «المؤذنون أمناء الله، أمناء المؤمنين على صلاتهم وصومهم ولحومهم ودمائهم، لا يسألون شيئًا إلا أعطاهم، ولا يشفعون في شيء إلا شفعوا فيه»(١٧).

قلت: زدني رحمك الله.

قال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، يا أخا العراق، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من أذن أربعين صباحًا صابرًا محتسبًا بعثه الله يوم القيامة وله عمل أربعين صديقًا مبرورًا متقبلًا»(١٨).

قلت: زدني رحمك الله.

قال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من أذن عشرين سنة بعثه الله يوم القيامة وله من النور مثل نور سماء الدنيا».

قلت: زدني رحمك الله.

قال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من أذن عشرين سنة متوالية أسكنه الله مع إبراهيم في قبته أو درجته».

قلت: زدني رحمك الله.

---

(١٥) الموضح لأوهام الجمع والتفريق ٢/ ٤٢١.

(١٦) من: إلى: م، ي.

(١٧) بحار الأنوار ٨١/ ١٢٤.

(١٨) مبرورًا متقبلًا: مبرور متقبل، م، ي. بحار الأنوار ٨١/ ١٢٤.

قال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من أذن سنة واحدة بعثه الله يوم القيامة وقد غفرت ذنوبه كلها بالغة ما بلغت ولو كانت زنة جبل أحد».

قلت: زدني رحمك الله.

قال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من أذن في سبيل الله إيمانًا واحتسابا وتقربًا إلى ربه غفر له ما سلف من ذنوبه، ومنّ عليه بالعصمة فيما بقي من عمره، وجمع بينه وبين الشهداء في الجنة».

قلت: جعل الله ثوابك الجنة زدني، وأخبرني بأحسن ما سمعته من رسول الله في المؤذنين.

قال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إذا كان يوم القيامة وجمع الناس في صعيد واحد، بعث الله إلى المؤذنين ملائكة من نور، معهم ألوية من نور وأعلام من نور، ويقودون بنجائب رجلها الياقوت الأصفر، وأزمتها الزبرجد الأخضر، وحقائبها[١٩] السندس، وجلالها الاستبرق، وحشو الحقائب المسك الأذفر، فيركبها المؤذنون، وتأخذ الملائكة بأعنة النجائب، فيقومون عليها قيامًا وتقود الملائكة، ينادون بأعلى صوتهم بالأذان يقولون: الله أكبر الله أكبر، فإذا قالوها سمعت لأمتي ضجيجًا، فسأله أسامة بن زيد عن ذلك الضجيج ما هو؟ قال: ضجيج بالتسبيح والتحميد والتهليل، فإذا قالوا: أشهد أن لا إله إلا الله قالت أمتي: إنا كنا نعبده[٢٠] في دار الدنيا، فيقال لهم: صدقتم وكنتم به مؤمنين وبي، وعلى الله أن يجمع بينكم وبين نبيكم في الجنة»، ثم نظر إلي فقال: إن استطعت يا غلام - ولا قوة إلا بالله - أن تموت[٢١] إلا مؤذنًا فافعل.

أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا قال المؤذنون: الله أكبر الله أكبر، أغلقت أبواب النيران السبعة، فإذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله، فتحت أبواب الجنان، فإذا قال: أشهد أن محمدًا رسول الله، أشرقت الحور العين، وإذا قال: حي على الصلاة، تخشخش[٢٢] ثمار الجنة، وإذا قال: حي على الفلاح، قالت الملائكة: أفلحت وأفلح من أطاعك، فإذا قال:

(١٩) حقائبها: حفاينها، م، ي. بحار الأنوار ٨١/ ١٢٥.

(٢٠) نعبده: نعتمده، م، ي. بحار الأنوار ٨١/ ١٢٥.

(٢١) تموت: تكون، م، ي. بحار الأنوار ٨١/ ١٢٥.

(٢٢) تخشخش: حشحشت، م، ي. انظر: اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ٢/ ١٣.

الله أكبر الله أكبر، قالت الملائكة: كبَّرت كبيرًا وعظَّمت عظيمًا، فإذا قال: لا إله إلا الله، قال الله: بها حرمت بدنك وبدن من أجابك على النار».

مبحث فيما يقال عند سماع الأذان

فأما ما يقول السامع: فعند أبي حنيفة: يقول مثل ما يقول، إلا في قوله: حي على الصلاة والفلاح، فإنه يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله.

عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا قال المؤذنون: الله أكبر الله أكبر، قال أحدكم: الله أكبر الله أكبر، فإذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، ثم إذا قال: أشهد أن محمدًا رسول الله، قال: أشهد أن محمدًا رسول الله، ثم إذا قال: حي على الصلاة، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم إذا قال: الله أكبر الله أكبر، قال الله أكبر الله أكبر، ثم إذا قال: لا إله إلا الله، قال لا إله إلا الله، من قالها دخل الجنة».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا، غفر له ذنبه»، رواه سعد بن أبي وقاص.

ويقال: لِمَ لَمْ يؤذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

قلنا: لأنه لو أذن لاحتاج إلى تغيير هيئة الأذان، ولأنه سيد الأنام وليس من شرط السيادة رفع الصوت، ولأنه كان يَكْفُر كُلُّ مَنْ لم يجب فلم يؤذن تخفيفًا على أمته.

فصل في شرائط الصلاة المشترطة من القرآن

أول شرائطها: الوضوء أو الغسل، قال الله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ..﴾ الآية [المائدة:٦].

ومنها: طهارة البدن والثوب ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر:٤].

ومنها: طهارة المكان ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر:٥].

ومنها: ستر العورة ﴿خُذُوا[٢٣] زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ..﴾ الآية [الأعراف:٣١].

والوقت ﴿[فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ][٢٤] إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء:١٠٣].

ومنها: وقت الصلوات الخمس ﴿أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ يعني الظهر ﴿إِلَىٰ غَسَقِ الَّيْلِ﴾ يعني المغرب ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ﴾ [الإسراء:٧٨] يعني صلاة الفجر، ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ الَّيْلِ﴾ [المزمل:٢٠] يعني العشاء الآخرة، ﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر:١-٢] يعني صلاة العصر، عن الهادي يحيى بن الحسين عليه السلام.

ومنها: القبلة ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة:١٤٤]، فإن اشتبه ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥].

ومنها: النية ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة:٥].

ومنها: قبل التبكير للأذان[٢٥] والإقامة ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ﴾ [الجمعة:٩]، ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة:٥٨]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾ [فصلت:٣٣].

ومنها: المسجد ﴿وَأَنَّ الْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن:١٨]، ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ﴾ [النور:٣٦].

ومنها: الجماعة ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة:٤٣]، ﴿فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ [الصف:٤]، ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر:٤٣].

ومنها: قوله: وجهت وجهي، ﴿أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل:١٢٣]، ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِىَ﴾ [الأنعام:٧٩]، ﴿إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى﴾ [الأنعام:١٦٢]، ويقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الإسراء:١١١].

ومنها: التكبير ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء:١١١]، ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى:١٥].

ومنها: يقرأ: سبحانك اللهم وبحمدك لقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [الحجر:٩٨]، و﴿تَبَٰرَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِى الْجَلَٰلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٧٨]، وقوله: ﴿فَسُبْحَٰنَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم:١٧].

---

(٢٣) خذوا: وخذوا، م، ي..

(٢٤) فاقيموا الصلاة: أقم الصلاة، م، ي..

(٢٥) التبكير للأذان: التكبير الأذان، م، ي.

ومنها: التعوذ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [النحل:٩٨]، فإن[٢٦] كان خلف الإمام ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ﴾ [الأعراف:٢٠٤].

ومنها: ثم يقرأ بسم الله ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الإنسان:٢٥]، ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق:١].

ومنها: أن يقرأ الفاتحة ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ [الحجر:٨٧] لأنها يثنى بالقراءة [بها] في الصلاة.

ومنها: القيام ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة:٢٣٨]، ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا﴾ فإن لم يستطع ﴿وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء:١٠٣]، ثم يركع لقوله: ﴿وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة:٤٣]، ولقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟﴾ [الحج:٧٧]، ثم يقول: سبحان ربي العظيم لقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة:٧٤]، ثم يرفع رأسه ويقول: سمع الله لمن حمده، لقوله: ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم:٣٩]، ثم يسجد لقوله: ﴿وَٱسْجُدُوا۟﴾ [الحج:٧٧]، ويقول: سبحان ربي الأعلى لقوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ [الأعلى:١]، ثم يتشهد لقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا﴾ [آل عمران:١٩١]، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ﴾، ثم يسلم لقوله: ﴿وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦]، ثم يدعو ربه لقوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح:٧، ٨]، فإذا دعا الله استجاب الله، لقوله: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠].

ويصلي يوم الجمعة الجمعة بدل الظهر، لقوله: ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة:٢٣٨]، ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾ [الجمعة:٩].

ويضع يده اليمنى على اليسرى في الصلاة، لقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر:٢، ٣].

وينظر إلى موضع ركوعه، لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون:٢].

فإن كان في الوتر والفجر فالقنوت، لقوله: ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة:٢٣٨].

فإن كان في سفر قصر، لقوله: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النساء:١٠١].

فإن كان خوفًا ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾ [النساء:١٠٢].

---

(٢٦) فإن: فإنه، م، ي.

فصل في الزكاة في القرآن

الزكاة واجبة، لقوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة:١١٠]، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة:٣]، ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [المائدة:٥٥].

فمن يأخذها؟ الإمام لقوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة:١٠٣].

من أيها؟ ﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة:٢٦٧]، ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ﴾ [البقرة:٢٦٧]، قبل[٢٧] تعيين النصاب [كان يُخرج ما كان عن الكفاية فضلا] لقوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة:٢١٩].

كيف تعطى؟ ﴿لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة:٢٦٤].

في الغلة: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٤١].

إلى من تدفع؟ ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾ [التوبة:٦٠].

كيف تؤتى ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة:٥٤].

فمن أعطى طيبة[٢٨] أنفسهم يطهرهم ويزكيهم في الدنيا في أموالهم ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم:٣٩]، في الآخرة ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ [البقرة:٢٤٥]، كم؟ ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ [البقرة:٢٦١]، فإن أبوا[٢٩] ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ﴾ [التوبة:٣٤] ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت:٦، ٧].

عاقبة المؤدي: ﴿أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل:٥-٧].

أخذها: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة:١٠٤].

عاقبة له من لم يؤدوا ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ..﴾ الآية [آل عمران:١٨٠].

(٢٧) قبل: مثل، م، ي.

(٢٨) طيبة: في، م، ي.

(٢٩) أبوا: تودوا، م، ي.

فصل في الحج في القرآن

﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:٩٧]، ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾ [البقرة:١٩٨]، ﴿وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾ [الحج:٢٩]، ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة:١٥٨]، ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ﴾ [البقرة:١٢٥]، ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ [الكوثر:]، ﴿وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ [الحج:٣٦]، ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ﴾ [البقرة:١٢٥]، ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ جَعَلۡنَٰهَا وَٱنۡحَرۡ﴾ [الكوثر:٢]، ﴿وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ [الحج:٣٦]، ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ﴾ [الفتح:٢٧]، ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾ [البقرة:٢٠٣]، ﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾ [البقرة:٢٠٣].

فصل في الصلاة

الكلام فيها من ثلاثة أوجه: في فضائلها، وما جاء في تاركها، وفي تمامها.

مبحث في فضائل الصلاة

أما فضائلها: فلا شبهة أنها فريضة، وأنها من الأركان التي يكفر جاحدها ويفسق تاركها، وقد نطق القرآن بذلك في مواضع كثيرة.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «بني الإسلام على خمسة أركان: أن توحد الله وحده فلا تشرك به شيئًا، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت»، رواه ابن عمر.

وعنه: «الصلاة ميزان، فمن وفّى[٣٠] استوفى» رواه ابن عباس.

وعنه: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»، رواه أبو هريرة وهو في صحيح مسلم.

أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أول ما افترض الله الصلاة، وآخر ما يبقى الصلاة، وأول ما يحاسب بالصلاة».

---

(٣٠) فمن وفّى: يزاد من، م، ي. إتحاف السادة المتقين ٣/ ١٩.

الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «ضرب مثل الصلاة وأعمال الناس كرجل عمد فأتى مَرَاغَةً فأثار عليه منها حتى امتلأ ترابًا ودنسا[٣١]، ثم عمد إلى غدير ذي ماء طيب فاغتسل به، فذهب عنه التراب والدنس[٣٢]، ثم رجع فأثار عليه منه حتى كان كما كان أول مرة، ثم ذهب إلى الغدير فاغتسل، فذهب عنه التراب والدنس[٣٣]، كذلك الصلوات الخمس تغسل عن العبد إذا صلى لله من بلية [و]حطت ما بين يديها [من خطيئة][٣٤]».

وروي أن آخر كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الصلاة وما ملكت أيمانكم».

وعنه: «إذا قام العبد جمعت خطاياه ورفعت على رأسه وبين كتفيه، فإذا[٣٥] ركع وسجد تساقط عنه خطاياه».

معدان بن أبي طلحة قال: لقيت ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت: أخبرني بعمل أعمله يدخلني الله الجنة؟ فسكت، ثم سألته الثانية فسكت، ثم سألته الثالثة فقال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «عليك بكثرة السجود لله تعالى، فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة».

أبو بكر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما حضرت صلاة إلا نادت الملائكة: قوموا إلى ناركم التي أوقدتموها على أنفسكم فأطفئوها بصلاتكم».

وعنه عليه السلام: «إن المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء تحاتت خطاياه كما تحات[٣٦] الورق من الشجر، ثم قرأ ﴿وَأَقِمِ[٣٧] ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود:١١٤]».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار على باب أحدكم يغسل فيه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء»؟ قالوا: لا، قال: (فكذلك الصلوات الخمس لا تبقي من ذنوبه شيئًا».

(٣١) دنس: دبسًا، م، ي. الهادي للمهتدي في الفضائل ص٤٧.
(٣٢) الدنس: الدبس، م، ي. الهادي للمهتدي في الفضائل ص٤٧.
(٣٣) الدنس: الدبس، م، ي.
(٣٤) تاريخ دمشق ٨/ ٢٦٩.
(٣٥) فإذا: فلما، م، ي.
(٣٦) تحات: تتحات، م، ي.
(٣٧) وأقم: أقم، م، ي. وما أثبتناه من المصحف.

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لو يعلم الناس ما في النداء ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا عليه، ولو يعلمون ما في التهجير[٣٨] لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوًا»، والخبر في صحيح مسلم.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من حافظ على الصلوات الخمس حيثما كان، جازَ على الصراط يوم القيامة كالبرق اللامع في أول زمرة من السابقين، وجاء يوم القيامة وجهه كالقمر ليلة البدر، وكان له بكل يوم حافظ عليها كألف شهيد»، رواه ابن عباس وأبو هريرة.

مبحث فيما جاء في تارك الصلاة

فأما ما جاء في تاركها من الوعيد: فقد قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانُواْ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ..﴾ الآية [القلم:٤٣]، قيل: يدعون إلى السجود يوم القيامة، وقيل: عند المرض. وقوله: ﴿قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر:٤٣]، وقال: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [القيامة:٣١]، ونحو ذلك من الآيات.

وروى جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة»، الخبر في صحيح مسلم.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «بكروا بالصلاة في يوم الغيم، فإن من فاتته صلاة العصر حبط عمله»، رواه بريدة الأسلمي.

وروى أبو قتادة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «التفريط[٣٩] على من لم يصل الصلاة حتى يجيء وقت الأخرى».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله افترض عليكم الصلوات الخمس، وجعلهن كفارات لذنوبكم، فمن تركهن متعمدًا فقد نبذ الإسلام وراء ظهره، وكان مع فرعون وهامان وقارون، ومن صلاها لغير وقتها لُفّت كما يُلَفّ الثوب الخَلَقُ[٤٠] ثم يضرب بها وجهه».

وروى أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «بين العبد وبين الكفر الصلاة، فإذا تركها فقد أشرك».

---

(٣٨) التهجير: التهجين، م، ي. صحيح مسلم ١/ ٣٢٥ والبخاري ١/ ١٤٥.

(٣٩) التفريط: التفريد، م، ي. سنن البيهقي الكبرى ١/ ٥٥٣.

(٤٠) الثوب الخَلَقُ: أي البالي. الصحاح (خلق).

وعنه: «الصلاة عماد الدين، فمن تركها فقد هدم الدين».

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من تهاون بالصلاة من الرجال والنساء عاقبه الله بخمس عشرة عقوبة: ست في الدنيا، وثلاث عند الموت، وثلاث في القبر، وثلاث في القيامة.

فأما الست اللواتي في الدنيا: فإحداهن: أن يرفع الله من حياته البركة، والثانية: أن يرفع الله من وجهه سيما الصالحين، والثالثة: لا يأجره الله على شيء من طاعاته، والرابعة: لا يجعل الله له نصيبًا في دعاء الصالحين، والخامسة: لا يسمع الله له دعاء، والسادسة: لا يمنع الله منه البلايا والمهالك.

وأما التي عند الموت: فإحداها: أن يقع عليه داء وشدة حتى كأنه وضع على صدره السماوات والأرض، والثانية: لو سقي ماء البحر لمات عطشان، والثالثة: لو أطعم ما في الأرض مات جائعًا.

وأما التي في القبر: فأحدها: أن يقع في غم طويل، والثانية: أن يخرج من قبره ويمشي في ظلمات لا يبصر، والثالثة: يضيق عليه لحده حتى تختلف أضلاعه.

والتي في القيامة: فشدة الحساب، وغضب الجبار، والخلود في النار».

وروى أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «سيكون بين يدي الساعة فتن يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي [مؤمنا] ويصبح كافرًا، يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا، ولا يبالون بما أضاعوا[٤١] وفاتهم من صلاتهم إذا أصابوا[٤٢] دنياهم، أولئك مني براء وأنا منهم بريء».

فأما إتمامها: فهو أن يتم ركوعها وسجودها وقيامها، [و]يؤدي جميع أركانها في مواقيتها.

روى الحسن عن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «خمس من[٤٣] جاء بهن يوم القيامة دخل الجنة: من حافظ على الصلوات في مواقيتها وركوعها وسجودها يراها

(٤١) يبالون بما أضاعوا: ينالون ما أرادوا م، ي.

(٤٢) أصابوا: أصابهم، م، ي.

(٤٣) من: ما، م، ي.

الله[٤٤] حقًا عليه حرم على النار، وأعطى الزكاة طيبًا نفسًا بها، وأيم الله لا يفعل ذلك إلا مؤمن، وصام رمضان، وحج البيت إن استطاع إليه سبيلًا، واغتسل من الجنابة، فإن الله لم يأتمن ابن آدم على شيء من دينه غيرها»، قال الله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة:٢٣٨] قيل: يدعون، وقيل: يُتَمِّمُون.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «خمس صلوات افترضهن الله، من أحسن وضوءها، وصلاهن لوقتهن، وأتم ركوعهن وخشوعهن، كان له عند الله عهد أن يغفر له، ومن لم يفعل فليس له عند الله عهد، إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه»، رواه عبادة بن الصامت.

وروى أبو عبد الله الأشعري قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأصحابه، ثم جلس في عصابة منهم، فدخل رجل فقام يصلي، فجعل لا يركع، وينقر في سجوده، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم ينظر إليه، فقال: «ترون هذا، لو مات على هذا لمات على غير أمة محمد، ينقر صلاته كما ينقر الغرابُ الدَّمَ مثل الذي يصلي ولا يركع[٤٥] وينقر في سجوده كالجائع لا يأكل إلا مرة أو مرتين، فما تغنيان عنه؟ فأسبغوا الوضوء، ويلٌ للأعقاب من النار، وأتموا الركوع والسجود».

روى أنس قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة وأنا يومئذ ابن ثمان سنين، فانطلقت بي أمي إليه وقالت: يا رسول الله إنه ليس لي أحد من الأنصار إلا وقد أتحفك بهدية، وإني لم أجد شيئًا أتحفك به غير ابني هذا، فأحب أن تقبله مني يخدمك ما بدا لك، قال أنس: فخدمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشر سنين، ما ضربني قط، ولا انتهرني قط، وما سبني قط، ولا عبس في وجهي قط، وقال: «يا بني اكتم سري تكن مؤمنًا»، فكانت أمي تسألني عن سر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلا أخبرها به، وإن كان أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسألنني[٤٦] عن سر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلا أخبرهن، وما أنا بمخبر سر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحدًا حتى أموت، وقال: «يا بني عليك بإسباغ الوضوء يزاد في عمرك، ويحبك حافظاك، يا بني بالغ في غسلك من الجنابة، فإنك تخرج من مغتسلك وليس عليك ذنب ولا خطيئة»، قلت: يا رسول الله وما المبالغة في الغسل؟ قال:

---

(٤٤) لله: الله،م، ي.

(٤٥) يركع. يرجع،م، ي. السنن الكبرى للبيهقي ٢/ ١٢٦.

(٤٦) يسألنني: يسألني ي. كذا في مسند أبي يعلى ٦/ ٣٠٦.

«تبل أصول الشعر، وتنقي البشرة[٤٧]، يا بني إن استطعت ألّا تزال تصلي فافعل، فإن الملائكة تصلي عليك ما دمت تصلي، يا بني إياك والالتفات في الصلاة، فإنها مهلكة، إذا ركعت فارفع يديك عن جنبيك وضع كفيك على ركبتيك، يا بني إذا رفعت رأسك من الركوع فأمكن كل عضو موضعه، فإن الله لا ينظر يوم القيامة إلى من لا يقيم صلبه في ركوعه وسجوده، يا بني إذا قعدت بين السجدتين فابسط ظهور قدميك على الأرض، فإن ذلك من سنتي، ومن أحيا سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة، يا بني ولا تقع[٤٨] كما يقعي الكلب، ولا تنقر كما ينقر الديك، يا بني إذا خرجت من منزلك فلا يقعن بصرك على أحد من أهل القبلة إلا سلمت عليه، فإنك ترجع وقد زيد في حسناتك، يا بني إن استطعت أن تمسي وتصبح وليس في قلبك غش لأحد فافعل، فإنه أهون عليك من الحساب، يا بني احفظ وصيتي فلا يكن[٤٩] شيء أحب إليك من الموت».

وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بُعدًا».

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «مثل الذي لا يتم صلاته كمثل ذات حمل حملت، فلما أن دنا نفاسها أسقطت، فلا هي ذات حمل ولا ذات ولد، ومثل المصلي مثل التاجر لا يخلص له ربحه حتى يخلص له رأس المال، وكذلك المصلي لا يقبل الله نافلته حتى يؤدي الفريضة».

مبحث في الخشوع في الصلاة

قد مدح الله الخاشعين في الصلاة، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون:٢] ونحوه من الآي، وذم من كان غير خاشع، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ [الماعون:٥].

ابن عباس: ركعتان مقتصدتان[٥٠] في تفكر خير من قيام ليل والقلب ساه.

(٤٧) البشرة: البشر، م، ي. مسند أبي يعلى ٦/ ٣٠٦.
(٤٨) تقع: تقعي، م، ي.
(٤٩) فلا يكن: ولا يكونن، م، ي. مسند أبي يعلى ٦/ ٣٠٦.
(٥٠) مقتصدتان: مقتصدان، م، ي.. الزهد لابن المبارك ص٩٧.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «[لا ينظر الله] [إلى] صلاة عبد لا يحضر فيها[٥١] قلبه مع بدنه»[٥٢].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ركعتان خفيفتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه، وإن القوم يكونون في صلاة وبينهم في الفضل كما بين السماء والأرض؛ لأن الخاشع يقبل على الله والآخر لا يقبل، فإذا دخل الرجل في الصلاة أتاه الشيطان يذكره حوائجه، فيقول له الملك: أقبل على صلاتك، ويناديه في أذنه اليمنى، والشيطان يناديه في أذنه اليسرى، وقلبه ينازع الأمرين، فإن أطاع الملك ضرب الملك الشيطان بجناحه، وإن أطاع الشيطان قال الملك: سحقًا أما إنك لو أطعتني لم تقم من صلاتك إلا وقد غفر لك»، فكان علي رضي الله عنه إذا توضأ تغير لونه، فقيل له في ذلك، فقال: أتدرون بين يدي من أريد أن أقف ومن أناجي؟ [و] قيل له: ما لك يا أمير المؤمنين إذا حضر وقت الصلاة تتزلزل وتتلون؟ فقال: جاء وقت أمانةٍ عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها، ولا أدري أحسن أداءها أم لا.

وعن علي أيضًا: لا خير في صلاة لا خشوع فيها.

وعن رباح القيسي قال: دخلت على رابعة [زائرًا]، فلما أردت الانصراف قالت: يا رباح إني أجد في عيني خشونة، فنظرت فإذا أنا بقصبة في عينها وكانت تصلي على[٥٣] البُورياء[٥٤] ولم تشعر لشغلها بالصلاة، فوالله ما أخرجتها إلا بالمشقة[٥٥].

وروي أن امرأة كانت تصلي، فلدغتها عقرب [في] أربعين موضعًا فما اكترثت، فقيل: يا أمة الله هلا نحيتها؟ فقالت: إني لأستحي من ربي أن أشغل قلبي بشيء سواه وأنا قائمة بين يديه.

ومر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برجل يصلي ويلعب بلحيته، فقال: «لو خشع قلبه لخشعت جوارحه».

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تلتفتوا في الصلاة فإنه لا صلاة لملتفت».

---

(٥١) يحضر فيها: يخطرها م، ي.

(٥٢) إحياء علوم الدين ١/ ١٩٩.

(٥٣) على: في ي.

(٥٤) البُورِيَاءُ: الحصير من القصب. الصحاح (بور).

(٥٥) التهجد للإشبيلي ص١١٥.

وعنه: «لا يمسح الرجل جبهته من التراب حتى يفرغ من الصلاة، فإن الملائكة تصلي عليه ما دام أثر السجود في وجهه، ولا بأس أن يمسح العرق من صدغيه»، رواه واثلة بن الأسقع، ذكره أبو يحيى في مكارم الأخلاق.

سلمان: الصلاة مكيال، فمن وفى وفي له، ومن طفف فقد علمتم ما قيل في المطففين.

وكان الحسن إذا بلغ باب المسجد يرفع(٥٦) رأسه، ويقول: إلهي ضيفك ببابك، عبدك ببابك، سائلك ببابك، يا محسن قد أتاك المسيء، وقد أمرت المحسن منا أن يتجاوز عن المسيء، فتجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك يا كريم.

مجاهد: كان العلماء إذا قام أحدهم إلى الصلاة هاب الرحمن أن يشذ بصره إلى شيء أو يلتفت، أو يعبث بشيء من جسده، أو يحدث نفسه بشيء من أمر الدنيا.

صلة بن أشيم(٥٧) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من صلى صلاة لا يذكر فيها من أمر الدنيا لا يسأل الله شيئًا إلا أعطاه».

وكان الحسن بن علي عليه السلام إذا توضأ تغير لونه وارتعدت فرائصه، فقيل له في ذلك فقال: حق لمن يقف بين يدي ذي العرش أن يصفر لونه وترتعد مفاصله.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «[أسوأ] الناس سرقة من سرق من صلاته».

وكان يعقوب القاري يصلي، فسرق طرّار(٥٨) رداءه، فلما ذهب به عرفه، فلما رده على الشيخ الصالح ووضعه على عاتقه، لبث حتى فرغ من صلاته، ثم اعتذر إليه، فقال: لم أشعر برفعه ولا بوضعه.

شميط بن عجلان: ابن آدم بينا هو في الصلاة يذكر الله والدار الآخرة إذ حكه برغوث أو قملة، فنسي الله والدار الآخرة.

مبحث في المواقيت

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء:١٠٣]، وقال تعالى:

---

(٥٦) يرفع: رفع، م، ي.

(٥٧) أشيم: أستم، م، ي. هدي القاصد إلى أصحاب الحديث الواحد ٢/ ٣٥٣.

(٥٨) الطرّار: الذي يقطع ثياب الرجل ليسرق ما فيه، من طَرَّ الثَّوْب يطرُّهُ طرًّا. تاج العروس (طرر).

﴿وَأَقِمِ[٥٩] ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ..﴾ الآية [هود:١١٤]، وقال: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ [الإسراء:٧٨]، وقال: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الزمر:١٧]، فبيَّن تعالى المواقيت في هذه الآيات على طريق الجملة، وبيَّنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مفصلًا.

والكلام في المواقيت على خمسة أوجه:

منها: بيان أصل المواقيت وابتداء من صلى فيها.

ومنها: فضل المحافظة على المواقيت.

ومنها: بيان أوقات الصلاة.

ومنها: بيان الأفضل.

ومنها: بيان الأوقات المكروهة.

مطلب في بيان أصل المواقيت وابتداء من صلى فيها

أما الأول: فقد روى عروة بن الزبير عن عائشة قالت: يا رسول الله، ما هذه الصلاة؟ فقال: «هي مواريث آبائي وإخواني من الأنبياء.

أما صلاة الفجر: فتاب الله على آدم عند طلوع الفجر، فصلى لله ركعتين، فجعلها الله لي ولأمتي كفارات وحسنات.

وأما صلاة الهاجرة: فتاب الله على داود حين زالت الشمس أتاه جبريل فبشره، فصلى لله أربع ركعات، فجعلها الله لي ولأمتي كفارات ودرجات.

وأما صلاة العصر: فتاب الله على أخي سليمان، حين صار ظِلُّ كل شيء مثله أتاه جبريل فبشره بالتوبة، صلى لله أربع ركعات شكرًا، فجعلها الله لي ولأمتي كفارات ودرجات.

وأما صلاة المغرب: فبشر الله يعقوب بيوسف عند سقوط القرص، وأتاه جبريل وبشره أنه حي مرزوق، فصلى لله ثلاث ركعات شكرًا، فجعلها الله لي ولأمتي تمحيصًا وكفارات ودرجات.

وأما صلاة العشاء: فأخرج الله يونس من بطن الحوت كالفرخ حين اشتبكت النجوم وغاب

(٥٩) واقم: أقم، م، ي،

الشفق، فصلى لله أربع ركعات شكرًا، فجعلها الله لي ولأمتي كفارات ودرجات»، ثم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أرأيتم لو أن نهرًا على باب أحدكم فاغتسل منه في كل يوم خمس مرات هل يبقى عليه من الدرن والدنس شيء»؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: «فهذه الصلاة تغسلكم غسلًا».

فمن الناس من ذهب إلى هذا، وقال: أول من صلى الفجر آدم، وأول من صلى الظهر داود، وأول من صلى العصر سليمان، والمغرب يعقوب، والعتمة يونس.

ومنهم من قال: أول من صلى الفجر آدم؛ لأنه خرج من الجنة، فجَنَّ الليل ولم يكن رأى ذلك فاستوحش، فلما طلع الفجر[٦٠] وأضاء النهار صلى ركعتين شكرًا، إحداهما لنجاته من الظلمة، والثانية لإعادة الضياء، فأوجبها الله تعالى على هذه الأمة، لتخرج بها من ظلمة المعصية إلى نور الطاعة.

وأول من صلى الظهر إبراهيم حين فُدي ابنه إسماعيل، وكان له أربعة أحوال: حال الرضا بالقضاء، وحال التوفيق لمعالجة ذبح الولد، وحال نجاته من الذبح، وحال الفداء، فصلى أربع ركعات شكرًا لهذه الأحوال، فأوجبها الله على هذه الأمة لتكون لهم توفيقًا على الرضا بالقضاء، وليعالجوا أوامره[٦١]، ولينجيهم من الغموم، ويفديهم من النار.

وأول من صلى العصر يونس حين خرج من بطن الحوت، وكان في أربع ظلمات: ظلمة الغضب، وظلمة البطن، وظلمة الليل، وظلمة البحر، فلما تخلص من ذلك صلى أربع ركعات شكرًا، ففرضها الله على هذه الأمة لينجيهم بها من أربع ظلمات: ظلمة المعصية ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾ [العنكبوت:٤٥]، وظلمة القبر، وظلمة القيامة ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [التحريم:٨]، وظلمة جهنم.

وأول من صلى المغرب عيسى، أخبر بأن[٦٢] قومه يقولون: الله ثالث ثلاثة، فصلى ثلاثًا، في الأولين[٦٣] نفي الربوبية عن نفسه وأمه، وفي الثالثة إثبات الربوبية للواحد الفرد، ففرضت على هذه الأمة لتعصمهم من الشرك.

(٦٠) كتب على كلمة (الفجر) في الأصل كلمة: (الصبح). ولعلها الأصح.
(٦١) أوامره: أول مرة، م، ي.
(٦٢) أن: أنه، م، ي.
(٦٣) الأولين: الأولتين، م، ي.

وأول من صلى العشاء الآخرة موسى، فإنه خرج من مدين مع امرأته وكانت حاملًا[٦٤]، فضلَّ الطريقَ، فرأى نارًا فجاء إلى الطور وكلمه ربه، وأخبره بوضع المرأة حملها، وأنه قد بعث إليها من يعينها من الحور العين، قام فصلى أربع ركعات شكرًا، ففرضت على هذه الأمة ليهديهم من ظلمات القيامة إلى نور الجنة، ويكلمهم بالسلام، ويخلفهم إذا ماتوا في أهاليهم، ويظفرهم على عدوهم بما أظفر موسى على فرعون.

مطلب في فضل المحافظة على المواقيت

فأما المحافظة عليه: فروى أبو ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كيف أنت إذا كان عليك أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها»؟ قلت: فما تأمرني؟ قال: «صَلِّ الصلاة لوقتها، فإن أدركتها [معهم][٦٥] فصلِّ، فإنها لك نافلة».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من عمل أحب إلى الله من الصلاة المكتوبة في وقتها، وتصعد إلى السماء ولها نور، فتفتح لها أبواب السماء، وتحملها الحفظة إلى ربها وهي تقول: حفظك الله كما حفظتني، وتشفع لصاحبها عند الله تعالى، وإذا صلاها لغير وقتها لم تصعد، ولم تفتح لها أبواب السماء، وتلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها».

وعن ابن مسعود: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي العمل أفضل؟ قال: «الصلاة لوقتها»، قلت: ثم أي؟ قال: «ثم بر الوالدين»، قلت: ثم أي؟ قال: «ثم الجهاد في سبيل الله».

وعن عائشة قالت: «كان رسول الله يحدثنا ونحدثه، فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه».

وكان علي عليه السلام إذا سمع الأذان يصفارّ ويخضار، ويقول: جاءت أمانة الله التي عرضها على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان إنه كان ظلومًا جهولا.

---

(٦٤) حاملا: حاملة، م، ي.

(٦٥) صحيح مسلم ١/ ٤٤٨.

مطلب في أوقات الصلاة

فأما بيان[٦٦] وقتها: فقد روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أمني جبريل عند البيت مرتين، فصلى بي الظهر حين زالت الشمس، وصلى بي العصر حين صار ظل كل شيء مثله، وصلى بي المغرب حين أفطر الصائم، وصلى بي العشاء حين غاب الشفق، وصلى بي الفجر حين طلع الفجر، ثم صلى بي من الغد حين صار ظل كل شيء مثله، وصلى بي العصر حين صار ظل كل شيء مثليه[٦٧]، وصلى بي المغرب حين أظلم الليل، وصلى بي العشاء حين ذهب ثلث الليل، وصلى بي الفجر حين أسفر، ثم قال: يا محمد هذا وقت الأنبياء من قبلك[٦٨]، الوقت فيما[٦٩] بين هذين الوقتين[٧٠]»، وروي عن أبي حنيفة مثله.

وأول وقت المغرب حين يغيب الشفق، وأول وقت العشاء حين يسقط الشفق وهو الحمرة، وروي عن أبي حنيفة البياض.

وأول وقت الفجر طلوع الفجر، وآخره طلوع الشمس.

مطلب في بيان أفضل أوقات الصلاة

فأما الأفضل: ففي يوم الغيم تعجل العصر والعشاء، ويؤخر الظهر والمغرب والفجر، وفي غير يوم الغيم يؤخر الظهر في الصيف، ويعجل في الشتاء، ويؤخر العصر والشمس بيضاء نقية[٧١] في الأحوال وتعجل المغرب ويؤخر العشاء إلى ثلث الليل، ويسفر بالفجر، هذا مذهب أبي حنيفة، وليس هذا موضع الاحتجاج لمذهبه.

ومنهم من قال: أول الوقت أفضل في جميع الأحوال، ويستدلون بقوله: «أول الوقت رضوان الله، وآخره غفران الله».

وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أفضل الأعمال فقال: «الصلاة لأول وقتها».

---

(٦٦) بيان: بيات، م، ي.م، ي.

(٦٧) مثليه: مثله، م، ي. مسند أحمد ٥/ ٢٠٢.

(٦٨) قبلك: قبل، م، ي. مسند أحمد ٥/ ٢٠٢.

(٦٩) الوقت فيما: وما، م، ي.

(٧٠) الوقتين: وقت، م، ي.

(٧١) نقية: بقية، م، ي.

فأما الإسفار بالفجر فلما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «أسفروا بالفجر، فكلما أسفرتم فهو أعظم لأجوركم».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «أصبحوا بالصبح فإنه كلما أصبحتم بالصلاة كان أعظم للأجر».

وفي العصر: روى عبد الواحد بن نافع قال: مررت بالمدينة فدخلنا مسجدًا فأقيمت الصلاة - يعني العصر - وفي المسجد شيخ، فلما صلى الإمام قال: أما علمت أن أبي أخبرني أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يأمرنا بتأخير هذه الصلاة، فسألت عن الشيخ، فقالوا: عبد الله بن رافع بن خديج.

فأما في يوم الغيم فقد روي عن عمر عن النبي ذلك.

مطلب في بيان الأوقات المكروهة

فأما الأوقات المكروهة: فهي خمس، ثلاث لا يجوز فيها فرض ولا نفل: وقت طلوع الشمس، ووقت زوالها، ووقت الغروب إلا عَصْرَ يومه، واثنان يجوز(٧٢) [فيهما] الفرض ولا يجوز النفل: إذا طلع الصبح إلى أن يطلع الفجر إلا ركعتي الفجر، وإذا صلى العصر إلى أن تغرب الشمس.

روى زيد بن ثابت وسمرة بن جندب أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن الصلاة حين تطلع الشمس وحين تغرب وقال: «إنها تطلع بين قرني شيطان».

وعن عقبة بن عامر: «[ثلاث ساعات] نهانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نصلي فيهن وأن نقبر فيهن موتانا: حين تطلع الشمس حتى ترتفع، وحين تقوم الشمس، وحين تضيقت الشمس للغروب»(٧٣).

وعن عمرو بن عنبسة قلت: يا رسول الله علمني مما تعلم وأجهل، هل من الساعات وقت أفضل من الآخر؟ قال: «دبر الليل الآخر فصل، فإنها متقبلة حتى يطلع الفجر، ثم انته حتى

(٧٢) يجوز: يجوء، م، ي.
(٧٣) في صحيح مسلم ١/ ٥٦٨.

تطلع الشمس، وما[٧٤] دامت كالحجفة[٧٥] فأمسك حتى تشرق، فإنها إذا طلعت فإنها تطلع بين قرني شيطان ويسجد لها الكفار، ثم صلِّ فإنها مشهودة مقبولة حتى يقوم العمود على ظِلِّه، ثم انته فإنها ساعة يُسَجَّر فيها الجحيم، ثم صلِّ إذا زالت الشمس إلى العصر، ثم انته فإنها تغيب بين قرني شيطان ويسجد لها الكفار».

عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا صلاة بعد الصبح حتى تشرق الشمس، ولا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس»، رواه عائشة وجماعة.

مبحث في الإمامة

ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاثة لا يهولهم الفزع الأكبر: إمام أم قومًا يبتغي وجه الله وهم به راضون، ورجل أذن في خمس صلوات يبتغي به وجه الله، وعبد أدّى حق الله وحق مواليه».

وقال: «إذا أم أحدكم الناس فليخفف، فإن فيهم الكبير والضعيف والسقيم[٧٦]»، رواه أبو هريرة.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يؤم القوم أقرأهم لكتاب الله، فإن كانوا في ذلك سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في ذلك سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في ذلك سواء فأقدمهم سنًا، ولا يؤمنَّ الرجلُ الرجلَ في سلطانه، ولا يقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه»، رواه أبو مسعود الأنصاري، وهو في صحيح مسلم.

وروي أن أبا عبيدة بن الجراح أمّ قومًا، فلما انصرف قال: ما زال الشيطان بي حتى رأيت أن لي فضلًا على غيري، لا أؤم أبدًا.

النخعي: مَثَلُ مَنْ يؤم الناس بغير علم مثل من يكيل ماء البحر، لأنه لا يدري زيادته من نقصانه.

الحسن: لا تصلوا خلف رجل لا يختلف إلى العلماء.

(٧٤) وما: ما، م، ي. الاختيار لتعليل المختار ١/ ٤١.
(٧٥) الحجفة: ترس يتخذ من جلود الإبل بلا خشب. تاج العروس (حجف). الاختيار لتعليل المختار ١/ ٤١.
(٧٦) السقيم: السليم، م، ي. صحيح البخاري ١/ ١٤٣.

أبو سعيد الخدري: مَنْ أَمَّ قومًا محتسبًا كان على كثبان المسك يوم القيامة لا يحزنه الفزع الأكبر.

الصادق عن آبائه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أفضل الناس في المسجد الإمام، ثم المؤذن، ثم من على يمين الإمام».

مبحث في الصلاة الوسطى

قال الله تعالى: ﴿حَٰفِظُوا عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة:٢٣٨]، هي الظهر، عن عائشة، وزيد بن ثابت، وأبي سعيد الخدري، وابن عمر، والهادي يحيى بن الحسين، وهو مذهب أبي حنيفة، واستدلوا على ذلك بما روى زيد بن ثابت قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي الظهر بالهاجرة».

روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي بعده صف أو صفان، ولم يكن صلاةٌ(٧٧) أشقَّ على أصحابه منها، فنزلت: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة:٢٣٨]، فكثر الناس، فهذا يدل أنهم فهموا منها الظهر.

وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاتته صلاة الظهر يوم الخندق، فقال: «شغلونا عن الصلاة الوسطى»، ولأنها في وسط النهار فتوصف بالوسطى بمعنى لا يتعين.

وقيل: إنها الفجر، عن ابن عباس، وجابر، وعكرمة، ومجاهد، والربيع بن أنس، وهو مذهب الشافعي؛ لأنها متوسطة بين صلاتي الليل والنهار، واستدلوا بقوله: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة:٢٣٨]، والقنوت في الفجر، واستدلوا بقوله: ﴿كَانَ مَشْهُودًا﴾، ولأنها خصت بالذكر فقال: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ [الإسراء:٧٨] فدل أنها هي الوسطى.

وقيل: صلاة العصر، عن علي، وابن عباس، وأبي هريرة، وابن مسعود، وعائشة، وأم سلمة، وحفصة، وأم حبيبة، واستدلوا بما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه شغل يوم الخندق عن صلاة العصر فقال: «شغلونا عن صلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله بطونهم وقلوبهم نارًا».

---

(٧٧) صلاةٌ: الصلاة، م، ي. النكت في المسائل المختلف فيها ص١٥٤.

وعن حفصة قالت لكاتبها(٧٨): إذا بلغت مواقيت الصلاة فأخبرني حتى أخبرك بما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول، فلما أخبرها قالت: اكتب فإني(٧٩) سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ «حافظوا على الصلوات وصلاة العصر»، وهذا بيان وليس بقرآن.

وعن أبي بصرة(٨٠) الغفاري قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «إن هذه الصلاة فرضت على من كان قبلكم فضيعوها وتركوها، فمن حافظ عليها منكم أوتي أجره مرتين، من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله».

وقيل: صلاة المغرب، عن قبيصة بن ذؤيب؛ لأنها متوسطة بين صلاتي النهار [والليل]، ومتوسطة في الركعات.

وقيل: هي العشاء الآخرة؛ لأنها أشد الصلوات على المنافقين، ولما جاء في فضلها.

روى بريدة الأسلمي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «بشر المشائين في الظُّلَمِ إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»، ورواه أنس، وروى عبد الله بن عمر قال: [صلينا مع رسول الله](٨١) صلى الله عليه وآله وسلم صلاة المغرب، فرجع من رجع وعقَّب مَنْ عقب، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «هذا ربكم فتح بابًا من أبواب السماء يباهي بكم الملائكة، يقول: عبادي قضوا فريضة وهم ينتظرون أخرى».

عن ابن مسعود قال: أخر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة، فقال: «أما إنه ليس أحد من أهل الأديان يذكر الله هذه الساعة غيركم» فنزلت هذه الآية: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية [آل عمران:١١٣].

عثمان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف ليلة، ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة».

ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما صلاة أثقل على المنافقين من صلاة العشاء والفجر، ولو يعلمون ما فيهما من الفضل لأتوهما ولو حبوًا».

---

(٧٨) الذي أمرتْه أن ينسخ لها مصحفا.

(٧٩) فإني: فإنس، م، ي.

(٨٠) بصرة: نصرة، م، ي. صحيح مسلم ١/ ٥٦٨.

(٨١) سنن ابن ماجة ١/ ٢٦٢.

وقيل: إنها صلاة غير متعينة ليحرض الناس على المحافظة على جميع الصلوات.

وسئل نافع عن الوسطى فقال: سألت ابن عمر عنها فقال: هي فيهن، فحافظوا عليهن كلهن، وسترت الوسطى من الصلوات كليلة[٨٢] القدر في شهر رمضان، وقد أخفى الله تعالى أشياء منها: ليلة القدر، لئلا يتكلوا عليها ويضيعوا[٨٣] باقي الليالي، والصلاة الوسطى، ليحافظوا على الجميع، والاسم الأعظم، لئلا يقتصروا على ذكره، والآجال، لئلا يعصوا الله، والقيامة، لئلا يكون إغراء.

مبحث في وضع اليمين على الشمال

هي سنّة، لقوله تعالى: ﴿فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون:٢] وهي أشبه بالخشوع.

وسئل عن قوله: ﴿وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر:٢] قال وضع اليمين على الشمال في الصلاة، وروي نحوه عن ابن عباس ومجاهد.

وعن وائلة بن حجر «أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا قام في الصلاة قبض على شماله بيمينه».

وروى نافع عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنا معاشر الأنبياء أمرنا بوضع اليمين على اليسرى في الصلاة».

سهل بن سعد الساعدي قال: كان الناس يؤمرون أن يضع الرجل [يده] اليمنى على ذراعه اليسرى في الصلاة.

جابر قال: «مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برجل يصلي واضع شماله على يمينه، فانتزعها فوضع يمينه على شماله».

علي: إن من السنّة أن يضع الرجل يده اليمنى على اليسرى في الصلاة تحت السرة.

أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاث من النبوة: تعجيل الإفطار، وتأخير السحور، ووضع اليد اليمنى على اليد اليسرى في الصلاة».

(٨٢) كليلة: كلية، م، ي.

(٨٣) يضيعوا: يضيعون، م، ي.

عن علي: من أخلاق الأنبياء وضع الكف على الكف[٨٤] تحت السرة.

وعن أبي حنيفة: يضع تحت السرة ويقبض بكفه اليمنى على يده اليسرى.

وعند الشافعي يضع على الصدر.

وروى «أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يضع يده اليمنى على اليسرة في الصلاة» ابن مسعود، وشداد بن شرحبيل، وابن عباس، وعمرو[٨٥] بن حريث وجماعة.

مبحث في الوتر

الوتر واجبة عند أبي حنيفة، وعند أبي يوسف ومحمد سنّة، وعندنا ثلاث ركعات، وعند الشافعي ركعة، وعندنا يقنت في كل السنة، وعند الشافعي في النصف الأخير من رمضان، ويجهر بالقنوت عند محمد، ويخفي عند أبي يوسف، ويقنت قبل الركوع، وعند الشافعي بعده، وليس هذا موضع هذه المسألة، ونشير في كل مسألة إلى نكتة.

أما وجوب الوتر: فلما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «إن الله زادكم صلاة فصلوها، ما بين العشاء الآخرة إلى طلوع الفجرن ألا وهي الوتر»، فبيّن أنها زيادة فلا بد أن تكون[٨٦] على مقدار، وبين وقتها، وأمر بها.

أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الوتر حق، ومن لم يوتر فليس منا»، وقال: «إن الله وتر يحب الوتر».

فأما كونها ثلاثًا: فلما روى ابن مسعود «أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أوتر بثلاث، وقنت قبل الركوع»، وهذا بيان.

وعن ابن عباس «أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي من الليل ثمان ركعات ويوتر بثلاث».

وعن عائشة «أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي بالليل أربعًا ثم أربعًا ويوتر بثلاث».

٨٤) الكف: الأكف، م، ي. عون المعبود شرح سنن أبي داود ٢/ ٨.
٨٥) عمرو: عمر، م، ي. السنن الكبرى للبيهقي ٢/ ٣٧٤.
٨٦) تكون: تكونن، م، ي.

ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «وتر الليل كوتر النهار صلاة المغرب».

وعن محمد بن كعب «أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن البتيراء أن يوتر الرجل بركعة».

وعن ابن مسعود: ما أجزأت[٨٧] ركعة قط.

فأما القنوت في جميع السنّة: فلما روي عن أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قنت في الوتر، ولأنها من سنّة الوتر، وكانت من سنتها في جميع السنة.

فأما كونها قبل الركوع: فروى ابن مسعود وأبي بن كعب وابن عباس «أنه قنت قبل الركوع».

مبحث في صلاة الضحى

هي سنّة عندنا.

روي عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أبا ذر، إن صليت الضحى ركعتين لم تكن من الغافلين، وإن صليت أربعًا كنت من المسبحين، وإن صليت ستًا لم يتبعك يومئذ ذنب، وإن صليت ثماني كنت من العابدين، وإن صليت اثنتى عشرة ركعة بنى الله لك بيتًا في الجنة».

ويقال أيضًا: صلاة داود.

وقيل في قوله: ﴿يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ [ص:١٨]، وفي قوله: ﴿بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ﴾ [غافر:٥٥] إن المراد به صلاة الضحى.

وعن أبي الدرداء: أوصاني خليلي بثلاث لست بتاركهن أبدًا ما حييت: أن أصلي صلاة الضحى ولو ركعتين، وأن أصوم من كل شهر ثلاثة أيام، وألّا أنام إلا على الوتر.

مبحث في صلاة الاستسقاء

عند أبي حنيفة السنة فيها الدعاء، وعند أبي يوسف ومحمد كالفجر، وعند محمد كالعيدين. وقال تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [نوح:١٠.

(٨٧) أجزأت: أحبرت، م، ي. المعجم الكبير للطبراني ٩/ ٢٨٣.

١١]، وقال تعالى: ﴿ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا﴾ [هود:٥٢]، ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ[٨٨] ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف:٩٦] ونظائرها.

وروي أنه استسقى ودعا فلم يصلِّ، وقد ذكرنا خبر الاستسقاء في المعجزات، وعمر استسقى بالعباس ولم يصلِّ، وعندنا لو صلى جاز، ولكن ليس فيه صلاة مسنونة.

وروى أبو هريرة أنه صلى صلاة الاستسقاء ركعتين.

وروى ابن عباس أنه صلى في الاستسقاء ركعتين كما يصلي في العيدين.

وعن عطاء بن أبي مروان عن أبيه أن عمر خرج يستسقي فلم يزد على أن قال: استغفروا ربكم إنه كان غفارًا.[٨٩]

زيد العمي، عن أبي الصِّدِّيق الناجي قال: خرج سليمان عليه السلام يستسقي، فمر بنملة مستلقية رافعة قوائمها إلى السماء، وهي تقول: اللهم إنا خَلْقٌ من خلقك ليس بنا غنى عن سقياك ورزقك، فإما أن تسقينا[٩٠] وإما أن تهلكنا[٩١]، فقال سليمان: ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم.

عن الأوزاعي قال: خرج الناس إلى الاستسقاء، فقام فيهم بلال بن سعد، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا معشر من حضر، ألستم مقرين بالإساءة؟ قالوا: اللهم نعم، فقال: اللهم إنا سمعناك تقول: ﴿مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖ﴾ [التوبة:٩١]، وقد أقررنا بالإساءة، وهل تكون مغفرتك إلا لمثلنا، فاغفر لنا وارحمنا واسقنا، ورفع يده ورفعوا أيديهم، فسقوا.

وقيل: لابن السماك في زمن الجدب: ألا تستسقي؟[٩٢] فقال: [لئن] قحط [قحط] على قوم لم يصبروا، ولئن فرَّج فرج على قوم لم يشكروا، فاستغفروا ربكم من قلة صبركم وشكركم، فربكم أعلم بكم.

٨٨) اهل القرى: أهل الكتاب، م، ي.م، ي. وما أثبتناه من المصحف.
٨٩) مصنف ابن أبي شيبة ٢/ ٢٢١.
٩٠) أن تسقينا: اسقينا، م، ي. مصنف ابن أبي شيبة ٦/ ٦٢.
٩١) أن تهلكنا: أهلكنا، م، ي. مصنف ابن أبي شيبة ٦/ ٦٢.
٩٢) ألا تستسقي: الاستسقا، م ي.

وقيل لمالك بن دينار: لقد خرج الناس للاستسقاء، فقال: أنتم تستبطئون المطر وأنا أستبطئ[٩٣] الحجر.

وروى طلحة قال: أرسلني مروان إلى ابن عباس أسأله عن سنة الاستسقاء، فقال: «خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متضرعًا فصلى ركعتين كما يصلي في العيدين ثم استسقى».

مبحث في صلاة الكسوف

عندنا ركعتان[٩٤] كهيئة الفجر، وعند الشافعي في كل ركعة ركوعان، وعند الزيدية في كل ركعة خمسة[٩٥] ركوعات، وموضعه مسائل الفقه.

وروى أبو مسعود الأنصاري أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الشمس والقمر ليسا ينكسفان[٩٦] لموت أحد من الناس، ولكنهما آيتان من آيات الله، فإذا رأيتموهما فصلوا»[٩٧].

وروى ابن مسعود قال: انكسفت الشمس على عهد رسول الله، فقال الناس: إنما انكسفت لموت إبراهيم، فقام صلى الله عليه وآله وسلم فخطب، وقال: «إذا رأيتم ذلك فاحمدوا الله وكبروا حتى تنجلي، ثم نزل فصلى ركعتين».

وروى أبو موسى قال: انكسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقام فزعًا يخشى أن تكون الساعة حتى أتى المسجد، فقام يصلي فأطال القيام والركوع والسجود، قال: «إن هذه الآيات ترسل لا تكون لموت أحد ولا لحياته، ولكن الله يرسلها يخوف بها عباده، فإذا رأيتم منها شيئًا فاسعوا إلى ذكر الله واستغفروه».

وعن الحسن عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «أنه [صلى في الكسوف عشر][٩٨] ركعات في أربع سجدات».

وروى طاوس «أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلى ثمان ركعات في أربع سجدات».

(٩٣) أستبطئ: أستبطي، م، ي.
(٩٤) ركعتان: ركعتين، م، ي.
(٩٥) خمسة: خمس، م، ي.
(٩٦) ينكسفان: بيكسفان، م، ي.
(٩٧) مصنف ابن أبي شيبة ٢/ ٢١٦.
(٩٨) أنه قال في ركعات: +، م ي

وروى ابن عباس وعائشة «أنه صلى صلى الله عليه وآله وسلم أربع ركعات في أربع سجدات».

وعن جابر «أنه صلى ست ركعات في أربع سجدات».

وعن علي صلى الله عليه وآله وسلم: «أنه صلى ثمان ركعات في أربع سجدات».

وروى أنه صلى مثل ما يقوله أبو حنيفة ابن مسعود، وأبو مسعود، وابن عمر، وأبو بكرة، وأبو قبيصة، وسمرة بن جندب، والنعمان بن بشير.

مبحث في الصلوات النوافل

هذا على ضربين: منها ما هو سنّة كركعتي الفجر وما يشبهه، ومنها: ما ليس بسنة.

أما السنّة: فركعتان قبل الفجر، وأربع قبل الظهر وركعتان بعده، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العتمة.

وروي: أربع قبل العصر، وأربع قبل العشاء الآخرة وأربع بعده[٩٩]، وثمان ركعات صلاة الليل، هذا ما قبل الفرض وبعده.

فأما ما ليس بتبع الفرض فكثير ليس هذا موضعه.

فأما النافلة: فصلاة الليل والنهار إن شاء صلى ركعتين وإن شاء صلى أربعًا، وعند أبي يوسف ومحمد صلاة الليل مثنى مثنى.

أما توابع الفرض: فقد وردت فيها آثار كثيرة نذكر بعضها:

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها، صلوهما ولو قتكم الخيل».

وروت أم حبيبة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من صلى ثنتي عشرة ركعة في ليوم والليلة بني له بيت في الجنة: ركعتان قبل طلوع الفجر، وأربع قبل الظهر وركعتان بعدها، كعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء».

٩٩) بعده: بعدع، م، ي.

فأما سنّة الظهر فقد روي أن عليا سئل عن صلاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالنهار فقال: أربع قبل الظهر وركعتان بعدها.

وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أربع ركعات بعد الزوال يعدلن صلاة السحر» ولحديث أم حبيبة.

وروى أبو أيوب الأنصاري أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم داوم على أربع ركعات بعد الزوال، فقلت: يا رسول الله ما هذه الصلاة التي تداوم عليها؟ فقال: «يا أبا أيوب، إن الشمس إذا زالت فتحت أبواب السماء فلا[١٠٠] تُرْتَج[١٠١] حتى يصلى الظهر، فأحببت أن يصعد لي فيها عمل صالح»، قلت: أفي كلهن قراءة؟ قال: «نعم»، قلت: بتسليمة واحدة؟ قال: «نعم».

وركعتان بعد المغرب، وروى ابن عباس «أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي بعد المغرب ركعتين».

وعن ابن مسعود قال: من صلى بعد العشاء أربع ركعات كن كمثلهن من ليلة القدر.

وعن عائشة وعمر «أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي بعد العشاء أربعًا»، وفي حديث أم حبيبة «ركعتين».

وروي عن علي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «أنه صلى قبل العصر أربعًا».

فأما سائر النوافل فقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من توضأ فأحسن وضوءه وصلى ركعتين لا سهو [فيهما][١٠٢] غفر له ما تقدم من ذنبه».

أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «حبب إلي من دنياكم ثلاث: الطيب، والنساء، وجعل قرة عيني في الصلاة، والجائع يشبع، والظمآن يروى، وأنا لا أشبع من الصلاة».

وعن سلمان قال: اشتكيت بطني، فمر بي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «اشكمت درد» [يعني تشتكي بطنك بالفارسية]؟ قلت: بلى، قال: «فصلِّ فإن الصلاة شفاء»[١٠٣].

---

(١٠٠) فلا: فلم، م، ي. المعجم الكبير للطبراني ٤/ ١٦٨.

(١٠١) لا تُرْتَجُ: أي: لاتُغلق، يقال: رَتَجَ البابَ رَتْجًا: أغلقه. تاج العروس (رتج).

(١٠٢) أمالي أبي إسحاق ١/ ٤٥.

(١٠٣) حاشية السندي على ابن ماجة، ٢/ ٣٤٤.

مبحث في صلاة الليل

قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة:١٦]، وقال: ﴿كَانُوا[١٠٤] قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات:١٧]، ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران:١٧] ونحوها من الآيات.

وقيل: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في خمسة أشياء: إنها خير من الدنيا وما فيها:

أحدها: التكبيرة الأولى قال: «التكبيرة الأولى خير من الدنيا وما فيها».

والثاني: ركعتا الفجر قبل الفريضة، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها».

والثالث: جزاء سعد بن معاذ على منديله الذي تصدق به، فقال عليه السلام: «لمناديل سعد في الجنة خير من الدنيا وما فيها».

والرابع: قوله: «لموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها».

والخامس: في صلاة الليل قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل خير من الدنيا وما فيها».

وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أشراف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل».

بلال عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وإن قيام الليل قربة[١٠٥] إلى الله، ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسم».

وروى جابر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن أم سليمان قالت لسليمان: يا بني لا تكثر النوم بالليل، فإن كثرة النوم بالليل تدع الرجل فقيرًا يوم القيامة».

١٠٤) كانوا: وكانوا، م، ي. وما أثبتناه من المصحف.
١٠٥) قربة: قربًا، م، ي. سنن الترمذي ٥/ ٤٤٤.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «رحم الله عبدًا قام[١٠٦] من الليل فصلى وأيقظ أهله فصلوا، إن من أفضل[١٠٧] الأعمال صلاة الرجل بالليل، والذي نفس محمد بيده إن الرجل إذا قام من الليل يصلي تسبّح معه ثيابه وما حوله».

يحيى بن معاذ: الليل طويل[١٠٨] فلا تقصره بمنامك، والعمر[١٠٩] قصير فلا تطوله بآثامك.

أبو بكر بن عياش: بينا أنا نائم إذ أتى آت، فقال:

وكيـف تنـام العيـن وهـي قريـرة ولـم تـدر فـي أي المحليـن تنـزل

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي بالليل حتى تتورم قدماه فقيل له: ما هذا وقد غفر لك؟ فقال: «أفلا أكون عبدا شكورا».

أبو ذر: صلِّ ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور، وصُمْ يومًا شديدًا حره ليوم النشور، وحج حجة لعظائم الأمور، وتصدق بصدقة على مسكين لعلك تنجو من هول[١١٠] يوم عسير.

سلمان قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم، فقال: «يا سلمان ما جاء بك في هذا الوقت»؟ فقال: جئت أنظر إلى وجهكم، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: «أنت سلمان امرؤ منا أهل البيت، ألا أحدثكم عن غرائب حديثي»؟ قلت: بلى يا رسول الله مُنَّ علي به، قال: «نعم يا سلمان، ما من عبد يقوم في ظلمة من الليل وغفلة من الناس فيستاك ويتوضأ ويمشط لحيته، ويأخذ من صالح ثيابه، وإن حضره طيب مسه، وإن لم يحضره يمسح بالماء فإنه طيب أهل العبادة، ثم يستقبل القبلة بكل قلبه - يعني لا يريد سواه - فصلى ركعتين وجيزتين فيهما تمام ركوعهما وسجودهما، يقرأ في أول الركعة بـ(فاتحة الكتاب) و(قل يا أيها الكافرون)، وفي الثانية بـ(فاتحة الكتاب) و(قل هو الله أحد) ثلاث مرات، ويتشهد ويسلم ثم يشخص ببصره إلى السماء، ويقول في خفية: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، لا ينفع ذا الجد منك الجد، هب لنا برحمتك وقدرتك ومنك

(١٠٦) قام: أقام، م، ي. انظر: مصنف ابن أبي شيبة ٣/ ٧٣.

(١٠٧) أفضل: فضل، م، ي. الهادي للمهتدي في الفضائل ص٥٨.

(١٠٨) طويل: طرف، م، ي. تنبيه الغافلين ص٢٣.

(١٠٩) العمر: العمير، م، ي.

(١١٠) هول: هو، م، ي.

وفضائلك علمًا نافعًا، وعملًا متقبلًا، ورزقًا طيبًا واسعًا، وعاقبة جامعة تجمع لنا خير الدنيا والآخرة، فإنك رحيم، وإنك على كل ما تشاء قدير، وإنك ذو منّ كثير، وإنك ذو فضل عظيم، ثم يلقي وجهه بيده، ثم يقوم فيصلي ركعتين وجيزتين يقرأ في أحدهما (فاتحة الكتاب) و(قل أعوذ برب الفلق)، وفي الثانية بـ(فاتحة الكتاب) و(قل أعوذ برب الناس)، ويتشهد ويسلم ثم يشخص ببصره إلى السماء ويقول في خفية: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير إلهًا واحدًا صمدًا لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، سبحانه بل له ما في السماوات والأرض كل له قانتون، بديع[111] السماوات والأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون، يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة تعطي بها من تشاء وتمنع منها من تشاء، اقض عنا الدين واغننا من الفقر، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، إلا جعل الله يا سلمان بينه وبين جهنم ستة خنادق، ما بين الخندق إلى الخندق كما بين السماء والأرض، وكتب له بكل ركعة سبعين ركعة، ويقول له حافظاه: لو تعلم ما أعطاك الله في هذه من الخير بهذه الأربع الركعات لم تغمض سائر الليلة، فإن رزقه الله بعدها أربع ركعات يقول الله: زيدوه فإن[112] عبدي لم يرد[113] سواي، وله علي ثلاث خصال: العصمة في الدنيا، وتنوير قبره بعد الموت، ومحاسبته حسابًا يسيرًا، فيقول الملائكة الموكلون به: طوبى لك يا صاحبنا»، فخر سليمان ساجدًا شكرًا لله بما سمع من نبيه صلى الله عليه وآله وسلم.

جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من كثرت صلاته[114] بالليل حسن وجهه لنهار[115]».

قال أبو عبيدة: قلت للحسن: ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوهًا؟ فقال: لأنهم ا بالرحمن وكساهم من نوره.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «رحم الله رجلًا قام من الليل همسًا، ثم توضأ همسًا، صلى همسًا، ثم رجع إلى فراشه همسًا».

١١١) بديع: بدين، م، ي.
١١٢) فإن: فإنه، م، ي.
١١٣) يرد: يود، م، ي.
١١٤) كثرت صلاته: كثر كلامه، م، ي. سنن ابن ماجه ١/ ٤٢٢.
١١٥) بالنهار: بالنار، م، ي..

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن في الجنة لغرفًا[116] من ياقوت أحمر يرى ظهورها من بطونها»، فقام أعرابي فقال: لمن هي يا نبي الله؟ قال: «لمن أطاب الكلام، وأفشى السلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى والناس نيام»، قالوا: يا رسول الله ومن يطيق هذا؟ قال: «أنتم، ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله»؟ قالوا: نعم، قال: «فهذا أطيب[117] الكلام»، قال: «أليس يلقى أحدكم صاحبه فيسلم عليه»؟ قالوا: بلى، قال: «فهذا أفشى السلام»، قال: «أليس يطعم أحدكم نفسه وعياله»؟ قالوا: بلى، قال: «فهذا إطعام الطعام»، ثم قال: «ألستم تصومون شهر رمضان»؟ قالوا: بلى، قال: «فذاك دوام الصيام»، قال: «ألستم تصلون العشاء في جماعة»؟ قالوا: بلى، قال: «فتلك صلاة الليل والناس نيام».

سمرة بن جندب قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمرنا بقيام الليل، بما قلَّ أو كثر[118]، وأن نجعل آخر ذلك وترًا».

ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما زال جبريل يوصيني بقيام الليل حتى ظننت أن خيار أمتي لا ينامون».

أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الشتاء ربيع المؤمن، قصر نهاره فصامه، وطال ليله فقامه».

عمير: الشتاء غنيمة العابدين.

الحسن: ما رأيت مثل الشتاء للمؤمن: ليل طويل يقومه، ونهار قصير يصومه.

شعر:

أتسجد جبهتي لك يا إلهي ... وتفضحها غدًا بين الجباهِ
لئن نفسي سهت عنك اغترارًا ... فأنت عن التكرم غير ساهي

آخر:

جنبي تجافى عن الوساد ... خوفًا من[119] الموت والمعادِ
من خاف من سكرة المنايا ... لم يدر ما لذة الرقادِ

---

(١١٦) غرفًا: غرفة، م، ي. مسند أبي يعلى الموصلي ١/ ٣٤٤.

(١١٧) اطيب: طيب، م، ي..

(١١٨) بما قلّ أو كثر: وأقل وأكثر، م، ي. مجمع الزوائد ٢/ ٤٣٢.

(١١٩) خوفًا من: مخافة، م، ي. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ٥/ ٢٩٩.

ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وأنتم تقرأون من الكتاب: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة:١٧].

وروي عن عطية في قوله: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾ [الفتح:٢٩]، قال: تهيج[١٢٠] [في الوجه] من سهر الليل[١٢١].

ولما علم السلف بفضائل التهجد فمنهم من يتخذ له يومًا على حدة كعمران بن الحصين، وعمر بن عبد العزيز.

ومنهم من طوى فراشه كما روي عن سليمان التيمي أنه لم يفرش له أربعين سنة. ولم تتوسد معاذة[١٢٢] بعد أبي الصهباء حتى ماتت[١٢٣].

ومنهم من كان يحيي الليل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كعثمان بن عفان.

وكان أبو إسحاق الأزدي يحيي الليل في ركعتين، وكانت رابعة تصلي إلى طلوع الشمس، وكان أبو حنيفة يحيي الليل صلاة.

شعر:

تعـود سـهر الليـل ... فـإن النـوم خسـرانُ
ولا تركـن إلـى الذنـب ... فعقبـى الذنـب نيـران
وكـن للوحـي درَّاسـا ... فللقـرآن أخـدان[١٢٤]
يميلـون كمـا مالـت ... مـن الأريـاح أغصـان

قال وهب بن الورد لأبي محمد المكي: ألا تنام؟ قال: وكيف يأخذني النوم مع أعاجيب القرآن.

آخر:

يـا نائمًـا والخطـوب توقظـه ... مـن كان يخشـى المعـاد لـم ينـم

١٢٠) تهيج: بهيج، م، ي.
١٢١) تفسير الطبري، ١١/ ٣٧١.
١٢٢) تتوسد معاذة: يتوسد معاده، م، ي. صفة الصفوة ١/ ٤٠٣.
١٢٣) ماتت: مات، م، ي. صفة الصفوة ١/ ٤٠٣.
١٢٤) للقرآن أخدان: للقراء إخوان، م، ي، مصارع العشاق ص١٩١.

وعن معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ألا أدلك على أبواب الخير: الصيام جنة، وقيام العبد في جوف الليل يكفر الخطيئة، ثم تلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ..﴾ الآية [السجدة:١٦].

أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما رأيت مثل الجنة نام طالبها، ولا مثل النار نام هاربها»، وكان يتمثل بهذين بعض الصالحين.

شعر:

نهـارك يـا مغـرور سـهو وغفلـة وليلـك نـوم والـردى لـك لازمُ
وتنصـب فيها سـوف تكره عِبْأه[١٢٥] كذلـك فـي الدنيـا تعيـش البهائـم

مبحث في صلاة الجمعة

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ﴾ [الجمعة:٩]، قال: إن الله تعالى خص أمة محمد بعشرين خصلة:

خمس في القلب: الندم توبة، ونية المؤمن خير من عمله، مَنْ هَمّ بحسنة فهي له، ورفع عنهم الخطأ والنسيان، ورفع عنهم ما استكرهوا عليه.

وخمس في الأفعال: الصف في الصلاة وفي الجهاد، والتيمم، والثالث أن يصلي أينما كان، وتطهير الثوب بالماء، والقصر والفطر في السفر.

وخمس في الأقوال: الخطب في الأعياد، والاستعاذة عند القراءة، والأذان، والاسترجاع عند المصيبة، والتأمين.

وخمس في الأوقات: يوم عرفة، والفطر، والأضحى، وليلة القدر، وليلة الجمعة.

والكلام في فضل الجمعة يأتي من بعد. فأما صلاة الجمعة ففيه ثلاثة فصول: منها: وجوبها، وأداؤها، ومَنْ تركها.

ولا خلاف أن صلاة الجمعة فريضة، واختلفوا في شرائط الوجوب، فعند أبي حنيفة تجب في مصر جامع بإمام وجماعة من وقت الظهر، ثم ينعقد بثلاثة سوى الإمام، وعند الشافعي كل موضع كان ثم أربعون نفرًا مقيمون تجب الجمعة.

---

(١٢٥) عِبْأه: عبّه، م، ي. موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا ٦/ ١٤٧.

وروى جابر قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يا أيها الناس، توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، وتقربوا إلى الله بالعمل الصالح قبل أن تشغلوا، وتحببوا إليه بالصدقة في السر والعلانية ترزقوا وتبصروا، واعلموا أن الله كتب عليكم الجمعة في يومي هذا، في مقامي هذا، في شهري هذا، فريضة واجبة إلى يوم القيامة، فمن تركها استخفافًا بها أو جحودًا لها في حياتي أو بعد وفاتي وله إمام عادل أو جائر فلا جمع الله شمله، ولا أتم له أمره، ألا لا صلاة له، ألا لا زكاة له، ألا لا حج له، ألا لا صوم له، إلا أن يتوب، فمن تاب تاب الله عليه».

أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهما».

عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يحضر الجمعة ثلاثة أنفار: رجل حضرها بلغو فهو حظه منها، ورجل حضرها بدعاء فهو رجل دعا الله، فإن شاء أعطاه، وإن شاء منعه، ورجل حضرها بوقار وإنصات(١٢٦) وسكون، ولم يتخط رقبة مسلم، ولم يؤذ أحدًا فهو كفارة(١٢٧) إلى الجمعة التي تليها وزيادة ثلاثة أيام؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام:١٦٠]».

فأما [ما جاء من] الوعيد في تركها: فروى جابر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعةُ يومَ الجمعة إلا مريض أو مسافر أو امرأة أو صبي أو مملوك، فمن استغنى عنها بلهو أو تجارة استغنى الله عنه والله غني حميد».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «من ترك الجمعة من غير ضرورة [كُتب] منافقًا في كتاب لا يمحى ولا يبدل»(١٢٨)، رواه ابن عباس.

ليث بن حكيم: من ترك الجمعة من غير عذر لم تكن له كفارة إلى يوم القيامة.

عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «هممت أن آمر رجلًا يصلي بالناس ثم أحرّق(١٢٩) على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «من ترك الجمعة ثلاث مرات من غير ضرورة طبع على
.»

١٢٦) إنصات: إنصاف، م، ي. صحيح ابن خزيمة ٣/ ١٥٧.
١٢) كفارة: صلاة، م، ي. صحيح ابن خزيمة ٣/ ١٥٧.
١٢) مسند الشافعي ١/ ٧٠.
١٢) أحرّق: أخرت، م، ي. مسند أحمد ٧/ ٤٠٧.

فأما آدابها: فمنها: الغسل، لما روى ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا[١٣٠] أتى أحدكم الجمعة فليغتسل».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «من غسل واغتسل، وبكر وابتكر، واقترب[١٣١] واستمع، كتب الله له بكل خطوة قيام سنة وصيام سنة».

أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «اغتسلوا يوم الجمعة ولو كأسٌ بدينار».

ومنها: شرائطها: فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتطيب يوم الجمعة.

ومنها: يلبس أحسن ثيابه، كان رسول الله يفعل ذلك، وكان لتميم الداري حلة اشتراها بألف درهم يصلى[١٣٢] فيها.

ومنها: السعي، لقوله: ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة:٩]، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ائتوها وعليكم السكينة والوقار». وعن [عمر]: السعي: الائتمار لأمر الله، وليس المراد بالسعي العدْو، وإنما أراد فعل الجمعة.

ومنها: الأفضل الأقرب إلى الإمام، الحسن عن سمرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «احضروا الجمعة، وادنوا من الإمام، فإن الرجل ليتخلف عن الجمعة، حتى إنه ليتخلف عن الجمعة وإنه لمن أهلها».

ولا يتخطى رقاب الناس، ويستقبل القبلة، وينصت إلى الخطبة.

ومن السنة قصر الخطبة، وطول الصلاة. والأخبار والكلام في هذا يطول.

مبحث في صلاة[١٣٣] الجماعة

الكلام فيه من خمسة أوجه: ذكر الجماعات، ومنها الآيات التي تدل على فضل الجماعة، ومنها فضل الجماعة، ومنها الوعيد في ترك الجماعة، ومنها ذكر من[١٣٤] فاتهم الجماعة من المؤمنين.

(١٣٠) إذا: من، م، ي. سنن أبي داود ١/ ٩٤.

(١٣١) وابتكر واقترب: وانتكروا واقترا، م، ي.

(١٣٢) يصلى: صلى، م، ي.

(١٣٣) صلاة: فضل، م.

(١٣٤) من: ما، م، ي.

مطلب في ذكر الجماعات

أما الأول: فجماعة في كل سنة مرة؛ جماعة الحج بعرفة والمزدلفة للوقوف.

وجماعة في كل أسبوع مرة؛ للجمعة.

وجماعة تكون في كل يوم للصلوات.

وجماعة تكون مرة واحدة؛ جماعة القيامة ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جَمَعۡنَٰهُمۡ﴾ [آل عمران:٢٥].

مطلب في الآيات التي تدل على فضل الجماعة

فأما الآيات: فقوله: ﴿وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة:٤٣]، ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩]، وقوله: ﴿لَمۡ نَكُ[١٣٥] مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ﴾ [المدثر:٤٣].

وقوله: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء:٢١٩] قيل: صلاتك في الجمعة، عن مقاتل.

وقوله: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ﴾ [آل عمران:١٣٣] قيل: صلاة الجماعة.

وقوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾ [الكهف:٢٨] يعني الذين يشهدون الجماعات.

وقوله: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء:١٠٢] فإذا لم تسقط الجماعة في مثل هذه الحالة دل على تأكدها.

وقوله: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة:٢].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا﴾ [الصف:٤].

مطلب في فضل الجماعة

فأما فضل الجماعة: فروى مالك عن نافع عن ابن عمر، وروى سعيد بن المسيب عن أبي ة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «صلاة الجماعة أفضل من صلاة أحدكم وعشرين جزءًا».

١٣٥) تك: نكن، م، ي. وما أثبتناه من المصحف.

عن ابن مسعود: مَنْ سَرَّه أن يلقى الله غدًا مسلمًا فليحافظ على هذه الصلوات حين ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى، وإنها من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المصلي في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور، ثم يعمد إلى المسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بك خطوة حسنة، ويرفع بها درجة، ويحط بها عنه سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين اثنين حتى يقوم في الصف.

ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من صلى أربعين صباحًا يدرك التكبيرة الأولى مع الإمام كتب الله له براءة من النار».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «سووا صفوفكم، فإن تسوية الصفوف من تمام الصلاة».

وعن عبد الواحد بن زياد قال: دخل عثمان المسجد بعد صلاة المغرب، وقعد وقعدت إليه، فقال: يا ابن أخي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من صلى العشاء في جماعة فكأنما أقام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله».

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه خطب الناس وقال: «يا أيها الناس، من صلى الصلاة في جماعة [حيث ما](١٣٦) كان في أوقاتها جاز على الصراط كالبرق اللامع في أول زمرة من السابقين، وجاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر، وكان له بكل يوم حافظ على الجماعة أجر قتيل في سبيل الله».

عمرو بن سهل بن سعد وأبو سعيد الخدري عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «بشر المشائين إلى المساجد في الظلم بنور تام يوم القيامة»، وقال: «لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد»، وعنه: «إن الشيطان ليفزع من اجتماع الناس في المساجد».

وعن الحسن: اجتمع أربعة نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال أحدهم: ما يسرني أن التكبيرة الأولى فاتتني وإن صليت من المغرب إلى الفجر.

وقال عليه السلام: «إن أعظم الناس أجرًا في الصلاة أبعدهم إليها ممشى، والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها ثم ينام».

(١٣٦) علم القلوب لأبي طالب المكي ص١٩٤.

مطلب في الوعيد في ترك الجماعة

فأما الوعيد في تركها: فروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلًا فيصلي بالناس، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار».

أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن جبريل قال: «يا محمد، إن الله يقرئك السلام، ويقول لك: بلغ أمتك أنه من فارق الجماعة لم يجد رائحة الجنة، وإن كان أكثر أهل الأرض عملًا، يا محمد من فارق الجماعة فعليه لعنتي ولعنة ملائكتي، يا محمد من ترك الجماعة فهو عندي شر من قاتل النفس، يا محمد تارك الجماعة شر من شارب الخمر والنباش، يا محمد تارك الجماعة أدخله مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن يجد له نصيرًا».

وعنه: «من مات مفارقًا للجماعة فقد مات ميتة جاهلية».

وروي «أنه صلى الله عليه وآله وسلم لعن ثلاثة: رجلًا أَمَّ قومًا وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها غضبان، ورجلًا سمع (حي على الصلاة) فلم يجيب».

وعنه: «ما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار».

فأما من فاتته التكبيرة الأولى وحرص على ذلك: فقد روي عن الربيع بن خثيم أنه عرض له لفالج، فكان يهادى بين اثنين، فقيل له: لو جلست فإن لك رخصة. فقال: من سمع (حي على لفلاح) فليجب وإن كان حبوًا.

وقيل لسعيد بن المسيب: إن طارقًا[١٣٧] يريد قتلك فغيب نفسك، واجلس في بيتك، فقال: سمع (حي على الفلاح) فلا أجيب؟

جاء ميمون بن مهران وقد صلى الناس، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، لفضل هذه الصلاة ن أحب إلي من ولاية العراق.

وروي أن أبا بكر فاتته التكبيرة الأولى بسبب عير، فتصدق بجميعها.

١) طارقا: طارق، م، ي. تفسير الثعلبي ٦/ ٢٦٢.

فصل في الصوم

الكلام فيه من أربعة أوجه: في صيام رمضان وما في فضله، من لم يقبل منه صيام رمضان، الصوم النافلة، السحور.

أما صوم رمضان: فقال تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ [البقرة:١٨٥]، وإنه من الأركان التي يكفر جاحدها، ويفسق تاركها.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من صام رمضان وقامه إيمانًا واحتسابًا خرج من الذنوب كيوم ولدته أمه»، رواه عبد الرحمن بن عوف.

وقال عليه السلام: «صيام رمضان بعشرة أشهر، وصيام ستة أيام بشهرين، فذلك صيام السنة»، وروواه ثوبان، وقال: «صوم شهر الصبر وصوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر، ويذهب بوحر[١٣٨] الصدور»، رواه علي.

وعن سلمان قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في آخر شعبان وقال: «قد أظلكم شهر عظيم، شهر مبارك، شهر الصوم، من صامه وقامه إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «نوم الصائم عبادة، وصمته تسبيح، ودعاؤه مستجاب، وعمله مضاعف»، رواه ابن أبي أوفى.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، قال الله تعالى: يدع طعامه وشرابه وشهوته لأجلي، الصيام لي وأنا أجزي به، كل حسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة، إلا[١٣٩] الصيام فإنه لي وأنا أجزي به»، رواه أبو هريرة.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن في الجنة بابًا يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل معهم غيرهم فيقال: أين الصائمون؟ فيقومون، فيدخلون الجنة منه، فإن دخل آخرهم أغلق فلم يدخله أحد»، رواه سهل بن سعد الساعدي.

فأما من لم يقبل منه صوم رمضان: فروت أم هانئ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

(١٣٨) وَحَرُ الصدور: أي غِلُّها وحِقْدُها وغَيْظُها. انظر: العين (وحر).

(١٣٩) إلا: إلى، م، ي. مسند أحمد ١٥/ ٤٤٥ م، ي.

«لن تُخزى أمتي ما أقاموا صيام شهر رمضان»، فقال رجل: وماخزيهم[١٤٠] في إضاعة شهر رمضان؟ قال: «انتهاك المحارم، من زنى فيه أو شرب خمرًا لم يتقبل الله منه شهر رمضان، ولعنه الله وملائكته والسماوات إلى مثله من الحول، فإن مات قبل أن يدركه رمضان فليس له عند الله حسنة يتقي بها النار، فاتقوا شهر رمضان، فإن الحسنات تضاعف فيه ما لا تضاعف فيما سواه، وكذلك السيئات».

وقال عليه السلام: «من أفطر يومًا من شهر رمضان من غير مرض ولا رخصة لم يقضه صيام الدهر»، رواه أبو هريرة.

وقال: «من أمتي من ليس له فضل شهر رمضان»، قالوا: ومن هو؟ قال: «من انتهك المحارم، أو شرب خمرًا، أو زنى، لم يقبل الله منه صوم رمضان، ولعنه ربه وملائكته»، رواه علي.

وقال: «رب صائم حظُّه من صيامه الجوع والعطش، ورب قائم حظه من قيامه السهر»، رواه أبو هريرة.

وقال: صلى الله عليه وآله وسلم: «من أفطر يومًا من رمضان لم يقضه صوم الدهر».

قيل[١٤١]: يا صائمًا أمسكت عن مشروب، ولم تصم عن زلل القلوب، إن كنت صمت لعالم الغيوب، فصم عن الخطا واللغو والذنوب.

قيل: تمسك عن الطعام ولا تمسك عن الآثام، وترتكب الأمور العظام ولا تخاف العلام، ولا تراقب الحِمَام[١٤٢]، ثم ترجو الجنة والنعم الجسام، هيهات هيهات، تمسك عن المأكولات ولا تمسك عن الخطايا الموبقات، وترجو من الله الجنات، هيهات هيهات.

والكلام في شهر رمضان وصومه يأتي في فضيلة الأزمنة.

فأما صوم التطوع: فروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «الصيام جنة وحصن حصين من النار».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لو أن رجلًا صام لله يومًا تطوعًا، وأعطي ملء الأرض ذهبًا لم يستوف أجره دون يوم الحساب»، رواه أبو هريرة.

(١٤٠) ماخزيهم: ياخذهم، م، ي. العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ٢/ ٥٣٨.

(١٤١) قيل: شعر، م، ي.

(١٤٢) الحِمَام: الموت. لسان العرب (حمم).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «توضع للصائمين مائدة من ذهب فيأكلون والناس ينتظرون».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم لعبد الله بن عمر: «ألا أدلك على صوم الدهر، صم من كل شهر ثلاثة أيام»، قلت: إني أطيق، قال: «صم خمسة أيام»، قال: إني أطيق، قال: «فصم صوم داود، فإنه كان صوامًا قوامًا، صم[١٤٣] يومًا وافطر يومًا».

فأما السحور: فروى أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «تسحروا فإن في السحور بركة».

وقال: «نعم سحور المؤمن التمر»، رواه أبو هريرة.

ودعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى السحور وقال: «هلموا إلى الغداء المبارك». رواه العرباض بن سارية.

وروى الإمام أبو طالب بإسناده عن زيد بن علي، عن آبائه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا، ويصلون على المستغفرين والمتسحرين فليتسحر أحدكم ولو بجرعة ماء».

مبحث في التراويح

صلاة التراويح سنة، والجماعة فيها سنة نقلها الخلف عن السلف.

وروى أبو ذر قال: صمنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شهر رمضان، فلم يقم حتى بقي سبع من الشهر، فقام بنا نحوًا[١٤٤] من ثلث الليل، ثم كانت السادسة فلم يقم ليلة خمس وعشرين، ثم قام بنا ليلة سادس وعشرين حتى ذهب [نحوٌ] من شطر الليل، قلت: يا رسول الله لو نفلّتنا فننام بقية ليلتنا هذه، قال: «إنه من صلى مع الإمام حتى ينصرف كتب الله له بقية قيام ليلته»، قال: فلما بقي أربع لم يقم بنا، فلما بقي من الشهر ثلاث أرسل إلى أهله ونسائه، فقام بنا حتى حسبنا أن يفوتنا الفلاح، قلت: وما الفلاح؟ قال: السحور، ثم لم يقم بنا بقية الشهر[١٤٥].

(١٤٣) صم: ثم، م، ي.
(١٤٤) نحوًا: نحو، م، ي.
(١٤٥) سنن النسائي ٣/ ٢٠٣

وعن عائشة قالت: نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات ليلة في شهر رمضان فصلى خلفه ناس، فلما أصبحوا ذكروا ذلك، وكثر الناس في الليلة الثانية، فلما كان الليلة الثانية غص المسجد بأهله، فلم ينزل إليهم رسول الله تلك الليلة[١٤٦]، فلما أصبح ذكروا ذلك فقال: «قد علمت بمكانكم، وعمدًا فعلت ذلك».

ابن عباس قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي في شهر رمضان في غير جماعة عشرين ركعة والوتر».

أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه خرج ذات ليلة في رمضان فرأى ناسًا في ناحية المسجد يصلون، فقال: «ما يصنع هؤلاء»؟ فقال قائل: يا رسول الله هؤلاء ناس ليس معهم قارئ وأبي بن كعب يقرأ وهم يصلون بصلاته، قال: «قد أحسنوا»، ولم يكره ذلك لهم[١٤٠].

أبو سلمة بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الله تعالى فرض عليكم صيام شهر رمضان، وسننت لكم قيامه، فمن صامه وقامه إيمانًا واحتسابًا خرج من الذنوب كيوم ولدته أمه».

أبو سلمة عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «قد جاءكم شهر رمضان، فرض الله صيامه، وسننت لكم قيامه، فمن صامه وقامه إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

ابن جريج عن عطاء قال: كان القيام في رمضان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقوم الرجل هاهنا، ويقوم الرجل ويقوم النفر وراءه هاهنا، فلما ولي عمر جمعهم على قارئ واحد.

أبو إسحاق الهمداني قال: خرج علي عليه السلام في أول ليلة من رمضان والقناديل تزهو وكتاب الله يتلى في المساجد، فقال: نور الله لك يابن الخطاب في قبرك كما نورت مساجد الله لقرآن.

١٤٦) الليلة: الليل، م، ي. المنتخب من مسند عبد بن حميد ١/ ٣٥٧.

١٤) السنن الكبرى للبيهقي ٢/ ٦٩٧.

عطاء بن السائب: كان أصحاب علي يصلون في رمضان مع الإمام - أبو البختري(١٤٨) وميسرة وزاذان(١٤٩) - وكان علي يؤمهم.

مبحث في الاعتكاف

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ﴾ [البقرة:١٨٧]، وإنما هو اللبث في المساجد مع الصوم، ولا يصح الاعتكاف إلا بصوم عند أبي حنيفة، وعند الشافعي يصح، واللبث إنما يكون عبادة بغيره كالوقوف بعرفة والمزدلفة بالإحرام، والاعتكاف بالصوم.

ابن عمر قال: بني للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بيت من سعف في المسجد، فاعتكف فيه في آخر شهر رمضان، فكان يصلي فيه، فأخرج رأسه وقال: «إن المصلي يناجي ربه فليعلم أحد بما يناجيه، ولا يجهر بعضكم على بعض».

عائشة: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله.

الزهري: عجبًا للناس تركوا الاعتكاف، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفعل الشيء ويتركه، ولم يترك الاعتكاف مذ دخل المدينة إلى أن مات.

عطاء الخراساني: المعتكف(١٥٠) كمثل عبد ألقى نفسه بين يدي الله يقول: لا أبرح حتى تغفر لي.

وعن أبي وائل قال: قال حذيفة لابن مسعود: عكوف بين دارك ودار أبي موسى، وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا اعتكاف إلا المساجد الثلاثة: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»، فقال عبد الله: نسيت وحفظوا، وأخطأت وأصابوا.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا اعتكاف إلا بصوم»، وروي عن عائشة وابن عباس وابن عمر نحوه، وقال علي نحوه.

أبو سعيد الخدري قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اعتكف العشر الأوائل من

(١٤٨) أبو البختري: أبي البحتري، م، ي. المصنف لابن أبي شيبة ٢/ ١٦٦.

(١٤٩) زاذان: زادان، م، ي. المصنف لابن أبي شيبة ٢/ ١٦٦.

(١٥٠) المعتكف: المعتكفي، م، ي.

رمضان، ثم اعتكف العشر الأواسط في قبة تركية، وقال: «إني اعتكفت[١٥١] العشر الأوائل هذه الليلة، ثم اعتكفت[١٥٢] العشر الأواسط، ثم أُتيتُ[١٥٣]، فقيل: إنها في[١٥٤] العشر لأواخر من الشهر، فمن أحب منكم أن يعتكف فليعتكف، وإني أُرِيتُها[١٥٥] ليلة [وتر][١٥٦] ني أسجد صبيحتها في ماء وطين»، فأصبح من ليلة[١٥٧] إحدى وعشرين وقد قام إلى الصبح، ت السماء فوكف المسجد، فخرج حين[١٥٨] فرغ من صلاته وجبينه وأنفه فيهما[١٥٩] الماء الطين.

وسئل واحد عن الاعتكاف فقال: زمّ[١٦٠] النفس، وكف الجوارح، والوقوف بباب الرب.

فصل في الزكاة

قال الله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة:٤٣]، وقال: ﴿يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة:٣٥]، قيل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الكنز كل مال لم تؤد زكاته».

والزكاة ثلاث: زكاة النفس: التوحيد، قال الله تعالى: ﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ۝ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت:٦، ٧]، قيل: لا يقولون: لا إله إلا الله، وزكاة الفطر، قوله: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى:١٤]، وزكاة المال، وهي من الأركان التي يكفر جاحدها، ويفسق تاركها، وفي أدائها وعد الله خمس مثوبات:

الأولى: الإضعاف، قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ...﴾ إلى قوله: ﴿ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾ [الروم:٣٩].

١٥١) اعتكفت: أعتكف، م، ي. صحيح مسلم ٢/ ٨٢٥.
١٥٢) اعتكفت: أعتكف، م، ي. صحيح مسلم ٢/ ٨٢٥.
١٥٣) أُتيتُ: أبيت، م، ي. صحيح مسلم ٢/ ٨٢٥.
١٥٤) في: -، ي.
١٥٥) أُرِيتُها: رأيتها، م، ي، صحيح مسلم ٢/ ٨٢٥.
١٥٦) صحيح مسلم ٢/ ٨٢٥.
١٥٧) ليلة: ليلتي، م، ي. صحيح مسلم ٢/ ٨٢٥.
١٥٨) حين: حتى، م، ي. صحيح مسلم ٢/ ٨٢٥.
١٥٩) فيهما: في، م، ي. صحيح مسلم ٢/ ٨٢٥.
١٦٠) يقال: زَمَّ البعير بالزمام: شد عليه الخطام، والمعنى أنه كبح نفسه وألزمها الطاعة.

والثانية: الطهارة، ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:١٠٣].

والثالثة: الفلاح، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى:١٤].

والرابعة: النجاة من العذاب، قوله: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۞ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۞ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾ [المعارج:١٦-١٨].

والخامسة: [النجاة من] الكي، قوله: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ..﴾ الآية [التوبة:٣٥].

وقيل: في كل شيء زكاة، وزكاة الدار بيت الضيافة.

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «زكاة الجاه بذله للسائلين، وزكاة العلم إنفاقه». وفي كل عضو زكاة، فزكاة[١٦١] العين النظر بالعبرة، وزكاة اللسان كلمة الفطرة، ونحو ذلك. وقد وردت آيات كثيرة في وجوب الزكاة وفضلها، ونذكر بعضها في الخبر المعروف: «بني الإسلام على خمس.. وإيتاء الزكاة».

وروى ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الزكاة طهور من الذنوب، ولا يقبل الله الإيمان إلا بالزكاة».

وعنه: «صلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وحجوا بيت ربكم، تدخلوا جنة ربكم».

وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «خمسة لا يقبل الله منه شيء دون شيء: شهادة أن لا إله إلا الله ومحمد عبده ورسوله، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والجنة والنار والبعث، فهذه واحدة، والصلوات الخمس عمود الدين لا يقبل الله شيئًا إلا بالصلاة، ولا يقبل الله الإيمان إلا بالصلاة، والصلاة إلا بالزكاة، ولا يقبل الله الإيمان والصلاة والزكاة إلا بالصوم، صوم شهر رمضان، ولا يقبل الله ذلك كله إلا بالحج».

وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا يقبل الله صلاة رجل لا يؤدي زكاة ماله، فلا تفرقوا بينهما، فإن الله قد جمع بينهما»، وفي رواية معاذ عنه: «لا إيمان لمن لا صلاة له، ولا صلاة[١٦٢] لمن لا زكاة له».

---

(١٦١) فزكاة: وزكاة، م، ي.
(١٦٢) الزكاة: ولا زكاة، م، ي..

ولما أبت العرب [الزكاة] وقالوا: نصلي ولا نزكي، وأشار بعضهم إلى [أبي] بكر بقبول لصلاة أبي، وقال: لا أفرق[١٦٣] بين شيئين جمع الله بينهما، وإن منعوني عقالًا مما كانوا يؤدونه لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقاتلتهم عليه كما أقاتلهم على الصلاة.

إبراهيم بن أدهم: اثنان يزيدان في المال: الزكاة، وصلة الرحم. وكان بعضهم يتصدق بجميع ماله حتى لا تجب عليه الزكاة، كما قال بعضهم في ذلك شعرًا:

ملأت يدي[١٦٤] من الدنيا مرارًا ... وما[١٦٥] طمع العواذل في اقتصادِ

وما وجبت عليّ زكاة مالٍ ... وهل تجب الزكاة على الجوادِ

وقد مدح الله تعالى من أدّى[١٦٦] الزكاة، فقال: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ [الذاريات:١٩] ونحوه.

فأما الوعيد من[١٦٧] ترك الزكاة سوى الآية فقوله: ﴿وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ﴾ [المدثر:٤٤]، وقوله: ﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾ [الماعون:٧]، وقوله: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾ [الحاقة:٣٤]، ونحوها.

وروي «أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر بلالًا يوم عرفة ينادي: ألا إن[١٦٨] مانع الزكاة في النار»، رواه ابن عمر، ورأى امرأتين عليهما سواران، فقال: «أتريدان أن يسوركما الله بسوار من نار»؟ قالتا: لا، قال: «أديا زكاته»، وقال لأم سلمة - وقد لبست سوارًا[١٦٩] -: «جمرة عظيمة إن لم تؤدي زكاته».

وقد ذكر الله تعالى أن مانع الزكاة يعقبه النفاق، لقوله: ﴿فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا..﴾ الآية [التوبة:٧٧]، وقيل في قوله: «لا صلاة لمن لا زكاة له»: لأن الزكاة حق الفقير، والصلاة حق الغني[١٧٠]، والغني هو الحاكم، فربما لا يطالب بحقه ولا يرضى بسقوط حق الفقير الضعيف.

---

(١٦٣) لا أفرق: لافرق. م ي

(١٦٤) يدي: يدأ، م، ي. بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار ص٣٣١.

(١٦٥) وما: لها، م، ي. بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار ص٣٣١.

(١٦٦) أدّى: ودّى، م، ي.

(١٦٧) من: في، م، ي.

(١٦) ألا أن: الان، م، ي..

(١٦٩) سوارًا: سوار، م، ي.

(١٧٠) يقصد بالغني: الله عزوجل.

أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «بريء من الشح من أدى الزكاة وقرى الضيف وأعطى في النائبة[١٧١]».

مبحث في الصدقة

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣]، وقال: ﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ﴾ [الأحزاب:٣٥]، وقد وعد الله للمتصدق عشرة أشياء:

منها: الضِّعْف ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ [البقرة:٢٦١]، و﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة:٢٤٥].

ومنها: التكفير، قوله: ﴿إِن تُبْدُوا ٱلصَّدَقَٰتِ﴾، ثم قال: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [البقرة:٢٧١].

ومنها: التطهير والتزكية، قوله: ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم﴾ [التوبة:١٠٣].

ومنها: البر، وهو الجنة ﴿لَن تَنَالُوا ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢]، لما نزلت هذه الآية جاء أبو طلحة وقال: ليس[١٧٢] لي مال [أحب إلي] من أرضي بَيْرُحَاء[١٧٣] فأتصدق به، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «بخ بخ خير رابح» وأمره أن يتصدق به.

وقال ابن عمر: قرأت هذه الآية فلم أجد شيئًا أحب إلي من جاريتي الرومية فقلت: هي حرة لوجه الله، وزوَّجها سالمًا.

ومنها: الخلف، ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ:٣٩]، وروي أن حسان بن أبي سنان قرأ هذه الآية فقام إلى صندوقه وفيه أربعة آلاف درهم فتصدق بها، فلما رجع إلى بيته وجد فيه عشر بدر، مكتوب على كل واحدة: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾.

ومنها: المغفرة، قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ [البقرة:٢٦٨].

ومنها: الأجر والأمن، قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ

(١٧١) النائبة: الثانية، م، ي. الأموال لابن زنجوية ٢/ ٧٩٠.
(١٧٢) ليس: أليس، م، ي.
(١٧٣) أرضي بَيْرُحَاء: أرض كسرى، م، ي. جملة من كتب الحديث، منها مسند أحمد ٢١/ ٢٥٦.

أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [البقرة:٢٧٤].

ومنها: الأخذ، قوله تعالى: ﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة:١٠٤]، وحكي أن علي بن الحسين كان إذا أعطى سائلًا [قبّل يده]، فسئل عنه فقال: لأنها تقع بيد الله قبل أن تقع بيد العبد(١٧٤).

ومن الآثار: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «صدقة السر تطفئ غضب الرب».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، واليد العليا خير من اليد السفلى»، رواه أبو هريرة، قال الحسن: المعطية هي السفلى.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «سبق درهم مائة ألف درهم»، قالوا: وكيف ذاك يا رسول الله؟ قال: «كان لرجل درهمان فتصدق بأجودهما، وانطلق الآخر إلى عرض ماله فأخذ منها [مائة](١٧٥) ألف درهم فتصدق بها».

وقال: «صدقة النهار تطفئ الخطايا كما يطفئ الماء النار»، رواه أنس.

وقال عليه السلام: «لو أن صدقة جرت(١٧٦) على يدي سبعين نفسًا لكان أجر آخرهم مثل أجر أولهم»، رواه جابر.

لقمان: يا بني إذا خطبت خطبة فأعط صدقة.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح».

الحسين: أيها المتصدق على المسكين ترحمه(١٧٧) ارحم الذي ظلمته.

مالك بن دينار: اختلس سبعٌ صبيًا، فتصدقت أمه برغيف، فألقى السبع الصبي، ونوديت: لقمة بلقمة.

عائشة: كان أحب الأعمال إلى رسول الله أربعة: عملان يجهدان جسده، وعملان يجهدان ماله: الصوم والصلاة، والصدقة والجهاد.

---

(١٧٤) يقصد يقبّل يد نفسه، إجلالا لوقوع ما تمسك به بيد الله. وسائل الشيعة للحر العاملي ٩/ ٤٣٣.

(١٧٥) انظر: السنن الكبرى للنسائي ٣/ ٤٨، وصحيح ابن حبان ٨/ ١٣٥.

(١٧٦) جرت: جرين، م، ي. مكارم الأخلاق للطبراني ١/ ٣٥٥.

(١٧٧) ترحمه: برحمة، م، ي.

وكان إبراهيم بن يوسف يجمع المال لعمارة المسجد، ويقول: يا فلان عليك كذا، فقيل[١٧٨] له: أنسيت نفسك؟ فقال: المراؤون والمسمِّعون[١٧٩] كثير، إنما مالي لبطون جائعة، وظهور عارية، لا للماء والطين.

حاتم الأصم: أراكم تفسدون الطيب وتطيبون الفاسد، تأكلون من الطعام ألذه، وتلبسون من اللباس أرقه، وتمسكون لأنفسكم من كل شيء أنفسه، ويرجع ذلك إلى الكثيف والبلى، وتتصدقون بالخشن والخُلْقان[١٨٠]، وبذلك نجاتكم وهو ذخائركم.

أبو هريرة: يتزوج أحدكم فلانة بالمال الكثير ويدع الحور العين باللقمة والتمرة والكسرة.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ظل الرجل صدقته يوم القيامة».

عبيد بن عمير: يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط، وأظمأ ما كانوا قط، وأعرى ما كانوا قط، فمن أطعم لله أشبعه الله، ومن سقى لله أرواه الله، ومن كسا لله كساه الله.

مبحث في المنّ

قال الله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة:٢٦٤] يعني أجر صدقاتكم. قيل: بالعجب، وقيل: بالمن على الفقير، ولا يسع أن يمن، إذ المنة لله إذ أعطاه المال ودفعه لأداء الزكاة كقوله: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ﴾ [الحجرات:١٧]، وقال مدحًا لمن لا يمن: ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى﴾ [البقرة:٢٦٢]، وقال: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر:٦].

ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، ومدمن الخمر، والمنان بما أعطى».

وروي عنه: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: المسبل إزاره، والمنَفِّقُ[١٨١] سلعته بالحلف الكاذب، والمنان عطاءه[١٨٢]».

---

(١٧٨) فقيل: وقيل، م، ي.

(١٧٩) المسمِّعون: المستمعون ي.

(١٨٠) يقال: ثوبٌ خَلَقٌ، أي: بالٍ، وجمعه: خُلقَان. الصحاح (خلق).

(١٨١) نَفَّقَ السلعةَ تنفيقًا: روَّجها ورغَّب فيها. تاج العروس (نفق).

(١٨٢) عطاءه: بعطاءه، م، ي. سنن ابن باجة ٢/ ٧٤٤.

وعن أبي سليمان قال: من لم يَرَ نفسه إلى ثواب الصدقة أحْوجَ من الفقير إلى صدقته فقد أبطل المنُّ صدقَتَه.

وسمع الحسن بن علي قائلاً يقول: اللهم ارزقني عشرة ألف درهم، [فأعطاه] وكتب إليه شعر:

أحسـن مـن كل حسـن ... فـي [كل] وقـت وزمـن
صنيعـة مربوبـة ... خاليـة مـن المنـن

ومر الحسن بسائل فقال: أتدرون ما يقول؟ يقول: من معه شيء حتى أحمله له إلى المنزل.

وكان سفيان يقول إذا رأى السؤّال[١٨٣]: جاء الغاسلون يغسلون ذنوبنا.

مبحث في السائلين

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾ [الضحى:١٠]، وقال: ﴿لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ [البقرة:٢٦٤].

والكلام فيه من ثلاثة أوجه: كيف ينبغي للسائل أن يفعل، وكيف ينبغي للمسؤول فعْله[١٨٤]، وكيفية الدفع إليه.

أما السائل: فينبغي ألاّ يسأل إلا وهو محتاج، ولا يلحّ، ويطلب الفضل من ذوي الفضل.

روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «اطلبوا الفضول من رحماء أمتي تعيشوا في أكنافهم، فإني جعلت فيهم رحمتي، ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم، فإني جعلت فيهم سخطي».

وقال عليه السلام: «لأن يأخذ أحدكم حبله، ثم يذهب فيأتي بحزمة من حطب على ظهره، فيبيعها فيكف بها وجهه خيرٌ له من أن يسأل الناس، أعطوه أم لم يعطوه»، رواه الزبير.

وقال عليه السلام: «لا تحل الصدقة إلا لخمسة: لغاز في سبيل الله، أو لعامل عليها، أو لغارم، أو لرجل اشتراها بماله أو كان له جار مسكين تصدق عليه، فأهدى منها الغني»، رواه أبو سعيد الخدري.

---

(١٨٣) السُّؤّال: الملحُّون في السؤال. تاج العروس (سأل).

(١٨٤) فعْله: عنه، م، ي.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «ما المعطي من سعة بأعظم أجرًا من الذي يقبل من حاجة»

جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «اطلبوا حوائجكم عند حسان الوجوه، فإن قضاها قضاها بوجه طلق، وإن ردها ردها بوجه طلق، فرب[١٨٥] حسن الوجه دميم[١٨٦] عند الحاجة ورب دميم الوجه[١٨٧] حسن عند الحاجة».

وعن معاذ بن جبل: ينادي منادٍ يوم القيامة: أين بغضاء الله على أرضه؟ فيقوم سُؤَّال الناس.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله يبغض من عباده البذيء الفاحش، السائل الملحف. ويحب من عباده الحليم العفيف المتعفف».

الفضيل: كان يقال: الأيدي ثلاثة: يد الله العليا، ويد المعطي الذي تليه، ويد السائل السفلى. فاستعف يعفك الله.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «للسائل أجران: أجر لأخذه الصدقة، وأجر لا يفارقه، لأنه قام مقام الذل».

وأما المسؤول والدفْع: فينبغي أن يتصدق عليه، وإن رده رده برفق.

روى علي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «للسائل حق وإن جاء على فرس».

أبو أمامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لو لا أن السائلين يكذبون ما أفلح مَنْ ردهم».

عيسى بن مريم عليه السلام: من رد سائلًا خائبًا لم يغش الملائكة ذلك البيت سبعة أيام.

أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا أتاك سائل باسط كفه فقد وجب حقه ولو بشق تمرة».

شعر عن ابن المبارك:

إذا سئل المعروف أشرق وجهه ... كأنك معطيه الذي أنت سائله

(١٨٥) فرب: ورب، م، ي. كنز العمال ٦/ ٥٢٠.

(١٨٦) دميم: ذميم، م، ي. كنز العمال ٦/ ٥٢٠.

(١٨٧) دميم: ذميم، م، ي. كنز العمال ٦/ ٥٢٠.

الحسن[١٨٨]: أدركت أقوامًا كانوا يعزمون على أهاليهم ألّا يردوا سائلًا قط[١٨٩].

عمر: ردوا السائل بوقار ولين، أو ببذل يسير، أو بردٍّ جميل، فإنه قد يأتيكم من ليس بإنس لا جان ينظرون كيف صنيعكم فيما خولكم ربكم.

الفضيل: نعم القوم السُّوَّال، يحملون أزوادنا إلى الآخرة.

وكان إبراهيم بن أدهم إذا جاءه سائل دخل المنزل فيقول: جاءكم رسول المقبرة، فهل جُهون[١٩٠] إلى أهاليكم بشيء.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «لا يكل خصلتين إلى غيره: كان[١٩١] يناول لمسكين[١٩٢] بيده، وكان يضع ماء طهوره بالليل بيده ويخمره[١٩٣]».

انس: قام سائل في المسجد فما اكترثوا به، فمات في ليلته، فكفنوه، فلما رجعوا رأوا الكفن المسجد في المحراب مكتوبًا عليه: هذا الكفن مردود عليكم، والرب ساخط عليكم.

روي أن رجلًا كان يأكل دجاجة مع امرأته، فجاء سائل فرده، فذهب ماله وطلقها، فتزوجت وجًا، فكانت يومًا تأكل مع زوجها دجاجة، فجاء سائل، فأمرها تدفع الدجاجة إليه، فإذا هو وجها الأول، فبكى وقصت عليه القصة، فقال: والله أنا كنت ذلك السائل.

ودخل عبد الله مع هشام بن عبد الملك البيت الحرام، فقال هشام: سل حاجتك، فقال: أكره ن أسأل في بيت الله غير الله.

وجاء سائل إلى باب أعرابي، فقال الأعرابي: اللهم هذا سائلنا ونحن سُؤَّالك[١٩٤]، وأنت لمغفرة أجود منا بالعطاء، ثم أعطى.

وسأل أعرابي قومًا فقال: هل من عائد بفضل، أو مواسٍ من كفاف، أو مؤثر من قوته؟ مسك القوم، فولى وهو يقول: اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا فنعجز، ولا إلى غيرنا فنضيع.

١٨٨) الحسن: الحسين، م، ي.
١٨٩) تفسير الحسن البصري ٢/ ٣٧٢.
١٩٠) توجُهون: يوجهون، م، ي. تنبيه المغترين ص١٨٤.
١٩١) كان: لأنه، م، ي. مصنف ابن أبي شيبة ١/ ١٧٨.
١٩٢) المسكين: المسلمين، م، ي. مصنف ابن أبي شيبة ١/ ١٧٨.
١٩) خَمَّرَ الإناء أي: غطّاه. اللسان (خمر). مصنف ابن أبي شيبة ١/ ١٧٨.
١٩٤) سُؤَّالك: سائلك، م، ي. البصائر والذخائر ١/ ٢٢٤.

وقام سائل يسأل، فقيل: ممن؟ فقال: إليك عني، ثم قال: اللهم عفوًا ممن لا يضرك جهله ولا تنفعك معرفته، إن ذل الاكتساب يمنع عن عز الانتساب.

وكان محمد بن علي لا يسمع من داره: يا سائل، ويقول: سموهم بالحسن الجميل يا عبد الله ونحوه.

عون بن عبد الله: كان رجل له قرصان فسأله سائل، فأعطاه واحدًا، ثم قال: هذا لا يشبعني وذاك لا يشبعك، ولأن يشبع واحد خير من ألا يشبع اثنان، فأعطاه الثاني، ثم نام فرأى في منامه أن يسأل الله حاجة، فقال: المغفرة، قال: قد فرغ من ذاك، قال: الغوث لجماعة المسلمين.

شعر رواه أبو يحيى:

لا تحسبن الموت موت البلى فإنما الموت سؤال[١٩٥] الرجال
كلاهما موت ولكن ذا أشد من ذاك لذل السؤال

روي أن عليًا عليه السلام انصرف ذات ليلة من العشاء الآخرة إلى منزله، فإذا سائل بباب ينادي: يا أهل بيت النبوة، أخ في كتاب الله، وجار في بلاد الله، وطالب الخير من فضل الله، فهل أحد يواسي في الله؟ فلما سمع عليٌّ أسرع إلى الباب حافيًا حاسرًا، وقال: أيها الواقف ببابنا إنسي أنت أم جني أم [ما] ذا؟ فقال: إنسي من بني فلان، فسكن ما به وانصرف وأمر له بشيء، فقيل له: ما بالك ارتعبت لصوته؟ فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إنه سيقف بأبوابكم الملك من ملائكة الله في زي السُّؤَّال، ليرى الله ما تردونهم[١٩٦]»، فخشيت لما سمعته أن يكون ابتلاء من الله.

فصل في الحج والعمرة

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران:٩٧]، ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ [الحج:٢٧]، ﴿وَأَتِمُّوا ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ﴾ [البقرة:١٩٦].

في الحج ثلاثة فصول: فضيلة الحج ووجوبه، والوعيد لمن ترك الحج، وذكر أركانه وشروطه.

(١٩٥) سؤال: سال، م، ي..
(١٩٦) تردونهم: تردونه، م، ي.

مبحث في وجوب الحج وفضيلته

أما وجوبه وفضيلته: فهو من الأركان التي يكفر جاحدها ويفسق تاركها بالإجماع.

وعن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «وفد الله ثلاثة: الغازي، والحاج، والمعتمر»، رواه أبو ة.

وروى الكرخي بإسناده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه من الذنوب»، وروي: «دخل الجنة».

وذكر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج ور ليس له جزاء إلا الجنة».

وروى مجاهد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم اغفر للحاج[197] ولمن استغفر الحاج».

قوله: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران:٩٧]، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الاستطاعة الراحلة والزاد».

مبحث في الوعيد لمن ترك الحج

فأما الوعيد: فذكر الزجاجي في كتابه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «من ت ولم يحجَّ سأل الرجعة عند الموت».

وروى علي بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ مَلَكَ زادا وراحلة يبلغان بيت الله تعالى ولم يحج، فلا عليه أن يموت يهوديًا أو نصرانيًا، إن الله يقول في كتابه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل ان:٩٧]».

١٩) اللهم اغفر للحاج: اللهم استغفر اغفر للحاج، م، ي..

مبحث في أركان الحج وسننه

فأما أركان الحج وسننه: فالأركان[١٩٨] ثلاثة: الإحرام ويلبي وينوي لا ينعقد الإحرام إلا بذلك، والوقوف بعرفة، وطواف الزيارة، وما سوى ذلك إما واجب أو سنة.

أما التلبية: فتلبية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك»، وعندنا أنه يجوز أن يزاد على ذلك وينقص منه. لبّى واحد فقال: لبيك يا مرادي لبيك، لبيك إن قصدي إليك، وبغيتي ما لديك، فاعف عني فقد رحلت إليك.

ولبى آخر: لبيك ستار العيوب لبيك، لبيك غفار الذنوب لبيك لبيك.

ولبى آخر:

لبيك قد صحت إليك عزائمي ... وقد بليتُ ركني وهُدّتْ قوائمي
فإن تعف عني تعف عن ذي جرائمٍ ... [مسيء أتى بالمنكرات العظائم][١٩٩]

ولبى آخر:

إلهنا ما أعدلك ... مليك كل من ملك
مهلك كل من هلك ... لبيك إن الحمد لك

ولبى آخر:

كل نبي وملك ... وكل عبد هو لك
سبح أو لبّى فلك ... لبيت قد لبيت لك
لبيك إن الحمد لك ... يا غافلًا ما أغفلك[٢٠٠]
شمر وبادر أجلك ... واختم بخير عملك
لبيت قد لبيت لك ... لبيك إن الحمد لك

ولبى آخر:

قربانا اللهم لك ... من قال معبودًا هلك

---

(١٩٨) الأركان: الركن، م، ي.

(١٩٩) تهذيب الأسرار في أصول التصوف للخركوشي ص ٢٢١.

(٢٠٠) هامش ي: يا خاطئًا ما أغفلك.

ثم إلى النار سلك لبيت قد لبيت لك
لبيك إن الحمد لك ما خاب[٢٠١] عبد سألك
أنت له حيث سلك لبيت قد لبيت لك
لبيت إن الحمد لك لولاك يا رب هلك
لبيك[٢٠٢] قد لبيت لك

كان أعرابي يطوف بالكعبة ويقول:

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا وأنت وحدك[٢٠٣] يا قيوم لم تنم
هب لي بجودك فضل العفو من زللي يا من إليه رجاء الخلق في الحرم
إن كان عفوك لا يرجوه ذو زللٍ فمن يجود على العاصين بالكرم

وروي أن عليا تعلق بأستار الكعبة وبكى، وقال: إلهي هذا مقام من ضل في هربه إذ لم يجد عوضًا منك، إلهي هذا مقام من رده أمله إليك، إلهي هذا مقام من لا يتكل على المعذرة[٢٠٤]، بل يعتمد منك على المغفرة، إلهي إن تعف عني فبفضلك[٢٠٥]، وإن تعذبني فبذنبي، وما أنت بظلام للعبيد.

وهيب بن الورد: بينما امرأة تطوف وتقول: ذهبت اللذات وبقيت التبعات، سبحانك عزتك[٢٠٦] إنك أنت لأرحم[٢٠٧] الراحمين، يا رب ما لك عقوبة إلا النار.

ورؤي فضيل الرقاشي متعلقًا بأستار الكعبة، ويقول: هاهنا وعدتني، وإلى هاهنا دعوتني، تخلني النار وتوحيدك في قلبي؟ والله لا تفعل، وإن فعلت لا تجمع بيني وبين قوم قد عاديتهم فيك.

٢٠١) خاب: خاف، م، ي.
٢٠٢) لبيك: لبيت، م، ي.
٢٠٣) أنت وحدك: غير مجدك، م، ي. بحار الأنوار ٤٦/ ٨٠.
٢٠٤) المعذرة: التوبة، م، ي. تهذيب الأسرار للخركوشي ص٢٢٣.
٢٠٥) فبفضلك: بفضلك، م، ي. تهذيب الأسرار للخركوشي ص٢٢٣.
٢٠٦) وعزتك: دعوتك، م، ي. محاسبة النفس لابن أبي الدنيا ص٧٧.
٢٠٧) لأرحم: أرحم، م، ي. محاسبة النفس لابن أبي الدنيا ص٧٧.

إليك أنيخ آمالي فرحْب[٢٠٨] ... بها وإليك من ذنبي[٢٠٩] أتوب
ولذت ببابك المعمور علمًا ... بأن ذراك لي مرعى خصيبُ
فجد لي[٢١٠] بالرضا واقبل متابي ... وعذري إنني أسفٌ كئيبُ
طريح في فنائك مستضام[٢١١] ... غريب لا يكلمني غريبُ

آخر:

على أني أتوب إليك مما ... كرهت فرقَّ لي واقبل متابي
فهب لزيارتي خطئي وعمدي ... لقصدي واغتراري لاغترابي
فما لي غير مدحٍ أو بكاءٍ ... شديد أو دعاء مستجابِ

فصل في صدقة الفطر

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «صيام الرجل معلق بين السماء والأرض حتى يعطي صدقة الفطر»، رواه أنس.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم على ما رواه عبد الله بن ثعلبة بن صُعَير[٢١٢] عن أبيه قال: «أدوا صدقة الفطر صاعًا من تمر أو صاعا[٢١٣] من شعير، أو نصف صاع من بر، عن كل إنسان صغيرٍ[٢١٤] أو كبير[٢١٥]، ذكرٍ[٢١٦] أو أنثى، حُرٌ[٢١٧] ومملوك».

عن عبد الله بن عمر قال: سمعت منادي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصرخ في فجاج مكة: ألا إن الصدقة - صدقة الفطر - حقٌّ واجب على كل مسلم، مدَّان من قمح أو صاع مما سوى ذلك.

---

(٢٠٨) فرحْب: فقرت، م، ي. معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ٢/ ٥٥٤.
(٢٠٩) ذنبي: ديني، م، ي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ٢/ ٥٥٤.
(٢١٠) فجد لي: فخذني، م، ي. معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ٢/ ٥٥٤.
(٢١١) مستضام: مستظامٌ، م، ي، يتيمة الدهر ٣/ ٣٨٧.
(٢١٢) صُعَير: صعتر، م، ي. شرح مشاكل الآثار ٩/ ٢٩.
(٢١٣) صاعا: صاع، م، ي، شرح مشاكل الآثار ٩/ ٢٩.
(٢١٤) صغيرٍ: صغيرًا، م، ي. شرح مشاكل الآثار ٩/ ٢٩.
(٢١٥) كبير: كبيرًا، م، ي. شرح مشاكل الآثار ٩/ ٢٩.
(٢١٦) ذكرٍ: ذكرًا، م، ي. شرح مشاكل الآثار ٩/ ٢٩.
(٢١٧) حُرٌ: حرًا، م، ي. شرح مشاكل الآثار ٩/ ٢٩.

الحسن قال: خطب ابن عباس بالبصرة فقال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ض صدقة الفطر نصف صاع من بر أو صاعا[٢١٨] من شعير».

قال أبو سهل الزجاجي: نصف صاع من تمر قول الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن س، وأبي هريرة، وعائشة، وابن الزبير، وابن عمر، والخدري، وكان ابن سيرين يغربل ويطيبها ثم[٢١٩] يكيل صدقة الفطر.

وعن عائشة «أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يغتسل يوم العيد ويلبس الجديد، تطيب، ويخرج الصدقة، ثم يخرج إلى المصلى».

قيل: إذا صمت شهرك، وأديت فطرتك، ونبذت كبرك وراء ظهرك، وتبت من ذنبك، فقد ضيت ربك، ويوسع عليك قبرك، ويرحمك [يوم] حشرك.

فصل في الأضحية

الأضحية واجبة عند أبي حنيفة، سنة مؤكدة عند أبي يوسف ومحمد، وقد وردت في ذلك كيفيتها آثار كثيرة، قال الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر:٢] قيل: صلِّ العيد وانحر ضحية.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من ذبح قبل الصلاة فليُعد، ومن لم يذبح فليذبح بسم ».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «أول نسكنا هذا في يومنا هذا الصلاة ثم الذبح».

قال محمد بن الحسن: كان لأهل الجاهلية ذبائح: العقيقة[٢٢٠]، وكانت في ابتداء الإسلام، بيحة في رجب يسمونه رجبية، والعتيرة[٢٢١] وهي أول ولد الناقة، فنسخ جميع ذلك.

عن عائشة، ومحمد بن علي: إن الأضحى نسخ كل ذبح كان قبله.

٢١) صاعا: صاع، م، ي.

٢١) ثم: يم، م، ي.

٢٢) العقيقة: العقبة، م، ي..

٢٢) العتيرة: العنيزة، م، ي. اللسان (عتر).

وروي أنه خرج إلى المصلى فشم قتارًا، فقال: «ما هذا»؟ فقالوا: هذه أضحية أبي بردة. فقال: «تلك شاة لحم»، فجاء أبو بردة فقال: يا رسول الله عندي عناق خير من شاتي لحم. فقال: «تجزي عنك ولا تجزي عن أحد بعدك».

علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا فاطمة بنت محمد، قومي فاشهدي أضحيتك، فإنه يُغفر لك بأول قطرة تقطر من دمها مغفرة لكل ذنب، أما إنه يجاء بدمها ولحمها فيوضع في ميزانك وسبعون ضعفًا»، قال أبو سعيد الخدري: هذا لأهل بيت محمد خاصة أو لآل محمد وللمسلمين عامة؟ قال: «لأهل بيت محمد خاصة وللمسلمين عامة».

قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ [الكوثر:٢]، أمر الله تعالى بأشياء بعد الصلاة:

منها: الذكر ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء:١٠٣].

ومنها: الدعاء ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ﴾ [الشرح:٧]، وقيل: فإذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعاء.

ومنها: الانتشار في الأرض ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة:١٠] وهذه إباحة.

ومنها: النحر ﴿وَٱنۡحَرۡ﴾ [الكوثر:٢] قيل: انحر الإبل، وقيل: ضع اليمين على اليسرة في الصلاة، وقيل: صلِّ بجمع[٢٢٢] وانحر بمنى، عن عطاء ومجاهد.

وعن عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ضحوا وطيبوا بها نفسًا، فإنه من أخذ أضحيته فاستقبل بها القبلة كان دمها وقرنها وشعرها محضورات له يوم القيامة، ألا إن الدم إذا وقع في التراب فإنما يقع في حرز الله»، أنفقوا يسيرا تؤجروا كثيرًا.

وإذا أخذ أضحيته ليذبحها فليستقبل بها القبلة وليقل: الله أكبر.

سئل بعضهم: لم لا يقال: بسم الله الرحمن الرحيم؟ قال: لأنها أسماء رحمة والذبح قطع أوداج، ولهذا لم يكتب (بسم الله) على سورة براءة، لأنها نزلت بالسيف.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «سَمِّنوا ضحاياكم، فإنها على الصراط مطاياكم»[٢٢٣]

(٢٢٢) جَمْع: هو المزدلفة، سمي كذلك لاجتماع الناس فيه. تاج العروس (جمع).
(٢٢٣) الأبواب والتراجم لصحيح البخاري للكاندهلوي ٥/ ٧٤.

وقيل: الضحايا هي المطايا، الضحايا تمحو الخطايا، الضحايا تدفع البلايا، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم:٨٥] وقد أقبلوا[٢٢٤] ركبانا على النجب، قال النعمان بن سعد: قرأ علي عليه السلام هذه الآية ثم قال: والله لا يحشرون على أقدامهم ولكن[٢٢٥] يؤتون بنوق لم ير الخلائق مثلها، عليها أرحلة الذهب وأزمتها الزبرجد، ثم تنطلق[٢٢٦] بهم إلى الجنة.

ويقال: إن إبراهيم ذبح عجلًا فبقي إلينا علمه[٢٢٧] إلى يوم القيامة، فكيف بمن يذبح القربان، وكان القربان في بني إسرائيل تأكله[٢٢٨] النار، وقرباتنا وصله الملك الجبار، وإنما وقع ذلك - عن أئمتنا - كيلا يفتضح المردود، كذلك المؤمن لا يفضحه الله في العقبى.

وروي أن خالد بن عبد الله القسري[٢٢٩] خطب يوم الأضحى بواسط، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: انصرفوا وضحوا بارك الله في ضحاياكم فإني مضحٍّ[٢٣٠] بالجعد[٢٣١] بن درهم، فإنه يقول: لم يتخذ الله إبراهيم خليلًا، ولم يكلم موسى تكليمًا، سبحانه عما يقول جعد بن درهم علوًا كبيرا، ثم نزل عن المنبر وقتله، وكان جعد زنديقًا، ومنه تعلم الزندقة مروان بن محمد ولذلك كان يلقب بالجعد.

وروي أن ضرار كان يضحي قبل الصلاة، فمر به واحد فقال: يا ضرار أتضحي قبل صلاة الإمام وذلك غير جائز؟ فقال: إذا كان الإمام ممن يجوز أن يضحى به جازت الأضحية قبل صلاته.

فصل في الجهاد

قال الله تعالى: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ﴾ [النساء:٩٥]، وقال: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ﴾ [النساء:٩٥]، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ﴾ [الأنفال:٧٢]، ونظائرها من الآيات.

٢٢٤) أقبلوا: أقبل، م، ي.
٢٢٥) لكن: على، م، ي. انظر: تفسير النيسابوري الواحدي ٣/ ١٩٦.
٢٢٦) تنطلق: ينطلق، م، ي.
٢٢٧) علمه: عليه، م، ي.
٢٢٨) تأكله: أكلته، م، ي.
٢٢٩) القسري: القشيري، م، ي.
٢٣٠) مضحٍّ: مضحي، م، ي.
٢٣١) بالجعد: جعد، م، ي. تهذيب الكمال ٣/ ٢٥٩.

والكلام فيه من ثلاثة أوجه: أنواع الجهاد، فضل الجهاد وما يجب عليه من الثواب والمنفعة في الدنيا والعقبى، وآداب الجهاد وشرائطه، وفي كل واحد آثار كثيرة، ونحن نشير إلى نكت.

مبحث في أنواع الجهاد

أما أنواع الجهاد: فيقال: إن الجهاد أربعة:

أولها: جهاد القلب.

وثانيها: جهاد النفس.

وثالثها: جهاد المبتدع بالنظر والقول.

والرابع: جهاد الكفار بالسيف.

أما جهاد القلب وهو جهاد الأولياء، وقيل في قوله: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج:٧٨]: إنه جهاد القلب، قال ابن عطاء: الاجتباء أورث المجاهدة لا المجاهدة أورثت الاجتباء.

وقيل: جهاد القلب: انفصال العبد من نفسه واتصاله بربه، وبذل الروح في مرضاته، وقيل المجاهدة: المكابدة في العبادة.

وعن أبي عثمان: الطريق إلى الله واضح، والوصول إليه بالمجاهدة، والمجاهدة خطء الناس على المعاصي والشهوات، ونزع القلب عن الأماني والشبهات، والانقطاع إلى رب السماوات، وقيل: المجاهدة الخروج عن عبادة البشرية.

فأما جهاد النفس: فهو جهاد العباد الزهاد، روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أفضل الجهاد مجاهدة النفس»، وجهاد النفس: ترك الشهوات، ومجانبة الهوى واللذات.

وروي أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» فسمى مجاهدة النفس الجهاد الأكبر.

وقيل في قوله: ﴿قَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ﴾ [آل عمران:١٦٧]: جاهدوا أنفسكم في هواها حتى تبلغوها منازل الصديقين، فإن لم تستطيعوا فادفعوها عن ارتكاب المحارم.

فأما الثالث: جهاد المبتدع بالحجة، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾

[العنكبوت:٦٩]، وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن لله عند كلِّ بدعةٍ كِيد بها الإسلام وأهله وليًا يذب عنه ويخبر بعلامتها، فاغتنموا حضور تلك المجالس بالذب عن الضعفاء، وتوكلوا على الله، وكفى بالله وكيلا»، ونظيره: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥]، وقد وصف الله المبتدع بالخصومة فقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ..﴾ الآية [البقرة:٢٠٤]، وأمر بمجادلتهم.

فأما قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ﴾ [الشورى:١٦] يعني بالباطل، فالذي يظنه حجة فهي داحضة، وقيل: احتجاجهم داحض.

فأما الرابع: جهاد الكفار: فالآيات فيه كثير، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ [التوبة:١١١].

مبحث في فضل الجهاد وما يجب عليه من الثواب

فأما فضل الجهاد وما يجب عليه من الثواب: فهو على وجهين: منها ما ورد به القرآن وهو عشرة أنواع:

أولها: المحبة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ [الصف:٤].

وثانيها: أنهم حزب الله، قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ﴾ [المجادلة:٢٢].

وثالثها: النصرة؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد:٧]، ومن نصره لا أحد ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران:١٦٠].

ورابعها: الغنيمة؛ ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ [التوبة:٥٢]، إما الغنيمة أو لشهادة، ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ [الأنفال:٦٩]، ولم يكن مباحًا إلا في شريعتنا.

وخامسها وسادسها وسابعها: الدرجات ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ..﴾ إلى قوله: ﴿دَرَجَٰتٍ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ [النساء:٩٥-٩٦]، وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا يؤذن للعبد في الغزو في سبيل الله حتى يفتح له سبعون بابًا من المغفرة، والله أفضل وأكرم أن يرده وقد بقي عليه من ذنوبه شيء لم يغفره له أو حاجة لم يقضها[٢٣] له».

٢٣) يقضها: ينجحها، م، ي.

وثامنها: الحياة الباقية؛ قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟..﴾ إلى قوله: ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران:١٦٩]، قيل: أحياء في الحال، وقيل: يستحيون، وقيل: كأنهم أحياء من كثرة ما أعد لهم من الثواب، وقيل: «أرواحهم في حواصل طير خضر»، وروي ذلك مرفوعا.

وتاسعها: النجاة؛ ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف:١٠].

وعاشرها: الجنة؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ..﴾ إلى قوله: ﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة:١١١].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من قاتل فُواقَ ناقةٍ[٢٣٣] في سبيل الله وجبت له الجنة».

فأما الآثار في ذلك: فروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لولا أن أشق على أمتي لأحببت ألا أتخلف عن سرية تغزو في سبيل الله أو تخرج في سبيل الله، ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة فيتبعوني، ولا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا[٢٣٤] بعدي، فلوددت أن أقاتل في سبيل الله فأقتل، ثم أحيا فأقتل، ثم أحيا فأقتل، ثم أحيا فأقتل».

حميد، عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تزال الملائكة تصلي على الغازي ما دامت حمائل سيفه في عنقه».

ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا أخبركم بخير الناس؟ رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله، ألا أخبركم بالذي يتلوه، رجل معتزل في غنيمة له يؤدي حق الله فيها. ألا أخبركم بشر الناس؟ رجل يُسأل بالله ولا يعطي به».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «تكفل الله لمن خرج في سبيل الله لا يخرج إلا ابتغاء وجه الله أو تصديقًا لكتابه إن رجعه رجعه إلى غنيمة، وإن توفاه أدخله الجنة»، رواه أبو هريرة.

وقال: «ثلاثة أعين لا تمسها النار: عين فقئت في سبيل الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله، وعين دمعت من خشية الله»، رواه أنس.

وقال: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»، رواه أنس.

---

(٢٣٣) فُوَاقُ الناقة: مقدار ما بين الحلبتين من الوقت. اللسان (فوق).

(٢٣٤) يتخلفوا: يتخطفوا، م، ي. صحيح البخاري ٤/ ١٧ وغيره من كتب الحديث.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «غدوة في سبيل الله أو روحة في سبيل الله خير مما طلعت عليه الشمس»، رواه أبو أيوب.

وعنه: «رباط يوم واحد في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه».

وقال: «لكل أمة رهبانية، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله».

وروى عسعس بن سلامة[٢٣٥] قال: أتى رجل من أصحاب رسول الله الجبل يتعبد، ففُقِد فطُلِب وجيء به إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فسأله فقال: أحب أن أعتزل وأتعبد، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تفعله - ثلاث مرات - فلصبر أحدكم ساعة من النهار في بعض مرابط الإسلام خير له من عبادة الرجل خاليًا أربعين عامًا».

أبو هريرة: طوبى لعبد أغبر جلده، أشعث رأسه دنس[٢٣٦] ثيابه، يكون بالليل في الحرس وبالنهار في الساقه، حقًا على الله أن يزوجه من العين.

مجاهد: كان يقال: السيوف مفاتيح الجنة.

أبو أمامة: لقد فتح الفتوح أقوام ما كانت حلية سلاحهم الذهب والفضة، وإنما كانت حليته الآنك[٢٣٧] والحديد.

جابر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «عليكم بالجهاد فإنه يذهب الغم والحزن والهم».

مبحث في آداب الجهاد

فأما آداب الجهاد: فقد روى معاذ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الغزو غزوان: فأما من غزا ابتغاء وجه الله، وأطاع الإمام، وأنفق الكريمة، واجتنب الفساد في الأرض، فإن نومه ونُبْهَتَه[٢٣٨] أجر كله، وأما من غزا فخرًا ورياء وسمعة، وعصى الإمام، وأفسد في الأرض، فإنه لم يرجع بالكفاف»، فأول ما يحتاج إليه النية، قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى

(٢٣٥) بن سلامة: ثم سلمة، م، ي. كذا اسمه في مسند الطيالسي ٢/ ٥٣٤ وغيره.
(٢٣٦) دنس: أدنس، م، ي. الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ٤٥٠.
(٢٣٧) الآنك: الرصاص. لسان العرب (أنك).
(٢٣٨) نُبْهَتَه: يقظته، م، ي، جملة من كتب الحديث منها سنن النسائي الكبرى ٧/ ١٨٧.

شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء:٨٤]، قيل: على نيته، عن الحسن، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الأعمال بالنيات».

وثانيه: الاستعداد، قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم﴾ [الأنفال:٦٠].

وثالثه: إرضاء الخصماء، والتوبة من الذنوب، وكتابة الوصية، واتخاذ الزاد، وأخذ المال الحلال.

ومنها: ألا يكون الغرض الطمع في المال، ولا الرياء[٢٣٩]، بل يطلب مرضاة الله وإعزاز الإسلام والاقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وغير ذلك من الشرائط.

تمت فصول العبادات بحمد الله ومنه وتوفيقه

(٢٣٩) ولارياء: ولا الرذايل، م، ي..

باب الحقوق

فصل في حق الله على عباده

قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران:١٠٢]، عن الربيع بن خثيم قال: حق تقاته: أن يطاع فلا يُعصَى، ويُشكر فلا[١] يكفر، ويذكر فلا ينسى.

سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا﴾ [نوح:١٣]، قال: ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته.

ابن الحنفية، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «حدثوا عن عظمة ربكم بما شئتم، فلن تحدثوا بشيء إلا وهو أعظم».

وروى أبو يحيى البزاز بإسناده عن يونس قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن ومطرف أن اكتبا إلي برسالة تعظاني وأوجزا، فكتب إليه الحسن: أما بعد فأهل الفضل منطقهم فيه[٢] الصواب، ومشيتهم فيها بالتواضع، وملبسهم فيها بالاقتصاد، [خضعوا لله بالطاعة] وحجزوا عن المعاصي بالورع، وقرّوا أسماعهم بالعلم عن استماع الباطل، صغر المخلوقون في أعينهم وعظم الخالق عندهم، فلولا الآجال التي كتب الله عليهم ما قامت أرواحهم في أبدانهم، خوفًا من العقاب وشوقًا إلى الثواب[٣].

ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تتفكروا في عظمة ربكم ولكن تفكروا خلق، فإن فيما خلق متفكرًا، فإن خلقا من الملائكة يقال لهم إسرافيل زاوية من زوايات لعرش على كاهله وقدماه في الأرض السفلى، وقد مرق[٤] رأسه من السماء السابعة ومن سبع وات.

١) فلا: ولا، م، ي.
٢) فيه: فيها، م، ي.
٣) تحف العقول عن آل الرسول ص١١١.
٤) مرق: برق، م، ي. كشف الخفاء للعجلوني ١/ ٣٥٨.

قال: وروى أبو جعفر المدائني أن رجلًا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله علمني من غرائب العلم، قال: «وما صنعت في رأس العلم حتى تعلم غرائب العلم»؟ قال: يا رسول الله وما رأس العلم؟ قال: «هل عرفت الرب»؟ قال: نعم، قال: «فما صنعت في حقه»؟ قال: ما شاء الله، قال: «فهل عرفت الموت»؟ قال: نعم، قال: «فما أعددت»؟ قال: ما شاء الله، قال: «فانطلق فأحكم رأس العلم ثم تعالَ[٥] فتعلم[٦] غرائبه».

وروى ابن المبارك في كتاب الرقائق أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لمعاذ: «يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد»؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: «حق الله على العباد أن يعبدوه فلا يشركوا به شيئًا، أتدري حق العباد على الله»؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: «إذا فعلوا ذلك أن يغفر لهم ويدخلهم الجنة».

وروى أبو يحيى البزاز بإسناده عن طلق بن حبيب أنه قال: إن حق الله أثقل من أن يقوم به[٧] العباد، وإن نعم الله أكثر من أن يحصيها العباد، ولكن أصبحوا توابين وأمسوا توابين.

وروى الإمام أبو الحسين أحمد بن الحسين بن يحيى الهارني الحسني بإسناده عن الربيع بن خثيم عن ابن مسعود قال: عيرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في خطبته فقال: «يا أمة محمد حكيم من الحكماء كان أفهم منكم لما دعاه أصحابه إلى المعاصي قال: إني لأستحيي من الله أن أعبده رجاء ثواب الله فأكون كالأجير، إن أعطي عمل، وإن لم يعط لم يعمل، وإني لأستحيي من الله أن أعبده مخافة الناس، فأكون كالعبد السوء، إن رهب مولاه عمل، وإن لم يرهب لم يعمل، غير أني أعبد الله لما[٨] هو أهله[٩]».

ويقال: إن كان الحق بالنعمة فمنه تعالى نعم الدنيا والدين؛ إذ خلقنا من ماء مهين، ورزقنا كل عذب ومعين، ومنّ علينا بمحمد خاتم النبيين.

شعر:

سبحان من لو سجدنا بالجباه له ... على شَبَا[١٠] الشوك والمحمى من الإبر
لم يبلغ العشر من معشار نعمته ... ولا العشير ولا عُشْرًا من العُشُر

---

(٥) تعالَ: تعالى، م، ي. كتاب الزهد لوكيع ص٧٩.
(٦) فتعلم: فتعل، م، ي. كتاب الزهد لوكيع ص٧٩.
(٧) به: فيه، م، ي. شعب الإيمان ٦/ ٢٩٠.
(٨) لما: بما، م، ي.
(٩) أهله: اهل، م، ي.
(١٠) شَبَا الشَّوْك: أطرافه. اللسان (شبا).

فصل في حق الوالدين

قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء:٢٣]، وقوله تعالى: ﴿أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ[11] عَلَيْكُمْ..﴾ إلى قوله: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الأنعام:١٥١]، ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت:٨]، ونظائرها.

ويقال: إن في بر الوالدين ثنتي عشرة خصلة، وفي عقوقهما[12] ثنتي عشرة عقوبة:

فأما أحدهما: فقرن برهما[13] بذكر التوحيد كما نطق به القرآن، وعقوقهما بالشرك كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أكبر الكبائر ثلاثة: الشرك بالله، وعقوق الوالدين، واليمين الغموس».

وثانيها: أنه قرن شكرهما بشكره فقال: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان:١٤]، وإنما ذلك لأنه مُسَبِّبُ وُجودِهِ بأنه خَلَقَه، وهما سببا وجوده، فاشكر المسبِّب والسبب.

والعقوبة الثانية: روي أنه صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن أصحاب الأعراف فقال: «الذين قتلوا في سبيل الله وهم لآبائهم عاصون[14]، فمنعوا دخول الجنة[15] لعقوقهم ودخول النار لشهادتهم».

وثالثها: أن الله تعالى جعل بِرَّهما سبب البركة والسعادة، فقال: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم:٣٢]، وفي قصة يحيى: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ..﴾ الآية [مريم:١٤].

والعقوبة: أنه جعل عقوقهما سببًا للقساوة للآيتين.

وروي أن مالك بن دينار حج سنة فرأى نائمًا قائلًا عليه لباس أخضر: إن الله غفر لأهل الموقف إلا لعبد الرحمن الشقي، ثم كذلك رأى في الليلة الثانية والثالثة، فتعلق مالك بالرجل وقال: من هو؟ قال: رجل من بلخ على يده سلسلة وفي عنقه غل، قال: فطلبته فوقفت على خيمته، وإذا على رأسه أسود كلما نام نبهه، فقلت: إيش فعلت يا مسكين فإني رأيت كذا

(١١) ربكم عليكم: عليكم ربكم، م، ي..

(١٢) عقوقهما: عقوهما، م، ي..

(١٣) برهما: بريهما، م، ي.

(١٤) عاصون: عاصين، م، ي.

(١٥) الجنة: الدنة، م، ي.

وكذا؟ قال: نعم كنت ببلخ يوم عاشوراء فرجعت إلى بيتي كالسكران، فقال أبي: قم فصل، فقلت: لا أفعل، فألح عليّ فلطمته لطمة، ثم إني عاقبت نفسي بما ترى في الدنيا، فقلت: وأين أبوك؟ فأشار إلى خيمته، فقال: هو فيها فاذهب إليه لعل الله يرضيه مني، فأتيته فإذا شيخ بهي في يده مصحف، فتقدمت وسلمت وقلت: أتعرفني؟ قال: لا، قلت: مالك بن دينار، فرحب بي، وقال: ما حاجتك، فقصصت عليه القصة، فقال: إن هذا ولد غير رشيد، عملت في أمره بما يمكن، سميته اسمًا حسنًا، وزوجته من أهل بيت خير[١٦]، وعلمته القرآن والآداب، وهو كما تراه يفعل، وليس يطيب قلبي عليه، فقلت: أترضى أن تحرقه؟ وما زلت به حتى رضي عنه، ورجعت إلى منزلي فرأيت في تلك الليلة ذلك الشخص يقول: إن الله تعالى غفر لأهل الموقف وغفر لعبد الرحمن السعيد، فأصبحت إليه بالبشارة، فلما سمع ذلك صاح صيحة ومات.

ورابعها: زيادة العمر، وطول الأجل[١٧]، روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «بر الوالدين يزيد في العمر، والكذب ينقص الرزق، والدعاء يرد البلاء، ولله في خلقه قضاءان: فقضاء نافذ، وقضاء ينتظر، وللأنبياء على العلماء فضل درجتين، وللعلماء على الشهداء فضل درجة».

وفي عقوقهما: نقصان العمر، وكيف يكون ذلك مع قوله: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ..﴾ الآية [الأعراف:٣٤]؟ فقيل: إن المراد به البركة في العمر بأن يُقضى[١٨] في مرضاة الله، لقوله: ﴿فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ[١٩] حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ﴾ [النحل:٩٧] يعني في الطاعة والقناعة، وفي ضده ذهاب البركة فيقضيه[٢٠] في سخط الله وفي كد الدنيا، وقيل: إن له أجلين فيؤخر بسببهما[٢١] إلى أبعدهما. وقيل: زيادة العمر هو: أنه تعالى يأمر ملكًا يقوم على رأس قبره فيستغفر له.

وخامسها: أن رضاهما رضا الله وسخطهما سخط الله، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «رضى الرب في رضا الوالدين، وسخط الرب في سخط الوالدين»، فهذه فضيلة وعقوبة.

---

(١٦) خير: الخير، م، ي.
(١٧) الأجل: الدعاء، م، ي.
(١٨) يُقضى: يرجى، م، ي.
(١٩) فلنحيينه: لنحيينه، م، ي..
(٢٠) يقضيه: يرجيه، م، ي.
(٢١) بسببهما: لسببهما، م، ي.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «من أسخط والديه أسخط الله، ومن عصاهما فقد عصى الله».

وعن وهب أن الله تعالى قال لعزير: بر والديك، فمن بر والديه رضيت عنه، وإذا رضيت باركت، فإذا باركت بلغ الرابع من النسل، ولا تعق والديك، فمن عق والديه غضبت، وإذا غضبت لعنت، وإذا لعنت بلغ الرابع من النسل.

وسادسها: أنه مقدم على الجهاد، روي أن رجلًا جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليستأذنه في الجهاد فقال: «ألك والدان»؟ فقال: نعم، فقال: «ففيهما فجاهد».

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لنومك على السرير برًا بوالديك تضحكهما وتضحك أفضل من جلادك بالسيف في سبيل الله»، وقال لأبي هريرة - وقد أراد أن يخرج إلى الجهاد وأمه عمياء، فذكرت ذلك لرسول الله فقال -: «إنك لخارج وتارك عجوزًا كبيرة لا تستطيع أن تخرج إلى مرفقها[٢٢]، وترى أنك لست في جهاد إذا كنت عندها؟ بل إنك في أفضل جهاد، ولو أنك خرجت إلى مشارق الأرض ومغاربها، وأشار بيده إليهما، ويقول: لو خرجت هاهنا وهاهنا ورجعت وهي عليك ساخطة لكنت من أهل النار»، فجلس أبو هريرة. ففيه فضيلة وعقوبة في عقوقهما.

وسابعها: أنه جعل برهما أفضل من حجة النافلة، روى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما من ولد بار ينظر إلى والديه نظرة رحمة إلا كانت له بكل نظرة حجة مبرورة مقبولة»، فقيل: يا رسول الله، وإن نظر إليهما كل يوم مائة مرة؟ قال: «وإن نظر إليهما كل يوم ألف مرة».

وقال رجل للحسين: إني قد حججت، وقد أذنت لي أمي [في الحج]، فقال: لقعدة تقعدها معها على مائدتها أحب إلي من حجتك[٢٣].

والعقوبة السابعة: أنه لا تقبل منه طاعة، مكحول عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ليعمل العاق ما شاء، فلن يدخل الجنة».

وثامنها: زيادة الرزق، أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من أحب أن يمد في

(٢٢) مرفقها: مرقعها، م، ي. مسند الروياني ٢/ ٢٨٤.

(٢٣) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ص١٢١.

عمره، ويزاد في رزقه، وينسأ[٢٤] في أجله، فليبر والديه وليصل رحمه».

وعن السدي في قوله: ﴿أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ﴾ [البقرة:٦٧] قال: كان فتى بار بوالديه وله بقرة، فاشتروها منه بملء مَسْكِ[٢٥] ذهبًا في قصة طويلة.

والعقوبة الثامنة: هو ذهاب البركة

وتاسعها: أن دعاء الوالدين للبار مسموع، وعلى العاق مقبول ومعاقب بأشد عقوبة.

أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «دعاء الوالد لولده كدعاء النبي لأمته».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاث دعوات مستجابات: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالدين».

وقد حكي فيه حكاية حسنة، روى الحسن بن علي عليهما السلام قال: بينا أنا ووالدي علي بن أبي طالب عليه السلام نطوف بالبيت في ليلة مظلمة، وقد هدأت العيون، إذ بصوت حزين من كبد محزون ويقول [شعر]:

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم ... يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا ... وغير مجدك يا قيوم لم تنم
هب لي بجودك فضل العفو عن سرفي ... يا من إليه أشار الخلق في الحرم
إن كان جودك لا يدركه ذو شرف ... فمن يجود على العاصين بالنعم

فقال لي أبي: ما ترى هذا المستغفر؟ أدركه، فأتيته فإذا هو بين الركن والمقام راكعًا وساجدًا فقلت: أجب [أمير] المؤمنين، فأتيت به فقال علي: ما قصتك؟ فقال: ما قصة من أخذ بالعقوق وأضاع[٢٦] الحقوق، فقال: من الرجل؟ فقال: رجل من العرب كنت لا أراقب الله في رجب وشعبان ورمضان، وكان لي والد شفيق، فكان يحذرني مصارع الجهال فلا أقبل منه، بل كنت وعظني أوجعته ضربًا، فضربته، فحلف ليأتين بيت الله يوم العيد الأكبر ويدعو عليّ، فخرج وتعلق بأستار الكعبة وأنشأ يقول [شعر]:

يا من إليه أتى الحجاج مسرعة ... على الجمال من أقصى غاية البعد

(٢٤) «نَسَأَ الله في أجله وأَنْسَأَ أجله: أَخَّرَه» لسان العرب (نسأ).
(٢٥) المَسْكُ: الجِلْد، والمراد: ملء جلدها ذهبًا. الصحاح (مسك).
(٢٦) أضاع: أدى، م، ي.

إنـي أتيتـك يـا مـن لا يخيبنـي يـا كاشـف الضـر لا تـردد علـيّ يـدي
هـذا منـازل لا يرتـاع(٢٧) مـن عققـي(٢٨) فخـذ بحقـي يـا جبـار مـن ولـدي
حتـى يشـلَّ بحـولٍ منـك جانبـه يـا مـن تقـدس لـم يُولـد ولـم يَلـد

قال: فنزل بي ما ترى، فإذا جانبه أشل، فكنت أطلب إليه ست سنين أن يدعو لي في الموضع الذي دعا علي فيه إلى أن كان في عامنا هذا، فأجابني، فحملته على ناقة فنفرت فرمت به فمات، فقال علي عليه السلام: [لا بأس] عليك إن كان يريد أن يدعو لك، ثم دعا له علي فشفاه الله.

وعاشرها: ما يجمعها خبر مكحول عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يدخل الجنة عاق، ولا منان، ولا مدمن خمر».

وحادي عشرها: أنه يصيب البار بعض ثوابه في الدنيا، كما روي عن ابن عباس قال: ما صرف الله سليمان عن الهدهد إلا لبره أمه. وكذلك العقوبة، روى أبو بكرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «كل الذنوب يؤخر الله منها ما يشاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين، فإن(٢٩) الله يعجله لصاحبه في الحياة قبل الممات».

وثاني عشرها: أن من بر أباه بره بنوه، ومن عقهما عقه بنوه، وفيه شِنْشِنَةٌ أعرفها من أَخْزَم(٣٠)، وقصته معروفة.

الصابي [شعر]:

أرضـى عـن ابنـي إذا مـا عقنـي حـذرًا عليـه أن يغضـب الرحمـن مـن غضبـي
ولسـت أدري بم اسـتحققت مـن ولدي إقْـذَاء(٣١) عينـي وقـد أقـررت عيـن أبي

ومن الآثار في ذلك: ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن فوق كل بر برًا، وطواعية(٣٢) الوالدين أفضل البر، وفوق كل صدقة صدقة، وأفضل الصدقة كفُّ الأذى، وفوق كل عفو عفوًا، وأفضل العفو [العفو] عمن ظلمك».

---

(٢٧) يرتاع: ترتاح، م، ي. بحار الأنوار للمجلسي ٤١/ ٢٢٦.
(٢٨) عققي: عقق، م، ي. بحار الأنوار للمجلسي ٤١/ ٢٢٦.
(٢٩) فإن: فإنه، م، ي.
(٣٠) الشِّنْشِنَةُ: الطبيعة والسجية، و(أخزم) من أجداد حاتم الطائي، وكان جوادًا، فلما ظهر حاتم الكرم قال بعضهم: «شِنْشِنَةٌ أعرفها من أخزم»، إشارة إلى اتباعه سَنَن جدّه في الكرم. لسان العرب (شنن)، (خزم).
(٣١) إقْذَاء: أقر، م، ي. يتيمة الدهر ٢/ ٣١٨.
(٣٢) طواعية: طواعه، م، ي.

ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ثلاثة لا يدخلون الجنة، وثلاثة لا ينظر الله إليهم: أما الأول: فالعاق لوالديه، والمرأة المترجلة المتشبهة، والديوث. وأما الذين لا ينظر الله إليهم: فالعاق لوالديه، ومدمن الخمر، والمنان بما أعطى».

وعن مالك بن أبي ربيعة قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: «نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهودهما، وإكرام صديقهما، وصلة [الرحم][٣٣] التي لا توصل إلا بهما».

عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده أن امرأة أتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: يا رسول الله، ابني هذا كان بطني له وعاء، وحجري له حواء، وثديي له سقاء، وزعم أبوه أنه ينتزعه مني، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أنت أحق به ما لم تنكحي».

وشكا رجل ابنه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فدعاه وسأله عن ذلك، فقال: إنه يأخذ مالي ويفعل كذا، والأب ساكت، فنزل جبريل وقال: إنه قال شعرًا فاستنشده، فاستنشده رسول الله فقال: إنه ليحيل في صدري وما تكلمت به بعد. الأبيات[٣٤]:

غذوتك مولودًا وعلتك يافعًا تعلُّ بما أجني عليك وتنهل

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنت ومالك لأبيك».

وقيل في قوله: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء:٢٣]، قال: عند إماطتك[٣٥] عنهما القذر كما كانا فعلاه بك وأنت في المهد.

وكان أعرابي حمل أمه في الطواف وهو يقول:

إني لها مطية لا أذعر إذا الركاب نفرت لا أنفر
ما حملت وأرضعتني أكبر الله ربي ذو الجلال الأكبرُ

ثم قال لابن عباس: هل جازيتها؟ قال: لا، ولا بطلقة من طلقاتها.

وكان كهمش بارًا بأمه، فخدمها، فبعث إليه سليمان بن علي بصرة يشتري بها خادمًا يخدمها، فردها وقال: إن أمي لم ترض غيري لخدمتي، فلا أرضى غيري لخدمتها.

---

(٣٣) سنن ابن ماجة ٢/ ١٢٠٨.

(٣٤) المعجم الأوسط للطبراني ٦/ ٣٣٩.

(٣٥) إماطتك: إماطك، م، ي.

فصل في صلة الرحم

قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النساء:١].

يقال: في صلة الرحم عشر مثوبات، وفي قطعها عشر عقوبات:

فأولها: أن فيه طاعة الله قد أمر بها الله في قوله: ﴿وَٱلْأَرْحَامَ﴾ أي اتقوا الأرحام، وفيه رضا الله وطاعته، وفي قطعها معصيته وسخطه ولعنته، بين ذلك في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ..﴾ الآية [البقرة:٢٧].

وثانيها: مدح قومًا بصلة الرحم وصفهم بأنهم أولو الألباب في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [الرعد:٢١]، ووصف من قطعها بالصمم والعمى، كما وصف الكفار، أما الكفار في قوله: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ [البقرة:١٨]، وقاطع الرحم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ [ٱللَّهُ] فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾[36] [محمد:٢٣].

[**وثالثها:** الأمن يوم القيامة، روي أنه إذا مد الصراط[37] ينادي [منادٍ: ألا من أدّى] الأمانة ووصل الرحم] فليمض آمنًا.

وفي القاطع: روى أبو يحيى بإسناده أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما مِنْ رَحِمٍ يأتي رحمه فيسأله من فضل[38] ما أعطاه الله فيمنعه إلّا أُخرج له شجاعٌ من النار يتأبّط[39] على بطنه حتى يتطوقه، ثم قرأ: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران:١٨٠].

ورابعها: أنه تعالى يصل واصل الرحم ويقطع قاطعها، روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «تأتي الرحم فتتعلق بقوائم العرش تقول: يا رب إني قُطعت، إني ظُلمت، فيقول الله تعالى: ألا ترضَيْنَ أن[40] أصل من وصلك وأقطع من قطعك».

وخامسها: زيادة العمر ونقصانه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من سره أن يُنسأ له في الأجل، ويبسط له في الرزق، فليصل له رحمه».

(٣٦) فأصمهم: وأصمهم، م، ي.
(٣٧) الصراط: للصراط، م، ي. النهاية في الفتن والملاحم ص٢٨٠.
(٣٨) من فضل: فقيل، م، ي.
(٣٩) يتأبّط: سليط، م، ي. الإرشاد إلى نجاة العباد لابن زيد العنسي ص١٣٣.
(٤٠) ترضَيْنَ أن: ألا ترضاني، م، ي. صحيح البخاري ٩/ ١٤٥.

وسادسها: زيادة الرزق ونقصانه لهذا الخبر، وروى عبد الله بن زرارة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أعجل الطاعة ثوابًا صلة الرحم، حتى إن القوم لتنمو[٤١] أموالهم ويكثر عددهم بصلة الرحم وإنهم لفَجَرةٌ، وإن أعجل المعصية عقوبة لقطيعة الرحم والبغي، واليمين الكاذبة تدع الديار بلاقع»[٤٢].

وسابعها: قبول الطاعة من واصل الرحم، روي عن كعب: أن الأعمال تعرض كل ليلة خميس وجمعة، فما كان من عمل صالح النية فيه صادقة قبله الله، وما كان من عمل صالح النية فيه كاذبة رده الله على صاحبه، وما كان من عمل فيه قطيعة الرحم رمي ذلك العمل».

مجاهد: لا يقبل الله صدقة[٤٣] امرئ وذو رحمٍ محتاج.

وثامنها: دخول الجنة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام».

وعن بعض السلف: من صام النهار، وقام الليل، وقطع الرحم، سيق[٤٤] [على] وجهه إلى نار[٤٥] جهنم.

وتاسعها: أن صلة الرحم تعدل حجة نافلة، عن الحسن قال لرجل يريد الحج: يقول أحدكم: أحج أحجّ[٤٦] [قد] حججت، صل رحمك، نفِّس عن مغموم[٤٧] أحسن إلى جارٍ[٤٨].

وعاشرها: أن موته يكون على أحسن الأحوال، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الواصل لا يموت هدمًا ولا غرقًا».

وقيل لسعيد بن المسيب: إن محمد بن طلحة قد سقط عليه وعلى أهل بيته جدار، فقال: إن محمدًا لم يمت، ففتشوا فإذا هو حي، فقالوا: كيف علمت؟ قال للخبر، وروى الخبر الذي ذكرنا.

---

(٤١) لتنمو: ليتموا، م، ي.
(٤٢) بَلَاقِعُ: جَمْع بَلْقَع، وهو القَفْرُ الذي لاشيء فيه. العين (بلقع).
(٤٣) صدقة: صلاة، م، ي. الحاوي الكبير للماوردي ١٨/ ٦٨٢.
(٤٤) سيق: سبق، م، ي. الأمالي الخميسية للشجري الجرجاني ٢/ ١٧٥.
(٤٥) نار: النار، م، ي. الأمالي الخميسية للشجري الجرجاني ٢/ ١٧٥.
(٤٦) أحج أحجّ: أحجج أحجج، م، ي. كتاب الزهد للإمام أحمد ٢١٢.
(٤٧) نفِّس عن مغموم: تعيش معمرًا، م، ي. كتاب الزهد للإمام أحمد ٢١٢.
(٤٨) جارٍ: جارك، م، ي. كتاب الزهد للإمام أحمد ٢١٢.

وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إني لي قرابة أصلهم ويقطعوني، قال: «ألا أدلك على مكارم الأخلاق؟ تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك»، وهذا معنى قوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ(٤٩)..﴾ الآية [الأعراف:١٩٩].

وعن عبد الله بن عمير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الرحمة معلقة بالعرش فليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل من الذي إذا انقطعت رحمه وصلها».

وعن سويد بن عامر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «صلوا أرحامكم ولو بسلام».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «صلوا الأرحام ولا تقطعوها»، قيل: يا رسول الله ما صلة الرحم وما قطعتها؟ قال: «صلة الرحم أن تسلم على من أعرض عنك، وتعطي من منعك، وتحتمل عنهم وإن آذوك، وتدعوهم إلى عمل الآخرة، وتعلمهم ما ينفعهم لآخرتهم، وتأمرهم بما أمرهم الله، وتنهاهم عما نهاهم الله».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «صلة الرحم وحسن الخلق يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار»، روته عائشة.

فصل في حق الجار

قال تعالى: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ [النساء:٣٦].

ويقال: الجوار على ثلاثة أوجه:

الجوار الذي يستحق به الشفعة؛ وذلك الملازق، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الجار أحق بسَقَبِهِ(٥٠)»، وقال: «الجار أحق بدار الجار ينتظر بها(٥١) وإن كان غائبًا.

والجار الموصى له هو(٥٢) من يجمعهم مسجد واحد، [وهو] الجار المأمور بالإحسان إليه. والجار جاران: جار خير، وجار شر.

(٤٩) العرف: المعروف، م، ي.
(٥٠) السَّقَبُ: القُرب، والمقصود أن الجار أحق بجاره. الصحاح (سقب). صحيح البخاري ٣/ ٨٧.
(٥١) بها: به، م، ي. كنز العمال ٩/ ٣٩٦.
(٥٢) هو: وهو، م، ي.

وقد روى الحسن عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أربع من قواصم الظهر: إمام تطيع ويضلك[٥٣]، وزوجة تأمنها وتخونك، وجار إن رأى خيرًا ستره[٥٤]، وإن رأى شرًا أذاعه، وفق إذا حل لا يستطيع[٥٥] صاحبه منه متلددا[٥٦]».

وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «تعوذوا بالله من ثلاث: تعوذو بالله من جار السوء إن رأى خيرًا دفنه، وإن رأى شرًا أذاعه، وتعوذوا بالله من زوجة السوء إن دخلت عليها لسنتك، وإن غبت عنها خانتك، وتعوذوا بالله من إمام سوء، إن أحسنت لم يقبل وإن أسأت لم يغفر».

وأما جار الخير: فقد روى عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره».

وأما حق الجار: فقد روى الحسن قال: قيل: يا رسول الله ما حق الجار؟ قال: «إن استقرضك أقرضته، وإن احتاج عدت عليه، وإن دعاك أجبته، وإن مرض عدته، وإن استعان بك أعنته وإن أصابته مصيبة عزيته، وإن أصابه خير هنّأته[٥٧]، وإن مات شهدته، وإن غاب حفظته. ولا تُؤْذِهِ[٥٨] بقتار قِدْرِك إلا أن تهدي له منه».

وروى سعيد بن المسيب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «حق الجار على الجار كحرمة أمه».

ابن عباس أن قال: قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ليس بمسلم الذي يشبع[٥٩] وجاره ضا إلى جنبه».

عائشة عنه: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه».

الحسن: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له، والذي نفس محمد بيده لا

(٥٣) يضلك: يظلمك، م، ي. الإشراف في منازل الأشراف ص٢٠٨.
(٥٤) ستره: ستري، م، ي، الإشراف في منازل الأشراف ص٢٠٨.
(٥٥) يستطيعه: يستطيع، م، ي.
(٥٦) المتلدِّد: الملتفت. لسان العرب (لدد).
(٥٧) هنّأته: هنيته، م، ي.
(٥٨) تُؤْذِهِ: تؤذيه، م، ي.
(٥٩) الذي يشبع: الذي لا يشبع، م، ي.

يستقيم دين عبد حتى يستقيم لسانه، ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه، والذي نفس محمد بيده لا يدخل الجنة رجل لا يَأْمنُ جارُه بوائقه غشمه وظلمه»، رواه الحسن.

أبو قتادة قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إن لي جارًا ينصب قدره ولا يطعمني، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما آمن بي جارك قط».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الجار يتعلق بجاره يوم القيامة، فيقول: يا رب أوسعت على أخي هذا وقترت علي، أمسي طاويًا بطني ويمسي هذا شبعان، سله: لِمَ أغلق بابه عني وحرمني ما قد أوسعته عليه؟».

فصل في حق العيال

من يعوله الرجل على وجوه[٦٠]:

منها: الولد، ومنها: الزوجة، ومنها: من يلزمه نفقته من الأقارب، ولكل واحد منهم أحوال.

أما الولد: فهم على ضربين: ولد صالح، وولد طالح.

أما الصالح: فقد روى ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن لكل شيء ثمرة، وإن ثمرة القلب الولد، وإن الله لا يرحم من لا يرحم ولده».

وروت عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أحق مَنْ أكرم الرجل ابنته وأخته».

روى زيد بن علي، عن آبائه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من ابتلي بشيء من هذه البنات فأحسن صحبتهن، كنَّ له طريقًا إلى الجنة»، وفي الحديث: «ريح الولد من ريح الجنة»، وقال لأحد الحسنين: «إنك من ريحان الجنة».

وكانت امرأة ترقص ولدها وتقول:

يا حبذا ريح الولد ... ريح الخزامى في البلد
أهكذا كل ولد ... أم لم يلد قبلي أحد

ومن ألفاظ الصاحب: وصل كتاب مولاي فألصقته بالكبد، وشممته شم الولد.

---

(٦٠) وجوه: وجوده، م، ي.

وفي الخبر المعروف: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا عن ثلاث: ولد صالح يدعو الله له بخير، وعلم ينتفع به، وصدقة جارية».

وقيل: الأولاد أكباد.

شعر:

وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض

ومما قص الله من حديث الأولاد قصة يوسف مع يعقوب، قال: ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ﴾ [يوسف:٨٤] إلى أن ألقى قميصه على وجهه فارتد بصيرًا، وحديث [نوح] وقوله: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾ [هود:٤٢] القصة إلى آخرها، وحديث إبراهيم في قوله: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات:١٠٠]، وقوله: ﴿إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي..﴾ [إبراهيم:٣٧] الآيات والقصة، وحديث مريم وعيسى في قوله: ﴿قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا﴾ [مريم:٢٤] القصة بطولها، وحديث سليمان وداود: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل:١٦]، وقوله: ﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَ﴾ [الأنبياء:٧٩].

وقيل: ثلاثة من الصبيان تكلموا فكانوا أنبياء: يحيى ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾ [مريم:١٢]، وعيسى في قوله: ﴿إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾ [مريم:٣٠]، وسليمان في قوله: ﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَ﴾ [الأنبياء:٧٩]، وبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على إبراهيم وقال: «العين تدمع، والقلب يخشع، ولا نقول ما يسخط الرب»، وقصة الحسن والحسين مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحبه لهما معروف.

وأما الولد الفاجر: فقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ [التغابن:١٥]، وقال في قصة نوح: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ﴾ [هود:٤٦]، وقال: وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [المائدة:٢٧] القصة.

وقيل لعيسى عليه السلام: هل لك [في الولد] حاجة؟ فقال: ما حاجتي إلى ما إن عاش كدّني، وإن مات هدّني.

وقيل لبعض النساك: ما لك لا تبتغي ما كتب الله لك؟ فقال: سمعًا لأمر الله، ولا مرحبًا بمن إن عاش فتنني، وإن مات حزنني، يريد قوله: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ [التغابن:١٥].

وقيل لأعرابي: لم أخرت التزويج إلى الكبر؟ فقال: لأبادر ولدي باليتم قبل أن يسبقني بالعقوق.

شعر:

يقولـون ذكـر المـرء يبقـى بنسـله وليـس لـه ذكـر إذا لـم يكـن نسـلُ
فقلت لهم نسلي بدائع حكمتي فمـن نسـله نسـل فإنـا بـه نسـلو

وفي الحكاية أن رجلًا من مياسير البصرة كان يتمنى(٦١) الولد ابنًا(٦٢)، ونذر عليه النذور، فولد له ابن فسر به وأحسن تربيته ولم ير الدنيا [سواه]، وبلغ في الإحسان إليه كل مبلغ، حتى بلغ الحلم، فلم يشعر الشيخ ذات يوم إلا بخنجر خَالَطَ جوفه من وراء ظهره، فاستغاث بابنه(٦٣) فلم يجبه، فالتفت فإذا هو ابنه صاحب الخنجر، فقال الشيخ: لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أستغفر الله، صدق الله، أراد بالتهليل أن يلقى الله بالإيمان وبالاستغفار أن الله حذره فلم يحذر، وصدق الله في قوله: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ [التغابن:١٤].

وقيل لعمر بن عبد العزيز وكان يفرق ماله: هلا تركت لأولادك؟ فقال: إن كانوا أتقياء فالله يرزقهم، وإن كانوا فجارًا فلا أعينهم، وهذا يجوز في حالة الصحة، فأما في حال المرض فلا.

روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل على سعد بن أبي وقاص يعوده من مرض نزل به، فقال: يا رسول الله أوصي(٦٤) بجميع مالي؟ قال: «لا»، قال: بثلثيه؟ قال: «لا»، قال: بنصفه؟ قال: «لا»، قال: بثلثه؟ قال: «الثلث والثلث كثير، إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم يتكففون الناس».

شعر:

ومـا الدهـر أهـل(٦٥) أن يؤمـل عنـده حيـاة وأن يشـتاق فيـه إلـى النسـلِ

ولابن الرومي(٦٦):

(٦١) يتمنى: يمتني، ي. كتاب اللطائف والظرائف للثعالبي أبي منصور ص١٧٨.
(٦٢) ابنا: أنثا، م، ي..
(٦٣) بأبنه: ثانية، م، ي.
(٦٤) أوصى: أوصني، م، ي.
(٦٥) أهل: هل، م، ي.
(٦٦) لابن الرومي: والأصح البيت ينسب لابن المعتز. وكذلك في رواية: فأنت وعاء حشوه الهم والوزر. انظر ديوان ابن المعتز، ٢٠٩.

سكنتك[٦٧] يا دنيا برغمي[٦٨] مكرها ... وما كان لي في ذاك[٦٩] صنعٌ ولا أمرُ
وجرَّبت حتى قد قلبتك[٧٠] خبرةً[٧١] ... فأنت وعاءٌ حشوهُ الهمُّ والضر
فإن أرتحل يومًا أدعك ذميمة ... وما فيك من عودي غراس ولا بذر

وأما حق الزوجة: قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء:٣٤].

ومما قص الله تعالى من حديث النساء: حديث نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مواضع: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ﴾ [الأحزاب:٢٨]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ [التحريم:١].

وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما حق الزوجة على الزوج؟ قال: «تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا كسوت، ولا تضرب وجهها، ولا تقبح أمرها، ولا تهجرها»، ثم قال: «اتقوا الله في النساء، فإنهن عندكم عوان، لا يملكن لأنفسهن شيئًا، وإنما اتخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على ألمه، ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله مثل أجر آسية بنت مزاحم».

عقبة بن عامر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن من أحق ما وفيتم به من الشروط ما استحللتم به الفروج»، وقال[٧٢] صلى الله عليه وآله وسلم: «خياركم عند الله خياركم أخلاقًا، وخيركم خيركم لنسائهم[٧٣]، فإن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم».

وروى يحيى بن كثير عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من أكرم زوجته فإنما أكرم الله».

ومن حقوق المرأة: مهرها، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أدوا العلائق»؟ قيل: وما العلائق؟ قال: «ما تراضى عليه الأهلون»، وقال تعالى: ﴿وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [النساء:٢٥].

(٦٧) سكنتك: شكيتك م ي، كتاب اللطائف والظرائف لأبي منصور الثعالبي ص١٧٧.
(٦٨) برغمي: زعمي،م؛ برغمك، ي. كتاب اللطائف والظرائف لأبي منصور الثعالبي ص١٧٧.
(٦٩) أخاك: ذا، م، ي.
(٧٠) قلبتك: قبلتك، م، ي.
(٧١) خبرةً: حيرة، م، ي. كتاب اللطائف والظرائف لأبي منصور الثعالبي ص١٧٧.
(٧٢) وقال: فقال، م، ي.
(٧٣) لنسائهم: لنسائكم، م، ي. سنن الترمذي ٣/ ٤٥٨.

وقال: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾، ثم قال: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ [النساء:٤].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من تزوج امرأة وجعل لها صداقًا وهو مجمعٌ ألاَّ يؤديه لقي الله تعالى يوم القيامة زانيًا، ومن أدان دينًا وهو مجمع ألاّ يؤديه لقي الله يوم القيامة سارقًا».

عن ابن عباس: أيما امرأة وهبت صداقها لزوجها كان لها بكل مثقال ذرة عتق رقبة، وأيما امرأة كتمت سر زوجها وإن كان كافرًا دخلت الفردوس مع الحور العين».

فأما العيال والنفقة عليهم في الجملة: فقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

وروى أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أربع نفقات لا يحاسَب العبد بهن يوم القيامة: نفقته على أبويه، وعلى إفطاره وسحوره، وعلى عياله».

وحدثنا الشيخ الإمام أبو محمد بإسناده عن الحسن يرفعه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما أنفقتم في سبيل الله فلكم، وما أنفقتم على أنفسكم فلكم، وما تركتم فللورثة».

أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الخلق كلهم عيال(٧٤) الله، فأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله».

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من طلب الدنيا حلالًا مكاثرًا مرائيًا لقي الله وهو عليه غضبان، ومن طلب الدنيا حلالًا استعفافًا عن المسألة وسعيًا على عياله، وتعطفًا على جاره، بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر».

وحدثنا الشيخ الإمام أبو محمد بإسناده إلى أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «دينار تنفقه في سبيل الله ودينار تعطيه في رقبة، ودينار تنفقه على أهلك، أعظمهما: الدينار الذي تنفقه على أهلك».

وروى عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت».

---

(٧٤) عيال: عباد، م، ي.

شعر:

الخلق كلهم عيال[٧٥] الله تحت ظلاله
فأحبهم طرًا إليه أبرُّهم بعياله

فأما الوالدان والمملوك والرعية، فلكل[٧٦] واحد باب مفرد.

فصل في حق الزوج

قال الله تعالى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء:٣٤].

ومما قص الله تعالى من أخبار النساء: امرأة نوح وامرأة لوط، ومن أخبار الصالحات: امرأة فرعون ومريم بنت عمران، القصة بطولها.

وحدثنا الشيخ الأمام أبو محمد رحمه الله بإسناده عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وأحصنت فرجها، وأطاعت بعلها، فلتدخل من أيِّ[٧٧] أبواب الجنة شاءت».

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «لعن ثلاثة: رجل أمَّ قومًا[٧٨] وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، ورجل سمع (حي على الفلاح) فلم يجب».

وقال: «أيما امرأة سألت الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة»، رواه ثوبان.

سعيد بن المسيب قال: جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: إني امرأة كثيرة الخطّاب، وقد رغب فيّ الرجال، فجئت أسألك عن حق الزوج على الزوجة، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يا هذه إن دعاك أجيبيه[٧٩] في أول دعوة، فإن عنيته[٨٠] إلى الثانية حبط عنك أجر سبعين صلاة مكتوبة»[٨١]، قال: فمدت يديها إلى جيب قميصها قالت: فها

(٧٥) عيال: عباد، م، ي.
(٧٦) لكل: ذلك، م، ي.
(٧٧) أيِّ: أب، م، ي.
(٧٨) قومًا: قوم، م، ي.
(٧٩) أجيبيه: أجبتيه، م، ي.
(٨٠) عنيته: عنيتيه، م، ي.
(٨١) الإرشاد إلى نجاة العباد لعبدالله العنسي ص١٢٦.

غير هذا؟ قال: «نعم، ما من امرأة تعمل عملًا فيقسم عليها فلم تبر قسمه، إلا لم يوزن لها عند الله يوم القيامة مثقال ذرة»، قالت: فهل غير هذا؟ قال: «نعم، ما من امرأة تخرج بغير إذن زوجها إلا كتبت عليها بكل ذرة وورقة وشجرة[٨٢] وكل خطوة تخطوها سيئة، ومحيت عنها حسنة»، قالت: فهل غير هذا؟ قال: «نعم، ما من امرأة تسيء النظر إلى زوجها إلا بعثت يوم القيامة ممسوخة الرأس والجسد»، قالت: فغير هذا؟ قال: «نعم، ما من امرأة تؤذي زوجها بلسانها إلا جعل لسانها ستين ذراعًا يعقد خلف عنقها ثم يشق باثنتين[٨٣] يتوقد من شفتيها[٨٤] نار تحرق[٨٥] وجهها»، قالت: فهل غير هذا؟ قال: «نعم، ما من امرأة لها مال فاحتاج زوجها إلى مالها فمنعته إلا هتك الله سترًا بينه وبينها»، قالت: فهل غير هذا؟ قال: «نعم، ما من امرأة تصدقت من بيت زوجها بصدقة إلا كتب أجر ذلك لزوجها، وكتب عليها بكل ذلك وزر»، قالت: فهل غير هذا؟ قال: «نعم، لا تصوم إلا بإذن زوجها إلا شهر رمضان، فإن صامت كان الأجر لزوجها ولم تقبل منها الصلاة»، قالت: فهل غير هذا؟ قال: «نعم، ما من امرأة تصلي فلا تبدأ بربها، ثم تصلي على نبيها، ثم تدعو لزوجها، ثم لنفسها، إلا ضرب بها وجهها»، قالت: يا رسول الله، وإن كان الزوج ظالمًا؟ قال: «نعم»، قالت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق نبيًا لا يملك علي امرؤٌ يدًا».

عن عكرمة قال: كنت جالسًا مع ابن عباس في نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ أتاهم رجل فقال: يا أصحاب محمد وخيار الناس بعده، إن لي امرأة سليطة اللسان، نمامة، توقع الجيران بعضهم ببعض، وتوقع بينهم الشر، ولا تلزم منزلها، وأنا منها في عناء وشدة، فقالوا: هل منكم أحد يبلغها قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم نرجو أن يغفر الله له؟ فقال حذيفة: أنا، فقال أبو بكر: بلغها أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «أيما امرأة عذبت زوجها بلسانها فهي في لعنة الله وسخطه ولعنة الملائكة والناس أجمعين».

وقال عمر: بلغها أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «أيما امرأة دعاها زوجها إلى فراشه فأبت فهي في سخط الله إلا أن تتوب».

---

(٨٢) ورقة وشجرة: ورق وشجر، م، ي. الإرشاد إلى نجاة العباد لعبدالله العنسي ص١٢٦.

(٨٣) يشق باثنتين: تسق باثنتي، م، ي. الإرشاد إلى نجاة العباد لعبدالله العنسي ص١٢٦.

(٨٤) شفتيها: سعتها، م، ي. الإرشاد إلى نجاة العباد لعبدالله العنسي ص١٢٦.

(٨٥) تحرق: يحرق، م، ي.

وقال عثمان: قل لها: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «أيما امرأة قالت لزوجها: ما لي منك [خير][٨٦]، وما رأيت منك خيرًا قط إلا أحبط الله عملها سبعين سنة. ولو كانت تصوم النهار وتقوم الليل إلا أن[٨٧] تتوب وترجع».

وقال علي عليه السلام: قل لها: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حبيبي أبا[٨٨] القاسم يقول: «أيما امرأة هجرت زوجها وهي ظالمة[٨٩] له حشرت يوم القيامة مع فرعون وقارون وهامان في الدرك الأسفل من النار، إلا أن تتوب وترجع».

وقال عبد الله بن عباس: قل لها: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «أيما امرأة خرجت من بيتها بغير إذن زوجها لعنها كل شيء طلعت عليه الشمس والقمر، إلا أن يرضى عنها زوجها».

وقال عمار: قل لها: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «أيما امرأة خانت زوجها في الفراش عليها نصف عذاب هذه الأمة».

وقال المقداد بن الأسود: قل لها: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «أيما امرأة عصت زوجها عليها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين».

وقال سلمان: قل لها: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «أيما امرأة منت على زوجها بمالها فتقول: إنما تأكل أنت من مالي، فلو أنها تصدقت بذلك المال في سبيل الله لا يقبل الله منها، إلا أن يرضى عنها زوجها».

وقال أبو ذر: قل لها: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «أيما امرأة قالت لزوجها: عليك لعنة الله وهي ظالمة له، إلا لعنها الله من فوق سبع سماوات وكل شيء خلق الله، إلا الثقلين الجن والإنس، إلا أن تتوب وترجع».

وقال طلحة: قل لها: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «أيما امرأة كلحت في وجه زوجها فيدخل عليه في ذلك غم، فهي في سخط الله إلا أن تضاحك زوجها وتدخل عليه السرور».

---

(٨٦) الجيطالي: قناطر الخيرات ٢/ ٣٣٧.

(٨٧) ألا أن: الأن، م، ي.

(٨٨) أبا: أبي، م، ي.

(٨٩) ظالمة: ظالم، م، ي.

وقال الزبير: قل لها: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «أيما امرأة عبدت عبادة مريم ثم لم ترض زوجها ما قبل الله منها، وأدخلها مع المنافقين النار، إلا أن تتوب وترجع».

وقال عبد الرحمن بن عوف: قل لها: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «أيما امرأة أدخلت على زوجها الغم في أمر النفقة وكلفته ما لا يطيق لا يقبل الله منها صرفًا ولا عدلًا، إلا أن تتوب وترجع وتطلب منه طاقته».

وقال معاذ بن جبل: قل لها: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لو أن امرأة لحست من جانب أنف زوجها دمًا ومن الآخر قيحًا ما أدت حق زوجها».

وقال أبو هريرة: قل لها: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لو أن امرأة وضعت إحدى يديها[٩٠] طبيخًا والأخرى مشوية ما أدت حق زوجها، ولو عصت مع ذلك زوجها طرفة عين ألقيت في الدرك الأسفل من النار، إلا أن تتوب وترجع».

وقال عبد الله بن عمر: قل لها: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لو أن جميع ما في الأرض من ذهب وفضة حملت امرأة إلى بيت زوجها، ثم ضربت على رأس زوجها يومًا من الأيام تقول: من أنت؟ إنما المال مالي، حبطت أعمالها ولو كانت أعبد الناس، إلا أن تتوب وترجع وتعتذر إلى زوجها».

وقال أبو أمامة الباهلي: قل لها: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لو جاز لأحد أن يسجد لأحد من دون الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها».

وقال أبو أيوب الأنصاري: قل لها: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «أيما امرأة آذت زوجها في أن يخلي سبيلها، وتؤذيه ولا تطيعه في شيء من الأشياء حتى يخلي سبيلها، وهو[٩١] لا تطيب نفسه بتخلية سبيلها، فلو[٩٢] افتدت منه بملء الأرض ذهبًا ولم تطب نفسه نزع الله منها صالح ما أعطاها، وأدخلها النار مع الداخلين».

فبلغها حذيفة، فخرجت المرأة وتابت وقالت لهم: أريد أن يرضى عني زوجي، فقال

---

(٩٠) إحدى يديها: أحد ثدييها، م، ي. مستدرك الوسائل الميرزا النوري ١٤ / ٢٥٧.

(٩١) وهو: وهي، م، ي.

(٩٢) فلو: ولو، م، ي.

الرجل[٩٣]: لا تطيب نفسي، فقالوا له: من لا يرحم لا يرحم، فرضي عنها، وجاء بعد ذلك فقال: رضي الله عنكم كما أرضاني عنها.

وللمرأة على الرجل مثل ذلك، لقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ﴾ [البقرة:٢٢٨].

فصل في حق المسلمين

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة:٧١].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه، فإذا دعاك فأجبه[٩٤]، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمّته، وإذا مرض فعُدْه، وإذا مات فاتبعه»، رواه أبو هريرة.

وعن صلى الله عليه وآله وسلم: «حرمة مال المسلم كحرمة دمه»، رواه ابن مسعود.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «سباب المؤمن فسق وقتاله كفر، وحرمة ماله كحرمة دمه»، رواه ابن مسعود.[٩٥]

النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، فإنما مثل المسلمين في تواصلهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل العضو من الجسد، إذا شكى تداعى الجسد كله بالسهر والحمّى حتى يذهب ألم ذلك العضو».

وأراد [أبو][٩٦] جهم بن حذيفة بيع داره، فلما أراد أن يشهد قال: بكم تشترون جوار سعيد بن العاص؟ قالوا: سبحان الله من يشتري جوار رجل ويبيعه؟ قال: ألا تشترون جوار رجل إذا أسأت عليه أحسن إلي، وإذا سألته أعطاني، وإذا افتقرت أغناني، وإن كان علي دين قضى عني؟ ردوا عليّ داري، فبلغ ذلك سعيد بن العاص فبعث إليه بمائة ألف.

وقيل: أربع من كن فيه فهو خير البرية، ومن لم يكنَّ فيه فلا خير فيه: من أعان المحسن، وفرح بتوبة التائب، واستغفر للذنب، ودعا للمدين.

---

(٩٣) قال الزبير سمعت.... قال الرجل: - م.
(٩٤) فأجبه: فأجيبه، م، ي.
(٩٥) +: وذكره مسلم في الصحيح، ي.
(٩٦) حياة الحيوان الكبرى للدميري ص٤٨٤.

ابن عوف: أول ما يؤخذ من هذه الأمة الألفة والشفقة.

الحسن عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن بدلاء أمتي لا يدخلون الجنة بكثرة الصلاة والصوم، ولكن دخلوها برحمة الله وسلامة الصدور(٩٧)، وسخاوة النفس، والرحمة لجميع المسلمين».

أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

علي عليه السلام: أعلم الناس بالله وأنصح الناس في الله أشدهم تعطفًا لحرمة أهل (لا إله إلا الله).

وروى أبو يحيى البزاز بإسناده عن سهل بن سعد الساعدي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، يألم المؤمن بما يصيب أهل الإيمان كما يألم الرأس من الجسد».

حذيفة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم».

وعنه: «من اهتم بجوعة أخيه المسلم فأطعمه حتى يشبع غفر له».

زيد بن أسلم، عن أبيه قال: كنت مع عمر بن الخطاب وهو يحرس المسلمين، فانتبهنا إلى امرأة توقد تحت قدر لها فيها ماء وأولادها يبكون، فقال لها عمر: ما شأن هؤلاء الصبيان يبكون؟ قالت: هم أيتام وليس عندي ما أطعمهم، فأنا أعللهم بهذا يظنون أنه طبيخ حتى يناموا، فقال عمر: ثكلتك أمك يا أسلم(٩٨) مر بنا إلى دار الدقيق، فانتهينا إلى دار الدقيق فقال: أشل علي، قال: قلت: أو أحمل عنك؟ قال: فمن يحمل عني ذنوبي يوم القيامة؟ فحمله عمر، ثم قال: شأنك بالشحم، فوالله لقد رأيت أمير المؤمنين ينفخ تحت القدر وإن لحيته لفي الرماد حتى طبخ لهم، ثم قال للمرأة: شأنك الصبية، قال: فخرجنا إلى خارج الخباء(٩٩)، فقلت: ننصرف يا أمير المؤمنين؟ قال: لا والله لا أبرح حتى أسمع ضحكهم كما سمعت بكاءهم، قال: فشبع الصبية فلهوا وضحكوا.

---

(٩٧) نوادر الأصول في أحاديث الرسول ١/ ٢٦٣.

(٩٨) أسلم: سلم، م، ي.

(٩٩) الخباء: المخبا، م، ي.

عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا طبختم قدرًا فأكثروا ماءها واغرفوا للجيران» الحسن.

قيل ليوسف: تجوع وفي يدك خزائن الأرض؟ فقال: إني أخاف أشبع فأنسى الجائع.

أبو حنيفة، عن علي بن الأقمر قال: كان عمر يطعم المسلمين بالمدينة، وهو يذودهم ويطوف عليهم ويتعاهدهم وبيده عصا، فمر يومًا برجل يأكل بشماله فقال: يا عبد الله كُلْ بيمينك، فقال: إنها مشغولة، فقال: ما شغلها؟ فقال: أصيبت يوم مؤتة، فجلس عنده يبكي ويقول: من يوضّئك(١٠٠) ويغسل رأسك، ومن يصنع كذا، ثم أمر له بجارية وكسوة وراحلة وطعام، وجعل يتفقده حتى رفع أصحاب محمد أيديهم يدعون لعمر مما رأوا من رأفته واهتمامه بأمر المسلمين.

وروى زيد بن أسلم قال: لما كان عام الرمادة وأجدبت العرب، كتب عمر إلى عمرو بن العاص: من عبد الله أمير المؤمنين عمر إلى العاصي(١٠١) ابن العاص، إنك لعمري لا تبالي إذا سمنت أنت ومَنْ قِبَلك أن أعجف أنا ومَنْ قِبلي، فيا غوثاه ثم يا غوثاه ثم يا غوثاه، فكتب عمرو بن العاص: أما بعد يا لبيك يا لبيك يا لبيك أتتك عيرٌ(١٠٢) أولها عندك وآخرها عندي، مع أني أرجو أن أجد سبيلًا أحمل إليك في البحر، فلما قدمت العير بعثه بأبي عبيدة بن الجراح ففرقه على أهل نجد.

حميد بن ثابت، عن أنس قال: بينما عمر يعس بالمدينة إذ مر ببيت من شعر لم يكن بالأمس، فدنا منه فسمع أنين امرأة ورأى رجلًا فسلم عليه فقال: من الرجل؟ فقال رجل من أهل البادية جئت إلى أمير المؤمنين أصيب فضوله، قال: فما الصوت؟ قال: امرأة تمخض، قال: هل عندها أحد؟ قال: لا، فرجع حتى أتى منزله، فقال لامرأته أم كلثوم بنت علي عليه السلام: هل لك في خير ساقه الله إليك، أعرابية تمخض ليس عندها أحد؟ فقالت: نعم إن شئت، قال: فخذي ما يصلح للمرأة لولادتها من الخرق والدهن وغير ذلك، وائتيني ببرمة(١٠٣) وشحم(١٠٤) وحبوب،

(١٠٠) يوضّئك: يوضيك، م، ي.

(١٠١) العاصي: العاص، م، ي. مسند أمير المؤمنين عمر ١/ ٢٥٦.

(١٠٢) أتتك عيرٌ: أنت عيرنا، م، ي.

(١٠٣) البُرْمَة: قِدْرٌ من حجر. العين (برم).

(١٠٤) وشحم: ذي شحم، م، ي.

فجاءت بها، فقال: انطلقي، وحمل البرمة ومشت خلفه حتى انتهى إلى البيت، فقال لها: ادخلي إلى المرأة، وقعد إلى الرجل، فقال له: أوقد لي نارًا، ففعل وأوقد تحت البرمة حتى أنضجها، وولدت المرأة، فقالت: يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام، فلما [سمع] يا أمير المؤمنين هابه، فجعل يتنحى عنه، فقال: مكانك، وحمل البرمة على النار وقال: أشبعيها، ففعلت، فقام عمر وأخذها ووضعها بين يدي الرجل، ثم خرج وامرأته، وقال للرجل: ائتنا غدًا، فغدا إليه فأجازه وأمر له بعطاء.

وروى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نظر إلى الكعبة فقال: «ما أعظم حقك وأعظم حرمتك، وللمرء المسلم أعظم حقًا منك، إن الله حرم ماله، ودمه، وعرضه، وأذاه، وأن يُظَنَّ به ظن السوء».

أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن جبريل قال: «قال الله تعالى: من أهان لي وليًا فقد بارزني بالمحاربة، ما ترددت عن شيء أنا فاعله، ما ترددت في قبض نفس المسلم يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه، ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتنفل لي حتى أحبه، ومن أحببته كنت له سمعًا وبصرًا ويدًا ومؤيدًا، دعاني فأجبته، وسألني فأعطيته، ونصحني فنصحت له، وإن من عبادي لمن يريد(١٠٥) الباب من العبادة فأكفه عنه لئلا يدخله عُجْبٌ(١٠٦) فيفسده ذلك، وإن من عبادي لمن لا يُصْلِح إيمانَه إلى الغنى، لو أفقرتُه لأفسده ذلك، وإن من عبادي لمن لا يُصْلِح إيمانَه إلا الفقر، وإن أغنيته أفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يُصلح إيمانَه إلا الصحةُ، لو أسقمته أفسده ذلك، وإن من عبادي لمن لا يصلح إيمانه إلا السقم لو أصححته أفسده ذلك، إني أدبر عبادي لعلمي بقلوبهم، إني عليم خبير».

عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه قال: لما كان يوم الوداع جلس النبي صلى الله عليه وآله وسلم على بعيره ورجل آخذ بخطامه، فقال: «أي يوم هذا»؟ فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، [قال: «أليس يوم النحر؟» قلنا: بلى، قال: «فأي شهر هذا؟» فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: «أليس بذي(١٠٧) الحجة»؟ قلنا: بلى، قال: «فأي بلد هذا»؟ فسكتنا

(١٠٥) يريد: يري، م، ي، بحر الفوائد للكلاباذي ص٢٧٧.

(١٠٦) عجب: عجبت، م، ي.

(١٠٧) بذي: ذو، م، ي.

حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: «أليس هذا البلد الحرام»؟ قلنا: بلى، قال: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا فليبلغ الشاهدُ الغائبَ، فإن الشاهد يبلغ من هو أوعى له[١٠٨] منه».

أبو بكر قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أبا بكر إذا رأيت الناس يسارعون في الدنيا فعليك بالآخرة، فاذكر الله عند كل حجر ومدر يذكرك إذا ذكرته، ولا تحقرن أحدًا من المسلمين، فإن صغير المسلمين عند الله كبير».

أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يا معشر المسلمين، اتقوا أذى المسلمين، إنه من آذى مسلمًا فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله».

عبد الرحمن بن عوف، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «المسلم في ذمة الله من يوم تحمل به أمه إلى أن يقوم بين يدي الله، فإن وافى الله بشهادة أن لا إله إلا الله صادقًا، وباستغفار صادق، كتب له براءة من النار».

وروى علي بن موسى الرضا عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من استذل مؤمنًا أو حقره لفقره وقلّة ذات يده شهره الله يوم القيامة، ثم يفضحه».

ولا ينبغي لأحد أن يعظم أحدًا لدنياه، فقد بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من تضعضع[١٠٩] لغني ذهب ثلثا دينه»، وينبغي أن يعظمه لفضله وإيمانه كما ذكرنا.

وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان جالسًا مع أصحابه إذ دخل عليه علي عليه السلام ولم يكن له مجلس، فلما رآه أبو بكر تدحرج عن مكانه، ثم قال: هاهنا يا أبا الحسن، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أهل الفضل أولى بأهل الفضل، ولا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أولو الفضل».

وعن طارق بن عبد الرحمن قال: كنت عند الشعبي، فأتاه رجل فطرح له وسادة، وقال: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا أتاكم كريم فأكرموه».

وعن عائشة أنه مر بها سائل فأمرت له بكسوة، ومر بها رجل ذو هيئة فأقعدته، وأمرت له بالمائدة، فسئلت عن ذلك فقالت: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن ننزل الناس منازلهم.

(١٠٨) أوعى له: غائب، م، ي. صحيح البخاري ١/ ٢٤

(١٠٩) التضعضع: الخضوع والذل. لسان العرب (ضعع).

وعن سفيان بن عيينة: من تهاون بالإخوان ذهبت[١١٠] مروءته، ومن تهاون بالسلطان ذهبت دنياه، ومن تهاون بالصالحين ذهبت آخرته.

فصل في الرحمة على البهائم

قال الله تعالى: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ [النساء:٣٦]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «غفر الله لامرأة مومسة مرت بكلب على رأس ركيّ[١١١] فكاد يقتله العطش، فنزعت خفها فأوثقتها بخمارها، فنزعت له من الماء فأحيته، فغفر لها»، رواه أبو هريرة.

أبو أمامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من رحم في الدنيا ولو ذبيحة رحم يوم القيامة، والرحمة من الإيمان، والإيمان في الجنة».

معاوية بن قرة، عن أبيه أن رجلًا قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إني لأذبح الشاة وأنا أرحمها»، أو قال: «إني لأرحم الشاة إذا ذبحتها»، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الشاة إن رحمتها رحمك الله».

ابن مسعود قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [في سفر، فنزلنا منزلًا فيه قرية نمل فأحرقناه، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه]: «لا تعذبوا بالنار، فإنه لا يعذب بالنار إلا ربها، ومررنا بشجرة فيها فرخا حُمَّرَة[١١٢] فأخذناهما، فجاءت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهي تُعرِّض، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من فجع هذه بفرخيها»؟ فقلنا: نحن، فقال: «ردوهما»، فرددناهما إلى موضعهما.

عن سراقة بن مالك بن جشعم قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما يغشى حياضي هل لي أجر أن أسقيها؟ قال: «نعم، في كل ذات كبد حَرَّى[١١٣] أجر».

---

(١١٠) ذهبت: أذهبت، م، ي. بستان العارفين للسمرقندي ص٨٠.

(١١١) الرَّكِيَّةُ: البئر. لسان العرب (ركا).

(١١٢) الحُمَّرَةُ: طائر من العصافير. تاج العروس (حمر).

(١١٣) الحَرَّى: مؤنث حَرَّان مثل عَطْشَى وعطشان، مشتقة من الحر. تاج العروس (حرر).

فصل في الرحمة على الصبيان

أبو هريرة قال: قبّل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحسن بن علي والأقرع بن حابس ينظر، فقال الأقرع: إن لي لعشرة من الولد ما قبّلتُ أحدًا منهم، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من لا يَرحم لا يُرحم».

أبو الدرداء: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأتاه رجل يشتكي قسوة قلبه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أتحب أن يلين قلبك»؟ قال: نعم، قال: «أَدْنِ اليتيم منك، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك، فإن ذلك يلين قلبك، ويقدرك على حاجتك».

عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء».

أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «والذي نفس محمد بيده لا يضع الله رحمة إلا على رحيم»، قالوا: يا رسول الله كلنا نرحم، قال: «ليس بالذي يرحم نفسه خاصة، ولكن الذي يرحم المسلمين عامتهم».

أنس: ما رأيت أحدًا أرحم وألطف بالصبيان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أربع من كن فيه بنى الله له بيتًا في الجنة: من آوى اليتيم، ورحم الضعيف، وأشفق على والديه، ورفق بمملوكه».

أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يا أنس، ارحم الصغير، ووقّر الكبير، تكن من رفقائي».

ابن جريج، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من شرب ماء وعنده صبي يريد أن يشرب فلم يبدأ به قبله قطع الله عنقه».

فصل في الفتيان

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾ [الكهف:١٣]، ﴿فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ [الأنبياء:٦٠]، ﴿وَقَالَ لِفِتْيَـٰنِهِ(١١٤)﴾ [يوسف:٦٢].

(١١٤) لِفِتْيَـٰنِهِ: لفتيته، م، ي.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أوصيكم بالشباب خيرًا - ثلاثًا - فإنهم أرق أفئدة، ألا فإن الله أرسلني شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، فحالفني[١١٥] الشباب وخالفني الشيوخ».

محمد [بن] كعب قال: إن أردت النجاة غدًا فليكن كبير المسلمين عندك أبًا، وأوسطهم أخًا، وأصغرهم ولدًا، فوقر أباك، وأكرم أخاك، وتحنن على ولدك.

ثابت البناني قال: كان شاب على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [يلبس ويهنأ، فلما مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم] قصر[١١٦] وشمر في العبادة، فقيل له: لو فعلت هذا ورسول الله حي لقرّت[١١٧] عيناه، فقال: كان لي أمانان، مضى أحدهما وبقي الآخر، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ وقد مضى هذا ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال:٣٣] فلا أزال أجتهد[١١٨].

شميط بن عجلان: الناس ثلاثة: من نشأ على الخير وفارق الدنيا عليه فهو المقرب، ومن نشأ على الشر ثم عاد إلى الخير فهذا صاحب يمين، ومن نشأ على الشر وفارق الدنيا عليه فهذا صاحب الشمال.

فصل في الشيوخ

الشيوخة وسيلة ﴿إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ [يوسف:٧٨]، وقال: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص:٢٣].

وروى ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ليس منا من لم يوقر الكبير، ويرحم الصغير، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر».

أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله جواد يحب الجواد من عباده، ويحب معالي الأمور ويكره سفسافها، وإن من تعظيم جلال الله إكرام ذي الشيبة، وإن من تعظيم جلال الله إكرام الإمام العادل».

---

(١١٥) فحالفني: فخالصتني، م، ي.
(١١٦) قصر: قضى، م، ي.
(١١٧) لقرّت: فقرت، م، ي.
(١١٨) مشكاة الأنوار للطبرسي ص٢٩٨.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاثة لا يستخف بحقهم إلا منافق: ذو الشيبة في الإسلام، وذو العلم، وإمام مقسط»، رواه أبو أمامة.

وقال: «الخير مع أكابركم»، رواه ابن عباس.

وقال: «ما أكرم شاب شيخًا لسنّه إلا قيض الله عند شيبه من يكرمه»، رواه أنس. وقال أنس: ما من شيء أحب إلى الله من شاب تائب.

فصل في حق الجليس

أبان بن عثمان، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أحسنوا مجالسة من جالسكم».

الحسين بن علي عليهما السلام قال: سألت أبي عن مجلسه فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعطي كل جلسائه بنصيبه، لا يحسب أحد من جلسائه أن أحدًا أكرم عليه منه من جلسائه.

ابن عباس: إن من أفضل الحسنات تكرمة الجلساء، وعنه: أكرمُ الناس عليَّ جليسي، إن الذباب ليقع عليه فيشق علي. وعنه: للجليس عليَّ ثلاث خصال: إذا أقبل أوسعت له، وإذا جلس أقبلت عليه، وإذا حدَّث استمعت له.

أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا أتاكم الزائر فأكرموه».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم في وصيته: «يا علي من لم ينتفع بدينه ولا دنياه فلا خير لك في مجالسته، ومن لم يوجب لك فلا توجب له ولا كرامة».

فصل في حق المماليك والمولى

للمولى على عبده حق يجب قضاؤه، وللعبد على مولاه حق يجب، فكل واحد منهما مسؤول عن صاحبه.

وأما حق المولى: فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من

أهل الكتاب آمن بنبيِّه[١١٩] وأدرك النبي الآخر فآمن به، فاتبعه وصدّقه فله أجران، وعبد مملوك أدى حق الله وحق سيده فله أجران، ورجل كانت له أمة، فغذاها فأحسن غذاءها، ثم أدبها، ثم أعتقها وتزوجها فله أجران»، رواه أبو موسى.

وقال: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي عليكم راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على ولد زوجها وعلى ماله وهي مسؤولة عنه، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»، رواه ابن عمر.

وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «للعبد الصالح المملوك أجران»، ثم قال: والذي نفس أبي هريرة بيده لولا الجهاد والحج لأحببت أن أموت وأنا مملوك.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يدخل الجنة بخيل ولا خائن، ولا سيئ الملكة، وأول من يقرع باب الجنة المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه»، رواه أبو بكر الصديق.

فأما حق المملوك على مولاه: فقد روى عبادة بن الوليد، عن عبادة بن الصامت قال: خرجت أنا وأبي لطلب العلم في هذا الحي من الأنصار قبل أن يهلكوا، فكان أول من لقينا أبا اليسر[١٢٠] صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه غلام له وعليه بردة ومعافريّ[١٢١] وعلى غلامه معافري وبردة، فقلت له: يا عمّ، لو أخذت بردة غلامك وأعطيته مَعَافِرِيَّك[١٢٢]، أو أخذت معافرِيَّهُ[١٢٣] وأعطيته بردتك كانت[١٢٤] عليك حلة وعليه حلة، قال: فمسح برأسي وقال: اللهم بارك فيه، ثم قال: يابن أخي نظرت به عيناي هاتان، وسمعته أذناي هاتان، ووعاه قلبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول: «أطعموهم مما تأكلون، واكسوهم مما تلبسون» وأن أعطيه من متاع الدنيا أحبُّ إلي من أن يأخذ حسناتي يوم القيامة.

الأعمش، عن المعرور بن سويد قال: خرجنا حجاجًا، فلقينا أبا ذر بالربذة، فإذا عليه برد

---

(١١٩) بنبيِّه: بنبه:م ي.

(١٢٠) أبا اليسر: أبو اليسير، م، ي. صحيح مسلم ٤/ ٢٣٠١.

(١٢١) البُرد المعافريّ: المنسوب إلى معافر اليمن. تاج العروس (عفر). صحيح مسلم ٤/ ٢٣٠١.

(١٢٢) مَعَافِرِيَّك: مغافرتك، م، ي. الأدب المفرد للبخاري ص٩٩، صحيح مسلم ٤/ ٢٣٠١.

(١٢٣) معافِرِيَّهُ: مغافرته، م، ي. الأدب المفرد للبخاري ص٩٩.

(١٢٤) كانت: فكانت، م، ي. الأدب المفرد للبخاري ص٩٩.

وعلى غلامه برد مثله، فقلنا له: يا أبا ذر لو أخذت هذا البرد إلى بردك لكانت حلة وكسوته بردًا غيره، فقال أبو ذر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا يكلفه ما لا يطيق، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «للملوك طعامه وكسوته، ولا يكلفه من العمل إلا ما يطيق»، وكان آخر كلامه: «الصلاة وما ملكت أيمانكم».

وقال: «إذا كفى أحدَكم خادمُه فإن لم يجلسه فليناوله أكلة أو أكلتين، أو قال: لقمة أو لقمتين، فإنه ولي حره ودخانه».

وقال: «الغنم بركة، والإبل عزّ لأهلها، والخير معقود بنواصي الخيل، والعبد أخوك فأحسن إليه، فإن وجدته مغلوبًا فأعنه»، رواه عمرو بن شرحبيل.

وقال: «ما خففت عن خادمك من عمله كان أجرًا في موازينك»، ذكره محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتاب الحيوان بإسناده عن عمرو بن حريث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال رجل: كم يعفو عن الخادم؟ فصمت ثم قال: «اعف عنه في كل يوم سبعين مرة»، رواه ابن عمر.

وعن ابن مسعود الأنصاري قال: كنت أضرب غلامًا بالسوط إذ سمعت صوتًا من خلفي، فلم أعقل من الغضب، حتى دنا مني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما رأيته وقع السوط من يدي، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أبا مسعود، إن الله عليك أقدر منك على هذا»، قال: قلت: والذي بعثك بالحق نبيًا لا أضرب عبدًا أبدًا ولا مملوكًا.

تمّت فصول الحقوق بحمد الله ومنه وكرمه

باب الأزمنة والأمكنة

فصل في فضل رجب

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ..﴾ إلى قوله: ﴿مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة:٣٦].

الكلام في رجب في فصول ثلاثة:

أولها: لم سمي رجبًا[١]؟

فقيل: لأنهم كانوا يعظمونه، والترجيب: التعظيم، عن الخليل، وقيل: أُخذ من الرجب وهو العفو، فلكثرة عفو الله فيه عن عباده يسمى رجبًا، قيل: أخذ من قولهم: رَجَبْتُ فلانًا؛ أي هبته، وكانوا يرهبون القتال في رجب[٢]. وقيل: أخذ من الترجيب؛ وهو أن يدعم النخلة بالحجارة لئلا تميل، والعبد يحفظ نفسه في رجب عن المعاصي فسمي رجبًا[٣].

وثانيها: في أسماء رجب: فمنها: رجب، وقد ذكرناه.

ومنها: الشهر الحرام، والأشهر الحرم أربعة، واحد فردٌ، وثلاثة سرد، الواحد: رجب، والثلاثة: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم.

ويقال: إن الله اختار من الكلام أربعة، ومن الأيام أربعة، ومن الشهور أربعة، ومن النساء أربعًا، ومن الأمم أربعًا[٤]، وأربعة يحشرون يوم القيامة ركبانًا، وأربعة اشتاقت لهم الجنة.

أما الكلام: فسبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

وأما الأيام: فالجمعة، والعيدين، ويوم عاشوراء.

ومن الشهور: الْحُرُم.

---

(١) رجبا: رجب، م، ي.

(٢) في رجب: فيه رجبًا، م، ي.

(٣) رجبًا: رجب، م، ي.

(٤) أربعًا: أربعة، م، ي.

ومن الأمم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ...﴾ الآية [آل عمران:٣٣].

ومن النساء: مريم، وآسية، وخديجة، وفاطمة.

وأربعة يحشرون ركبانًا: النبي، وفاطمة، وصالح، وبلال.

وأربعة اشتاقت إليهم الجنة: علي، وسلمان، ومقداد، وأبو ذر، رواه أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرفوعًا.

وروى محمد ابن الحنفية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «سيد الشهور أربعة: الحرم، وسيد الأيام أربعة: النحر، والفطر، والجمعة، وعرفة، وسيد البلاد أربعة: مكة، والمدينة، وبيت المقدس، والموضع الذي ولد فيه موسى، وسيد الأنهار أربعة: سيحون، وجيحون، والنيل، والفرات، وسيد الجبال أربعة: الطور، وجبل لبنان، وأحد، وجبل عرفات[٥]، وسيد بني آدم بعدي أربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي».

ومنها: **شهر الله**، كما يقال: عبد الله، وعيسى كلمة الله، وناقة الله.

ومنها: **يسمى الأصم**؛ لأنهم لا يسمعون قعقعة السلاح، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن رجبًا شهر الله الأصم»، رواه الخدري.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «رجب شهر الله، وشعبان شهر نبيكم، ورمضان شهر أمتي، من صام يومًا من رجب إيمانًا واحتسابًا استوجب رضوان الله الأكبر».

وقيل: سمي أصم، لأن الله يأمر الحفظة ألا يكتبوا الخطايا على هذه الأمة وكأنهم صم عن خطاياهم.

ومنها: الأصب؛ لأنه تعالى يصب عليهم نعمه ورحمته صبًا، ومن عصى الله فيه يصب عليه عقابه، ﴿فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر:١٣]، وقد أضاف الله إلى نفسه أشياء: بيت الله، رسول الله، عبد الله، شهر الله، مسجد الله، فالساعي في بيت الله بالخراب استوجب الخزي، قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ..﴾ الآية [البقرة:١١٤]، والقاصد لخراب الكعبة جعله كعصف مأكول، وعاقر الناقة ﴿فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم﴾ [الشمس:١٤]، والمستهزئ برسول الله ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ﴾ [الحجر:٩٥]، والعاصي في رجب يستوجب العقاب ﴿فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡ﴾ [التوبة:٣٦].

---

(٥) عرفات: أرفان، م، ي.

وثالثها: في فضل رجب، قال تعالى: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾، فخصه بالذكر الحكيم لعظم حرمته، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أول يوم من رجب كفارة ثلاث سنين، والثاني كفارة سنتين، والثالث كفارة سنة، ثم كل يوم كفارة شهر»، رواه ابن عباس.

وعنه: «رجب شهر الله، فمن صام فيه ثمانية أيام فتح الله عليه أبواب الجنة، ومن صام منه عشرة رضي الله عنه، ومن زاد زاده الله».

علي بن الحسين، عن أبيه، عن جده، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن رجبًا شهر عظيم تضاعف فيه الحسنات، من صام يومًا من رجب كان كصيام سنة، ومن صام سبعة أيام منه أغلق عليه سبعة أبواب جهنم، ومن صام ثمانية أيام فتحت له ثمانية أبواب الجنة، ومن صام عشرة أيام لم يسأل الله شيئًا إلا أعطاه، ومن صام فيه خمسة عشر يومًا نادى منادٍ من السماء: إن الله قد غفر لك ما سلف».

ابن الزبير، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من فرج عن مؤمن كربة من[٦] كربه في شهر الله الأصم أعطاه الله في الفردوس قصرًا مد بصره، أكرموا رجبًا يكرمكم الله بألف كرامة، فإنما سمي رجبًا، لأن الملائكة يرجبون فيه أصواتهم بالتسبيح والتحميد لله، أكرموا رجبًا يكرمكم الله يوم القيامة فإن رجبًا شهر ربكم، فمن صام فيه يومًا مر على الصراط كالبرق الخاطف».

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أتدرون لأي شيء سمي رجبًا»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «لأنه يرجب فيه خير كثير لشعبان».

وعن وهب: أول ما كلم الله موسى ليلة النصف من رجب، وفيه[٧] رفع إدريس، وفيه[٨] أنقذ الله عيسى من اليهود، وفيه[٩] كان معراج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وفي ليلة السابع والعشرين مبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وعن عمر بن الخطاب أنه مر بمقعد فسأل عنه بعض أقاربه، فقال: إني كنت تزوجت امرأة فأراد أهلها ظلمي وانتزاعها مني، فنشدتهم[١٠] الله فأبوا، فتركتهم، حتى دخل رجب قلت:

---

(٦) من: في، م، ي.
(٧) فيه: فيها، م، ي.
(٨) فيه: فيها، م، ي.
(٩) فيه: فيها، م، ي.
(١٠) فنشدتهم: فنشدهم، م، ي.

لا هُـمَّ أدعـوك دعـاءً جاهـدًا على بنـي[11] الضبعـاء إلا واحـدا
ثـم اكسـر[12] الرِّجْـل وذره[13] قاعـدا أعمـى إذا [مـا] قِيـدَ يعيـي[14] القائـدا

فهلكوا جميعًا إلا هذا، فهو أعمى مقعد.

قال عمر: إن هذا لعجب.

فقال رجل: أخبرك يا أمير المؤمنين بأعجب، ورثت من أبي مالًا، فأراد عمومتي وبنوهم أن ينزعوا مني مالي، فناشدتهم الله والرحم فأبوا إلا أخذه، فأنظرتهم حتى دخل رجب، فدعوت عليهم، فبينا هم يحفرون بئرًا فانهارت عليهم فهلكوا جميعًا.

فقال عمر: إن هذا لعجب.

فقال رجل: هؤلاء أهل الجاهلية، كانوا يستجاب لهم في شركهم فكيف بمن ظلم المسلمين، فقال عمر: إن هذه حواجز كانت منهم، وإن [موعدكم] الساعة [والساعة] أدهى وأمر[15].

وعن ابن عباس: أن ابنًا كان عاقًا لأمه، فقالت: لا تفعل فإني أدعو الله عليك في رجب، فأخذ برجلها فجرَّها، فلما دخل رجب قالت: اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك، فافترسه أسد.

ويقال: إن رجبًا شهر الاستغفار، وقد قال: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠].

فصل في فضائل شعبان

الكلام فيه من ثلاثة أوجه: اسمه، وفضله، وصومه.

أما أسماؤه: فمنها: شعبان؛ لأن الفضائل تشعب فيه، أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أتدرون لأي شيء سمي شعبان؛ لأنه يتشعب فيه صدع كل منصدع، وينجبر كل كسير كسرته الذنوب بالمغفرة»، كما روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا كان ليلة النصف من شعبان اطلع الله إلى الأرض فيغفر لهم إلا المشرك أو المشاحن».

---

(١١) بني: بن، م، ي. الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ١/ ٤٧.

(١٢) ثم اكسر: منكسر، م، ي.

(١٣) وذره: تذره، م، ي.

(١٤) يعيي: يعني، م، ي.

(١٥) تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٥/ ٨٢.

ومنها: شهر النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما روى أبو الدرداء قال: «إن رجب[١٦] شهر ربكم، وشهر شعبان شهر نبيكم، ورمضان شهركم».

ومنها: شهر الصلاة على النبي، وقيل: صلوا على النبي في شعبان يغفر لكم في رمضان، صلوا على صاحب المعراج يشفع لكم يوم الاجتماع، صلوا على صاحب البراق، فإنها أمان من الفراق، وسبب إلى التلاق، ومرضاة الوهاب الرزاق، صلوا على نبي الرحمة، فإنها سبب النعمة والعصمة، صلوا عليه بالمقدار وخذوا الأجر بالأوقار.

فأما فضائله: فلما روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «فضل شعبان على سائر الشهور كفضلي على سائر الأنبياء»، رواه أنس.

وروى عروة عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الله تعالى [ينزل] إلى سماء الدنيا [ليلة] النصف من شعبان فيغفر لأكثر من [عدد] شعر غنم بني كلب»[١٧]، ومعنى (ينزل) أي: تنزل ملائكة بأمره، أو تنزل مغفرته ورحمته، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا رأوا هلال شعبان أكبوا على المصاحف يقرأونها[١٨].

ومن دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم بارك لنا في شعبان، وبلغنا رمضان».

فأما صيامه: فقد روي أن عائشة كانت تؤخر قضاء رمضان إلى شعبان فتقضيه[١٩] فيه.

روي عن عائشة قالت: كان أحب الشهور إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يصومه شعبان، ثم يصله برمضان.

ومن فضائله أن فيه ليلة البراءة، ولها[٢٠] فضائل نذكرها.

مبحث في ليلة البراءة من النار

قال تعالى: ﴿حمٓ ۞ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۞ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان:١-٣].

(١٦) إن رجب: كلن يرجب، م، ي.
(١٧) مسند الإمام أحمد ٤٢/١٤٧.
(١٨) يقرأونها: يقرونها، م، ي.
(١٩) فتقضيه: وقضته، م، ي.
(٢٠) ولها: أولها، م، ي.

أما قوله: ﴿حمٓ﴾ قَسَمٌ، أقسم الله بحلمه وملكه كأنه [قال]: بالله الحليم الملك، عن السدي، وقيل: قضى الله ما هو كائن، عن ابن عباس، وقيل: اسم السورة، عن الحسن وقتادة وأبي علي، [أو] إشارة إلى أن القرآن مركب من هذه الحروف، عن أبي بكر الزبيري ليعلم حدوثه، وقيل: ليعلم أنه معجز ليس من قول البشر، عن أبي مسلم.

فأما على قول السدي فافتتح السورة بالحلم والبركة والرحمة في قوله: ﴿فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ ثم قال: ﴿رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا﴾ [الكهف:٦٥]، فنرجو أن يغفر الله لنا بحلمه، ويعطينا كل خير من بركاته ويرحمنا بدخول الجنة.

فأما على قول ابن عباس: قضى ما هو كائن قبلنا من سابق قضائه، [و] أن وفقنا للإيمان والإسلام، واصطفانا بالقرآن والأحكام، وبيَّن لنا شرائع الحلال والحرام، وأكرمنا بنبيه عليه السلام، ونرجو من قضائه في المستقبل غفران الآثام، وتكفير الأجرام، وأن يكرمنا بالتحية والسلام في دار السلام، فقد قيل: الأمور بخواتيمها.

شعر:

وقد كثرت عندي أياديك سيدي ... فما جُدْتَ[٢١] في الدنيا فتممه في غد
ولا تهتك الستر الذي قد سترته ... فإنك بالإحسان ما زلت تبتدي
أؤملك اللهم في كل حاجة ... وأرجوك مولاي فإنك مقصدي

شعر:

بحرمة الود الذي بيننا ... لا تفسد الأول بالآخر

وعن علي عليه السلام: إني مخير في الإحسان إلى مَنْ أُحسن إليه، ومرتهن به إذا أحسنتُ حتى أتممه، [فإذا لم أستتمّه] فقد أهدرته، وإذا أهدرته فلم[٢٢] فعلته؟[٢٣]

وكتب بعضهم إلى مسدي نعمة: إن أحق الناس أن يستتمَّ[٢٤] النعمة مَنْ سبَّبها وكان المبتدئ [بها]، فتمام[٢٥] أمرٍ عليك إذا كان أولهُ بك.

---

(٢١) جُدْتَ: حدت، م، ي.
(٢٢) فلم: فما، م، ي.
(٢٣) تهذيب الأسرار في أصول التصوف للخركوشي ص٤٨٦.
(٢٤) يتستم: تستقيم، م ي
(٢٥) فتمام: وتمام، م، ي.

وعلى قول السدي: بينا أنه جمع بين العلم والبركة والرحمة ﴿حمٓ﴾ يعني بحلمي لا أعذب من قال: لا إله إلا الله خالصًا مخلصًا، وقيل: إنه إذا أوعد(٢٦) عفا فكيف إذا أقسم عليه.

يحيى بن معاذ: يا من إذا وعد وفى، وإذا أوعد عفا، قال تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:١٣٥]، وقال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤]، فمعطي الرحمة هو، وواسع المغفرة هو، فيجب أن يكون التوكل عليه.

شعر:

فإن ناب خطبٌ أوعرتنا مُلِمَّةٌ ... فليس لنا إلا إليك معوّل
وإلا فأرشدنا لغيرك هاهنا ... كريم يرجى للهموم ويسألُ

شعر:

ذنبي إليك وما أتيت كبير ... وكبيره في العفو منك صغيرُ
إن تعف عن ذنبي فمثلك غافر ... أو لا فما لي في العباد مجيرُ

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ الله تعالى أنزل أشياء: منها الملائكة ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ [القدر:٤].

والثاني: القرآن، و﴿نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ [الحجر:٩]، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان:٣].

والحديث ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الزمر:٢٣]، والحديد ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد:٢٥]، فالحديث للمبتدع، والحديد للكافر، وقيل: الحديث ابتداء، والسيف انتهاء.

واللباس: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ [الأعراف:٢٦].

والميزان والكتاب: ﴿ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد:٢٥]، فأنزل الكتاب بمعالم الدين، وأنزل الميزان للقسط، وأنزل اللباس للنعمة، وأنزل الحديث للعظة(٢٧)، وأنزل الحديد للمنفعة والعقوبة.

قوله: ﴿فِى لَيْلَةٍ﴾، وقد ذكر في القرآن ليالي:

---

(٢٦) أوعد: وعد، م، ي.

(٢٧) للعظة: للعظمة، م، ي.

أولها: ليلة الهدى والبيان لإبراهيم ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ [الأنعام:٧٦]، وليلة القسم ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل:١]، وليالي الحج ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر:٢]، وليلة القدر ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر:١]، وليلة المعراج ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء:١]، وليلة عرفة ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ(٢٨)﴾ [الفجر:٤] وليلة(٢٩) الجمعة والقربة هي ليلة(٣٠) الكرامة، ليلة نودي [موسى](٣١) حتى كلمه ربه، وليلة القدرة(٣٢) والنعمة ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾ [الشمس:٤]، ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [النبأ:١٠]، ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ [يونس:٦٧]، ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا..﴾ [القصص:٧١] الآيات، وليلة العقوبة لقوم عاد ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ [الحاقة:٧]، وليلة قوم لوط ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾ [هود:٨١]، وليلة يونس ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الأنبياء:٨٧]، وليلة الجن ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الأحقاف:٢٩]، وليلة الخلوة ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء:٧٩]، وليلة العابدين ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ [الذاريات:١٧]، وليلة البركة ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان:٣].

والخامس عشر: ليلة الميت في قبره حين يسأل ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر:٤٦].

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحجاج بن أرطأة: عليك بأربع ليال من السنة، فإن الله تعالى يفرغ فيهن الرحمة إفراغًا: أول ليلة من رجب، والنصف من شعبان، وليلة الفطر، وليلة النحر.

قوله: ﴿مُّبَٰرَكَةٍ﴾ قد سمى الله أشياء مباركة:

منها: القرآن ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الأنبياء:٥٠]، وقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام:٩٢]، يعني لكثرة ما فيه من البركات في الدنيا والآخرة، أما الدنيا: فالهدى، والشفاء، والرحمة قال تعالى: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٨٥]، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ﴾ [الإسراء:٨٢]، وفي الآخرة: الشفاعة، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «القرآن شافع مشفع، والقرآن شفاء للمؤمنين، وحياة قلوب المؤمنين، وحجة على الخلائق أجمعين».

---

(٢٨) يسر: يسري، م، ي.

(٢٩) ليلة: هي ليلة، م، ي.

(٣٠) هي ليلة: ليلة، م، ي. تفسير مقاتل ٣/ ٢٣.

(٣١) +: تفسير مقاتل ٣/ ٢٣.

(٣٢) القدرة: القدر، م، ي.

ومنها: عيسى، قال: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾ [مريم:٣١]، فمن بَرَكَتِهِ: إبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الميت، وهداية العالمين، والبشارة بخاتم النبيين ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ﴾ [الصف:٦].

ومنها: المطر ﴿وَنَزَّلْنَا[٣٣] مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾ [ق:٩]، لأنه رزق العباد[٣٤]، وأحيا البلاد، وسرور الحاضر والباد، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء:٣٠]، ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ [ق:٩].

ومنها: مكة، ﴿بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عمران:٩٦]، لما في زيارتها من الشرائط: تضعيف الحسنات، وتكفير السيئات، ولأنها مولد المصطفى، ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران:٩٧].

ومنها: بقعة موسى ﴿فِي[٣٥] ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾ [القصص:٣٠]، وجد النبوة، وسمع كلام رب العالمين، ووكل بأهله الملائكة.

ومنها: الزيتون ﴿شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ [النور:٣٥]، لأنها طعام وإدام، ولأنها[٣٦] عجيبة، وشبه الله بها قلب رسوله.

ومنها: السلام، ﴿فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً﴾ [النور:٦١]، فهي مباركة لما فيها من الأمن والزيادة في المودة.

ومنها: هذه الليلة ﴿فِي لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان:٣]، لما فيها من تقدير الأمور والمصالح.

وقيل: الكعبة مباركة، لأن من دخلها كان آمنًا، وهذه الليلة مباركة، لأن من أحياها أمن من العذاب.

وقيل: ﴿لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ هي ليلة القدر، وهو الأصح، عن مجاهد وقتادة.

وقيل: ليلة النصف[٣٧] من شعبان ينبرم فيها أمر السنة، ويكتب فيها الآجال والأرزاق، والأحياء والأموات.

---

(٣٣) رزق العباد: رووف بالعباد، م، ي.
(٣٤) ونزلنا: وأنزلنا، م، ي..
(٣٥) في: من، م، ي..
(٣٦) لأنها: إنها، م، ي.
(٣٧) النصف: النصرف، م، ي.

﴿حَكِيمٍ﴾ بمعنى محكم، والانتساخ في ليلة البراءة[٣٨] ليعلم الْمَلَك لا ليعلم الْمَلِك، فإنه عالم لم يزل ولا يزال وهو عالم بكل حال.

ومن الآثار في فضائل هذه الليلة: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «خمس ليال لا ترد فيها دعوة: أول ليلة من رجب، وليلة النصف من شعبان، وليلة الجمعة، وليلتا[٣٩] العيدين»، رواه أبو أمامة.

وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أتاني جبريل في ليلة النصف وقال: يا محمد ارفع رأسك، فقلت: ما هذه الليلة؟ فقال: هذه الليلة تفتح فيها أبواب السماء، فقلت: يا جبريل وما هذه الليلة؟ قال: يفتح فيها ثلاثمائة باب من الرحمة، فيغفر الله لجميع من لا يشرك بالله شيئًا، إلا أن يكون ساحرًا أو كاهنًا أو مشاحنًا أو مدمن خمر أو مصرًّا[٤٠] على الزنا، فإن هؤلاء لا يغفر لهم حتى يتوبوا»، فخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى بقيع الغرقد فصلى وسجد، فبينما هو ساجد يبكي ويقول في سجوده: «أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، فلك الحمد»، حتى إذا كان في بعض الليل نزل جبريل فقال: يا محمد ارفع رأسك إلى السماء، فرفع رأسه فإذا أبواب الرحمة مفتوحة، على الباب الأول ملك ينادي: طوبى لمن ركع في هذه الليلة، وعلى الباب الثاني: طوبى لمن سجد في هذه الليلة، وعلى الباب الثالث ملك ينادي: طوبى لمن خشع لربه في هذه الليلة، وعلى الباب الرابع ملك ينادي: طوبى لمن دعا ربه في هذه الليلة، وعلى الباب الخامس ملك ينادي: طوبى لمن بكى في هذه الليلة، وعلى الباب السادس ملك ينادي: طوبى لمن ذكره في هذه الليلة، وعلى الباب السابع ملك ينادي: هل من سائل فيعطى سؤله، هل من داع فيستجاب له دعوته، هل من مستغفر فيغفر له»، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إلى متى أبواب الرحمة مفتوحة؟ فقال: من أول الليل إلى طلوع الفجر».

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يقول الله ليلة النصف من شعبان: هل [من] داع فأستجيب له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟».

روت عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «نزل جبريل علي ليلة النصف من

---

(٣٨) من أسماء ليلة النصف من شعبان ليلة البراءة. تفسير القشيري ٣/ ٣٧٩، والكشاف ٤/ ٢٦٩.

(٣٩) ليلتا: ليلتي، م، ي.

(٤٠) مصرًّا: مصر، م، ي.

شعبان فقال: إن الله أعتق من النار نصف أمتك، فزدت في الدعاء، فنزل جبريل وقال: إن الله أعتق جميع أمتك من النار بشفاعتك(٤١) إلا من كان له خصم، فزدتُ في الدعاء، فقال: إن الله قد ضمن لخصماء أمتك أن يرضيهم بفضله ورحمته، فرضيت»(٤٢).

ابن عباس: ليلة النصف من شعبان ليلة البراءة.

علي عليه السلام: من أحيا أربع ليال أحيا الله له ما شاء: ليلتي العيد، وليلة عاشوراء، وليلة النصف من شعبان.

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من أحيا ليلة العيد وليلة النصف من شعبان لم يمت قلبه [يوم](٤٣) تموت(٤٤) القلوب».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «خمس ليال لا يرد فيهن الدعاء - وروي: تفرغ فيهن الرحمة إفراغًا -: أول ليلة من رجب، وأول ليلة من شعبان، وليلة نصفه، وليلتا العيد».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يترك العبادة في هذه الليلة إلا منافق، أو من لا يكون له نصيب من رحمة الله».

شعر:

سقيًا لشعبان من شهرٍ أعظِّمه ... إني لأذكر منه لَيْلَةً عجبا
أشكو إلى الله أني منذ لم أركم ... أسقي التراب دموعًا ينبت العُشُبا

وقيل في قوله: ﴿يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان:٤] قال: تجري المقادير إلى أوقاتها، وقيل: يقدر أمورًا له بالشقاوة والسعادة، والموت والحياة، والغنى والفقر، والملك والعزل، وقد روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «تقطع(٤٥) [الآجال](٤٦) من شعبان إلى شعبان، حتى إن الرجل لينكِحُ ويُولد له وقد نسخ اسمه من الأحياء إلى الأموات»، فوا عجبًا كم من كفن مغسول وصاحبه باللهو مشغول، وكم من قبر محفور وصاحبه بالسرور مغمور، وكم من وجه ضاحك وعن قريب هالك.

(٤١) بشفاعتك: شفاعتك، م، ي.
(٤٢) روح البيان ٨/ ٤٠٤.
(٤٣) معجم ابن الأعرابي ٣/ ١٠٤٧.
(٤٤) تموت: يموت، م، ي.
(٤٥) تقطع: يقطع، م، ي. شعب الإيمان للبيهقي ٥/ ٣٦٥.
(٤٦) شعب الإيمان للبيهقي ٥/ ٣٦٥.

شعر:

ومؤملٍ قد قصرت أكفانه ومحاذر أكفانه لم تغزل

شعر:

مؤمل دنيا لتبقى له فمات المؤمل قبل الأمل

وعن الحسن قال: اجتمع ثلاثة من الحكماء، فقيل لأحدهم: ما أَمَلُك؟ فقال: ما يأتي علي شهر إلا ظننت أني سأموت فيه، فقال صاحبه: إن هذا لأَمَلٌ، وقيل: للآخر: ما أملك؟ فقال: ما أتى عليّ جمعة إلا ظننت أني سأموت فيها، فقال صاحبه: إن هذا لأَمَلٌ، وقيل: للآخر: ما أملك؟ فقيل: ما أَمَلُ مَنْ نفسُه بيدِ غيره.

شعر:

قل للمؤمل والمنايا شُرَّعُ ماذا يغرك يا ابن[٤٧] من لم يخلُدِ
يا ابن الذين تقطعت أوصالهم ترجو البقاء وأنت غير مخلَّد
وأبوك قبلك كان يأمل ما ترى حتى أتته منيةٌ لم تُرْدَدِ

وفي بعض الحكم: يابن آدم لو رأيت قليل ما بقي من أجلك لزهدت في طويل أملك، ولرغبت في الزيادة في عملك، وإنما يلقاك غدًا ندمك إذا زلت بك قدمك.

وقيل لبعضهم: أي ساعات الليل والنهار تصلي؟ قال: ما ظننت أن عبدًا يسمع بالجنة والنار يأتي عليه ساعة لا يصلي فيها.

شعر:

يا غافلًا مقبلًا على أمله وطرفه للفناء في عمله
كم نظرة لامرئٍ يُسَرُّ بها لعلها[٤٨] منه منتهى أجله

ويقال: لِمَ أخفى ليلة القدر وأظهر ليلة البراءة؟

فقال: لأن ليلة القدر ليلة المغفرة والرحمة والغفران، وأخفيت[٤٩] لئلا يتكل الناس عليها، وليلة البراءة تقدير للأشياء فأُظهِرت ليسأل من خيرها ويتعوذ من شرها، فيقول: يا رب إن كنت

(٤٧) يا ابن: بأس، م، ي. سكب العبرات لابن حسين العفاني ٢/ ٤٤٦.
(٤٨) لعلها: لعله، م، ي. تاريخ بغداد وذيول ٢/ ٣٤.
(٤٩) أخفيت: أخفي، م، ي.

تقضي لنا بالسقم فأعذنا من النقم، وإن كنت تقضي بالفقر فأعذنا من الهجر، وإن كنت تقضي بالموت فلا تعذبنا بحسرة الفوت، إلهي مهما عذبتني فلا تعذبني بالهجران، ووفقني للثبات على الإيمان.

ورأى السيلي جنازة خلفها إنسان يحثو التراب على رأسه، ويقول: يا ويلاه، فقال: هذا فراق مخلوق فكيف فراق الخالق.

شعر:

لا تبـل قلبـي بالفـراق فإننـي ... يـا رب أضعـف مـن بلـي بفـراقِ

عن أنس قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى عائشة في حاجة، فقلت لعائشة: عجِّلي فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعد الناس أن يخبرهم عن فضل ليلة البراءة حتى أسمع، فقالت: كانت ليلتي من رسول الله، فجاءني حتى دخل معي في الفراش ثم انسل من فراشي، فاستيقظت وقد فقدته، فظننت أنه ذهب إلى بعض نسائه، فخرجب فإذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي، فخفف القيام بـ(الحمد) وسورة خفيفة ثم ركع وسجد، فكان إلى شطر من الليل [ثم] قام في الثانية نحوًا(٥٠) من ذلك، ثم ركع وسجد، فكان في سجوده إلى الفجر حتى ظننت أنه قبض، فمشيت حتى طعنت بأصبعي أخمص قدميه فتحرك فحمدت الله، فسمعته يقول: «سجد لك سوادي، وآمن بك فؤادي، هذه يدي التي جنوت بها على نفسي، فاغفر لي الذنب العظيم، فإنه لا يغفر الذنب العظيم إلا الرب العظيم، أعوذ برضاك من سخطك، وبعفوك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، أقول كما قال أخي داود: أعفر وجهي وحق لربي أن يُسجد له»، ثم قال: «اللهم ارزقني قلبًا تقيًا لا كافرًا ولا شقيًا»، فقلت: بأبي أنت وأمي أنت في وادٍ(٥١) وأنا في وادٍ(٥٢)، فلما علم بمكاني فرغ من سجوده ودخل الحجرة، ثم قال: «أتدرين(٥٣) أي ليلة هذه؟ هذه ليلة النصف من شعبان، أمان الله سبحانه، يغفر في هذه الليلة للمؤمن، أما إني أقول إلا لستة(٥٤): مدمن

(٥٠) نحوا: بحق، م، ي.
(٥١) في واد: في فؤادي، م، ي.
(٥٢) وادٍ: وادي، م، ي.
(٥٣) أتدرين: أتدري، م، ي. شعب الإيمان ٥/ ٣٦١.
(٥٤) لستة: ستة، م، ي.

خمر، ومصر على الزنا، أو الربا(٥٥)، وعاق والديه، ومصور، وقتات(٥٦) -يعني نمامًا- وفيها ترفع أعمال العباد، وفيها عتقاء من النار بعدد شعر(٥٧) غنم [بني] كلب»(٥٨).

وتكلم الحسن بن سمعون ليلة البراءة، فقام رجل وقال: أيها الشيخ نفسي عليلة فما الحيلة؟ أعضائي(٥٩) ذليلة فما الحيلة؟ أحزاني طويلة فما الحيلة؟ حسناتي قليلة فما الحيلة؟ سيئاتي كثيرة فما الحيلة؟ يا صاحب الحيلة ما لي وسيلة فما الحيلة؟ فمال إليه وقال: الحيلة قصر [اليد]، وتعفير(٦٠) الخد، وحفظ الحد(٦١)، وخوف الصد(٦٢)، ثم أنشأ يقول:

ومن يك غرًّا(٦٣) ذا شقاقٍ وعزةٍ حقيقٌ إذا نام الورى أن يُصَرَّعا
وأن يلصق الخد الذليل لربه بوجه الثرى خوفًا وأن يتقطعا
ويفرغ من أشغال دنيا دنيةٍ ويدعوه بالإخلاص منه تخشعا(٦٤)
عسى ربه أن يعقب الذل عزة ويجعل عقبى أمره(٦٥) أن يُشَفَّعا
فقد ظل في الدنيا عناه وهمه وإن قصارى أمره أن يُرَوَّعا

فصل في شهر رمضان

قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ..﴾ الآية [البقرة:١٨٥] من قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ..﴾ إلى قوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ..﴾ الآية إلى آخرها [البقرة:١٨٣-١٨٥].

(٥٥) أو الربا: الربا، م، ي، بستان الفقراء ونزهة القراء ١/ ٣١٧.
(٥٦) القَتَّاتُ: النمام. العين (قت).
(٥٧) شعر: شهر، م، ي.
(٥٨) بستان الفقراء ونزهة القراء ١/ ٣١٧.
(٥٩) أعضائي: أعضائب، م، ي. روض الجنان وروح الجَنان في تفسير القرآن ١/ ٢٠٥.
(٦٠) تعفير: يعفر، م، ي. روض الجِنان وروح الجَنان في تفسير القرآن ١/ ٢٠٥.
(٦١) الحد: الجد، م، ي. روض الجِنان وروح الجَنان في تفسير القرآن ١/ ٢٠٥.
(٦٢) الصد: العبد، م، ي.
(٦٣) غرًّا: مثل، م، ي.
(٦٤) تخشعا: يخشعا، م ي.
(٦٥) أمره: أمراه، م، ي.

الكلام في هذا من ثلاثة أوجه:

أحدها: أسامي رمضان ومعانيها.

وثانيها: فضائله وما جاء فيه من الآيات.

وثالثها: معنى الآية وما جاء فيها وذكر صيامه مختصرًا:

مبحث في أسامي رمضان

فأما أساميه: فقيل: له أربعون اسمًا، وذلك يدل على فضله:

فأولها: شهر الله.

وثانيها: شهر الصيام، قال الله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة:١٨٥].

وثالثها: شهر القيام، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه خطب آخر شعبان وقال عليه السلام: «قد أظلكم شهر رمضان، من صامه وقامه إيمانًا واحتسابًا غفر له».

ورابعها: شهر الجُنَّة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والجُنّة: قيل: جُنَّة في الدنيا من الشيطان، وفي الآخرة من النيران.

وخامسها: شهر القرآن، لقوله: ﴿أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة:١٨٥] فقرآن كريم في شهر كريم من رب كريم على يدي ملك كريم إلى رسول كريم، وروي أن جبريل كان يلقاه كل شهر رمضان فيعرض عليه القرآن.

وسادسها: شهر الإيمان، أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من صام شهر رمضان وقامه إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه».

وسابعها: شهر الجود، وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «أنه كان أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان».

وثامنها: شهر الخلوف، أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك، يقول الله تعالى: إنما يذر شهوته وطعامه وشرابه من أجلي، والصيام لي وأنا أجزي به».

وتاسعها: شهر الفرحتين. روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: للصائم فرحتان: فرحة حين يفطر، وفرحة حين يلقى ربه».

وعاشرها وحادي عشرها: الفتح والإغلاق، ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «شهر رمضان أفضل الشهور، فيه تغلق أبواب الجحيم، وتفتح أبواب الجنان».

وثاني عشرها: شهر التصفيد، فروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «شهر رمضان تصفد فيه الشياطين أعداء المسلمين».

وثالث عشرها: الصلاة، يعني الملائكة يصلون على الصائمين، عبد الله بن عمر قال: الصائم إذا أُكِلَ عنده(٦٦) صلت الملائكة عليه.

ورابع عشرها: شهر التزين، أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا كان أول ليلة من رمضان نادى الجليل جل جلاله رضوان خازن الجنان: بخر جنتي وزينها للصائمين من أمة محمد».

وخامس عشرها: شهر الاحتساب وهو الإخلاص، روى أبو سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من صام رمضان وقامه إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»، قيل: الاحتساب هو الإخلاص في الصوم، وقيل: هو طلب الثواب، وقيل: هو أن يجعله لله.

وسادس عشرها: شهر الإطعام، سلمان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من فَطَّر صائمًا في شهر رمضان ولو على مذقة لبن أو تمرة كان له مثل أجر صاحبه من غير أن ينقص من أجره شيء».

وسابع عشرها: شهر الاعتزال، روى قتادة عن أنس «أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا جاءت العشر الأواخر من شهر رمضان طوى فراشه واعتزل النساء».

وثامن عشرها: شهر الإيقاظ، أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «أنه كان إذا [قام] للتهجد في العشر الأواخر من شهر رمضان أيقظ أهله».

وتاسع عشرها: شهر العرض، ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «كان جبريل يعرض علي القرآن في كل سنة مرة، وإنه كان يعرض القرآن علي في هذا العام مرتين، وما أرى ذلك إلا لقرب أجلي».

(٦٦) عنده: عبده، م، ي، جملة من كتب الحديث مسند الإمام أحمد ٤٤/ ٦١٧.

وعشرونها: شهر العتق، ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن لله تعالى في كل يوم من شهر رمضان عند الإفطار ألف ألف عتيق من النار، فإذا كان يوم الجمعة أو ليلة الجمعة أعتق الله في كل ساعة ألف ألف من النار ممن قد استوجب العذاب».

الحادي والعشرون: شهر التقوى، لقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٣].

والثاني والعشرون: شهر البركة، أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «جاءكم شهر رمضان الشهر المبارك»

والثالث والعشرون: شهر الصبر، وقال عليه السلام: «الصوم نصف الصبر»، وقيل في قوله: ﴿وَٱسْتَعِينُوا بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة:٤٥] قيل: الصوم.

والرابع والعشرون: شهر الوِجَاء[٦٧]، قال: الوِجَاء شبه الاختصاء، ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يا معشر الشباب من استطاع الباءة منكم فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء».

الخامس والعشرين: شهر السحور، قال عليه السلام: «تسحروا فإن في السحور بركة»، وقال: «اللهم بارك لأمتي في سحورها»، وروى زيد بن علي، عن آبائه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله وملائكته يصلون على[٦٨] النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما، ويصلون على المستغفرين والمتسحرين، فليتسحر أحدكم ولو بجرعة ماء»، وقال: «ثلاث من سنتي: تعجيل الإفطار، وتأخير السحور، ووضع اليمين على الشمال في الصلاة»، وقال عليه السلام وهو يدعو إلى السحور: «هلموا إلى الغداء المبارك»، وقال عليه السلام: «استعينوا على قيام الليل بقيلولة النهار، وبسحور الليل على صيام النهار».

وفي السحور أشياء: منها: اتباع السنة ومخالفة أهل الكتاب، والقوة على الصوم، وتجديد نية الصوم، والرغبة في التهجد، والشبه بأهل الجنة في الأكل من قوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم:٦٢].

والسادس والعشرون: شهر السواك، روي «أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يستاك وهو صائم».

(٦٧) الوجاء: الرجاء م، ي.
(٦٨) على: عن، م، ي.

والسابع والعشرون: شهر التراويح، وقد ذكرنا الكلام في التراويح، وفي التراويح ست فوائد: إحياء سنة النبي، والاقتداء بالسلف، ومخالفة اليهود والنصارى، وتنوير بيوت الله، واستماع القرآن، وعمارة المساجد.

والثامن والعشرون: شهر زكاة الأبدان، قال عليه السلام: «الصوم زكاة البدن».

والتاسع والعشرون: ربيع الفقراء، قال عليه السلام: «شهر رمضان ربيع الفقراء».

والثلاثون: شهر الاعتكاف، وقد ذكرنا في باب العبادات.

الحادي والثلاثون: شهر ليلة القدر، لقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر:١]، ولها خصائص نذكرها في بابه.

والثاني [والثلاثون]: شهر تسويد وجه إبليس، جعفر بن محمد عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قيل لرسول الله: ما الذي يبعد عنا إبليس؟ قال: «الصوم يسود وجهه، والصدقة تكسر ظهره».

والثالث والثلاثون: شهر السياحة، والسياحة الصوم، قال تعالى: ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ [التوبة:١١٢] جاء في التفسير: الصائمون، وقال: ﴿سَٰٓئِحَٰتٍ﴾ [التحريم:٥]، وقال عليه السلام: «سياحة أمتي الصوم».

الرابع والثلاثون: شهر الشكر، لقوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:١٨٥].

والخامس والثلاثون: شهر المغفرة، قال: «من صامه إيمانًا واحتسابا غفر له»، وقال عليه السلام: «هذا شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار»

السادس والثلاثون والسابع والثلاثون: شهر الهدى واليسر، قال تعالى: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٨٥]، ﴿يُرِيدُ [ٱللَّهُ] بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥].

والثامن والثلاثون: شهر زكاة الفطر، لأنه يختم بزكاة الفطر.

والتاسع والثلاثون: شهر التهجد، قال عليه السلام: «صيامه وقيامه سُنَّة»، وقال: «من صامه وقامه إيمانًا واحتسابًا».

والأربعون: شهر رمضان.

مبحث في فضائل شهر رمضان

فأما فضائله: فقد روى أنس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «سبحان الله ماذا يستقبلكم وماذا تستقبلونه» ثلاث مرات، فقال عمر: يا رسول الله، أوحي نزل؟ قال: «لا»، [قال][69]: عدوٌّ حضرٍ[70]؟ قال: «لا»، قال: فماذا؟ قال: «إن الله يغفر في أول ليلة من شهر رمضان لكل أهل القبلة» قال: فنظر[71] فإذا رجل بين يديه يهز رأسه ويقول: بخ بخ، فقال عليه السلام: «كأنك ضاق صدرك»، قال: لا، ولكني ذكرت المنافقين، فقال عليه السلام: «إن المنافقين هم الكافرون، وليس للكافر في ذلك شيء».

أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «هذا شهر رمضان، وهو شهر مبارك، افترض الله صيامه عليكم، تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، وفيه ليلة خير من ألف شهر، مَنْ حُرِم خيرها فقد حرم».

وقال عليه السلام: «ذاكر الله في رمضان مغفور له، وسائل الله لا يخيب».

وقال: «عمرة في رمضان تعدل حجة»، رواه جابر.

وعن سلمان قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آخر يوم من شعبان فقال: «أيها الناس قد أظلكم شهر رمضان، شهر عظيم البركة، شهر مبارك، فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعًا، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزاد في رزق المؤمن، فمن فطَّر فيه صائمًا كان مغفرة لذنوبه، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء»، قالوا: ليس[72] كلنا يجد ما يفطِّر الصائم، قال: «يعطي الله هذا الثواب من فطر صائمًا على تمرة أو شربة ماء أو مذقة لبن، وهو شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، من خفف عن مملوكه فيه غفر الله له ويعتقه من النار، فاستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتان[73] ترضون بهما ربكم:

---

(69)

(70) عدوٌّ حضرٍ: فعد وحصر، م، ي. صحيح ابن خزيمة 3/ 189.

(71) فنظر: نظر، م، ي.

(72) ليس: أليس، م، ي.

(73) خصلتان: خصلتين، م، ي. شعب الإيمان للبيهقي 5/ 223.

شهادة أن لا إله إلا الله، وتستغفرونه، وأما الخصلتان اللتان[٧٤] لا غنى لكم[٧٥] عنهما: فتسألون الله الجنة، وتعوذون من النار، ومن أشبع فيه صائمًا أسقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى [يدخل الجنة]».

وروي أنه صلى الله عليه وآله وسلم ارتقى المنبر فقال في أول درجة: «آمين»، وكذلك في الثانية والثالثة، فتعجبوا من تأمينه على [غير] دعاء، فلما نزل سألوه عن ذلك، فقال: «جاءني جبريل فقال: من أدرك والديه أو أحدهما فمات فدخل النار فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين، ثم قال: مَنْ ذُكرتُ عنده فلم يصلِّ عليَّ فأبعده الله، قل: آمين، قلت: آمين، ثم قال: من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له فأبعده الله، قل: آمين، قلت: آمين».

وعنه عليه السلام: «إذا جاء شهر رمضان فتحت أبواب السماء وأغلقت أبواب الجحيم، ونادى مناد: يا باغي الخير هلم، ويا باغي الشر أقصر، ثم ينادي مناد: ألا سائل فيعطى، ألا داعٍ فيستجاب [له]، ألا مستغفر فيغفر له الله، ولله في كل ليلة عند الفطر عتقاء من النار».

جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أعطيت أمتي في رمضان خمسًا لم يعطهن[٧٦] نبي قبلي، أما واحدة: فإذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله إليهم، ومن نظر إليه لا يعذبه أبدًا، وأما الثانية: فإن خلوف[٧٧] فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وأما الثالثة: فإن الملائكة يستغفرون لهم كل يوم وليلة، وأما الرابعة: فإن الله يأمر جنته فيقول: استعدي وتزيني لعبادي، وأما الخامسة: فإذا كان آخر ليلة غفر لهم جميعا»، وقال: «سيد الشهور شهر رمضان».

شعر:

مرحبًا مرحبًا بشهر الصيام ... شهر صدق يزورنا كل عام
مرحبًا مرحبًا وأهلًا وسهلًا ... بلياليه ثم بالأيامِ
مرحبًا مرحبًا بأكرم شهرٍ ... جاءنا اليوم من شهور كرامِ
مرحبًا مرحبًا بما صنع اللـ ... ـه لنا ذو الجلال والإكرامِ

---

(٧٤) اللتان: التي، م، ي. شعب الإيمان للبيهقي ٥/ ٢٢٣.
(٧٥) لكم: بكم، م، ي. شعب الإيمان للبيهقي ٥/ ٢٢٣.
(٧٦) يعطهن: تعط من، م، ي، شعب الإيمان للبيهقي ٥/ ٢٢٠.
(٧٧) خلوف: خوف، م، ي. شعب الإيمان للبيهقي ٥/ ٢٢٠.

مبحث في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾

وأما الكلام في الآية: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة:١٨٣]، الصيام على أحد عشر وجهًا: صوم الفرض، والظِّهار، والقتل، وكفارة رمضان، وكفارة اليمين، وفدية الأذى، وصوم التمتع والقِران، وصوم فساد الحج، وصوم كفارة الصيد، والنوافل، والنذور.

والأيام المنهي عن الصوم فيها خمسة: العيدان، وأيام التشريق.

والصوم: الإمساك ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ [مريم:٢٦]. شعر:

خيلٌ صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وخيل تعلك اللجما

قال: ﴿كُتِبَ﴾ في الصوم، لما فيه من المشقة، وفي الرحمة قال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤].

قوله: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة:١٨٣]، قيل: فرض عليكم الصوم كما فرض على من قبلكم، وهو الأصح[٧٨]، وهم[٧٩] أهل الكتاب، وقيل: فُرِض عليهم[٨٠] شهر رمضان؛ يعني النصارى فزادوا وغيروا ونقلوه إلى أيام[٨١] لا يكون فيها حَرٌّ ولا قُرٌّ[٨٢]، على ما جاء في الخبر.

وقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ كما كتب عليكم صيام رمضان كتب على نفسه الرحمة والغفران والرأفة والرضوان، كتب عليكم ترْك الطعام والشراب، وكتب على نفسه جزيل الثواب، كتب عليكم الصيام أياما[٨٣] معدودات وكتب على نفسه الدرجات، فَفُوا[٨٤] بما كتب عليكم يفي بما كتب لكم، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ﴾ [البقرة:٤٠].

قوله: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [البقرة:١٨٤] قيل: أيامًا، وقيل: ثلاثة أيام من كل شهر، وقيل: شهر

(٧٨) الأصح: الأصلح، م، ي.
(٧٩) هم: هو، م، ي.
(٨٠) عليهم: عليكم، م، ي.
(٨١) أيام: الأيام، م، ي.
(٨٢) القُرُّ: البرد. الصحاح (قرر).
(٨٣) أياما: أيام، م، ي.
(٨٤) من الوفاء، والمعنى: أوْفُوا.

رمضان ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي لتتقوا، وقيل: تعرضوا للتقوى، وقيل: افعلوا ذلك للتقوى.

قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ وشهر القرآن، وشهر الإيمان، وشهر تزين الجنان، وإغلاق أبواب النيران، وقيل: رمضان اسم من أسماء الشهر، وقيل: اسم من أسماء الله.

عن مجاهد: لا تقولوا: جاء رمضان وذهب رمضان، لعل رمضان اسم من أسماء الله، ولكن قولوا: جاء شهر رمضان.

ومن ذهب إلى أنه اسم الشهر قيل: سمي رمضان، لأنه يرمض الذنوب أي يحرقها، وقيل: في وقت تسمية الشهور كان شديد الحر.

روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه سمي رمضان، لأنه يرمض الذنوب أي يحرقها. شهر تكثر فيه الصدقات، وتقبل فيه النفقات، ويزاد في الصلوات، شهر يعتق فيه الرقاب، ويضاعف الثواب، ويدفع العقاب، شهر تزهر فيه القناديل، وينزل فيه جبريل، ويتلى فيه التنزيل، ويغفر فيه الكثير[٨٥] والقليل، شهر فيه المساجد منورة، والمحاريب معطرة، والسيئات [مكفرة والحسنات][٨٦] ميسرة، والأبدان مطهرة، والأذيال مشمرة[٨٧].

مبحث في شهر رمضان عشرون خصلة

حرمتان، وعصمتان، ونعمتان، ورخصتان، وكرامتان، وبشارتان، وبركتان، وليلتان، وهديتان، وفرحتان.

أما الحرمتان: فحرمة شهر رمضان، وحرمة نزول القرآن.

وأما العصمتان: فعصمة من الشيطان، وعصمة من النيران.

وأما النعمتان: ففتح أبواب الجنان، وروح الجنان، وقيل في الفتح والإغلاق: تفتح بالتوفيق أبواب الطاعات، وتغلق أبواب المعاصي.

وأما الرخصتان: فرخصة المريض والمسافر.

---

(٨٥) الكثير: الكبير، م، ي.

(٨٦) بستان الفقراء ونزهة القراء لصالح الكتامي المعروف بالعماد ص٣٣٥.

(٨٧) الأذيال مشمرة: الأذيال مشهرة، م، ي. بستان الفقراء ونزهة القراء لصالح الكتامي المعروف بالعماد ص٣٣٥.

وأما الكرامتان: فإضافة الصوم إليه، وطيب الخلوف لديه[٨٨].

وأما البشارتان: فزيادة اليسر، ونفي العسر.

وأما البركتان: فبركة النور، وبركة السحور.

وأما الليلتان: فليلة القدر، وليلة العيد.

وأما الهديتان: فالعبادة وهو نائم، والتسبيح وهو صامت، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «نوم الصائم عبادة، وصمته تسبيح، وعمله مضاعف، ودعاؤه مستجاب».

وأما الفرحتان: ففرحة عند الإفطار، وفرحة يوم القيامة عند الملك الجبار.

وقد بينا في باب العبادة من يقبل منه صيام شهر رمضان ومن لا يقبل، وقيل: من صام عن[٨٩] الطعام وأفطر على الطعام فصومه عادة[٩٠]، ومن صام عن الحرام وأفطر على الحلال فصومه عبادة، ومن صام عن[٩١] العصيان وأفطر على الإحسان فهو تقي، ومن صام عن الطعام وأفطر بالآثام فهو شقي.

وقوله: «الصوم لي وأنا أجزي به»، قيل: لأنه لا يدخله الرياء، وقيل: «الصوم [لي]» كقوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن:١٨]، قيل: إنما أمرنا بالصوم، لأن الجوع ملاك السلامة في باب الأديان والأبدان عند الحكماء.

يحيى بن معاذ: من شبع من الطعام عجز عن القيام، وقيل: البطنة تذهب الفطنة، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من وعاء أبغض إلى الله من بطن ابن آدم»، وقيل: مفتاح الآخرة الجوع، ومفتاح الدنيا الشبع.

شعر:

تجوَّعْ للإله تكن خفيفًا ... وفتش في المعاش تكن عفيفا

وخَلِّ الزيغ واعتزل البرايا ... ودعْ وسخ الذنوب تكن لطيفا

قوله: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ [البقرة:١٨٤] رخص أن يفطر متتابعًا ويصوم منفردًا، وهذا غاية اللطف، وأن يفطر الأيام الطوال ويقضي في الأيام القصار، هذا غاية العطف فيه. وفي قوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ﴾ دليل ظاهر لأهل العدل على أهل الخير.

(٨٨) لديه: إليه، م، ي.

(٨٩) عن: على، م، ي.

(٩٠) عادة: عبادة، م، ي.

(٩١) عن: على، م، ي.

مبحث في ذكر ليلة القدر

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر:١].

يقال: سبع سور في سبعة أشياء لا يخالطها غيرها: (يوسف) في قصته وإخوته، (القارعة) في صفة القيامة، (الفيل) في قصته، (تبت) في أبي لهب، (الإخلاص) في الوحدانية، (لإيلاف قريش) في قريش، (إنا أنزلناه) في ليلة القدر.

وروي أن القرآن كان ينزل إلى سماء الدنيا ليلة القدر، ثم نزل [به] جبريل عشرين سنة. وقيل في قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾: إن القرآن أنزل إلى سماء الدنيا في هذه الليلة، والأول أولى.

وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست خلون من شهر رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من شهر رمضان».

قوله: ﴿لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ قيل: سميت به لعظم قدرها، وقيل: ليلة التقدير، وقيل: عظم قدرها بإنزال القرآن فيها، وقيل: مَنْ رُزِق هذه الليلة عَظُم قَدْرُه، وقيل: قُدِّرت فيها الرحمة على عباده.

ويقال: إنه تعالى قال: ﴿لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ ولم يقل: ليوم القدر؛ لأن تمام الأنس وكمال السرور بالليالي، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل:٦]، ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗا﴾ [الأنعام:٧٦]، ﴿نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ﴾ [القمر:٣٤]، ﴿وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ﴾ [القصص:٢٩]، ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الأنبياء:٨٧]، ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ﴾ [الإسراء:٧٩]، فأكرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخمس كرامات: ليلة المعراج ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ [الإسراء:١]، ليلة البراءة، وليلة انشقاق القمر، وليلة الجن، وليلة القدر، وقال: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ﴾ [المزمل:٢]، ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ﴾ [الإسراء:٧٩]، والليل أُنس المحبين، ورياض العاشقين[٩٢]، وليلة القدر ينشرح فيها الصدر، ويقدر فيها اليسر والعسر.

واختلفوا، فقيل: ليلة إحدى وعشرين، وقيل: الخامس والعشرين، وقيل: السابع والعشرين، وقيل: الشهر كله.

وقيل: إنه أخفى خمسة في خمسة: الأرزاق في الاكتساب، ورضاه في الطاعات، والصلاة الوسطى في الصلوات، واسمه الأعظم في الأسماء، وليلة القدر في سائر الليالي.

(٩٢) العاشقين: الموافقين، م، ي.

وقيل: كانت في أيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورفعت بعده، وهذا لا يصح، لأن ابن عباس روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه سئل عن ليلة القدر فقال: «هي في كل رمضان»، وقيل: هي في كل سنة في وتر العشر الأواخر من شهر رمضان، عن كعب، وليلة الحادي والعشرين رواية أبي سعيد الخدري، والثالث والعشرين رواية أهل البيت، ورواية العامة وابن عباس ليلة السابع والعشرين.

وروى عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن ليلة القدر فقال: «عليك بالسابعة» يعني سبع وعشرين.

وعن زِرّ بن حُبَيْشٍ قال: لولا سفهاؤكم لوضعت أصابعي في أذاني وناديت: ألا إن ليلة القدر ليلة سبع وعشرين نبأ[٩٣] صدق، بلَّغني عن[٩٤] رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صدقًا[٩٥]. واعتبروا حروف السورة إلى قوله: [هي]، فإذا هي سبعة وعشرون.

وعن عيينة بن عبد الرحمن قال: ذكرت ليلة القدر عند أبي بكر فقال: من يطلبها فلا يطلبها إلا في العشر الأواخر بعدما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «التمسوها في العشر الأواخر لسبع يبقين أو ثلاث يبقين أو آخر ليلة».

وعن أبي هريرة قال: ذكرنا ليلة القدر عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «كم مضى من الشهر»؟ قلنا: مضى اثنان وعشرون وبقي ثمان، قال: «لا، بقي سبع، الشهرُ تسع[٩٦] وعشرون، التمسوها الليلة».

وعن أبي بن كعب قال: إني لأعلمها، هي الليلة التي أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [بقيامها][٩٧]، هي ليلة سبع وعشرين.

قوله: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ [القدر:٣]، قيل: العمل فيها خير من العمل في[٩٨] ألف شهر ليس فيه ليلة القدر، وقيل: ليلة القدر العبادة فيها أكبر وفضلها أكثر وأعظم من [مدة]

(٩٣) السنن الكبرى للنسائي ١٠/ ٣٤١.
(٩٤) عن: أن، م، ي.
(٩٥) صدقًا: صدق، م، ي.
(٩٦) تسع: سبع، م، ي. صحيح ابن خزيمة ٣/ ٣٢٦.
(٩٧) صحيح مسلم ٢/ ٨٢٨.
(٩٨) في: من، م، ي.

ملك بني أمية وهي ألف شهر، عن الحسن. وقيل: ليلة القدر خير من ملك سليمان وملك ذي القرنين(٩٩)، وكان كل واحد خمسمائة شهر. وقيل: كان شمسون(١٠٠) عبد الله مع أمته ألف شهر، فتمنى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأمته حالًا كحالهم، فنزلت الآية. وقيل: كان رجل في بني إسرائيل لبس(١٠١) السلاح وجاهد، فلم ينزعه(١٠٢) ألف شهر، فتمنى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأمته، فنزلت الآية.

قوله: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ [القدر:٤]، قيل: الروح جبريل، وقيل: ملك، وفي نزول الملائكة حديث طويل.

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا كانت ليلة القدر أمر الله جبريل فهبط في كُبْكُبَةٍ(١٠٣) من الملائكة إلى الأرض ومعه لواء أخضر، فيركز اللواء على ظهر الكعبة وله ستمائة جناح، منها جناحان لا ينشرهما إلا في ليلة القدر، فينشرهما في تلك الليلة، فيجاوزان(١٠٤) المشرق والمغرب، ويحث(١٠٥) جبريل الملائكة في هذه الليلة(١٠٦)، فيسلمون على كل قائم وقاعد ومصلٍّ وذاكر، ويصافحونهم ويؤمِّنون على دعائهم حتى يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر قال جبريل: يا معشر الملائكة الرحيل الرحيل، فيقولون: يا جبريل ما صنع الله في حوائج المؤمنين؟ فيقول: إن الله نظر إليهم في هذه الليلة فعفا عنهم وغفر لهم إلا أربعة: رجل مدمن خمر، وعاق والديه، وقاطع رحم، ومشاحن»، قيل: وما المشاحن يا رسول الله؟ قال: الذي يشاحن بين الناس».

وعن عائشة [قالت: قلت: يا رسول الله] إن وافقت ليلة القدر فما أسأل؟ قال: «سلي ربك العافية في الدنيا والآخرة».

قوله: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَـٰمٌ﴾، [سلام] النبي: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ﴾ [الأنعام:٥٤]، وسلام المؤمنين:

---

(٩٩) القرنين: القرني، م، ي. تفسير الثعلبي ١٠/ ٢٥٧.
(١٠٠) هكذا ورد الاسم في روح البيان ١٠/ ٤٨٣، وورد في تفسير الثعلبي ١٠/ ٢٥٧: شمشون. بشينين بينهما ميم.
(١٠١) لبس: ليس، م، ي.
(١٠٢) ينزعه: ينزع، م، ي.
(١٠٣) الكُبْكُبَةُ: الجماعة من الناس المتضامة بعضها مع بعض. تاج العروس (كبب).
(١٠٤) يجاوزان: يجاروان، م، ي. تفسير الدر المنثور للسيوطي ١/ ٤٥١.
(١٠٥) يحث: يشث، م، ي. تفسير الدر المنثور للسيوطي ١/ ٤٥١.
(١٠٦) الليلة: الأمة، م، ي. انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي ١/ ٤٥١.

﴿فَإِذَا[١٠٧] دَخَلْتُم بُيُوتًا﴾ [النور:٦١]، وسلام المؤمنين في الجنة ﴿سَلَٰمٌ﴾.

المؤمن يسلم عليه في مواضع: ليلة القدر: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَٰمٌ﴾ [القدر:٤-٥].

الثاني: عند الموت ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ﴾ [النحل:٣٢].

الثالث: عند باب الجنة ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الزمر:٧٣].

الرابع: في الجنة ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد:٢٣-٢٤].

الخامس: في الغرفات ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:٥٨].

السادس: لما استقروا في الجنة ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ[١٠٨] سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب:٤٤].

شعر:

إلى الله أشكو ما لقيت من الهجر ... ومن كثرة البلوى ومن قلة الصبرِ
ركبت الهوى لا بارك الله في الهوى ... فأنزلني دار المذلة والصُّغْرِ
تمنيت شهر الصوم لا لعبادةٍ ... ولكن[١٠٩] رجاء أن أرى ليلة القدرِ
فأدعو إله العالمين [بدعوةٍ] ... أيا رب نجِّ الوامقين[١١٠] من الهجر

مبحث في وداع شهر رمضان

شهر رمضان ضيف ينزل كل سنة، وللضيف ثلاثة أحوال: حال نزوله، وحال مكثه، وحال ارتحاله.

أما حال نزوله: فمن[١١١] كرامته الفرح به، وروي عن الأصمعي قال: دخلت البادية، فبينا أنا أسير في ليلة مظلمة باردة إذا بخيمة فيها فتى على رأسه غلام، والفتى ينشد:

أوقد فإن الليل ليلٌ قُرُّ ... والريح يا واقدُ ريحٌ صرُّ
عسى يرى ناري مَنْ يمرُّ ... إن جاءنا الضيف فأنت حرُّ

---

(١٠٧) فاذا: إذا، م، ي..

(١٠٨) يوم يلقونه: في يوم يلقونه، م، ي.

(١٠٩) لكن: لمن، م، ي.

(١١٠) الوَامِقُون: جمع وَامِق، وهو المحبّ. الصحاح (ومق).

(١١١) فمن: عن، م، ي.

فتقدمت وسلمت، فرد علي وقال: ادخل يا مبارك، فأقمت ثلاثة، فقال: الضيافة ثلاث ثم الحاجة، فقلت: ديات لزمتني، فقال: يا غلام اجمع المواشي والأثاث، فجمع جميع ماله ثم أمر لي بنصف ما يملكه، وقال: لا أدري كم عليك، ولكن جعلت لك نصف مالي.

وأما حال المكث: قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات:٢٤]، قيل: إكرامه لهم قيامه بنفسه عليهم، عن مجاهد.

شعر:

وإني لعَبْدُ الضيفِ ما دام ثاويًا ... وما شيمةٌ لي غيرها تُشْبه العبدا

وللبرقعي في إكرام الضيف:

الضيف أملك منا في منازلنا ... بالمال والنفس ثم المنّ للضيف

إني وقومي من أنساب[١١٢] قومهمُ ... كمسجد الخيف في بحبوحة[١١٣] الخيفِ

يوسف بن الحسن قال: كان بمصر ناسك لا يغلق بابه، وكل من أقبل وأدبر دخل، فإن وجد شيئًا أكله وإلا انصرف، وكان مكتوبًا في زوايا بيته شعر:

مسكننا هذا لمن حله ... نحن سواء فيه والطارقُ

فمن أتانا فيه فليحتكم ... فإنه في حكمه صادقُ

لا يحذر الفاقة من ربنا ... فربنا الشافع والرازق

فينبغي للمؤن أن يستقبل رمضان بالسرور العظيم، ثم يقوم ويطوي فراشه ويقوم ولا يقعد، ويسهر ولا ينام، ويتهجد ويجتهد.

فأما الحالة الثالثة: حال ارتحاله، وهو حال الاستيحاش والاغتمام لمفارقته، حكي أن ضيفًا ارتحل من عند عبد الله بن عامر فلم يعنه غلمانه على شد الرحال، فقال له: ما أنبلك لولا شد الرحال، فقال: إنا لا نعين الضيف على الارتحال.

شعر:

ولا أقول لضيفي حين يطرقني ... من[١١٤] أنت أم كم تريد المكث يا رجلُ

(١١٢) من أنساب: في أكساب، م، ي. ربيع الأبرار ٤/ ١٧٦.

(١١٣) بحبوحة: مجموعه، م، ي. ربيع الأبرار ٤/ ١٧٦.

(١١٤) من: ما، م، ي.

أقربه[١١٥] مالي وبَشْري ما ألَمَّ بنا[١١٦] والدمع يجري إذا قامت به الرحل[١١٧]

فكذلك شهر رمضان إذا ارتحل يجب أن يكون [الصائم] بارتحاله باكيًا حزينًا؛ لأن مَنْ فارق حبيبه يجب أن يكون البكاء زينته، والنحيب حليته، لأنه لا يخلو إما أن يكون قضى منه وطرًا فغمه بفراقه بقدر سروره بمقامه، أو لم يقض منه وطرًا فتأسُّفه[١١٨] على مضي الوقت مع الحبيب من غير حصول الأنس، ففي الوجهين يلزم قلبه القلق.

شعر:

يَفُلُّ غدًا جيش النوى عسكر اللقا فرأيك في سَحِّ الدموعِ موفقَا
ولما رأيتُ الإلفَ يعزِم للنَّوى عزمتُ على الأجفان أن تترقرقا
فخذ حجتي في ترك جسميَ[١١٩] سالمًا وقلبي ومن حقَّيهما أن يُمَزَّقا
يَدَيَّ[١٢٠] ضُعفتْ عن أن تمزق جَيْبَها وما كان قلبي حاضرًا فيمزَّقا

شعر:

ولما رأيت البين قد جد جدُّه ولم يَبْقَ إلا أن تُزَمَّ الركائبُ
وقفنا فسلمنا سلام مودع فردت علينا أعين وحواجبُ

ومودع شهر رمضان له حسرة عظيمة على ما فاته من بركة هذا الشهر العظيم، ولعله لم يُغفر سيئاته، ولم تقبل حسناته، ولم تُقَلْ عثراته، فتضاعف حسراته، وتتابع ندماته.

شعر:

مضت الشبيبةُ والحبيبةُ فالتقى[١٢١] دمعان في الأجفان يزدحمانِ
ما أنصفتْني الحادثات رَمَيْنَني بِمُوَدِّعَيْنِ وليس لي قلبانِ

ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أبو بكر: من كان يعبد محمدًا فإن محمد

(١١٥) أقربه: أقديه، م، ي. الترغيب والترهيب ٣/ ٥١.
(١١٦) بنا: بهاء م، ي. الترغيب والترهيب ٣/ ٥١.
(١١٧) الرحل: الرجل، م، ي. الترغيب والترهيب ٣/ ٥١.
(١١٨) فتأسفه: فياسفه.
(١١٩) لجسميَ: حي، م، ي. مصارع العشاق ٩٥.
(١٢٠) يَدَيَّ: يداء م، ي.
(١٢١) فالتقى: فالبقا، م، ي.

قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. فكذلك من عبد الشهر فقد مضى وانقضى، ومن عبد الله فهو حي لا يموت، رب السماوات والأرض، والبر والبحر، والسهل والجبل، والإنس والجن، والشهور والأيام، والسنين والأعوام.

وكان ابن شمعون يقول: يا أصحابنا مضى شهر رمضان وجهنم أبوابها مغلقة، والشياطين مصفدة مقيدة، والحسنات مضاعفة، والسيئات ممحضة، هي يوم أو نصف يوم أو ساعة. إيش خلف عليكم إيش، وربكم إيش أخذ منكم، شاهد لكم أم شاهد عليكم؟ زائر زاركم أكرمتموه؟ أحسنتم مجاورته؟ أحسنتم[١٢٢] صحبته؟ أعطيتم حقه؟ أحفظتم عهده؟ ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٥٦].

شعر:

أي شهر قد تولى يا عباد الله عنا
يذرف الدمع عليه حين ولى لو عقلنا
كيف لا نبكي لشهر مر بالغفلة عنا
ثم لا نعلم أنا قد قُبِلنا أو طُرِدْنا
نحن في بحر الخطايا والمعاصي قد غرقنا
نحن من شؤم المعاصي بالتقى لا نَتَهَنَّى[١٢٣]
ليت شعري من هو المحـ ـروم ممن صام منا
ومن المقبول ممن صام منا فَيُهَنَّا
رمضان كنت نورًا بيننا تزهر حسنا
فكأنا قد فقدناك وزال النور[١٢٤] عنا
قد أسأنا وظلمنا وعصينا وشردنا[١٢٥]
فاجعل اللهم هذا الشهر يمحو ما فعلنا

وقيل: يا شهر رمضان كما كنت لنا لباب [الخير] مفتاحا، فكن لنا على الصراط مصباحا.

وقيل: كما كنت لصالحينا ربيعًا، فكن لصالحينا عند الله شفيعًا، خير كثير أدبر إقباله، وظل

(١٢٢) أحسنتم: أحسنت م، ي.
(١٢٣) نَتَهَنَّى: هنا، م، ي.
(١٢٤) النور: النوم، م، ي.
(١٢٥) وشردنا: وسررنا، م، ي.

ظليل قد أذن لزواله، بساط أنس قد قرّب(١٢٦) أن يطوى، وشراب عذب قد قطع عنا قبل أن نروى، السلام عليك يا شهر رمضان، لا تشكُنا إلى الملك الديان، السلام عليك يا شهر الصوم، ما بقي منك إلا هذا اليوم، السلام عليك يا شهر الإيمان والأمن والأمان، ويا شهر الغفران، ما بقي منك إلا يومان، ويا شهر الطاعة ما بقي منك إلا ساعة، السلام على شهر كان على الفاسقين حبسًا، وللمتقين أنسًا، السلام على شهر كان نزهة للأبرار، وغصة في صدور الفجار، شهر التهاليل والتسابيح، وشهر القناديل والمصابيح، وشهر التراويح، السلام عليك كنت إلى الحسنات خطامًا، وعن السيئات زمامًا، كانت المجالس ببركتك معمورة، والخطايا والذنوب بآثارك مغفورة، السلام على المحاريب المعطرة، والدموع المقطرة، والقناديل الزاهرة، والعيون الساهرة، ودِّعوا شهركم فلعله(١٢٧) آخر صيامكم، ولعله آخر عام من أعوامكم، فكم من صائم لا يصوم غيره أبدًا، وكم من قائم لا يقوم بعده أبدًا، وكم من مؤمّل لهذا الشهر لم يدركه، وكم من داخل لم يستكمله، وكم من متأهب ليوم الفطر أصبح يوم العيد في القبر، فارق الإخوان، ولبس الأكفان، وجاور الديدان، تحت التراب في حفرة مظلمة، ولحدة موحشة، فاشتد رجوا ما صنعتم في بقية لياليكم، ليت شعري(١٢٨) مَنْ المقبول منا فنُهَنِّيه، ومن المردود منا(١٢٩) فنعزيه، أيها المقبول هنيئًا لك، قد فزت فوزًا عظيما، وأيها المردود منا(١٣٠)، جبر الله مصيبتك، فقد خسرت خسرانًا مبينا، وحرمت أجرًا عظيما.

شعر:

على رمضان تذكرة السلام ... فقد ولى وأدبر بانصرام
ألا يا صائمي رمضان نوحوا ... على رمضان بالدمع السجام
لقد كانت بليلك ليس تهدا ... عيون العابدين مع النيام
فترفع دعوة من كل داعٍ ... بتأمين الملائكة الكرامِ
فطوبى من تقبله إلهي ... لعبد صامه في كل عامِ
وويل دائم وعظيم هولٍ ... لمن ردت عليه في الأنام

(١٢٦) قرب: قر، ي.

(١٢٧) فلعله: فلعه، م، ي.

(١٢٨) شعري: شعر، م، ي. لطائف المعارف ٢٤٧.

(١٢٩) منا: علينا،م، م، ي. لطائف المعارف ٢٤٧.

(١٣٠) منا: علينا، م، ي.

ومن كلام زين العابدين عليه السلام في وداع شهر رمضان: السلام عليك شهر الله الأعظم، ويا عيد أوليائه الأكرم، السلام عليك يا أكرم مصحوب من الأوقات، ويا خير شهر في الأيام والساعات، السلام عليك من شهر قربت[١٣١] فيه الآمال، وسترت فيه الأعمال، السلام عليك من قرين[١٣٢] جل قدره موجودًا، وأفجع[١٣٣] فقده مفقودًا، السلام عليك من ناصر أعان على الشيطان، وصاحب سهل سبل الإحسان، السلام عليك ما كان أمحاك للذنوب، وأسترك لأنواع العيوب، السلام عليك كما قد وفدت علينا بالبركات، وغسلت عنا دنس الخطيئات، السلام عليك من شهر لا ينافسه الأيام، من شهر هو من كل أمر سلام.

فصل في العيدين

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ [الأعراف:٥١]، قيل: المراد بالدين هاهنا العيد، وقال تعالى: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا﴾ [المائدة:١١٤]، وقيل في قوله: ﴿يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ [طه:٥٩]: يوم عيد كان لهم.

واختلفوا لم سمي العيد عيدًا، قيل: لأنه يعود إليهم السرور، عن الفراء، وقيل: لأن في عوائد الإحسان من الله، ذكره أبو حاتم في كتابه الزينة، وقيل: يعود العبد[١٣٤] فيه إلى التضرع والدعاء، ويعود الرب إلى الزينة والعطاء.

شعر:

للناس عيدان كُلَّ عامٍ   وأنت لي بالدوام عيدُ
لولاك ما طاب يومُ عيدٍ   ولا رأى العبد ما يريدُ

وروى أنس قال: كان لأهل الجاهلية يومان يلعبون فيهما، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة قال: «قد بدلكما الله بهما يومين [خيرًا منهما]: الفطر، والأضحى»، وقال: «العيد على وجوه: فمنها: عيد آدم: قبول توبته ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة:٣٧]، وعيد نوح: هلاك قومه ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ﴾ [الشعراء:١١٩] في السفينة ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ﴾

(١٣١) قربت: قريب، م، ي. الصحيفة السجادية ص٢٢٨.
(١٣٢) قرين: قرى، م، ي. الصحيفة السجادية ص٢٢٨.
(١٣٣) وأفجع: وفجع، م، ي. الصحيفة السجادية ص٢٢٨.
(١٣٤) العبد: العيد، م، ي.

[الأعراف:٦٤]، وعيد موسى: لما كلمه ربه ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [القصص:٣٠]، وعيد عيسى: نزول المائدة ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ [المائدة:١١٤]، وعيد إبراهيم: نجاته من النار ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩]، وحين فدي ابنه بشاة ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات:١٠٧]، وعيد يوسف: حين اجتمع هو وأبوه وإخوته، وعيد الحاج عرفة ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾ [الفجر:٣]، وعيد المؤمن: الجمعة ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة:٩]».

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في جمعة: «يا معشر المسلمين، إن هذا اليوم جعله الله لكم عيدًا، فاغتسلوا، وعليكم بالسواك، وعيد المسلمين الفطر والأضحى».

ويقال: ليس العيد لمن لبس الجديد، إنما العيد لمن أَمِنَ الوعيد، ليس العيد لمن ركب المطايا، إنما العيد لمن وجد العطايا، ليس العيد لمن أكل وشرب، إنما العيد لمن وَصَلَ إليه وقُرِّب، ليس العيد لمن تطيب بالعود، إنما العيد لمن تاب ثم لا يعود.

ورأى رجل من الصالحين شبابًا[١٣٥] سكارى يوم العيد، فسلم عليهم ثم قال: اليوم يوم العيد فلا تخلو حالكم من أحد خصلتين: إما أن يكون صومكم مقبولًا فليلزمكم الشكر، وما هذا فعال الشاكرين، أو يكون أفعالكم مردودة فيلحقكم الحزن، وما هذا فعال المحزونين، قال: فتابوا ولبسوا الصوف من بركة كلامه.

وعن بعضهم يعظ يوم العيد[١٣٦]: يا قوم الطاعة بعد المعصية علامة للغفران، والطاعة بعد الطاعة علامة للرضوان، والمعصية بعد الطاعة علامة الخذلان.

ويقال: النكر مقام الشكر قبيح، وشرب المُدَامة[١٣٧] بعد الندامة قبيح، وضرب العود يوم العيد قبيح، وتناول الخمور يوم السرور قبيح.

وقيل: إذا لزمت تقواك، وخالفت هواك، وآثرت دينك[١٣٨] على دنياك، وعبدت مولاك، فهو عيدك.

وقيل: من ترك الاستكثار، ولزم الاستغفار، وعبد الملك الجبار، فهو له يوم عيد.

---

(١٣٥) شبابا: شبانا، م، ي.

(١٣٦) يوم العيد: يوم القيامة، م، ي..

(١٣٧) المُدامة: الخمر. الصحاح (دوم).

(١٣٨) دينك: ذنبك، م، ي.

ودخل رجل على أمير المؤمنين يوم عيد وهو يأكل الخُشْكَار(١٣٩) فقال: اليوم عيد وأنت تأكل هذا؟ فقال: اليوم عيد مَنْ قُبِل صومه، وشُكِر سعيُه، وغُفِر ذنبُه، اليوم لنا عيد، وغدًا لنا عيد، وكل يوم لا نعصي الله فهو لنا عيد.

شعر:

جرى حبك في قلبي ... كجري الماء في العود
أرى وجهك لي عيدًا ... فما أصنع بالعيد

يا أخي، ما ينفعك خروجك إلى الجبانة ولم تخرج من الغش والخيانة، ما تنفع هذه الثياب البيض والقلب بحب الدنيا مريض.

شعر:

أي عيد لمن جفاه الحبيب ... أي عيش بلا حبيب يطيبُ
غاب عني عيد السرور فما لي ... بعده من سرور عيد نصيب
وحياة الحبيب ما غاب إلا ... غاب طيب الحياة حين يغيبُ

ورئي بشر الحافي على طرف الجبّانة يوم عيد فقيل له: لم لا تتوسط؟ فقال: جئت سائلًا للرحمة وهذا مجلس السائلين، ولعله ينظر إلي فيرحمني، فلما سلم أخذ كفًا من التراب فجعله على رسه وصاح: إلهنا جئناك لنرضيك فليتنا لا(١٤٠) نعصيك.

وللشبلي:

للناس فطر وعيد ... أنا الفريد(١٤١) الوحيد
يا غايتي ومرادي ... قد تم لي ما أريد

وعن مالك بن دينار قال: رجعنا يوم عيد من المصلى بالبصرة فاستقبلتنا جنازة وخلفها جارية ترثي الميت، وتقول:

من كان منتظرًا بالعيد سيده ... فإن سيدنا بالعيد مقبور

---

(١٣٩) الخُشْكار: خبز من الحنطة. لسان العرب (خرج).
(١٤٠) فليتنا لا: فلينا لم، م، ي. طهارة القلب والخضوع لعلام الغيوب لعبدالعزيز الدريني ص١٧٩.
(١٤١) الفريد: الفرد، م، ي.

ولأبي منصور نزار بن معد بن أبي تميم(١٤٢) - وقد وافق بعض الأعياد موت أبيه -:

نحن بنو المصطفى ذوو محنٍ   يجرعها في الحياة كاظمنا
عجيبة في الأنام محنتنا   أوَّلُنا مبتلىً وآخرُنا
يُسَرُّ هذا الورى بعيدهم   طرًا وأعيادنا مآتمنا

[لبعضهم:

للناس عيد ومهرجانٌ   وأنت عيدي ومهرجانِ
حبيب قلبي وأنس نفسي   ورأس مالي ومهرجانِ](١٤٣)

وللعيد شرائط:

منها: استقباله بالتعظيم، وإحياء ليله(١٤٤) بالتهجد، قال تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ [الحج:٣٢]، وعن جابر: من أحيا ليلة العيد لم يمت قلبه يوم [تموت القلوب].

ومنها: إكثار الصدقة، روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خطب يوم عيد وحث على الصدقة، وروي: «أغنوهم عن المسألة في هذا اليوم».

ومنها: الغسل؛ لأنه مجمع كالجمعة.

ومنها: لبس الجديد، روى جابر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «أنه كان يلبس برده الأحمر(١٤٥) في العيدين».

ومنها: المشي، روى ابن المسيب قال: ما ركب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عيد ولا جمعة، قال تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ [يس:١٢]، فينبغي أن يكبّر [عند] المشي. وروي أن علي بن موسى لما كان بمرو وكان [إذا] أراد أن يخرج إلى العيد يمشي والناس خلفه.

ومنها: التكبير في الطريق عند أبي حنيفة في الأضحى، وعند غيره في العيدين، وكان ابن عمر يكبر فيهما، وقال تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ [البقرة:١٨٥].

---

(١٤٢) ولأبي منصور نزار بن معد بن أبي تميم: تميم بن معد، م، ي. يتيمة الدهر للثعالبي، ١/ ١٩٦.
(١٤٣) ما بين المعقوفتين سقط في ي.
(١٤٤) ليلة م، ي.له.م،ي
(١٤٥) برده الأحمر: برد حبرة،م، ي. السنن الكبرى للبيهقي ٣/ ٣٩٧.

ومنها: تأخير الصلاة في الفطر، وتعجيلها في الأضحى، نظرًا لحق الفقراء، فإنه في الفطر قبل الصلاة حتى توفر عليهم، وفي الأضحى بعدها حتى تعجل لهم، ويقال: إن للعيد شبهًا بالقيامة، فينبغي للعبد أن يتذكر ذلك، وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ في العيدين (نون والقلم)، لأن فيها ذكر القيامة، فإذا رأى نَفْخَ البوق ليلة العيد وبكرة العيد فليذكر ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ [الزمر:٦٨].

ومنها: إذا ناموا بعد النفخة الأولى وقبل الثانية تذكَّر قوله: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ [الزمر:٦٨].

ومنها: إذا رأى الأعلام، تذكر أعلام يوم القيامة وألويتها.

ومنها: إذا رأى اختلاف الهيئات في العيد تذكر أحوال القيامة، قوم يلبسون الحلل، وقوم يلبسون القطران ﴿عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ﴾ [الإنسان:٢١]، و﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ [الحج:١٩].

ومنها: إذا برز الناس من ديارهم، تذكر خروجهم من قبورهم ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم:٤٨].

ومنها: إذا ركب قوم ومشى قوم تذكر قوله: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم:٨٥]، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يحشر الناس على ثلاثة: ثلث على الدواب، وثلث على الأقدام، وثلث على الوجه»، ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ﴾ [القمر:٤٨].

ومنها: إذا قعد الناس لانتظار السلطان تذكر انتظار الحشر وهم واقفون على رؤوس القبور كما روي مرفوعا: «أنهم يقفون ثلاثمائة سنة».

ومنها: إذا سمع المنادي ذكر المنادي في القيامة بالسعادة والشقاوة.

ومنها: إذا رأى بعضهم في الظل وبعضهم في الشمس تذكر مثل ذلك في القيامة.

ومنها: إذا رأى سؤال الفقراء تذكر سؤال الأخ لأخيه، وهو يومئذ كقوله: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [عبس:٣٤].

ومنها: إذا أنصت الناس للخطيب ذكر إنصات الناس يوم يختم على أفواههم.

ومنها: إذا سمع الخطبة تذكر الخطبة يوم القيامة، كما روي أنه قال: «وأنا خطيبهم إذا أنصتوا»[146].

(١٤٦) سنن الدارمي ١/ ١٩٦.

ومنها: إذا رأى الصف تذكر قوله: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف:٤٨].

ومنها: إذا رأى ذبح القربات تذكر ذبح الموت.

ومنها: إذا رأى انصراف الناس [تذكر انصراف الناس] في قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ [الزلزلة:٦]، ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [يس:٥٩]، وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [الروم:١٤].

وعن عطاء عن جابر قال: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم العيد، فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة، ثم قام متوكئًا على بلال، فأمر بتقوى الله، وحث على طاعته، ووعظ الناس وذكرهم، ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن، وقال: «تصدقن فإن أكثركن حطب[١٤٧] جهنم»، فقالت امرأة: لم يا رسول الله؟ قال: «لأنكن تكثرن الشَّكَاةَ وتكفرن[١٤٨] العشير»، فجعلن يتصدقن من حلتهم ويلقين في ثوب بلال من قرطهن وخواتيمهن.

شعر:

يا ليلة العيد عودي بالسرور لنا … فإنني هائم يا ليلة العيد

شعر:

من سره العيد الجديـ … ـد فما رأيت به سرورا
كان السرور يتم لي … لو كان أصحابي حضورا

شعر:

من سره العيد فما سرني … بل زاد في همي وأشجاني
لأنه ذكرني ما مضى … من عهد أحبابي وخلاني

شعر:

وليس للميت في قبره[١٤٩] … عيد ولا أضحى ولا فطرُ

(١٤٧) حطب: حطه، م، ي. صحيح مسلم ٢/ ٦٠٢، وسنن النسائي ٣/ ١٨٦ وسنن البيهقي الكبرى ٣/ ٤١٥.
(١٤٨) تكفرن: تكفر، م، ي. مسند أحمد، حديث رقم: ١٤٤٢٠.
(١٤٩) قبره: أهله، م، ي. لطائف المعارف ص٢٧٤.

ومنها: تأخير الصلاة في الفطر، وتعجيلها في الأضحى، نظرًا لحق الفقراء، فإنه في الفطر قبل الصلاة حتى توفر عليهم، وفي الأضحى بعدها حتى تعجل لهم، ويقال: إن للعيد شبهًا بالقيامة، فينبغي للعبد أن يتذكر ذلك، وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ في العيدين (نون والقلم)، لأن فيها ذكر القيامة، فإذا رأى نَفْخَ البوق ليلة العيد وبكرة العيد فليذكر ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ [الزمر:٦٨].

ومنها: إذا ناموا بعد النفخة الأولى وقبل الثانية تذكَّر قوله: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ [الزمر:٦٨].

ومنها: إذا رأى الأعلام، تذكر أعلام يوم القيامة وألويتها.

ومنها: إذا رأى اختلاف الهيئات في العيد تذكر أحوال القيامة، قوم يلبسون الحلل، وقوم يلبسون القطران ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ﴾ [الإنسان:٢١]، و﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ [الحج:١٩].

ومنها: إذا برز الناس من ديارهم، تذكر خروجهم من قبورهم ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم:٤٨].

ومنها: إذا ركب قوم ومشى قوم تذكر قوله: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم:٨٥]، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يحشر الناس على ثلاثة: ثلث على الدواب، وثلث على الأقدام، وثلث على الوجه»، ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ﴾ [القمر:٤٨].

ومنها: إذا قعد الناس لانتظار السلطان تذكر انتظار الحشر وهم واقفون على رؤوس القبور كما روي مرفوعا: «أنهم يقفون ثلاثمائة سنة».

ومنها: إذا سمع المنادي ذكر المنادي في القيامة بالسعادة والشقاوة.

ومنها: إذا رأى بعضهم في الظل وبعضهم في الشمس تذكر مثل ذلك في القيامة.

ومنها: إذا رأى سؤال الفقراء تذكر سؤال الأخ لأخيه، وهو يومئذ كقوله: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [عبس:٣٤].

ومنها: إذا أنصت الناس للخطيب ذكر إنصات الناس يوم يختم على أفواههم.

ومنها: إذا سمع الخطبة تذكر الخطبة يوم القيامة، كما روي أنه قال: «وأنا خطيبهم إذا أنصتوا»(١٤٦).

(١٤٦) سنن الدارمي ١/١٩٦.

ومنها: إذا رأى الصف تذكر قوله: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف:٤٨].

ومنها: إذا رأى ذبح القربات تذكر ذبح الموت.

ومنها: إذا رأى انصراف الناس [تذكر انصراف الناس] في قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ [الزلزلة:٦]، ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [يس:٥٩]، وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [الروم:١٤].

وعن عطاء عن جابر قال: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم العيد، فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة، ثم قام متوكئًا على بلال، فأمر بتقوى الله، وحث على طاعته، ووعظ الناس وذكرهم، ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن، وقال: «تصدقن فإن أكثركن حطب[١٤٧] جهنم»، فقالت امرأة: لم يا رسول الله؟ قال: «لأنكن تكثرن الشَّكَاةَ وتكفرن[١٤٨] العشير»، فجعلن يتصدقن من حلتهم ويلقين في ثوب بلال من قرطهن وخواتيمهن.

شعر:

يا ليلة العيد عودي بالسرور لنا ... فإنني هائم يا ليلة العيد

شعر:

من سره العيد الجديـ ... ـد فما رأيت به سرورا
كان السرور يتم لي ... لو كان أصحابي حضورا

شعر:

من سره العيد فما سرني ... بل زاد في همي وأشجاني
لأنه ذكرني ما مضى ... من عهد أحبابي وخلاني

شعر:

وليس للميت في قبره[١٤٩] ... عيد ولا أضحى ولا فطرُ

---

(١٤٧) حطب: حظه، م، ي. صحيح مسلم ٢/ ٦٠٢، وسنن النسائي ٣/ ١٨٦ وسنن البيهقي الكبرى ٣/ ٤١٥.
(١٤٨) تكفرن: تكفر، م، ي. مسند أحمد، حديث رقم: ١٤٤٢٠.
(١٤٩) قبره: أهله، م، ي. لطائف المعارف ص٢٧٤.

ناءٍ عن[150] الأهل على قربه[151] كذاك من مسكنه القبرُ

ورأى الشبلي الناس يوم العيد يسلمون على قدر ثيابهم، فطرح ثيابه في التنور، فقيل: لم فعلت؟ قال: أردت أن أحرق ما يعد هؤلاء، ثم لبس الثياب السود وقال:

تزين الناس يوم العيد للعيد لبست فيه ثياب الزرق والسودِ
وأصبح الناس مسرورًا لعيدهم ورحت فيه إلى نوح وتَعْديد[152]
فالناس في فرح والقلب في ترح شتان بيني وبين الناس في العيد

فصل في صيام الستة الأيام

قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا﴾ [الأنعام:١٦٠].

وروى ثوبان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «صيام شهر رمضان بعشرة أشهر، وصيام ستة أيام بشهرين، فذلك صيام السنة».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «من صام رمضان وأتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر».

وروى الحسن، عن جابر قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا أحدثكم بغرف الجنة»؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «إن في الجنة لغرفًا من أصناف الجواهر كلها، يرى باطنها من ظاهرها [وظاهرها][153] من باطنها، فيها من النعيم واللذات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»، قلنا: لمن هذه الغرف[154] يا رسول الله؟ قال: «لمن أفشى السلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام»، قلنا: ومن يطيق ذلك؟ قال: «أمتي يطيقون ذلك، وسأخبركم عنها: مَنْ لقي أخاه المسلم فسلَّم عليه أو ردَّ[155] عليه فقد أفشى السلام، ومن أطعم أهله وعياله حتى أشبعهم فقد أطعم الطعام، ومن صام رمضان وستًّا[156]

(١٥٠) ناءٍ عن: نأي من، م، ي. لطائف المعارف ص٢٧٤.
(١٥١) قربه: قبرهم، م، ي. لطائف المعارف ص٢٧٤.
(١٥٢) تَعْديد: تغريد، م، ي. تذكرة المحبين للرصّاع ص١٠٤.
(١٥٣) المعجم الكبير للطبراني ٣/ ٣٠١.
(١٥٤) الغرف: الغرفة، م، ي.
(١٥٥) أو ردّ: وأثنى، م، ي. البعث والنشور للبيهقي ص١٧٦، وكتاب الفوائد لتمام الرازي ٢/ ١٧٠.
(١٥٦) ستًّا: ست، م، ي.

من شوال، ومن [كل] شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام، ومن صلى العشاء الآخرة وصلى الغداة في جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام [من] اليهود والنصارى والمجوس»(١٥٧).

وسئل أصحابنا عن تفريق الأيام الستة أهو أفضل أو وصْلها(١٥٨)؟ فقيل: تفرق مخالفة لليهود، عن محمد بن الفضل، وقيل: تواصل عن أبي بكر الإسماعيلي وعن أبي بكر محمد بن حامد.

وروى أبو هريرة قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في آخر يوم من رمضان فقال: «من صام رمضان في إنصات وسكون، وكف سمعه وبصره ولسانه ويده وجوارحه من الحرام والكذب والغيبة، ثم أتبعه بست من شوال قربه الله في الجنة مع الأنبياء حتى تمس ركبته ركبة إبراهيم، ويجوز على الصراط كالبرق اللامع».

أبو هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اضمن لي يا أبا هريرة أربعًا أضمن لك الجنة والمرافقة معي في الجنة»، قلت: وما هي يا رسول الله؟ قال: «أولها: أداء الفرائض في مواقيتها، والثاني: المداراة مع الضعيف والشريف، والثالث: الإحسان إلى من هو تحت يدك، والرابع: إتباع الست برمضان»، قلت: وما(١٥٩) إتباع الست برمضان؟ قال: «أن تصوم(١٦٠) بعد رمضان ستة من شوال تصلها برمضان، فإذا فعلت ذلك ترافقني في الجنة كما ترافقني في الدنيا»، [فقلت]: هذا لي خاصة أم لجميع الأمة؟ قال: «بل لك ولمن فعل مثل فعلك».

ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من صام رمضان وأتبعه بست من شوال، وصام من كل شهر الغر البيض فهو من أهل هذه الآية: ﴿وَٱلصَّٰبِمِينَ(١٦١) وَٱلصَّٰبِمَٰتِ﴾ [الأحزاب:٣٥]».

فصل في أيام البيض

عن أبي معاذ، عن أبي كاهل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أبا كاهل،

(١٥٧) كتاب الفوائد لتمام الرازي ٢/ ١٧٠.

(١٥٨) وصلها: وصله، م، ي.

(١٥٩) وما: ومن، م، ي..

(١٦٠) تصوم: يصوم، م، ي..

(١٦١) الصائمين: الصائمون، م، ي..

من صلى لله أربعين ليلة وأربعين يومًا في جماعة، يدرك التكبيرة الأولى، [كان] حقًا على الله أن يرويه يوم العطش»[١٦٢].

الحسن، عن أبي هريرة قال: أوصاني خليلي عليه السلام بثلاث لا أدعهن: «صيام ثلاثة أيام من كل شهر، ولا أنام إلا على وتر، والغسل يوم الجمعة».

أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن استطعت أن تصوم الأيام الغر البيض في كل شهر فافعل، ينور الله عليك يوم القيامة، ويرويك من العطش يوم التناد».

وروي أن الحسن كان يصوم من السنة أيام البيض، وأشهر الحرام، ويوم الاثنين، والخميس[١٦٣].

فصل في ذي القعدة

روي في[١٦٤] تفسير قوله: ﴿أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة:١٩٧]: شوال، وذو القعدة، وعشر من ذي الحجة.

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من صام خمسة أيام من ذي القعدة كان حقًا على الله أن يدخله الجنة، ومن أحب أن يلقاني فليصم ذا القعدة كفارة العمر إذا اجتنب العبد الكبائر».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «من صام ثلاثة أيام من ذي القعدة أعتقه الله من النار».

فصل في أيام العشر

قوله تعالى: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر:٢]، وقوله: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [البقرة:٢٠٣] و﴿مَّعْلُومَٰتٍ﴾ [الحج:٢٧]، ابن عباس وجماعة: المعلومات أيام العشر، والمعدودات أيام الشهر، وعن أبي يوسف: المعلومات: أيام التشريق، والمعدودات: أيام النحر، فيوم النحر من

(١٦٢) المعجم الكبير للطبراني ١٨/ ٣٦٢.
(١٦٣) مصنف ابن أبي شيبه ٢/ ٣٠٠.
(١٦٤) في: عن، م، ي.

المعدودات وليس من المعلومات، وآخر أيام التشريق من المعلومات وليس من المعدودات، واليوم الثاني والثالث منهما.

قوله: ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾ [الفجر:١]، قيل: ورب الفجر، وقيل: أقسم بالفجر، ثم اختلفوا، وقيل: هو الصبح فقط، وقيل: هو الفجر جميعه(١٦٥)، وقيل: في يوم النحر، وقيل: الفجر محمد؛ لأن به تفجر أبواب الإيمان وغابت(١٦٦) ظلم الكفر.

فأما قوله: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر:٢]، فقيل: العشر الأواخر من شهر رمضان، عن مجاهد وقتادة، والضحاك، والسدي، والكلبي، ومقاتل، وقيل: العشر الأولى من رمضان، عن الضحاك، وقيل: هي العشر(١٦٧) في قوله: ﴿وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ [الأعراف:١٤٢]، وقيل: هي عشر ذي الحجة، وعليه أكثر المفسرين.

وقوله: ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾ [الفجر:٣]، قيل: الصلوات، روي مرفوعًا، وقيل: هو المغرب، وقيل: كل عبادة لا تتكرر فهو الوتر، وما يتكرر فهو الشفع، وقيل: هو العدد، عن الحسن، وقيل: الوتر آدم شفع بزوجته، عن ابن عباس، وقيل: الشفع الخلق، والوتر الله، قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات:٤٩]، وقيل: الشفع يومان بعد النحر، والوتر يوم النفر الآخر، عن ابن الزبير، قال تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [البقرة:٢٠٣]، وقيل: الشفع الأضحى، والوتر عرفة، عن مسروق.

أفضل أيام السنة عشر ذي الحجة، وروى نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من أيام أحب إلى الله العمل فيهن من أيام العشر»، قيل: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجلًا خرج بماله ونفسه ثم لم يرجع منه شيء».

وروى أبو أمامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من أدرك العشر فصامها(١٦٨) من أولها إلى أن يلحقه عرفة، كتب الله له بكل نَفَس يتنفسه في ذلك اليوم من الحسنات بعدد من وافى عرفة مقبولًا مبرورًا، وأباح له الجنة يتبوأ منها حيث يشاء».

(١٦٥) جميعه: يجمع، م ي

(١٦٦) وغابت: وعاقب، م، ي.

(١٦٧) العشر: الأعشر، م، ي.

(١٦٨) العشرفصامها: العشر فقضى فصامها، م، ي.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «هذه الأيام العشر أفضل أيام الدنيا، والعمل فيها أفضل العمل، وصوم كل يوم منها يعدل شهرًا[169]»، رواه الحسن.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن ربكم يقول لأحدكم يوم القيامة: ألم أجعل لك سمعًا وبصرًا، فيقول: بلى يا رب، فيقول: ألم أجعل لك لسانًا ناطقًا، فيقول: بلى يا رب، فيقول: ألم أخلقك مستويًا، فيقول: بلى يا رب، فيقول: ماذا قدمت لنفسك، قال: فينظر المرء قدامه وخلفه، وعن يمينه وشماله، فلا يرى شيئًا، فيندم ولا تنفعه الندامة»، ثم قال عليه السلام: «فاتقوا النار ولو بشق تمرة، ولو بلقمة، ولو بحبة، ولو بصوم يوم من أيام العشر عشر ذي الحجة، فإنه ما من أيام بعد شهر رمضان أفضل من أيام عشر ذي الحجة، فيها الإحرام والتلبية، ويوم التروية، ويوم عرفة، وفيه النسك والأضحية، وفيها الموقف والمزدلفة، فما من عبد صام فيها يومًا إلا جعل الله بينه وبين النار خندقًا بعد ما بين المشرق والمغرب، ومن تصدق فيها يومًا بصدقة صرف الله عنه جوع يوم القيامة وعطشها وشدائدها، ومن حضر مجلس العلم في أيام العشر أجلسه الله تعالى يوم القيامة مع المصطفى».

وروي: «من صلى ليلة من ليالي العشر ركعتين يقرأ في كل ركعة (فاتحة الكتاب) و(آية الكرسي) مرتين، وخمس مرات (قل هو الله أحد) خرج من ذنوبه كما تخرج الحية من جلدها».

وقيل: في اليوم الأول من العشر: غفر الله لآدم، وفي الثاني: نجى يونس من بطن الحوت، وفي الثالث: استجاب لزكريا، وفي اليوم الرابع: ولد عيسى، وفي الخامس: ولد موسى، وفي اليوم السادس: فتح خيبر، وفي اليوم السابع: تغلق أبواب جهنم إلى أن تجاوز العشر، وفي اليوم الثامن يوم الترويه من صامه استحق الرضوان الأكبر، والتاسع هو عرفة وهو اليوم المشهود، واليوم العاشر هو يوم النحر.

فصل في ذكر عرفة

قوله تعالى: ﴿[ٱلْيَوْمَ] أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣]، وقوله: ﴿يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾ [التوبة:٣] قيل: عرفة؛ لأنهم كانوا يسمون العمرة الحجة الصغرى.

ولعرفة أسماء: منها كما بيّنا، ومنها: مشهود في قوله: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج:٣]، وقد

(١٦٩) شهرًا: شهر، م، ي.

اختلفوا فيه، فقيل: شاهد: محمد، ومشهود: القيامة، وقيل: الشاهد: ولد آدم، والمشهود: يوم القيامة، وقيل: الشاهد عيسى، والمشهود يوم القيامة، وقيل: الشاهد الملائكة يشهدون، والمشهود القيامة، وقيل: الشاهد الله، والمشهود الخلائق، قال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:٥٣]، وقيل: الشاهد الملائكة والأعضاء، والمشهود الخلق، وقيل: الشاهد الخلق، ومشهود يوم عرفة، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «المشهود يوم عرفة، والشاهد يوم الجمعة».

ومنها: الحج الأكبر، وقد ذكرنا.

ومنها: يوم كمال الدين، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣] نزلت يوم عرفة، عن عمر.

ومنها: يوم تمام النعمة، لقوله: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ [المائدة:٣]، وقيل: إن هذه الآية نزلت بغدير خم حيث قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، هكذا يرويه أهل البيت عليهم السلام.

ومنها: العيد الأكبر؛ لأنه يوم يتم الحج، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الحج عرفة».

ومنها: يوم عرفة، وقيل: سمي بذلك؛ لأن آدم وحواء تعارفا ذلك اليوم بذلك المكان، وقيل: كان جبريل يعلم آدم المناسك ويقول: عرفت عرفت، وقيل: [سمي][170] بذلك لخضوع العباد، والعارف: الخاضع المتذلل، وقيل: من العَرْف ﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد:٦] طيَّبها.

شعر:

لولا اشتعال النار فيما جاورت ... ما كان يعرف طيب عرف العود

وقيل: علّم جبريل إبراهيم [فكان] يقول: عرفت، وقيل: الخلائق يعترفون [فيه] بذنوبهم فسمي عرفات، وقيل: إن الخليل رأى ليلة التروية أنه يذبح ولده، وكان يرى الرؤيا ويقول: لعلها من الله ولعلها من الشيطان، ولهذا سمي التروية، ثم رأى ليلة عرفة مثلها فعرف أن ذلك من الله تعالى، وقيل: سمي بذلك اشتقاقًا من العَرْف وهو الطِّيب، فلِمَا يَصْعَدُ إلى السماء من طيب الثناء من الحجاج سمي عرفة، وقيل: لأن الله يتعرض[171] إلى الحجاج خصوصًا وسائر

(١٧٠) سلمي:م ي
(١٧١) يتعرض: يتفرق، م، ي.

المسلمين عمومًا بالرحمة، وروي أن الله تعالى يباهي ملائكته بأهل عرفة فيقول: انظروا إلى عبادي وزواري، أتوني من كل فج عميق شعثًا غبرًا(١٧٢) يسألوني مغفرتي ويطلبوني رضاي، أشهدكم [يا] ملائكتي أني قد غفرت لهم، ثم يناديهم: أفيضوا مغفورًا لكم مشفعين فيمن شفعتم له.

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «صيام عرفة كفارة ستين سنة بعده».

سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من صام يوم عرفة [غُفِرَ] له سنتين متتابعتين».

وروى عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «خير الدعاء يوم عرفة، وخير ما قلتُ أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير».

رجعنا إلى الآية: قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣] نزلت الآية يوم عرفة، ولم ينزل(١٧٣) بعدها حلال ولا حرام ولا حكم غير آيتين في آخر النساء ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ [النساء:١٧٦]، وقيل: معناه استقرت الشرائع فلا تتغير(١٧٤) بنسخ ولا زيادة ولا نقصان، عن عمر: نزلت يوم عرفة ويوم الجمعة، وعن علي مثله.

وقيل: معناه أهلكت عدوكم، وأظهرت دينكم، وقيل: بينتُ لكم ما تحتاجون إليه من الدين، ولم يبق شيء إلا بينته.

وقوله: ﴿وَأَتْمَمْتُ(١٧٥) عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ نعمة الإسلام، وقيل: حجَجْتم وليس معكم مُشْرك.

أبو بكر: ما فرحت بآية كفرحي بقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، قيل: هنيئًا لك يا مؤمن طيب العرفان في الدنيا، وأمن الغرقان في العقبى، قال تعالى: ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ:٣٧]، لك في الدنيا المباهاة، ولك في العقبى المجازاة.

---

(١٧٢) غبرا: غبر، م، ي.
(١٧٣) ينزل: ينزلها، م، ي.
(١٧٤) تتغير: تتعين، م، ي.
(١٧٥) وأعتمت: أتممت، م، ي..

فصل في شرائط الحج

ثم للحج شرائط، إذا أتى به على شرائطه باهى به ملائكته، وغفر له، واستجابه دعاءه، وإلا رُدّ عليه.

قيل: من لم يتورع عن الحرام لا يتم له الحج والإحرام، ومن رعى المعاصي(١٧٦) عمره لا يتهنأ بالحج والعمرة.

وجاء رجل إلى الجنيد يستأذن في الحج فقال: جرد أولًا قلبك من السهو، ولسانك من اللغو، ونفسك من اللهو، ثم اسلك حيث شئت، وقال: الواقف بعرفات يحتاج أن يكون له طرف دامع، وقلب خاشع، وبدن خاضع، وسر لامع.

ووقف أعرابي بعرفة وقال عند غروب الشمس: عجت الأصوات بفنون اللغات، يطلبون منك الحاجات، وحاجتي أن تذكرني عند طول البلاء إذا نسيني أهل الدنيا.

مجاهد: ما من عشية أكثر عتقاء من النار من عشية عرفة، ولا ينظر الله فيها إلى مختال.

ووقف أعرابي بعرفة ولم ينطق بشيء حتى أفاض الناس، ثم بكى وأنشأ يقول [شعر]:

أروح وقد ختمتُ على فؤادي ... بحبك أن يحلَّ به سواكا
ولو أني استطعتُ غمضتُ عيني ... فلم أبصر بها حتى أراكا
وفي الأحباب مختص بوجد ... وآخر يدَّعي معه اشتراكا
إذا انسكبتْ(١٧٧) دموعٌ في خدودٍ ... تَبيَّن مَنْ بكى ممن تباكى

ونظر الفضيل(١٧٨) إلى الناس يدعون بعرفات فقال: أرأيتم لو صار هؤلاء إلى رجل واحد فسألوه دانقًا أكان يردهم؟ قالوا: لا، قال: المغفرة عند الله أهون من إجابة رجل بدانق.

ونظر أعرابي إلى الموقف والناس فيه وقد أدرك آخرهم فقال [شعر]:

برزوا لوجهك يا كريمُ بدعوة ... ألفاظُها شتّى بمعنىً واحدِ

---

(١٧٦) رعى المعاصي: رجى المعاصي، م، ي.
(١٧٧) انسكبتْ: استكبت، م، ي. روض الرياحين في حكايات الصالحين لأبي السعادات عبدالله اليمني ص١٠٠.
(١٧٨) الفضيل: فضيل، م، ي.

يصفون مجدك يا عزيز وما عسى ... أن يَبْلُغوا منه بوصفِ مُجْهِدِ[١٧٩]
فاصفح بمغفرةٍ تكون لسفْرِنا ... زادًا إليك غداةَ يومِ المشهدِ

يحيى بن معاذ قاله بعرفات:

إليك جئنا وأنت سيدنا ... وليس شيء سواك يعنينا
فناك[١٨٠] رحب وأنت ذو[١٨١] كرم ... تدعو إلى بابك[١٨٢] المساكينا

وعن بعضهم قاله بعرفة: ابكوا هذه الساعة لقيام الساعة، تضرعوا في آخر العشر ليوم الحشر، عليكم بالندامة قبل يوم القيامة. وقيل: بشر بن السقطي قاله بعرفات.

شعر:

دعوتك يا رب البرية كلها ... لتجلو أحزاني وتجبر حاليا
وما لي إله أرتجيه لحاجة ... لديه سواك اليوم فاسمع دعائيا
أتيتك والإسلام ديني ومنهجي ... إليك صروفًا من زماني شاكيا
إذا كنت ربي غير كافٍ لحاجةٍ ... فمن ذا الذي أرجوه بعدك كافيا

فصل في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ..﴾

إن الله تعالى خالق الخلق، وباسط الرزق، قال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم﴾ [فاطر:٣]، وقال: ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ﴾ [الحشر:٢٤] ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف:٨٤]، يختار من خلقه ما يصلح للاختيار[١٨٣]، كما اختار الأنبياء للنبوة، والملائكة للسفرة بينه وبين رسله ونحوه، فبين أنه يخلق بقدرته ما يشاء، ويختار بحكمته ما يشاء، ليس لهم عليه اعتراض فيما يختار، لأنه حكيم لا يفعل إلا الأحسن، ولا اعتراض عليه.

قوله: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾، يخلق النور والظلم، واللوح والقلم، خلق الشمس والقمر، والأرواح

(١٧٩) مجهد: محدي، م، ي.
(١٨٠) فناك: بانك، م، ي. بستان الواعظين لابن الجوزي ص٢٤٩.
(١٨١) وأنت ذو: فناؤه، م، ي. بستان الواعظين لابن الجوزي ص٢٤٩.
(١٨٢) بابك: بانك، م، ي.
(١٨٣) للاختيار: للاختبار، م، ي.

والصور، والأنثى والذكر، والسمع والبصر، خلق الأرض والسماوات، والجبال الراسيات، والنجوم الزاهرات، خلق البحار والأنهار، والأشجار والثمار، وخلق الجوارح والأعضاء، ولا يخلق القبيح والفحشاء، خلق البلاد والعباد، ولا يخلق الجور والفساد، يخلق الزمان والمكان، ولا يخلق الكفر والعصيان، يخلق الإنسان والحيوان، ولا يخلق عبادة الأوثان.

قوله: ﴿وَيَخْتَارُ﴾ من بني آدم الأنبياء، ومن الأنبياء خاتم الأنبياء، وصاحب اللواء.

وقيل: إنه تعالى خلق الملائكة واختار أربعة: جبريل، وميكايل، وإسرافيل، وعزرائيل، كل واحد منهم لمهمة[١٨٤].

وخلق الجبال واختار منها[١٨٥] أربعة: الجودي، والطور، والصفا، والمروة، وذكر ذلك في القرآن.

وخلق الشهور واختار أربعة الحرم.

وخلق الأنهار واختار أربعة: جيحون، وسيحون، والنيل، والفرات، وقيل: الكوثر نهر في الجنة.

وخلق الأيام واختار أربعة: الجمعة، وعرفة، والعيدين.

وخلق النساء واختار أربعًا: آسية، ومريم، وخديجة، وفاطمة.

وخلق الليالي واختار أربعًا: ليلة القدر، وليلة النحر، وليلة الجمعة، وليلة العيد.

وخلق الكتب واختار أربعة: التوراة، والزبور، والإنجيل، والفرقان.

وخلق المساجد واختار أربعة: البيت[١٨٦] الحرام، وبيت المقدس، ومسجد المدينة، ومسجد قباء.

وخلق الكلام واختار أربعة: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. وفي كل واحد براءة[١٨٧].

---

(١٨٤) لمهمة: لمهم، م، ي.

(١٨٥) منها: منهم، م، ي.

(١٨٦) البيت: بيت، م، ي.

(١٨٧) براءة: برائه، م، ي.

وخلق الأنبياء واختار أربعة: إبراهيم بالخلة، وموسى بالكلام، وعيسى بالروح، ومحمد بالمحبة.

وخلق أهل البيت واختار أربعة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا﴾ الآية [آل عمران:٣٣].

وخلق الخلق واختار للحاسة أربعة: العين، والسمع، والذوق، والشم.

وخلق المهاجرين والأنصار والذين كانوا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، واختار منهم أربعة: أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعليًا.

وخلق الفقهاء واختار لفتاوى أمة محمد وقضايا شريعته أربعة: أبا حنيفة، وأبا يوسف، ومحمدًا، وزفر.

قوله: ﴿وَرَبُّكَ(١٨٨) يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾، ويقال: إنه عزل الملوك بقوله: ﴿لله مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة:١٢]، وعزل الأغنياء بقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾ [المنافقون:٨]، وعزل الأمراء بقوله: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ﴾ [الروم:٤]، وعزل المختارين بقوله: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ [القصص:٦٨].

شعر:

لله في الخلق ما اختارت مشيئته ما الخير إلا الذي اختاره الله

قوله: ﴿إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا..﴾ الآية [الأحزاب:٣٦] وقد اختار الله محمدًا وأمته بأشياء

فأما محمد: فبِختم النبوة، ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠]، وبالشفاعة ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩]، وبالعزة ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾ [المنافقون:٨]، وبالطاعة ﴿مَّن(١٨٩) يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠]، والبيعة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ [الفتح:١٠]، والأمر ﴿وَمَآ(١٩٠) ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر:٧]، وبالاسم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأنفال:٦٤].

وأما أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم: بالأمن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾ [الأنعام:٨٢]، والعزة ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨]، والاسم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، والتخفيف ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨]، والسلام ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾ [النحل:٣٢]، ونظيرها كثير.

---

(١٨٨) .وربك: ربك، م، ي.

(١٨٩) من: ومن، م، ي..

(١٩٠) وما: ما م، ي، م، ي.

قوله: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ [القصص:٦٩]، إظهارًا لقدرته، ﴿وَيَخْتَارُ﴾ ما يشاء، إظهارًا لحكمته، يخلق ما يشاء بلا ظهير، ويختار ما يشاء بلا مشير، يخلق ما يشاء بلا علاج، ويخلق ما يشاء بلا احتياج، يخلق ما يشاء عَلَمًا على ربوبيته، ويختار ما يشاء دلالة على وحدانيته، سبحانه أن يكون له وزير وظهير، ونِدٌّ ومكان، أو يشار إليه ببنان، سبحانه أن يخلق الكفران ويختار العصيان، تعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

فصل في ذكر عاشوراء

قوله تعالى: ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف:١٤٢]، وقوله: ﴿وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ [الأعراف:١٤٢]، فقيل: ذو القعدة وعشر من ذي الحجة، عن ابن عباس ومجاهد، وقيل: الثلاثون ذو الحجة وعشر من المحرم، عاشره عاشوراء، وعاشوراء يوم مشهور، وفي غابر الدهر مذكور.

واختلفوا في تسمية عاشوراء، قيل: لأنه عاشر المحرم، وقيل: لأنه عاشر يوم من الأيام الفاضلة: رجب، وشعبان، ورمضان، ليلة القدر، عيد الفطر، ست من شوال، عشر الأضحى، عيد الجمعة، عاشوراء.

وقيل: سمي بذلك لأن الله تعالى أكرم فيه عشرة من الأنبياء بعشر كرامات: تاب على آدم ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة:٣٧]، رفع عيسى ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ﴾ [النساء:١٥٨].

ويوم رفع فيه إدريس ﴿وَرَفَعْنَٰهُ﴾ [مريم:٥٧]، ولعن إبليس ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ﴾ [الحجر:٣٥]، ويوم استشهد فيه هابيل، وفيه ولد إبراهيم الخليل.

يوم بَرَّدَ الله النار على الخليل، ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩]، وفَلَقَ البحر لبني إسرائيل ﴿فَٱنفَلَقَ[١٩١]﴾ [الشعراء:٦٣].

يوم خرج فيه [نوح] من السفينة ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ [هود:٤٤]، ورُدَ الْمُلك[١٩٢] على بني إسرائيل برد السكينة ﴿يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ [البقرة:٢٤٨].

---

(١٩١) فانفلق: وانفلق، م، ي..

(١٩٢) الملك: الملائكة، م، ي.

يوم كشف الله الضر عن[١٩٣] أيوب ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ [الأنبياء:٨٤]، ورد البصر على يعقوب ﴿فَلَمَّا أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ [يوسف:٩٦].

يوم أغرق الله فيه فرعون في اليمّ ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [الأعراف:١٣٦]، ونجّى يونس من الغم ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ [الأنبياء:٨٨].

يوم أخرج الله يوسف من السجن ﴿وَرَبُّكَ[١٩٤] يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ [يوسف:٥٠]، ورد الملك على سليمان من الجن ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا﴾ [ص:٣٠].

يوم غفر لمحمد جميع ما تقدم وما تأخر، وفيه يعقوب استغفر لأولاده، قال تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ [الفتح:٣]، وقال: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ﴾ [يوسف:٩٨].

وعن وهب: أن الله سبحانه وتعالى أنزل خاتم سليمان عليه يوم عاشوراء.

أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله افترض على بني إسرائيل صوم يوم في السنة، وهو يوم عاشوراء العاشر من المحرم، فصوموه ووسعوا على أهليكم، فمن وسع على أهله من ماله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته، ومن صام هذا اليوم كانت له كفارة أربعين سنة، وما من أحد أحيا ليلة عاشوراء وأصبح صائمًا مات لم يدر بالموت».

ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من صام يوم عاشوراء أعطي ثواب عشرة آلاف ملك، ومن صام يوم عاشوراء أعطي ثواب عشرة آلاف شهيد، ومن صام يوم عاشوراء كتب له أجر أهل سبع سماوات، ومن أفطر عنده مؤمن يوم عاشوراء فكأنما أفطر عنده جميع أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ومن أشبع جائعًا يوم عاشوراء فكأنما أطعم فقراء أمة محمد وأشبع بطونهم، ومن مسح رأس يتيم في يوم عاشوراء رفعت له بكل شعرة على رأسه درجة في الجنة»، فقال عمر: فضّلنا الله بيوم عاشوراء؟ فقال: «نعم، خلق الله السماوات والأرض يوم عاشوراء، والبحر كمثله، وخلق العرش يوم عاشوراء، وخلق الكرسي واللوح والقلم يوم عاشوراء، وخلق جبريل يوم عاشوراء وملائكته كذلك، وأول مطر نزل من السماء يوم عاشوراء، وأول رحمة نزلت يوم عاشوراء، ومن اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض مرضًا إلا مرض الموت، ومن عاد مريضًا يوم عاشوراء فكأنما عاد ولد آدم، ومن سقى شربة من ماء

(١٩٣) عن: من، م، ي.
(١٩٤) وربك: ربك، م، ي.

فكأنما لم يعص الله طرفة عين، ومن صلى أربع ركعات يقرأ في كل ركعة خمسين مرة (قل هو الله أحد) غفر الله له ذنوب خمسين عامًا، وبنى الله له في الملأ الأعلى ألف ألف منبر من نور».

الحسن عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن حملة العرش يعرفون حرمة عاشوراء».

عائشة: كان عاشوراء يومًا تصومه[١٩٥] قريش في الجاهلية، ثم صامه[١٩٦] رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما قدم المدينة وأمر بصيامه، فنسخ بفرض رمضان[١٩٧].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من صام العشر من المحرم إلى يوم عاشوراء كتب الله له عبادة سنتين».

ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ليس ليوم فضل في الصيام إلا شهر رمضان أو يوم عاشوراء».

وقيل: العاشوراء [هو اليوم][١٩٨] التاسع، وقيل: اليوم العاشر، والمستحب[١٩٩] أن يصوم اليومين، جمع بينهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمخالفة اليهود، لأنهم كانوا يصومون اليوم العاشر فقط، وما وقع للحسين عليه السلام فإنه زيادة في ثوابه وزيادة في عقوبة أعدائه كالقاتل في الحرم، فكان عاشوراء تلك السنة يوم الجمعة، وقيل غير ذلك، والصحيح ما ذكره الإمام أبو طالب.

فصل في ذكر الجمعة

قال الله تعالى: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة:٩]، قيل: إن الله تعالى خص أمة محمد بعشرين خصلة: خمس قلبيات، وخمس فعليات، وخمس قوليات، وخمس وقتيات.

فأما القلبيات: الندمُ توبةٌ، [و]في بني إسرائيل القتل توبة، ونية المؤمن خير من عمله، والهم بالحسنةِ: حسنةٌ، ورفع عنهم ما استكرهوا عليه، ورفع النسيان.

(١٩٥) تصومه: يصومه، م، ي.
(١٩٦) صامه: صام، م، ي.
(١٩٧) مسند أحمد ٤٠/ ٢٨٧.
(١٩٨) هو اليوم: يوم، م، ي.
(١٩٩) والمستحب: المستحب، م، ي.

وأما الفعليات: فالصفوف في الصلاة، والجهاد، والتيمم، والسجود حيثما كانوا من الأرض، وتطهير الثوب بالماء - وكانوا يقطعونه[٢٠٠] - والقصر، والفطر.

وأما القوليات: فالخُطب في الأعياد، والاستعاذة عند القراءة، والأذان، والاسترجاع عند المصيبة، والتأمين.

وأما الوقتيات: فعرفة، والفطر، والأضحى، وليلة القدر، ويوم الجمعة.

وقيل: يوم الجمعة يكون يوم القيامة، وفيه استقرت سفينة نوح، وأخرج يوسف من الجب، وفيه كان اجتماع آدم وحواء بعد افتراق طويل، وبه سمي الجمعة، وقيل: سمي لاجتماع الناس، وقيل: لأن فيه يوم القيامة وهو يوم الجَمْع.

ويسمى بأسماء: الجمعة؛ نطق القرآن بها، والشاهد، قيل في قوله: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج:٣]: إن الشاهد الجمعة.

وقيل: إن اليهود افتخروا على المسلمين بثلاثة أشياء: قالوا: نحن أولياء الله، ونحن أهل كتاب، ولنا السبت. فرد الله عليهم ذلك في سورة الجمعة فقال: ﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ﴾ [الجمعة:٦]، وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ [الجمعة:٢]، ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ [الجمعة:٥]، وقال: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة:٩]، ثم قال: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مما [يدعيه] اليهود.

مبحث في يوم الجمعة

ومن فضائل الجمعة: ابن المسيب عن جابر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خطب وقال: «أيها الناس توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تُشْغلوا، وصِلُوا الذي بينكم وبينه بكثرة الصدقة في السر والعلانية تؤجروا وتنصروا وترزقوا، واعلموا أن الله تعالى فرض عليكم الجمعة فريضة مكتوبة في عامي هذا، في شهري هذا، في يومي هذا، في ساعتي هذه، فمن تركها في حياتي أو بعد وفاتي إلى يوم القيامة جحودًا بها، واستخفافًا بحقها مع إمام عادل أو جائر فلا جمع الله شمله، ولا بارك له في أمره، ألا فلا حج له، ألا فلا صوم له، ألا فلا صدقة له، ألا فلا زكاة له، ألا فلا بِرَّ له، فمن تاب تاب الله عليه».

(٢٠٠) يقطعونه: يقطعون، م، ي.

ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا كان يوم الجمعة أمر الله سبحانه أن ينصب عند باب البيت المعمور منبر، فتجمع الملائكة الكروبيّون(٢٠١)، فيؤذن جبريل، ويؤم ميكائيل ويصلون خلفه، فإذا فرغوا تقدم جبريل ويقول: اللهم اجعل ثواب أذاني لمؤذني أمة محمد صلى الله عليه، ويقول ميكائيل: اللهم اجعل ثواب(٢٠٢) إمامتي لأئمة أمة محمد، وتقول الملائكة: [اللهم] اجعل ثواب صلاتنا للمصلين من أمة محمد، فيقول الله تعالى: أتشحون علي وأنا أوفى بالجود، أشهدكم أني قد غفرت لمذنبي أمة محمد(٢٠٣)، ثم يتفرقون إلى الجمعة القابلة».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «إن في الجنة جارية تسمى لعبة، فضلها بالحسن والجمال كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، فإذا كان يوم الجمعة تهبط الحور العين فتقعد على كراسي من در وجوهر، فيرفعن أصواتهن بالتهليل والتسبيح والتكبير والتحميد والثناء على رب العالمين، حتى إذا صلي الظهر يوم الجمعة أشرق نور من تحت العرش، فيرفعن رؤوسهن فيقلن: يا رضوان ما هذا النور الذي غشينا، لعل الجبار قد اطلع علينا؟ فيقول رضوان: يا خيرات حسان هذه لعبة قد أقبلت عن يمينها سبعون جارية يحملن حليها، وعن يسارها سبعون جارية يحملن ذؤابة من ذوائبها حتى يقعدوها(٢٠٤) على منبرها، ومنبرها من نور، فترفع صوتها بالتسبيح والثناء على رب العالمين، حتى إذا صلي العصر من يوم الجمعة قامت على منبر من نور، فترفع صوتها بالتسبيح والثناء على الله، وكشفت عن ساقها، فتقول الحور العين: يا لعبة غطي ساقيك فلو عرف ابن آدم من حُسْنِك(٢٠٥) ما عرفنا لماتوا كلهم شوقًا إليك، فأخبرينا لمن أنت؟ فتقول: لأول من يدخل المسجد من الجمعة وآخر من يخرج من المسجد، ثم ترجع إلى مكانها إلى الجمعة الثانية».

ويحكى أن رجلًا كان يحضر الجامع مع إخوان له في موضع معروف، [فغاب أيامًا] عن الجامع، فكتب إليه(٢٠٦) بعضهم:

(٢٠١) الكروبيّون: الكربيون، م، ي.
(٢٠٢) أذاني لمؤذني.... ثواب: -، ي.
(٢٠٣) وتقول الملائكة.... محمد: -، م.
(٢٠٤) يقعدوها: يقعدونها، م، ي.
(٢٠٥) حُسْنِك: حبك، م، ي.
(٢٠٦) اليه: إليهم، م، ي.

تركْتَ المسجد الجامِـ ـع والتركُ له ريبةْ
فلا نافلة تأتي ولا تشهد مكتوبه
وأخبارك تأتينا على الأعلام منصوبةْ
فإن زدت من الغَيْبـ ـةِ زدناك من الغِيبةْ

وكتب بعضهم:

اليوم يوم الجمعة يوم فراغ ودعةْ
وشملنا مفرق فهل ترى أن نجمعةْ

آخر:

اليوم يوم الجمعه سبحان من قد رفعةْ
والشرب[٢٠٧] فيه بدعة[٢٠٨] فهل[٢٠٩] ترى أن ندعه

ومن فضائله: ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن في الجمعة لساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه»، فقيل: تلك الساعة أول ساعة من النهار، وقيل: وقت الخطبة، وقيل: بعد الفراغ من الجمعة، وقيل: آخر ساعة من النهار، وقيل: سترها ليشتغل بالعبادة جميع اليوم، وقيل: حين يحرم البيع إلى أن يحلّ، عن الشعبي.

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة. بيد أن كل أمة أوتيت الكتاب من قبلنا وأوتينا من بعدهم، فاختلفوا، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق، فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه هدانا الله له وهو يوم الجمعة، فاليوم لنا، وغدًا لليهود، وبعد غد للنصارى».

أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن أحب الأيام إلى الله يوم الجمعة، وأحب الشهور شهر رمضان، وأحب الكلام كلمة الإخلاص، وأحب الحديث تلاوة القرآن».

---

(٢٠٧) الشرب: الشرف، م، ي. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٣/ ١٠٩.
(٢٠٨) بدعة: بجمعه، م، ي. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٣/ ١٠٩.
(٢٠٩) يشتغل: لسعد، م، ي.

مبحث في آداب الجمعة

وللجمعة آداب: منها: الغسل، ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من أتى الجمعة منكم فليتغسل».

ومنها: استعمال مس الطيب، ولبس الثياب الجديدة، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «من اغتسل يوم الجمعة ثم مس من طيب، ولبس أحسن ما عنده، وأنصت للإمام، غفر له ما بين الجمعتين».

ومنها: استعمال العطر والسعي إلى المسجد، وهي الائتمار لأمر الله تعالى.

ومنها: سرعة المشي، ولا يتخطى رقاب الناس، ويجلس مستقبل القبلة، وينصت للخطبة، ويصلي إلى أن يفرغ، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن لله ملكًا ينادي يوم الجمعة: ألا مَنْ بَكَّر(٢١٠) ابتغاء وجه الله فله الجنة».

فصل في الأعياد

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ [الأعراف:٥١].

الأعياد عند الأنبياء وقد مر ذكره، وعيد فرعون: يوم الزينة، وعيد الحاج: يوم عرفة، وعيد المسلمين: الفطر والأضحى، وعيد المجوس: النيروز والمهرجان، فشتان بين من جرى(٢١١) على رسم المجوس ومن جرى على رسم الملك القدوس، وشتان بين من أحيا سنة الكفار وبين من أحيا دين الملك الجبار وشريعة المصطفى المختار، وشتان بين مَنْ عَبَدَ النيران وبين من عبد الرحمن.

شعر:

مَـنْ كَانَ يفـرح بالنيـروز مِـنْ طـربٍ ... ويسـتريح إلـى روض البسـاتين
ويشـرب الـراح في وقـت الربيـع على ... نَـوْرِ الثمـار وأنـواع الرياحيـن

(٢١٠) ألامن بكر: من يكن، م، ي.
(٢١١) جرى: جلس، م، ي.

فــإن لله أقوامًــا إذا طربــوا لا يرجعــون إلى رســم الدهاقين[٢١٢]
بــل كان نزهتهــم فــي ذِكْــرِ ســيدهم أهــل التقــى ورجــال الزهــد والدين

عن بعضهم: لا تغتروا بالنيروز والمهرجان، ولا تفتخروا بالدر والمرجان، واشتغلوا عن خلق الإنس والجان.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من تشبه بقوم فهو منهم، ومن كَثَّر سواد قوم [فهو] منهم».

وعن بعضهم: أوقات مناجات المطيع أطيب من روض أيام الربيع، والبكاء في السجود عند الخلوة بالمعبود أطيب من القعود على المزامير وضرب العود، والسرور بالإسلام والقرآن خير من الحبور بالنيران والمهرجان.

شعر:

أحســنُ مِــنْ راحٍ وريحــان وقينــةٍ غَنَّــتْ بألحــان
أحســن مــن ذاك وهــذا وذا رجــوع عبــدٍ بعــد عصيــان
وتوبــةٍ مِــنْ صــادقٍ تائــبٍ للدمــع فــي خدَّيْــه وَسْــمَانِ
فلــو تــراه فــي دجــى ليلــة يــردد الصــوت بألحــان
وهْــو ينــادي ســيدي خُصَّنــي منــك بعفــوٍ أو بغفــران
إنــي امــرء ذو زلــل دائــم وذو خطيــات وعصيــان

ويقال: معنى نيروز يوم جديد، وفي الحقيقة كلُّ يومٍ جديدٌ، وما مضى لا يعود، وفي الخبر: إن كل صباح يقول لابن آدم: أنا يوم جديد، وأنا على ما تعمل عليك شهيد، فإن غابت شمسي[٢١٣] لم أعد إليك أبدًا.

شعر:

مضــى[٢١٤] أمْسُكَ الماضــي شــهيدًا معدّلا وأصبحــت فــي يــوم عليــك شــهيدُ
فــإن تــكُ فــي اليــوم اقترفــت إســاءة فَثَــنِّ بإحســان وأنــت حميــدُ
ولا تُــرْجِ فِعْــلَ الصالحــات إلــى غــدٍ لعــل غــدًا يأتــي وأنــت فقيــدُ

(٢١٢) الدهاقين: جمع دِهْقان أو دُهْقان، وهو فارسي معرّب، ويقصد به التاجر. لسان العرب (دهق).

(٢١٣) شمسي: سمتي، م، ي.

(٢١٤) مضى: قضى، م، ي. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٨/ ٢٧٥.

ويقال: يابن آدم أنت من نفسك على خجل، ومن يومك على عجل، ومن غدك على أجل، أمسُك ظِلٌّ أَفَل، ويومك ضيفٌ نزل، وغد مُنتَظَر[٢١٥] أقبل، فالآفل لا يعود إليك، والنازل لا يدوم عليك، والمنتَظَرُ[٢١٦] لعله لا يصل إليك.

وعن بعضهم: أمس مات، وغد لم يولد، واليوم في النزع.

وكتب بعض الصالحين إلى آخ له: أيامك يا أخي ثلاثة أيام: يومٌ مضى لا تدركه، ويومٌ أنت فيه فاغتنمه، وإنما لك[٢١٧] من غدك الأمل فلا تتكل على الأمل فتضيع العمل.

شعر:

نروح ونغدو لحاجاتنا ... وحاجة من عاش لا تنقضي
إذا هرَمَتْ[٢١٨] ليلةٌ يومَها ... أتى بعد ذلك يوم فتي
تموت مع المرء حاجاته ... وتبقى له حاجةٌ ما بقي

ولأهل الضلالات في النيروز عادات، وينبغي أن تقتدي بعادات الصالحين لا بعادات الفاسقين، وقيل: عادات السادات سادات العادات، شيم الأحرار أحرار الشيم.

فمن عاداتهم: تغيير الزي، وصب الماء، وإيقاد النار، فينبغي أن يجعل نصب عينيك يوم القيامة اختلاف الزي، وإيقاد النار، وصب الماء، فإن بين أيدينا يومًا توقد فيه النار للفجار، وتزلف الجنة للأبرار، ويسأل الله كما روي أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول: «اللهم أذقنا برد عفوك»، فنحن نرجو في ذلك اليوم الرحمة والغفران، ونعوذ بك من العذاب والهجران.

ومن عاداتهم: الهدايا والخلع من الكبار على الصغار، ونحن نرجو أن يكون يوم القيامة تزلف الجنة للأتقياء، ويغفر للمذنبين بشفاعة الأنبياء.

ومن عاداتهم: أنه لا يدخل أحد على الأكابر إلا بهدية، فاعتبر، فإنه لا يدخل يوم القيامة أحد الجنة إلا بالتقوى، ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ..﴾ [مريم:٦٣]، فينبغي لك أن تشتغل بأمر دينك، وتشتغل بسنة الصالحين لا بعادة الدهاقين، فواعجبًا ممن يؤمل أن يفوز غدًا بدار القدس وهو يتزيا بزي الفرس.

(٢١٥) منتظر: مـــكر، م، ي.
(٢١٦) المنتَظَرُ: المنتزر، ي.
(٢١٧) لك: في ديك، م، ي.
(٢١٨) هرَمَتْ: دمدت، م، ي. الكامل في اللغة والأدب ٣/ ١٣٥.

يحيى بن معاذ: قصوركم قيصرية، وبيوتكم كسروية، وأثوابكم[٢١٩] طاهرية، ومذاهبكم شيطانية، ومراكبكم قارونية، وولايتكم فرعونية، فأين أنتم من المحمدية خير البرية؟

ميمون بن مهران: أخذت بزي قيصر وكسرى وتريد أن تدخل جنة المأوى وترافق المصطفى؟ ويحك أعرض نفسك على كتاب الله فيما وصف أولياءه وأعداءه، وانظر من أي الصنفين أنت أقرب، فإنك بهم يوم القيامة تلحق.

ومر أمير المؤمنين علي عليه السلام ببنيان مرتفع فنظر إليه وقال: رفعتم الطين ووضعتم الدين، واتخذتم بساتين وغرستم رياحين، وتشبهتم بالدهاقين، وأسمنتم البراذين، وصرتم ملاعين.

وللهمداني رقعة في باب النيروز والسَّذَق[٢٢٠]: هذا هو العيد والضلال البعيد، إنهم يَشُبُّون[٢٢١] نارًا هي موعدهم، والنار في الدنيا عيدهم، والله إلى النار يُعيدهم، وإن المؤمن من لم يلبس مع اليهود غيارهم[٢٢٢]، ولم يعقد مع النصارى زُنَّارَهُم[٢٢٣]، ولم يَشُبَّ مع المجوس نارهم، إن عيد الوقود لعيدُ إفكٍ، وإن شعار النار لشعار شرك، وما أنزل الله بالسَّذَقِ سلطانًا، ولا شَرَّف نيروزًا ولا مهرجانًا[٢٢٤]، إنما صب الله سيوف العرب على رؤوس العجم، [لما] كره من أديانها، وسخط من نيرانها، وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم حين مقت[٢٢٥] أفعالهم.[٢٢٦]

شعر:

لما رأيت النيروز[٢٢٧] سنته   صَبَّ مياهٍ وشَبَّ نيران
نورزتُ وحدي والشوق يقلقني   بنار قلبي وماء أجفاني

(٢١٩) أثوابكم: أبوابكم، م، ي. إتحاف السادة المتقين ١/ ٥٨٦.
(٢٢٠) السَّذَق: من أعياد الفرس، وهو ليلة الوقود، فارسيٌّ معرَّب. تاج العروس (سذق). يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ٤/ ٣٠٤.
(٢٢١) شَبَّ النارَ يَشُبُّها شَبًّا وشُبُوبًا: أوقدها. لسان العرب (شبب).
(٢٢٢) غيارهم: عارهم، م، ي. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ٤/ ٣٠٤.
(٢٢٣) الغِيَارُ والزُّنَّار: علامة أهل الذمة، الأول لليهود والثاني للنصارى. تاج العروس (غير). يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ٤/ ٣٠٤.
(٢٢٤) المهرجان: مهراجا، ي.
(٢٢٥) حين مقت: حتى نفت، م، ي.
(٢٢٦) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ٤/ ٣٠٤.
(٢٢٧) النيروز: نيروز، م، ي.

فصل في تجديد الأيام والسنين

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ [الفرقان:٦٢]، وقوله: ﴿لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [يونس:٥]، ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ..﴾ [يس:٣٧] الآيات.

الصادق عن آبائه عن علي عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أيها الناس إنكم في دار هدنة وعلى ظهر سفر، والسير بكم سريع، وقد رأيتم الليل والنهار يبليان كل جديد، ويقربان كل بعيد، ويأتيان بكل موعود، فاتخذوا الجهاد لبعد المقام»، فقام المقداد بن الأسود فقال: يا رسول الله وما دار الهدنة؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «دار بلاء وانقطاع، فإذا التبست عليكم الأمور كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن، فإنه شافع مشفع، وماحل مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار»، رواه الإمام أبو طالب.

كهمس بن الحسن: الليل والنهار خزانتان، من أودعهما شيئًا أدياه، وإنهما(٢٢٨) [يعملان] فيك فاعمل(٢٢٩) فيهما».

وقال بعض الحكماء: الليل والنهار غرسان مثمران للبرية صنوف البلية.

قيل: حول يتحول، ونهار يقصر ويطول، وملك يكون ويؤول، ونحن كأنه ليس لنا عقول.

وقيل: صحو وغمام، وضوء وظلام، وعام يتبعه عام، وأيام تخلفها أيام، ونحن كأننا نيام.

آخر: صيف وشتاء، وظلام وضياء، وميت وأحياء، ونحن كأننا لم نخلق للفناء، وإنما خلقنا للبقاء، هيهات.

آخر: تمرُّ سنة وتجيء سنة، ويطير يوم وتطوى سنة، ونحن لا ترهبنا نار ولا ترغبنا حسنة.

آخر: كلما تجدد للعام باب تجدد للحِمَام(٢٣٠) باب، كلما نقصت من العمر ساعة مد الموت إلى المرء باعه، لا تزال الأيام يصفيها القدر حتى ما بقي منها إلا الكدر، لا تزداد الأيام إلا رقة، تمرُّ كأنها بَرْقة.

---

(٢٢٨) وإنهما: فإنهما، م، ي. مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ص٤٧.

(٢٢٩) فاعمل: ما عمل، م، ي. مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ص٤٧.

(٢٣٠) الحِمَامُ: الموت. الصحاح (حمم).

شعر:

هــذا النهــار يكــرُّ ويَحــك دائبــا يجري بصرف حـوادثٍ وخطوبِ
والليـل يخلفـه سـريعًا مـرة يدنـي حمـام مقـادر وعيـوب

آخر:

إنـا لنفـرحُ بالأيـام نَدْفَعُهـا وكلُّ يـومٍ مضـى نقـصٌ مـن الأجـل
فاعمل لنفسك قبل المـوت مجتهدًا فإنمـا الربـح والخسـران فـي العمل

وقيل: الأيام جالبة الحمام، وسالبة الإمام، لا تصفو لأحد أمنيته إلا تعقبها منيته، وفي ذلك قيل:

مَـنْ نـال مِـنْ دنيـاه أمنيـةً أسـقطتْ الأيـامُ منهـا(٢٣١) الألـف
لأن منهـا أصـل تركيبـه حتـى(٢٣٢) كلا حاشـيتها حـذف

آخر:

ألا يـا نفـسُ إن ترضـي بقـوتٍ فأنـت عزيـزةٌ أبـدًا غَنِيَّـهْ
دَعِـي عنـكِ المطامـع والأمانـي فكـم أمنيـة جلبـتْ مَنِيَّـهْ

وقيل: ما أطيب مرور الأيام إن سلمت من كرور الحمام، وما أنفس طول الحياة لولا حلول الممات، الأيام قاطعة الآمال، جامعة الآجال.

شعر:

مـن كانـت الأيـام سـائرة بـه فكأنـه قـد حـل بالمـوتِ
لله در فتـى يدبـر أمـره فَغَـدَا ورَاحَ مبـادرًا للفـوتِ

لبعض الحكماء: الأيام سهام، والناس أغراضٌ، والدهر يرميك كل يوم بسهامه، ويخترمك(٢٣٣) بلياليه وأيامه حتى يستغرق جميع أجزائك، فكم بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك، [وسرعة الليالي في بدنك؟ لو كشف لك عما أحدثتْ الأيام فيك](٢٣٤) من النقص، وما هي

---

(٢٣١) منها: منه، م، ي.

(٢٣٢) حتى: حين، م، ي.

(٢٣٣) «اخْتَرَمَهُم الدهرُ وتَخَرَّمهم، أي: اقتطعهم واستأصلهم». الصحاح (خرم).

(٢٣٤) +: إحياء علوم الدين ٣/ ٢٦١.

عليه مِنْ هَدْمِ ما بقي منك، لاستوحشت من كل يوم يأتي عليك، واستثقلتَ(٢٣٥) مَمَرَّ الساعات بك، ولكن تدبير الله فوق الاعتبار(٢٣٦)، وبالسلو عن غوائل(٢٣٧) الدنيا وُجِدَ طعمُ لذتها، وإنها لأمرُّ مِنَ العلقم، وقد أعيت الواصف لعيوبها بظاهر أفعالها، وما تأتي [به] العجائب أكثر مما وعظ به الواعظ(٢٣٨).

شعر:

كُلُّ يـومٍ يمـرّ يأخُـذُ بَعْضِـي ... يُذْهِـبُ الأَطْيَبَيْـنِ منـي فيمضـي

نفسـي كُفّـي عـن المعاصـي وبـري ... مـا المعاصـي على العبـاد بفـرْضِ(٢٣٩)

فصل في الربيع

قال الله تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ [الروم:٥٠].

إن الله سبحانه سمى أشياء رحمة: المطر ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الأعراف:٥٧]، الإيمان ﴿وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾ [هود:٢٨]، الجنة ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ [الشورى:٨]، القرآن ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ [يونس:٥٨]، التوفيق ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ [النساء:٨٣]، محمد ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

قوله: ﴿ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ [ٱللَّهِ]﴾ [الروم: ٥٠] هذه إشارة إلى وقت الربيع، فإن الآثار فيه أعم، والعجائب فيه أتم، والنعمة أعظم، فينبغي أن يكون في قلبك لها(٢٤٠) نظرة وفكرة وخطرة، لتعلم مدلولاتها.

وقيل: الربيع ربيعان: ربيع الفجار، وربيع الأبرار، فربيع الفجار بالورد، وربيع الأبرار

(٢٣٥) واستولت: واستقلت، م، ي.

(٢٣٦) الاعتبار: الأخبار، م، ي. انظر: إحياء علوم الدين ٣/ ٢٦١.

(٢٣٧) غوائل: عوائد، م، ي. إحياء علوم الدين ٣/ ٢٦١.

(٢٣٨) إحياء علوم الدين ٣/ ٢٦١.

(٢٣٩) وتنسب الأبيات لسعدون المجنون في قوله:

كل يـوم يمـر يأخـذ بعضـي ... يذهـب الأطيـان منـه ويمضـي

نفـس كفـي عـن المعاصـي وتوبـي ... مـا المعاصـي علـى العبـاد بفـرض

(٢٤٠) لها: فيها، م، ي.

بالبرد، ربيع الأبرار بالنور في الجنان، وربيع الفجار بالرياحين، وربيع الأبرار بالطاعة في كل حين، وربيع الفجار مع الثمار والصحاري، وربيع الأبرار مع طاعة الباري، وربيع الفجار تحت الأشجار، وربيع الأبرار وقت الأسحار، ربيع الفجار في(٢٤١) هذه البساتين، وربيع الأبرار عبادة رب العالمين، ربيع الفجار في شرب الراح والنظر إلى الوجوه الصباح، ومغازلة الملاح. والطرب إلى وقت الصباح، وربيع الأبرار في طلب الفلاح.

شعر:

أحسن من راح وريحان ... وقينة غنت بألحانِ

الأبيات إلى آخرها، وفيها:

إني امرؤٌ ذو زللٍ دائم ... وذو خطيّاتٍ وعصيانِ
حقّقْ رجائي وأغِثْ سيدي ... فكلَّ يومٍ أنت في شانِ

قوله: ﴿فَٱنظُرۡ﴾ قيل: للمطر أخبار وآثار، فالأخبار: الريح ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾ [الأعراف:٥٧]، والآثار: النبات ﴿كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الروم:٥٠].

قوله: ﴿أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ﴾ [النجم:٤٣]، أبكى السماء بالمطر، وأضحك الأرض بالنبات.

شعر:

أمَا ترى الأرضَ قد أعطتكَ زهْرَتَها ... مخضرةً واكتسى بالنور عَاليها(٢٤٢)
وللسماء بكاءٌ في جوانبها ... وللربيع ابتسامٌ في نواحيها

قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [الأعراف:٥٧]، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا رأيتم الربيع فاذكروا النشور».

ما أشبه الربيع بالنشور، في الربيع يخرج الناس من المنازل والدور، وفي النشور يخرجون من الأجداث والقبور، في الربيع يخرج النبات، وفي النشور يخرج الأموات، في الربيع ألوان النبات مختلفة(٢٤٣)، وفي النشور ألوان الناس مختلفة ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞ﴾ [آل عمران:١٠٦].

---

(٢٤١) في: من، م، ي.

(٢٤٢) عَاليها: عاريها، م، ي. كتاب مشكل الحديث وبيانه لابن فورك ص٦٥. الابيات لابن المعتز ورواية أخرى:
فالسماء بكاءفي حدائقها وللرياض أبتسام في نواحيها

(٢٤٣) وفي النشور.... مختلفة: -، ي

في الربيع النبات على ثلاثة أوجه:

منها: طعم طيب وريح طيب، فهو كالمؤمن يوم القيامة مثل كلمة طيبة، طيب الظاهر والباطن، طيب الأفعال والأقوال.

ومنها: ما طعمه مرٌّ وَبِيلٌ، وظاهره حَسَنٌ جميل كالريحانة، فهو كالمنافق ظاهره وِفاقٌ وباطنه نفاقٌ، الدعاء منه موجود والمعنى مفقود.

ومنها: ما طعمه مر، وريحه كالحنظل، وهو مثل الكافر، ومثل كلمة خبيثة، خبيث الفروع والأصول، خبيث الظاهر والباطن.

والربيع يخرج النبات على ضربين: فمنها ما يصلح للناس والدواب، ومنها ما يصلح للحطب والنار، كذلك بنو آدم.

وفي الربيع يدخل صاحب البساتين بساتينه وينظر إلى أشجاره(٢٤٤)، فما يصلح للنماء وكان رطبًا تركها، وما كان يابسًا قطعها، كذلك في النشور، من كان مؤمنًا أدخل الجنة، ومن كان كافرًا أدخل النار ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر:٧٣]، وقيل: «الشتاء ربيع المؤمن، طال ليله للقيام، وقصر نهاره للصيام»، روي عن علي عليه السلام مرفوعًا.

شعر:

ربيع الزاهدين قيام ليلٍ ... وصوم في المصيف وفي(٢٤٥) الشتاء
بأوقاتٍ لهم في القلب شوقٌ ... وأوقات لهم طول البقاءِ

ومن الأشعار في الربيع:

أتاك الربيع بريح العبير ... وروضِ الجنان بورد الخدود
وطيب النسيم وعيش النعيم ... وماء الزمان لوجهٍ جديد
وعام بديع وشأن رفيع ... وعز منيع وجَدٌّ(٢٤٦) سعيد

(٢٤٤) أشجاره: أضجاره، م، ي.
(٢٤٥) وفي: في، م، ي.
(٢٤٦) الجَدُّ: الحظ. الصحاح (جدد).

آخر:

إن كان فـي الصيف ريحـانٌ وفاكهة[٢٤٧] فـالأرض[٢٤٨] مسـتوقَدٌ والجـوُّ تنُّـورُ
مـا الدهـرُ إلا الربيـعُ المسـتنير إذا أتـاك الربيـع أتـاك النَّـوْرُ والنُّـورُ
فـالأرض ياقوتـةٌ والجـو لؤلـؤةٌ والنَّبتُ[٢٤٩] فيـروزج[٢٥٠] والمـاء بلُّـورُ
من شـم طيات تحِيَّـات[٢٥١] الربيـع يقُلْ: لا المسـكُ مسـكٌ ولا الكافـورُ كافـورُ

شعر[٢٥٢]:

أتـاك الربيـع الطلـق يبسـم ضاحـكًا مـن الحسـن حتـى كاد أن يتكلمـا

وكان ابن شمعون القاص يقول إذا تنفس الربيع: مرحبًا بزائر لباسه[٢٥٣] حرير، وأنفاسه عبير، وكله توحيد وتذكير.

وقيل: الربيع شباب، وعنوان رحمة الله المنان، وفيه قوة للدين، وزيادة اليقين، وكما يحيي الله الأرض بعد موتها بالربيع يحيي العالمين بعد الموت العميم الذريع.

شعر[٢٥٤]:

الغيـم بيـن مُمَسِّـكٍ ومُعَصْفَـرِ[٢٥٥] والمـاء بيـن مُصَنْـدلٍ ومُعَنْبَـرِ[٢٥٦]
والـروض بيـن مُدَمْلَـجٍ ومُتَـوَّجٍ والـورد بيـن مُدَرْهَـمٍ ومُدَنَّـرِ[٢٥٧]
والأرض قـد بـرزت لنـا فـي أخضرٍ فـي أصفـرٍ فـي أبيـضٍ فـي أحمـرِ
وتروقنـا بلطائـفٍ وطرائـفٍ مِـنْ حُسْـنِ منظرهـا وطيـب المخبرِ
سـبحان محيـي الأرض بعـد مماتها وكـذاك يحيـي الخَلْقَ بعد المحشـرِ

---

(٢٤٧) فاكهة: رائحة، م، ي. تاريخ دمشق لابن عساكر ٥/ ٢٤٤.
(٢٤٨) فالأرض: والأرض، م، ي. تاريخ دمشق لابن عساكر ٥/ ٢٤٤.
(٢٤٩) النَّبتُ: البيت، م، ي، تاريخ دمشق لابن عساكر ٥/ ٢٤٤.
(٢٥٠) الفَيْروزَجُ: نوع من الأصباغ. لسان العرب (فرزج).
(٢٥١) تحِيَّات: حيات، م، ي. تاريخ دمشق لابن عساكر ٥/ ٢٤٤.
(٢٥٢) البيت للبحتري.
(٢٥٣) لباسه: لنا منه، م، ي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ٣/ ٢٨٣.
(٢٥٤) خاص الخاص ص٢٢٧.
(٢٥٥) مُعَصْفَرِ: مغطفر، م، ي. خاص الخاص ص٢٢٧.
(٢٥٦) مُعَنْبَرِ: مطير، م، ي. خاص الخاص ص٢٢٧.
(٢٥٧) مُدَنَّرِ: مدير، م، ي. خاص الخاص ص٢٢٧.

آخر للمعوج الرقي:

أرَبَّا[(٢٥٨)] بربع للربيع وكن له[(٢٥٩)] ضيفًا تكن ندماءك الأبرارُ[(٢٦٠)]
من قانئ[(٢٦١)] في ناضرٍ في قاقع[(٢٦٢)] في ناصع[(٢٦٣)] صباغها الجبّارُ

أبو نواس:

تأمَّلْ في نبات الأرض وانظر إلى آثار ما صنع المليك
عيونٌ مِنْ لُجيْنٍ فاتراتٌ وأحداقٌ لها ذهبٌ سبيك
على قُضُب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريكُ

نثر: الربيع جميل الوجه، ضاحك العين، رشيق القد، حلو الشمائل، عَطِرُ الروائح، كريم الأخلاق.

وقيل: نسيم الربيع غذاء النفوس، ومنظره جلاء العيون، ومخبره انشراح الصدور.

وقيل: الربيع وسيم، وريحه نسيم، وفضله جسيم.

فصل في فضل الكعبة

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:٩٦]، وقد ذكر الله في القرآن بيوتا[(٢٦٤)]:

منها: المعمور ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾ [الطور:٤]. بيت إبراهيم ﴿عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [هود:٧٣].

ومنها: بيوت النبي ﴿لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب:٥٣].

ومنها: المساجد ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ﴾ [النور:٣٦].

---

(٢٥٨) أَرَبَ الرجلُ أَرَابَةً: عقل. والمقصود: تعقَّلْ وفكِّرْ. تاج العروس (أرب). (أحسن ما سمعت) لأبي منصور الثعالبي ص١١.

(٢٥٩) وكن له: تكن به، م، ي. (أحسن ما سمعت) لأبي منصور الثعالبي ص١١.

(٢٦٠) وفي رواية الأنوار بدل الأبرار. (أحسن ما سمعت) لأبي منصور الثعالبي ص١١.

(٢٦١) القَانِئُ: الشديد الحمرة. تاج العروس (قنا). (أحسن ما سمعت) لأبي منصور الثعالبي ص١١.

(٢٦٢) قاقع: قانئ، م، ي. (أحسن ما سمعت) لأبي منصور الثعالبي ص١١.

(٢٦٣) ناصع: باصع، م، ي. (أحسن ما سمعت) لأبي منصور الثعالبي ص١١.

(٢٦٤) بيوتًا: -، ي

[ومنها]: بيوت الناس ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا﴾ [النور:٦١].

ومنها: بيوت الأقارب ﴿أَو بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ﴾ [النور:٦١]، والكعبة ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ﴾ [آل عمران:٩٦].

ولمكة أسامٍ: منها: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ﴾ [آل عمران:٩٦]، ومنها: البيت الحرام ﴿ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ [المائدة:٩٧]، البيت العتيق ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج:٢٩]، والكعبة ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ﴾ [المائدة:٩٧]، مبارك[٢٦٥] ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عمران:٩٦].

واختلفوا في قوله: ﴿أَوَّلَ بَيْتٍ﴾. قيل: أول بيت خلق، وقيل: أول بيت وضع للعبادة، وقيل: أول بيت جعل للحج، وقيل: أول بيت كان فيه البركة، وجعله هُدًى آمنًا.

قوله: ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾، قيل: لأن الناس تبك بعضهم بعضًا في الطواف، أي: يزدحمون، وقيل: تبك أعناق الجبابرة، أي: تقطعها إذا همُّوا به، وبكة: مكة، أبدل الميم [باء]، كقولك: دايب ودايم.

وسميت كعبة لأنها منفردة عن البنيان، وقيل: لأنها مربعة، وبيوت العرب[٢٦٦] أكثرها مدورة، عن تغلب.

فأما العتيق: فلأنه أعتق من الغرق أيام الطوفان، وقيل: أعتق من الجبابرة، فلم يسلط عليه أحد، وقيل: عتيق: متقادم، قال مجاهد: عتيق لأنه أعتق من الجبابرة فلم يسلط عليه إلا من يعظمه.

وروى أبو القاسم بشر بن محمد بن ياسين القاضي قال: رأيتُ شيخًا في الطواف عليه سيما الخير فقال لي: من أين؟ قلت: من خراسان، قال: كم بينك وبين البيت؟ قلت: مسافة شهرين، فقال: تزورون هذا البيت كل سنة؟ قلت: لا وربما يحج الواحد منا مرة وقد لا يحج، ثم قلت: من أين أنت؟ قال: من بلد يخرج الرجل منها [إلى] الحج شابًا ويعود شيخًا، ثم أنشأ يقول:

زُر مَنْ هويتَ وإن شطَّتْ بك الدارُ ... وحال مِنْ دونه حُجُبٌ وأستارُ
لا يمنعنك بعد من زيارته ... إن المحبَّ لمن يهواه زوّارُ

(٢٦٥) مبارك: مباركا، م، ي.
(٢٦٦) العرب: الكعبة، م، ي.

وروى الإمام أبو طالب بإسناده عن زيد بن علي، عن آبائه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من أراد دنيا وآخرة فليؤم هذا البيت، ما أتاه عبد فسأل الدنيا إلا أعطاه الله منها، أو سأله الآخرة إلا ادخر له منها».

وروى ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ينزل على هذا البيت في كل يوم وليلة عشرون ومائة رحمة، ستون منها للطائفين بالبيت الحرام [وأربعون] للطائفين(٢٦٧) حول البيت، وعشرون منها للناظرين إلى البيت الحرام»(٢٦٨).

وعن جابر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لمكة عند الفتح: «إنك لخير البلاد عند الله، وإنك لأكرم البلاد على الله، وإنك لأحب البلاد إلي، وما خرجت منك إلا كارهًا، ولولا أن الذين كفروا أخرجوني ما خرجت».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «خير بلدة على وجه الأرض وأحبها إلى الله: مكة».

وعنه عليه السلام: «إن حول الكعبة لقبور ثلاثمائة نبي، وإن ما بين الركن اليماني إلى الركن الأسود لقبور سبعين نبيًا، وكل(٢٦٩) نبي من الأنبياء إذا كذبه قومه خرج من بين أظهرهم، فأتى الكعبة يعبد الله حتى يموت».

وروي أن قبر نوح وهود وشعيب وصالح وإسماعيل فيما بين زمزم والمقام.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من نظر إلى البيت إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ويحشر يوم القيامة في الآمنين».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «من صلى في المسجد الحرام صلاة في جماعة كتب الله له ألفي ألف صلاة وخمسمائة ألف صلاة».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «من نظر إلى البيت نظرة من غير طواف ولا صلاة كان أفضل عند الله من عبادة سنة صائمًا وقائمًا، راكعًا ساجدًا».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «الكعبة محفوفة بسبعين ألفًا من الملائكة، يستغفرون لمن طاف بها، ويصلون عليه».

---

(٢٦٧) للطائفين: للعاكفين، م، ي. معجم ابن الأعرابي ٣/ ٩٠٠.

(٢٦٨) معجم ابن الأعرابي ٣/ ٩٠٠.

(٢٦٩) كل: لكل، م، ي.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من أدرك شهر رمضان بمكة فصامه كله، وقام فيه ما تيسر كتب الله له بمائة ألف شهر رمضان في غيرها، وكان له بكل يوم مغفرة وشفاعة».

فصل في مسجد المدينة

قال الله تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [التوبة:١٠٨]، قيل: مسجد المدينة، وقيل: مسجد قُباء، وقد ذكرنا بيان المسجد.

فأما فضائله: فروى أبو سلمة بن عبد الرحمن أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أنا خاتم الأنبياء، ومسجدي خاتم مسجد الأنبياء، وهو أحق المساجد أن يزار، وأن تركب إليه الرواحل بعد المسجد الحرام».

وقال: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»، رواه أبو هريرة.

وعنه: «المدينة ومكة محفوفتان بالملائكة، على كلِّ نَقْبٍ منها ملك، لا يدخلها الدجال ولا الطاعون».

وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لما خرج من مكة: «اللهم إنك أخرجتني من أحب البلاد إلي، فأسكني أحب البلاد إليك»، فأسكنه الله تعالى المدينة. وكانت[٢٧٠] تسمى يثرب، فسماها النبي صلى الله عليه وآله وسلم طيبة، وفيه قيل شعر:

فلما أتانا واطمأنتْ به[٢٧١] النوى ... فأصبح مسرورًا بطيبة راضيا

عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ترابها مؤمن».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «المدينة مهاجري، وفيها بيتي، وحق على كل مسلم زيارتها».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «من صلى في مسجدي هذا ركعتين كانتا عدل عتق رقبة».

علي عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم توضأ ثم قام فاستقبل القبلة ثم قال: «إن

(٢٧٠) كانت: كان، ي.

(٢٧١) به: بنا، م، ي.

إبراهيم عبدك وخليلك دعاك لأهل مكة، وأنا محمد عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم في مُدِّهم وصاعهم مثل ما باركت لأهل مكة مع البركة بركتين».

أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الدَّجال يطأ الأرض كلها إلا مكة والمدينة، فيجد على كل نَقْب[٢٧٢] من نقابها[٢٧٣] صفوفا[٢٧٤] من الملائكة، ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات، فيخرج الله منها كل منافق ومنافقة»[٢٧٥].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «من أخاف أهل المدينة أخافه الله، وعليه لعنة الله وغضبه إلى يوم القيامة، لا يقبل منه صرفًا ولا عدلًا».

جابر بن سمرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله سمى المدينة طيبة».

فصل [في مسجد قباء]

فأما مسجد قباء: فقيل: إن قوله: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟﴾ [التوبة:١٠٨] أنزل[٢٧٦] فيهم.

وعن علي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «المسجد الذي أسس على التقوى مسجد قباء»، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من توضأ فأسبغ وضوءه وجاء مسجد قباء فصلى ركعتين كان له أجر عمرة».

ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «أنه كان يأتي مسجد قباء ماشيًا وراكبًا، وكان يأتي أهل قباء كل سبت ماشيًا».

فصل في بيت المقدس

قد ذكرنا أن سليمان ممن بناه، وقد قال تعالى: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء:١] بمكان الأنبياء وقبورهم.

(٢٧٢) نَقْب: ثقب، م، ي.

(٢٧٣) نقابها: أثقابها، م، ي، م، ي.

(٢٧٤) صفوفا: صفوف، م، ي.

(٢٧٥) صفة النفاق ونعت المنافقين لأبي نعيم ص١٧٦.

(٢٧٦) أنزل: وأنزل، م، ي.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الأقصى، والمسجد الحرام».

وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سأله عبد الله بن سلام: أين وسط الدنيا؟ قال: «بيت المقدس»، قال: ولم ذاك؟ قال: «لأن فيه المحشر والمنشر، ومنه ارتفع العرش، وفيه الصراط والميزان»، فقال: يا محمد فأخبرني أين فسطاط(٢٧٧) موسى بن عمران؟ قال: «موضع بيت المقدس»، قال: فأخبرني عن(٢٧٨) آدم من أي الأرضين خلق؟ قيل: «خلق رأسه ووجهه من موضع الكعبة، وخلق بدنه من بيت المقدس».

وهب: لما أسس داود بيت المقدس أوحى الله إليه: لا ينبغي أن تبني هذا البيت من سفك الدماء.

ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «القرى المحفوظة: مكة، والمدينة، وإيلياء، ونجران، وما من ليلة إلا وينزل بنجران سبعون ألف ملك يسلمون على أهل الأخدود، وإيلياء هي بيت المقدس».

فصل في سائر المساجد

قوله: ﴿وَأَنَّ(٢٧٩) ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن:١٨]، قد أضاف الله إلى نفسه أشياء كما ذكرنا في باب رجب ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [البقرة:١١٤]، ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ [النور:٣٦] قيل: هي المساجد.

وقيل في قوله: ﴿ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ﴾ يعني مكان الصلاة، وقيل: المواضع من البدن التي يسجد عليها، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «خير البقاع المساجد، وخير أهلها أولهم دخولًا وآخرهم خروجًا، وشر البقاع الأسواق، وخير أهلها آخرهم دخولًا وأولهم خروجًا»، رواه ابن عباس.

---

(٢٧٧) فسطاط: فسطاس، م، ي. روضة الواعظين للنيسابوري ص٤٠٩.

(٢٧٨) عن: من، م، ي. روضة الواعظين للنيسابوري ص٤٠٩.

(٢٧٩) وأن: أن، م، ي.

أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «عُرِضَتْ عليَّ محاسن(٢٨٠) أعمال أمتي، فلم أر شيئًا أحسن من إخراج القذاة من(٢٨١) المساجد، وعرضت علي مساوئ أعمال أمتي، فلم أر شيئًا أعظم(٢٨٢) من رجل تعلم سورة أو آية ثم نسيها»، رواه ابن جريج.

محمد بن واسع قال: قال أبو الدرداء لابنه: يا بني ليكن المسجد بيتك، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إن المساجد بيوت المتقين، ومن كانت المساجد بيته ضمن الله له الرَّوْح(٢٨٣) والراحة، والجواز على الصراط».

الحكم بن عمير وهو صحابي: كونوا في الدنيا أضيافًا، واتخذوا المساجد بيوتًا، وأكثروا التفكر والبكاء، ولا يختلفن بكم الأهواء.

ومر عيسى بن مريم بقوم يتنازعون في مسجدهم، فضربهم وأخرجهم، وقال: يا بني الأفاعي اتخذتم مساجد الله أسواقًا، هذا سوق الآخرة.

وقيل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: ائذن لنا في الترهب، قال: «ترهب أمتي الجلوس في المساجد».

قتادة: ما كان يرى المؤمن إلا في ثلاثة مواطن: مسجد يعمره، أو بيت يستره، أو حاجة لا بأس بها.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «البزاق في المسجد خطيئة، وكفارته دفنه»، رواه أنس.

وقال: «تعاهدوا نعالكم عند أبواب المساجد»، رواه أبو هريرة.

وقال: «جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم».

ورأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بصاقًا في جدار المسجد فحكه، ثم أقبل على الناس، وقال: «إذا كان أحدكم يصلي فلا يبصق قبل وجهه، فإن الله قبل وجهه إذا صلى»، رواه ابن عمر، وهو في صحيح مسلم.

ابن عمر: ما كان لي مبيت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا المسجد، وكان مبيت عطاء السلمي المسجد أربعين سنة.

(٢٨٠) محاسن: مجالس، م، ي. الفردوس بمأثور ابن الخطاب ٣/ ٦٦.

(٢٨١) القذاة من: القناديل إلى، م، ي. الفردوس بمأثور ابن الخطاب ٣/ ٦٦.

(٢٨٢) أعظم: أقطع، م، ي. الفردوس بمأثور ابن الخطاب ٣/ ٦٦.

(٢٨٣) الرَّوْح: بالروح، م، ي.

أبو سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ..﴾ الآية [التوبة:١٨]».

ابن عمر: إذا رأيت الشاب يلزم المسجد فارج خيره.

الأوزاعي قال: خمس كان عليهن أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم والتابعون بإحسان: لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المساجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله.

سعيد بن المسيب: من جلس في المسجد فإنما يجالس ربه، فما أَحَقَّهُ(٢٨٤) ألا يقول إلا خيرًا.

وروى حذيفة في حديث طويل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من اقتراب الساعة إذا اتخذوا القرآن مزامير والمساجد طرقًا، وحليت المصاحف، وصُوِّرت المساجد، وخربت القلوب، وعطلت الحدود، وشرب الخمور».

ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما ساء عمل قوم قط إلا زخرفوا مساجدهم». وقال: «لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس بالمساجد»، رواه أبو قلابة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

جابر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من حفر بئرًا لتشرب كبدٌ حَرَّى [من] جن أو إنس أو سبع أو طائر آجره الله يوم القيامة، ومن بنى مسجدًا كمفحص قطاة أو أصغر بنى الله له بيتًا في الجنة».

قتادة عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «سبعة تجري للعبد وهو في قبره: من علم علمًا، أو أجرى نهرًا، أو حفر بئرًا، أو غرس نخلًا، أو بنى مسجدًا، أو ورث مصحفًا، أو ترك له ولدًا يشفع له بعد موته».

أبو سلمة، عن أبي هريرة: من بنى لله مسجدًا من مال حلال بنى الله له بيتًا في الجنة من در وياقوت.

كعب بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «أنه كان لا يقدم من سفر إلا نهارًا في الضحى، فإذا قدم بدأ بالمسجد فصلى ركعتين ثم جلس».

---

(٢٨٤) أَحَقَّهُ: حقه، م، ي. كتاب الزهد لابن المبارك ص١٤٩.

فصل في ذم السوق والتجارة

هذا الباب يشتمل على ثلاثة فصول: ما قيل في ذم السوق والتجار، وما جاء في التجارة المذمومة، وهو ألاّ يأتي بشرائطها من العلم والعدل، وما جاء في الممدوح إذا اتجر بعلمه وعدل فيما اتجر.

أما ذم السوق: فقد روى واثلة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «شر المجالس الأسواق والطرق، وخير المجالس المساجد، فإن لم تجلس في المسجد فالزم بيتك».

وروى ابن بريدة عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا دخل السوق قال: «اللهم إني أسألك من خير هذا السوق، وأعوذ بك من الكفر والفسوق».

أبو الدرداء: نِعْمَ صومعةُ الرجل بيتهُ، يكف بصره ولسانه ونفسه، وإياكم ومجالس الأسواق، فإنها تلغي وتلهي.

أبان: قلت للحسن: صليت؟ [قال: لا][٢٨٥] قلت: إن أهل السوق قد صلوا. قال: ومن يأخذ دينه من أهل السوق؟ إن[٢٨٦] نفقت أسواقهم أخروا الصلاة، وإن كسدت عجلوها.

سفيان الثوري: لا تنظروا إلى زي أهل السوق، فإن تحت الثياب ذئابا.

مالك بن دينار: السوق مكثرة للمال، مَفْسَدة[٢٨٧] للدين.

ودخل ابن السماك السوق فقال: يا أهل السوق، سوقكم كاسد، وبيعكم فاسد، وجاركم حاسد، ومأواكم النار.

الثوري: مساكين أهل السوق، يجهزون الجيوش.

وقيل للزبير: بم بلغت من الغنى؟ قال: ما وددت ربحًا، ولا كتمت عيبًا، ولا كذبت عمدًا.

الحسن: فسدت السوق عليكم بالموت.

علي عليه السلام: تفقه ثم اتجر، فإن التاجر فاجر، إلا من أخذ الحق وأعطاه.

---

(٢٨٥) نزهة الناظرين في الأخبار والآثار المروية عن الأنبياء والصالحين ص٣٤٣.

(٢٨٦) إن: وإن، م، ي. نزهة الناظرين في الأخبار والآثار المروية عن الأنبياء والصالحين ص٣٤٣.

(٢٨٧) مَفْسَدة: مسخفة، م، ي. تنبيه المغترين أواخر القرن العاشر ص ١٣٨.

وكان الحسن إذا نظر إلى أهل السوق قال: هؤلاء قتلة(٢٨٨) الأنبياء.

وفي الخبر: «إن إبليس قال: إلهي، أين بيتي؟ قال: الحمام،قال: فما مصائدي؟ قال: النساء، قال: فما كتابي؟ قال: الوشم، قال: فما مزاميري؟ قال: الشعر، قال: فأين مجلسي؟ قال: الأسواق».

سلمان قال: لا تكن أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها، فإن بها باض الشيطان، ومنها معركته ورايته.

ابن عباس: يا معشر الأعاجم، ابتلاكم الله بأمرين بهما أهلك مَنْ كان قبلكم: المكيال، والميزان.

عكرمة: أشهد على كل كَيَّال وَوَزَّانٍ بالنار(٢٨٩)، قيل: ولم؟ قال: لا يزِنُ كما يَتَّزِنُ، ولا يكيل كما يكتال.

ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ليليني منكم ذوو الأحلام والنهى، ثم الذين يلونهم، لا تختلفوا فتختلف قلوبكم، وإياكم وهَوْشَات(٢٩٠) الأسواق».

فأما التجارة المحمودة والتاجر الممدوح فقد قال: ﴿إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [النساء:٢٩]، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «التاجر الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا»، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «تسعة أعشار الرزق في التجارة»، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بُرْهَةً من دهره تاجرًا، واتَّجَرَ(٢٩١) مسافرًا، وباع واشترى حاضرًا، حتى قالوا: ما لهذا الرسول، فأوحى الله إليه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان:٢٠]، فأخبر أنهم كانوا ذوي تجارات وصناعات.

حامد اللفاف: ما من تاجر جمع خصالًا ثلاثًا فيفتقر في الدارين: أولها: لسانًا نقيًا من الكذب واللغو والحلف، والثاني: قلبًا صافيًا من ثلاث: من الغش، والخيانة، والحسد، والثالثة: بدنًا

---

(٢٨٨) قتلة: قبلة، م، ي. خزانة الأكمل في فروع الفقه الحنفي ٣/ ٢٣٦.

(٢٨٩) بالنار: في النار، م، ي. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ص٥٥٣.

(٢٩٠) وهَوْشَاتُ الأسواق: اختلاطها. لسان العرب (هوش). جملة من كتب الحديث انظر: على سبيل المثال سنن الدارمي ٢/ ٨٠٦.

(٢٩١) اتَّجَرَ: يحضر، م، ي.

محفوظًا من ثلاثة: حفظ الجمعة والجماعات، وطلب العلم في بعض الساعات، واختيار مرضاة الله على حالة الحرمات».

وأما التجارة المذمومة: فهو ألاّ تكون بشرائط الشرع، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين:١]، وقال تعالى: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [الإسراء:٣٥].

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لو شئت حلفت لكم أن التاجر فاجر»، وفي الخبر: «ما أوحى الله إلي أن اجمع المال وكن من التاجرين، ولكن أوحى الله إلي أن ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ۝ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾» [الحجر: ٩٨-٩٩].

علي عليه السلام: تفقه ثم اتجر، فإن التاجر فاجر، إلا من أخذ الحق وأعطاه.

الضحاك: ما من تاجر ليس بفقيه إلا أكل الربا، شاء أو أبى.

ابن عمر: ويل لعامل يدٍ من غدٍ وبعد غدٍ، وللتاجر من لا والله، وبلى والله.

قتادة: عجبًا للتاجر كيف يَسْلَم وهو بالنهار يَحْلف وبالليل يَحْسِب.

شعر:

إذا [ما] غضب السوقي ... فبالقيراط ترضيه[٢٩٢]

وقيل: من جمع ماله من الدوانيق، فما عسى أن يعطي غير القراريط.

شعر:

ما للتجار وللسخاء وإنما ... نبتت لحومهم على القيراط

ابن الرومي:

رب أطلق يدي في كل شَيْخ ... ذي رياء بِسَمْتِه[٢٩٣] وسكونهْ
تاجرٍ فاجرٍ جَمُوعٍ مَنُوعٍ ... يُرهقُ الناس باقتضاء ديونهْ

(٢٩٢) فبالقيراط ترضيه: فالقيراط يرضيه، م، ي.
(٢٩٣) بِسَمْتِه: سمته، م، ي. اللطائف والظرائف لأبي منصور الثعالبي ص١٧٢.

فصل في المواضع التي يذكر فيها الله تعالى

قوله: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [الدخان:٢٩].

عن ابن عباس: إن العبد إذا مات بكى عليه مصلاه وبابه الذي كان تعرج فيه طاعته.

أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من بقعة يذكر الله عليها إلا استبشرت بذكر الله إلى منتهاها من سبعة أرضين، وإلا فَخَرَتْ على ما حولها من البقاع، وما من مؤمن يقوم بفلاة من الأرض يصلي إلا تزخرفت له الأرض».

ابن مسعود قال: إن الجبل ينادي الجبل باسمه: يا فلان هل مر بك اليوم لله ذاكر؟ استبشارًا لذكر الله.

أنس قال: ما من صباح ولا رواح إلا وينادي بقاع الأرض بعضها بعضًا: يا جارة هل مر بك اليوم عبد فصلى عليك وذكر اسم الله عليك، فمن قائلة: لا، ومن قائلة: نعم، فإذا قالت: نعم، رأت لها بذلك عليها فضلًا.

سعيد بن عبد العزيز قال: بلغني أن الملائكة لتمر بمصلى العبد بعد وفاته بأربعين عامًا فيقولون: فلان كان يذكر الله تعالى في هذا المكان.

أبو بردة الأسلمي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «ما من عبد أذن في أرض فتبقى شجرة ولا مدرة ولا تراب ولا شيء إلا استحلى البكاء لقلة ذاكر الله في ذلك المكان».

وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله أجمعين

باب في الزهد

فصل فيما جاء في القرآن في أمثال الدنيا وما قيل فيها

قال الله تعالى في سورة يونس: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا..﴾ الآية [يونس:٢٤]، ونظيرها في الكهف: ﴿[وَٱضۡرِبۡ] لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الكهف:٤٥]، ونظيرها في الحديد: ﴿أَنَّمَا [ٱلۡحَيَوٰةُ] ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ..﴾ إلى قوله: ﴿مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [الحديد:٢٠]، ونظيرها في سورة الأنعام: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ﴾ [الأنعام:٣٢]، ونظيرها في سورة العنكبوت: ﴿وَمَا [هَٰذِهِ] ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ﴾ [العنكبوت:٦٤]، ونظائر ذلك يكثر، فشبه الله تعالى الدنيا وأهلها بالزرع والنبات، وشبه مرة باللهو واللعب لأنه حاصل ولا عاقبة للهو، وأشبه شيء ببني آدم النبات كما ذكر الله تعالى؛ لأن الآدمي من ذكر وأنثى، والنبات من الماء والأرض، ثم يخرج صبيًا، ثم يتغير الحال حتى يصير شيخًا، ثم يموت، كما أن النبات تتغير عليه الأحوال، قال تعالى: ﴿يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗا..﴾ الآية [الحديد:٢٠].

شعر:

قد بلغ الزرع منتهاه ... لا بد للزرع من حصاد

وقيل: يا ابن آدم كم تراك تعيش والموت حصاد وأنت حشيش؟

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ[1] ۝ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ﴾ [البقرة:٢١٩، ٢٢٠] في بقاء الآخرة، وفي فناء الدنيا، ولذلك قال: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس:٢٥].

وقيل: مثل الدنيا مثل المزرعة، والناس كالزرع، والموت كالحصاد، ولقد أحسن من قال شعر:

أما ترى الدنيا وما تصنع ... دائبة تحصد ما تزرع
بينا تراه ملكًا قادرًا ... إذ خُط في التُّرْبِ له مضجعُ

(١) لعلكم تتقون: لعلهم يتفكرون، م، ي.

ثم بعد الحصاد القبر بَيْدَرُهُ[٢]، والجنة والنار بيوته، فبيت للذرة وبيت للحنطة، ثم يقال: الدنيا مزرعة الآخرة، فواحد يزرع الدرجات، وواحد يزرع الدركات، فكل واحد يرفع ما يزرع، ويحصد ما يحرث.

شعر:

أيا حارث الدنيا ستترك حرثها لغيرك فانظر ما [الذي] أنت حارث
ولا تفرحَنّ بالموروث إنه[٣] إلى الوارث الباقي تصير الموارثُ

وقيل: مثل الدنيا كمثل العروس، عليها أنواع الزينة، وهي ذات جمال وكمال، تشوق الناس، والناس ذوو شهوات، فأنّى يسلم إلا من عصمه الله.

وفي خبر المعراج: «أن امرأة تعرضت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم كأحسن ما يكون، ونادته فلم يلتفت إليها[٤]، فقال[٥] جبريل: هذه الدنيا تعرضت لك».

ومنهم من قال: مثل الدنيا كمثل العروس في حليها وقلة بقائها.

ومنهم من قال: إنها تكون مع تشوق، وعند القرب توحش، كذلك الدنيا.

وقيل: مثل الدنيا مثل عروس يحبها الزوج شابة طرية بهيّة لما عليها من الزينة، وهي في نفسها عجوز تغرّ[٦] الخُطّاب، كما قال علي عليه السلام: إنها تسر قليلاً، وتعقب حزنًا طويلاً. وقيل: خَلقُها مليح[٧]، وحالها قبيح، تغر وتضر.

شعر:

دنيا تدور بأهلها[٨] في كل يوم مرتينِ
فغدوّها لتجمعٍ ورواحها لشتات بَيْنِ

وقيل: مثل الدنيا كمثل عروس حليت على خاطبها، فعشقها وركن قلبه إليها، ورفض كل

(٢) البَيْدَرُ: مجمع الطعام، حيث تدرس الحنطة والشعير وغيرها وتُنقّى.
(٣) بالموروث إنه: الموروثون فإنه، م، ي.
(٤) إليها: عليها، م، ي.
(٥) فقال: وقال، م، ي.
(٦) عجوز تغرّ: عجوزة يقبل، م، ي.
(٧) مليح: ملح، م، ي.
(٨) بأهلها: لأهلها، م، ي.

السرور دون السرور بها، فلا يرى الدنيا [إلا] بها، فبينما هما متعانقان[٩] إذ[١٠] فاجأهما طارق الموت فاستلبت من يده، فبقي الرجل حيران لهفان، كما يحكى عن مالك بن دينار قال: مررت بقصر عامرٍ، ثم عدت إليه فإذا هو خراب، وعلى بابه مكتوب بالسواد [شعر][١١]:

يا خاطب الدنيا إلى نفسه　　تَنَحَّ عن خطبتها تسلمِ
إن التي تخطب غرارة　　قريبة العرس من المأتمِ

وقيل: مثل الدنيا مثل العروس الفاجرة التوّاقة[١٢]، تحب الرجال ولا تصبر على واحد، ولا وفاء عندها لأحد، فقدر مقامها قدر شهوتها ومنامها ثم تولت.

شعر:

طَلِّق الدنيا ثلاثًا　　والتمس زوجًا سواها
فإذا نالت مناها　　منك ولَّتك قفاها

وقيل: مثل الدنيا مثل العروس نفسها مع رجل وقلبها مع آخر، ونفس المرأة مطمئنة، فهي في تدبير غير تدبيره.

شعر:

يا خاطب الدنيا إلى نفسه[١٣]　　إن لها في كل يوم خليلْ
تستنكح البَعْلَ وقد وطّنَتْ[١٤]　　في موضع آخر منه البديل[١٥]
ما أقتل الدنيا لخطّابها　　تقتلهم عمْدًا[١٦] قبيلًا قبيلْ
إني لمغترٌّ[١٧] وإن البِلى　　يعمل في جسمي قليلًا قليلْ

وقيل: مثل الدنيا كمثل العروس المفتتنة، لا تمكّن زوجها من نفسها حتى يجعل دينه مهرها.

(٩) متعانقان: متعانقين، م، ي.
(١٠) اذ: إذا، م، ي.
(١١) تاريخ الإسلام للذهبي ١٢/ ٩٠.
(١٢) التوّاقة: الدواقه، م، ي.
(١٣) نفسه: نفسهام، م، ي. فوات الوفيات ١/ ٤٩.
(١٤) وطّنَتْ: وطيت، م، ي. فوات الوفيات ١/ ٤٩.
(١٥) البديل: بدليل، م، ي. فوات الوفيات ١/ ٤٩.
(١٦) عمْدًا: قدمًا، م، ي. فوات الوفيات ١/ ٤٩.
(١٧) لمغترٌّ: مغتر، م، ي. فوات الوفيات ١/ ٤٩.

دنيـاك غـرارة غـرورٌ حسـنا مذمومـة المـذاقِ
لـم يختطبهـا امـرء فكانـت تـرض سـوى الديـن من صـداقِ

ونظيره قصة قطام مع ابن ملجم، وقد مرت.

وقيل: الدنيا مثل الميتة، واختلفوا في تشبيه الدنيا بالميتة، فقيل: هي كالميتة الملقاة بفلاة، لا يعبأ بها كلُّ مَنْ مر بها.

روى قتادة عن أنس «أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مر بشاة ميتة فقال لي: أتدرون هذه هانت على أهلها؟ قالوا: من هوانها ألقوها، فقال: والذي نفسي بيده، للدنيا أهون على الله من هذه على أهلها».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما شرب الكافر منها شربة قط».

وقيل: هي كالميتة فاتت منافعها وبقى اسمها، وعن قليل تلاشى وتفنى.

وقيل: الدنيا كالميتة لا ينتفع منها بِجِلْدٍ إلا بعد [الدباغ]، ولا ينتفع بالدنيا إلا من جعلها زاد الآخرة.

وقيل: هي كالميتة لا يحل تناولها إلا من ضرورة، كذلك الدنيا من استكثر منها فتن، فلا ينبغي للعاقل أن يأخذ إلا قدر الحاجة.

وقيل: الدنيا كالميتة لا يرغب فيها إلا الكلاب والغراب، ويتنزه عنها العاقل ومن له قيمة.

روي عن علي صلى الله عليه وآله وسلم: الدنيا جيفة، فمن أرادها وطلبها فليصبر على مخالطة الكلاب.

شعر:

رجـالا علـى الدنيـا رجـالا تهـارشُ فكلهـم حيـران والعقـل طايـشُ
فلـم أر كالدنيـا الدنيـة جيفـة ولا مثـل مـن فيهـا عليهـا يهـارشُ
فحاطـب ليـل مـا يلاقـي بكفـه وفـي بعـض مـا لـف الأفاعـي النواهشُ

ومن الحكماء من شبه الدنيا بالمنزل، ثم اختلفوا، فقيل: مثل الدنيا كمثل الخانات، بنيت للظاعنين، ينزل قوم ويرتحل قوم، ولا يبيت أحد أكثر من يوم.

وقيل: هي كالمنزل ينزله المسافر فيقيم ليلة ويلبث يومه، فينبغي ألاّ يكون مشتغلًا بعمارتها، كما قيل: الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها.

وقيل: هي كالمنزل إذا نزل المسافر منزلًا يشتغل بإعداد عدة السفر لا بعمارة المنزل وما يتركه، فكذلك ينبغي لأهل الدنيا.

وقيل: هي كالمنزل إذا نزل المسافر فيكون فيه أبدًا صوت الرحيل.

شعر:

ألا ترى إنما الدنيا وزينتها ... كمنزل الركب حلُّوا ثمتَ ارتحلوا[١٨]
حتوفها رصد وعيشها[١٩] نكدٌ[٢٠] ... وصفوها كدرٌ[٢١] وملكها دولُ

ولبعض الحكماء: يابن آدم خلقت للفناء لا للبقاء، ولكنك تنقل من دار إلى دار.

وعاد رجل مريضًا فسمع صوتًا من ناحية البيت يقول:

سائل الدار وذا المال الذي ... جمع المال بحرص: ما فعلْ؟

فأجابه مجيب من ناحية أخرى:

كان في دار سواها داره ... عللته بالمنى ثم انتقل
لم يمتّع بالذي كان حوى ... من حطام المال إذ حل الأجل
إنما الدنيا كظل زائلٍ ... طلعت شمس عليه فاضمحل

ومن الحكماء من قال: مثل الدنيا كمثل الأحلام للنائم، بينا يرى النائم نعيمًا وسرورًا وطيب عيش إذ انتبه فلا يرى شيئًا.

وفي الحديث: جاء رجل حسن الهيئة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: السلام عليك يا محمد، قال: «وعليك السلام»، قال: ما الدنيا؟ قال: «حلم المنام وأهلها مجازون ومعاقَبون[٢٢]»، قال: فما الآخرة يا رسول الله؟ قال: «إنه فريق في الجنة وفريق في السعير»،

(١٨) الركب حلُّوا ثمتَ ارتحلوا: الدار ركبًا ثم يرتحلُ، م، ي. مروج الذهب للمسعودي ٣/ ٣٧١.

(١٩) عيشها: عيشتها، م، ي. مروج الذهب للمسعودي ٣/ ٣٧١.

(٢٠) نكدٌ: كدر، م، ي. مروج الذهب للمسعودي ٣/ ٣٧١.

(٢١) كدرٌ: رنق، م، ي. مروج الذهب للمسعودي ٣/ ٣٧١.

(٢٢) معاقَبون: يتعاتبون، م، ي. مفيد العلوم ومبيد الهموم لزكريا القزويني ص٢٠٢.

قال: فما الجنة؟ قال: «بذل الدنيا لتاركها»، قال: فما جهنم؟ قال: «الذي لا يفارق أهلها»، قال: فمن خير هذه الأمة؟ قال: «الذي يعمل فيها بطاعة الله»، قال: فكيف يكون الرجل فيها؟ قال: «كمقدار المتخلف عن القافلة»، قال: فكم بين الآخرة والدنيا؟ قال: «غمضة عين»، قال: فذهب الرجل، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «هذا جبريل يزهّدكم في الدنيا، فعليكم بالزهد فيها، فإنه كمال الإيمان، وتصديق القرآن، ورضا الرحمن، ولو أدى عبدٌ جميع ما افتُرض الله عليه إلا أنه كان محبًا للدنيا، لأمر الله تعالى مناديًا ينادي على رؤوس الأشهاد: ألا إن فلانًا أحب ما أبغض الله وأبغض ما أحب الله».

وقيل: هي كالحلم في قلة بقائها.

شعر:

إنما الدنيا كظل زائلٍ أو كضيف بات ليلًا فارتحل
أو كنوم قد رآه نائمٌ فإذا هبَّ من النوم بطل

وقيل: مثل الدنيا كالحلم، فالمغتر بالدنيا كمن يؤثر ما يرى في المنام على ما يرى في اليقظة.

قال إبراهيم بن أدهم لبعض من حضر مجلسه: أدِرْهمٌ في المنام أحب إليك أم دينار في اليقظة؟ قال: بل دينار في اليقظة، قال: لا بل درهم في المنام أحب إليك؛ لأن ما تحبه في الدنيا كأنك تحبه في المنام، وما تحبه في الآخرة كأنك تحبه في اليقظة، فأي مغرور أغر منك.

وعن قتادة قال: لقيني عمران بن حطان فقال: يا أعمى إني عالم بخلافك ولكنك حافظ فاحفظ شعر:

حتى متى تسقى النفوس بكأسها ريب[٢٣] المنون وأنت لاهٍ ترتعُ
عجبًا لأمنك والحياة قصيرة ولفقد إلفٍ لا تزال تروّع[٢٤]
أوقد رضيت بأن تعلّل[٢٥] بالمنى وإلى[٢٦] المنيّة كل يوم تدفع؟[٢٧]
لا تخدعنك بعد طول تجاربٍ دنيا تكشف للبلاء وتصدعُ

(٢٣) ريب: بيت، م، ي. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص٢٨٧.
(٢٤) تزال تروّع: يزال يروّع، م، ي. مجموعة رسائل ابن أبي الدنيا ٢/ ١١٧ م، ي.
(٢٥) تعلل: يعلل، م، ي.
(٢٦) وإلى: فإلى، م، ي. مجموعة رسائل ابن أبي الدنيا ٢/ ١١٧.
(٢٧) تدفع: ترفعُ، م، ي. مجموعة رسائل ابن أبي الدنيا ٢/ ١١٧.

أحـلام نـوم أو كظـل زائـلٍ إن اللبيـب بمثلهـا لا يخـدعُ
فتـزوّدَنَّ[٢٨] ليـوم فقـرك دائبًـا واجمـع[٢٩] لنفسـك لا لغيرك تجمعُ

آخر:

أرى الدنيـا عواقبهـا الفنـاءُ وليـس لهـا وإن بقيـت بقـاءُ
موليـة إلـى أجـل تقضّـى تعاورهـا الشـدائد والرخـاءُ
وكلٌّ لا يـدوم وحيـن تفنـى مرارتهـا ولذتهـا سـواء
كأحـلام تـراءت[٣٠] فـي منـامٍ أهاويـلًا وليـس لهـا بقـاء
إذا وطـرًا قضيـت فصـار حلمًـا بـلا وطـرٍ سـيتبعه عنـاء
بشاشـتها وحليتهـا غـرورٌ وأولهـا وآخرهـا فنـاءُ

ومن الحكماء من قال: مثل الدنيا مثل الخضاب[٣١]، ثم قيل: إن الخضاب غرور؛ لأنه إنما يختضب ليتزين به أو ليستتر به، وليس له بقاء، فإنما هو إفك وزور[٣٢]، زخْرَفَةٌ[٣٣] وأباطيل.

وقيل: هي كالخضاب فإنه لا بقاء له ولا دوام، ولأنها لا تبقى على حالتها.

شعر:

لقـد غرَّنـا بُعْـدُ المنـى واقترابهـا كمـا غـرَّ عينًـا بالفـلاة سـرابُها
ولـو عاينـتْ نفسـي المنايا وهولهـا لطـال عليهـا بثهـا وانتحابهـا
ومَـنْ تكـنِ الدنيـا هـواه فإنـه يفارقُهـا[٣٤] يومًـا ويبقـى حسابُها
أرى مَثَلَ الدنيـا خضابًـا متى يحـل بكـفٍّ يـزلْ لا بُـدَّ عنهـا خضابهـا

ومن الحكماء من قال: مثل الدنيا كمثل الظل، ثم اختلفوا فقيل: هي كالظل في سرعة زوالها وذهابها، وقلة بقائها ودوامها.

---

(٢٨) فتزوّدَنّ: وتزودن، م، ي. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص٢٨٧.
(٢٩) واجمع: فاجمع، م، ي. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص٢٨٧.
(٣٠) تراءت: تعرض، م، ي.
(٣١) الخضاب: الخطاب، م، ي.
(٣٢) وزور: وزوره، م، ي.
(٣٣) زخْرَفَةٌ: مزخرفة، م، ي.
(٣٤) يفارقها: تفارقها، م، ي.

وقيل: هي كالظل رآه المسافر وقد اشتد به الحر، فمال نحوه فوجده[٣٥] ظليلًا، فحطّ عنده رَحْلَه فلم يستكمل له الاستراحة حتى أدركته الشمس، فلم يجد بُدًّا من الارتحال.

وقيل: مثل الظل يأوي إليه الملتجئ، ومثل الشمس مثل الموت لا بد أن يأتي.

شعر:

هـب الدنيـا تسـاق إليـك عفـوًا ... أليـس مصيـر ذاك إلـى زوالِ
ومـا دنيـاك إلا مثـل ظـلٍ ... أظلَّـك ثـم آذن بانتقـالِ

ومن الحكماء من يقول: مثلها كمثل السحابة في الصيف، ثم اختلفوا فقيل: لأن العرب تضرب [بها] المثل في قلة البقاء وسرعة الفناء، يقولون: هي سحاب صيف، وقيل: كالسحاب؛ لأنه ذاهبٌ جاءٍ لا يدوم على موضع ولا على بقعة، كذلك الدنيا، ومع ذلك لا يسأم من الدنيا كما لا يسأم من السحاب.

شعر:

أرى أشـقياء النـاس لا يسـأمونها ... علـى أنهـم فيهـا عـراةٌ وجُـوَّعُ
أراهـا وإن كانـت تُحَـبُّ كأنهـا ... سـحابةُ صيـفٍ عـن قليـلٍ تَقَشَّـعُ

وقيل: هي سحابة، كل ساعة في بقعة أخرى وعلى قوم أخر، تمطر بواحد وتضر بواحد.

ومن الحكماء مَنْ مثّل الدنيا كالريح في قلة[٣٦] بقائها، وأنها لا تبقى على أحد وإن حرص عليها.

وقيل: إنها كالريح فإنها في الحقيقة لا شيء، ولو[٣٧] أراد واحد أن يصور شيئًا أنه ليس بشيء يقول: هو كالريح، ولو أراد قَبْضَه لم يمكنه ذلك.

شعر:

أقـول لـذي كبـرٍ وزهـوٍ ونخـوةٍ ... ألسْـتَ غبـارَ الأرض بـدءًا وعاقبهْ
علوتَ علـى الدنيـا فصـرتَ مليكها ... فهـل هـي إلا الريـح والريـح ذاهبه
تفكَّـرْ ولا تغفـلْ وعايِـنْ مصيرهـا ... تراهـا علـى جـد وبالخلـق لاعبه

---

(٣٥) فوجده: فيجد، م، ي.

(٣٦) في قلة: وقلة، م، ي.

(٣٧) ولو: أو، م، ي.

ومن الحكماء من يقول: مثل الدنيا كمثل القابض على الماء، قال تعالى: ﴿كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى[٣٨] ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾ [الرعد: ١٤]، وكما لا يحصل للقابض[٣٩] على الماء شيء فكذلك من أراد بقاء الدنيا له لا يحصل على شيء.

شعر[٤٠]:

تؤمل دنيا ترتجي من رخائها ... عُلالة سم مُورِد الموت[٤١] ناقع

ومن يأمن الدنيا يكنْ مثل آخذٍ ... على الماء خانته فروج الأصابع

وعن إبراهيم بن الأدهم: ما وصف الدنيا أحد كما وصفها راهب حاكيًا عن عيسى بن مريم أنه قال: مثل هذه الدنيا كمثل رجل يسير في مفازة فيعيا، فيلتفت فإذا جمل هائج قد حمل عليه، فنظر وراءه فإذا الجَمل يريده، ونظر قُدَّامه فإذا المفازة ليس فيها منجى، فلما أعياه الجَمَلُ نظر قدامه فإذا جُبٌّ تحت رجليه، فيقول: أطرح نفسي في هذا الجب لأنجو، فطرح فوقع على شجرة فتعلقَ بها، فيقف الجمل فوق الجب وهو يفكر فيقول: ألا أنظر في قعر الجب ما فيه وإلى ما تعلقت به من هذه الشجرة هل فيها منجى؟ فنظر تحته فإذا ثعبان فغر فاه يريده، فيقول: الجمل فوقي، والثعبان تحتي حتى أنظر إلى هذه الشجرة التي تمسكت بها هل لها أصل، فإذا أصلها متعلق بعرقين، فإذا فأرتان إحداهما سوداء والأخرى بيضاء يقطعان العرقين، فيقول في نفسه: هذا هو الهلاك، هل ابتلي أحد بمثل بلاي، فلا يزال مفكرًا مرعوبًا ترعد فرائصه، فبينما هو كذلك إذ نظر إلى أغصان الشجرة، فإذا عليها تميرات، فتناول شيئًا منها فإذا هو حلو، فأخذ في أكْله، ونسي الثعبان تحته والجمل فوقه، ويستلذ موضعه لما رأى من التميرات، ولا يشعر بشيء حتى تقطع الفأرتان العرقين فيهلك، فهذا مثل صاحب الدنيا، أما الجمل فهو ملك الموت يطلب روحه، والشجرة التي تعلق بها فالأمل، والفأرتان فالليل والنهار، والثعبان تحته فالنار وما فيها والقبر وما فيه، والتميرات فهو حطام الدنيا، فقد ذاقها ابن آدم فرضي بها، ونسي جميع ما كان يخاف منه.

وقيل: مثل الدنيا والراغب فيها والزاهد عنها مثل أعمى وبصير نزلا ليلًا، فلما قاما طلب

(٣٨) الى: على، م، ي.

(٣٩) للقابض: للقايض، ي، م، ي.

(٤٠) مجموعة رسائل ابن أبي الدنيا ١/ ٣١٠.

(٤١) الموت: الماء، م، ي. مجموعة رسائل ابن أبي الدنيا ١/ ٣١٠.

الأعمى مقرعته فوجد حية لينة المس فأخذها، فقال: هذا خير من مقرعتي، فلما رآه الآخر قال: ألق ما في يمينك فإنه عدو لك، فأبى حتى لسعته وقتلته، فالحية الدنيا، والأعمى صاحب الدنيا، والبصير الزاهد في الدنيا.

فصل في أسامي الدنيا

فمنها: الدنيا، وقيل: أصلها من القرب والدنو، فقال: دنوت، كالعليا من (عَلَوْتُ)، وسميت بذلك لأنها أقرب إلى الناس من الآخرة.

شعر:

دنيا دَنَتْ مِنْ جاهلٍ ونأتْ ... عن كلِّ ذي أدبٍ له حِجْرُ[42]
سلحت على أربابها حتى إذا[43] ... وصلتْ إليَّ أصابها الحصرُ

وقيل: أصلها من الدناءة وهي الحقارة، روي لما خلق الله الدنيا قال لها: يا دنيا يا دنية، اخدمي من خدمني، وأتعبي من خدمك.

علي عليه السلام: الدنيا دنية، وحبها خطية، والركون إليها بليّة.

شعر:

نادتك دنياك فلبيتَها ... تلبيةً بِعْتَ بها الآخرةْ
آثرتَ دنياك على جنةٍ ... تلك لعمري صفقةٌ خاسرةْ
فافزعْ إلى الطاعة مستأثرًا ... فإنها مرتبةٌ فاخرةْ

شعر:

أفٌّ للدنيا الدنيةْ ... خبثتْ فِعْلًا ونيّةْ
ولعيشٍ كلُّه همٌّ ... [ثم] عقباه مَنِيّه

ومنها: سمى الله تعالى الدنيا قليلًا ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء:٧٧].

وعن ابن عباس في قوله: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾ [التوبة:٨٢]، قال: يقول الله تعالى: قل: فليضحكوا فيها ما شاءوا، فإذا صاروا إلى الله استأنفوا بكاء لا ينقطع أبدًا.

---

(٤٢) الحِجْرُ: العقل.

(٤٣) حتى إذا: فمتى، م، ي. ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ١/ ٦٤.

الحسن: الدنيا قليل وطلابهها كثيرة، والآخرة كثير وطلابها قليل.

ويقال: الدنيا قليلة وأهلها عليلة، وما بقي منها فقليلة، وأقل منها من ركن إليها.

ومنها: السَّحَّارة. مالك بن دينار: واتقوا السحارة فإنها تسحر القلوب العمياء[٤٤]، يعني الدنيا.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «احذروا الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت».

ومنها: أم دَفْرٍ، عن الأصمعي: العرب تسمي الدنيا أم دَفْرٍ، لنتنها، كما يقال للأمة الخبيثة: دَفَارِ[٤٥].

ومنها: الخنزيرة. يزيد بن ميسرة: كانوا يقولون للدنيا خنزيرة، ولو وجدوا اسمًا أقبح لسموها به.

ومنها: الفانية، والزائلة، والمنغصة، والمكّارة، والختارة[٤٦]، والخداعة، والفجاعة.

ومنها: الخَيْتَعُور[٤٧]؛ لأنها لا تدوم على حالتها.

شعر:

كلُّ أنثـى وإن بـدا لـك منهـا ... آيـةُ الحـبِّ حبُّهـا خيتعـورُ

ومنها: القاتلة، وقيل: الدنيا كالعروس المتحلية تشوّق لخطابها، وأفتنت بغرورها، والعيون إليها ناظرة، والنفوس لها عاشقة، وهي لأزواجها قاتلة.

شعر:

يـا خاطـبَ الدنيـا إلـى نفسـه[٤٨] ... إن لهـا فـي كلِّ يـوم خليـلْ
مـا أقتـل الدنيـا لخُطَّابهـا ... تقتلهـم يومًـا قبيـلًا قبيـلْ
تـزوّدُوا للمـوت زادًا فقـد ... نـادى مناديـه الرحيـلَ الرحيـلْ

(٤٤) العمياء: العلماء، م، ي.
(٤٥) الدَّفْرُ: النتن. العين (دفر)، والصحاح (دفر).
(٤٦) الختّار: الغدّار. تهذيب اللغة (ختر).
(٤٧) الخَيْتَعُور: كل شيء لا يدوم على حالة واحدة. الصحاح (ختعر).
(٤٨) نفسه: نفسها، م، ي.

ومنها: الغرارة، لمالك بن دينار شعر:

يـا خاطـب الدنيـا إلـى نفسـها تَنَـحَّ عـن خِطْبتهـا تَسْـلم
إن الـذي تخطـب غـرارةٌ قريبـة العـرس مـن المأتـمِ

ومما سمى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما روى عنه أبو هريرة «الدنيا غنيمة الأكياس وحسرة الحمقى».

وقيل: الدنيا ممر والآخرة مقر، فخذوا من ممركم لمستقركم، وقيل: الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها، وقيل: الدنيا دار أشغال، والآخرة دار أهوال، وأنت بين ذلك حتى يستقر بك القرار، إما في جنة أو في نار[٤٩].

وقيل: الدنيا مفيدة ومبيدة، فمن أبادت فلا رجعة فيه، وما أفادت أذن بالرحيل.

وقيل: الدنيا خمرة الشيطان، من سكر فيها لم يفق إلا في عسكر الموتى، ينادي: يا ويلنا بين الخاسرين.

ومنها: والدة الموت.

شعر[٥٠]:

متـى اختبَـر الدنيـا لبيـبٌ تكشـفت لـه عـن عـدوٍّ فـي ثيـاب صديـقِ
ومـا أنـت إلا هالـكٌ وابـن هالـك وذو نسـب فـي الهالكيـن عريـقِ

ومنها: السم القاتل، والحية النضناض لينة المس شديدة اللسع.

شعر:

مذمومـة بالهـمِّ مخطوبـةٌ سـمٌّ زعـافٌ درُّ أخلافِهـا
ولـم تـزل تقتـل أُلاَّفهـا[٥١] أفٍ لقتالـة أُلاَّفِهـا

وأنشد بين يدي الحسن قول الشاعر:

خليلـيَّ فيمـا عشـتُما هـل رأيتُمـا خليـلًا بكـى مِـنْ حُـبِّ قاتلـه قبلـي

فقال الحسن عليه السلام: لله در جميل لو كان قال هذا في الدنيا، قَتَلًا لها ولأهلها.

---

(٤٩) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ٤/ ٣٣.

(٥٠) الأبيات لأبي نواس.

(٥١) أُلاَفها: إلفالها، م، ي.

فصل في قوله تعالى: (قل متاع الدنيا قليل).

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٧٧] ما يُتمتع به، ونظرت جارية إلى سليمان بن عبد الملك فأنشأت تقول:

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى ... غير أن لا بقاء للإنسان
أنت خلوٌ من العيوب ومما ... يكره الناسُ غير أنك فاني

شعر:

أيها الشامخ الذي لا يرام ... نحن من طينةٍ عليك السلامُ
إنما هذه الحياة متاعٌ ... ومع الموت تستوي الأقدامُ

﴿مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ يعني لا يبقى، وقيل: الدنيا غرور حائل، وزخرف زائل، وظل آفل، ومسند[٥٢] مائل.

شعر:

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ... ونال من الدنيا سرورًا وأنعما
كبانٍ بنى بنيانه فأتمه ... فلما استوى ما قد بناه تهدّما

وقيل: الدنيا ظاهرها طاوس، وباطنها ناوس[٥٣]، المؤمن فيها محبوس، ونجمه منحوس، وحظه مبخوس[٥٤]، أيامها مثل السوس، تقطع النفوس، وساعتها كالفؤوس تحز الرؤوس، والعياذ منها بالملك القدوس.

وقيل: الدنيا عروس، خمارها الغرور، وسكرة خمارها في القبور، مسرتها نادرة، ومضرتها بادرة.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء:٧٨]، يعني قصورًا من حديد، وقيل: حصون[٥٥].

---

(٥٢) مسند: سناد، م، ي. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء ١/ ٤٠١.
(٥٣) الناوُس وتكتب كذلك الناوُوس: مقبرة النصارى. لسان العرب (نوس).
(٥٤) مبخوس: منحوس، م، ي.
(٥٥) حصون: حصين،م ن ي.

وقيل: الدنيا سهمها واقع، وسمها ناقع، كم من لبيب خدعته، وكم من طبيب صرعت بغدرها.

شعر:

باتـوا علـى قُلَـلِ الأَجْبَـال تحرسُـهم غُلْبُ الرجـال فلـم ينفعهـم القلـلُ[٥٦]
واستُنْزِلوا[٥٧] بعـد عزٍّ عـن[٥٨] معاقلهم وأُسْـكنوا حُفَـرًا يـا بئـس مـا نزلـوا
نـادى بهـم[٥٩] صارخ مـن بعد مـا دُفنوا أيـن الأسِـرَّةُ والتيجـان والحُلـلُ؟
أيـن الوجـوهُ التـي كانـت منعمـةً مـن دونها تضرب الأستار والكِلـلُ؟[٦٠]
فأفصـحَ القبـرُ عنهـم حيـن سـاءلهم: تلـك الوجـوهُ عليهـا الـدودُ يَقْتَتِـلُ
قـد طـال مـا أكلـوا دَهْـرًا ومـا شَـرِبوا فأصبحـوا بَعْـدَ طُول الأَكْل قـد أُكِلُوا[٦١]

ومر ذو النون بقصر فإذا جارية تضرب بالدف وهي تقول:

دام النعيـم لقصـره المعمـور مـا حولـه وأميرنـا المنصـورِ
وبـه السـرور مجـدد ببقائـه والعيـش فيـه يمـده المقـدور

فأجابها[٦٢]:

القصـر يخـرب والأميـر يمـوت والعيـش ينفـد والنعيـم يفـوتُ
يـا مـن تغـرر لاهيًـا ببقائـه مهـلًا فإنـك فـي ذراك تمـوتُ

وعن أبي عمرو بن العلاء قال: أول من قال الشعر في ذم الدنيا يزيد بن خَذَّاق بن عبد القيس حيث يقول شعر[٦٣]:

---

(٥٦) الرجال: الرقاب، م، ي. البداية والنهاية ٦/ ١٧؛ القُلَلُ: جمع قُلَّةٍ، وهي أعلى الجبل. انظر: لسان العرب (قلل).
(٥٧) واستُنْزِلوا: فاستنزلوا، م، ي. البداية والنهاية ٦/ ١٧.
(٥٨) عن: من، م، ي، البداية والنهاية ٦/ ١٧.
(٥٩) نادى بهم: ناداهم، م، ي. البداية والنهاية ٦/ ١٧.
(٦٠) الكِلَلُ: جمع كِلَّةٍ، والكِلَّة: السِّتْر الرقيق يتوقى فيه من البعوض. العين (كل).
(٦١) أُكِلُوا: أكل، م، ي، البداية والنهاية ٦/ ١٧.
(٦٢) الثمرات اليانعة والأحكام الواضحة ٢/ ١٠٧.
(٦٣) الشعر والشعراء للدينوري ص٢٢٩.

هل للفتى من بنات الدهر من واقي — أم هل له من حِمام الموت من راقي
قد رَجَّلُوني وما رُجِّلتُ(٦٤) من شعثٍ — وألبسوني ثيابًا غير أخلاقِ
ورفَّعوني وقالوا: أيما رجلٍ — وأدرجوني كأني طيُّ مِخْرَاقِ(٦٥)
وأرسلوا فتيةً مِنْ خَيْرِهم حسبًا — ليُسندوا في ضريح القبر أطباقِ
وقسموا المال وارفضَّت عوائدهم — وقال قائلهم: مات ابن خَذَّاقِ
هوِّنْ عليك ولا تُولَع بإشفاق — فإنما مالُنا للوارثِ الباقي

محمود الوراق:

هي الدنيا وزخرفُها — ولكن ما مصائرها
لئن غَرّتْ منابرها — لقد وعظتْ مقابرُها
وإن غشَّتْ مواردُها — لقد نصحتْ مصادرُها

شعر:

تذم دنيا إن تأملتها — وجدت فيها ثمن الجنة

وقيل: الدنيا غدارة غرارة، إن بقيتَ لها لم تَبْقَ لك، وأن بقيتْ لك لم تبق لها، وقيل: واجد الدنيا سكران، وفاقدها حيران.

ولبعضهم: أفٍّ من أشغال الدنيا إذا أقبلت، ومن حسراتها إذا أدبرت.

وقيل: الدنيا أشبه بالأحلام وظل الغمام، وعن الحسن: حلالها حساب، وحرامها عقاب.

عبادة: الدنيا قحبة، فيومًا عند عطار، ويومًا عند بيطار.

المأمون: لو نطقت الدنيا لما وصفت نفسها بأحسن من قول أبي نواس حيث يقول:

إذا اختبر الدنيا لبيب تكشفت — له عن عدو في ثياب صديق

و[قد] ألمّ [بمعناه ابن] بسام [البغدادي] فقال:

أفٍّ من الدنيا وأيامها — فإنها للحزن مخلوقةْ
همومها لا تنقضي ساعةً — عن ملكٍ فيها ولا سُوقَةْ
يا عجبًا منها ومن شأنها — عدوة للناس معشوقةْ

(٦٤) رُجِّلتُ: رحيت، م، ي.
(٦٥) المِخْرَاقُ: منديل أو نحوه يُلفّ ويُطوى ويلعب به الصبيان. العين (خرق).

نثر: إقبال الدنيا كإلمامة ضيف، أو زيارة طيف، أو سحابة صيف.

وقيل: هبات الدنيا مكدرة بأحداثها، وقصورها منغصة بأحداثها، فالمرء منها بين أماني ممدودة وعَوَاريّ[٦٦] مردودة[٦٧].

وقيل: صاحب الدنيا بين العسل والصاب[٦٨]، والصحة والأوصاب.

وقيل: أفٌّ للدنيا، فما أكدر صافيها، وأخبث راجيها، وأغدر أيامها ولياليها.

الصاحب بن عباد: الزمان حَدِيدُ الظُّفُرِ[٦٩]، لئيم الظَّفَر، حلو المورد، مر المصدر، وأثره عند المرء كأثر السيف في الضريبة[٧٠]، والليث في الفريسة.

ابن المعتز:

يـا دهـر ويحك قـد أكثـرت فجعاتي ... شـغلْتَ أيـام عمـري بالمصيبـاتِ
مـلأت ألحـاظ عينـي كلّهـا حزنًـا ... فأيـن لهـوي وأحبابـي ولذاتـي؟
حمـدًا لربـي وذمّـا للزمـان فمـا ... أقـل فـي هـذه الدنيـا مسـرَّاتي

وله:

يُـفْـنـي[٧١] الـذي جمعته ... بيدي ويحصد[٧٢] ما زرعته
ويـخـون[٧٣] مـن صافيته ... عمدًا ويعشق[٧٤] من مقتّه
وجـهـلـتـه فـحـمـدتـه ... وذمـمـتـه لـمـا عـرفـتـه
ولـطـالـمـا عـاتـبـتـه ... حتى على رغمي[٧٥] تركته

آخر:

يـا محنـة الدهـر كُفّـي ... إن لـم تكفّـي فخفّـي

(٦٦) العَوَارِيُّ: العَاريَة يتعاورها المستعيرون. تهذيب اللغة (عار).

(٦٧) ممدودة وعَوَاريّ مردودة: مصدودة، وعوار ممدودة، م، ي. كتاب اللطائف والظرائف ص١٨.

(٦٨) الصَّابُ: عصارة شجر مرّ. الصحاح (صوب).

(٦٩) حَدِيدُ الظُّفُرِ: جديد الظفر، م، ي.

(٧٠) الضَّرِيبة: المضروب بالسيف. الصحاح (ضرب).

(٧١) يُفْني: تفني، م، ي. كتاب اللطائف والظرائف ١/ ٢٣.

(٧٢) يحصد: تحصد، م، ي. كتاب اللطائف والظرائف ١/ ٢٣.

(٧٣) يخون: تخون، م، ي.

(٧٤) يعشق: تعشق، م، ي. كتاب اللطائف والظرائف ١/ ٢٣.

(٧٥) رغمي: خبر، م، ي. كتاب اللطائف والظرائف ١/ ٢٣.

مـا آنَ أنْ ترحمينا مِـنْ طُـول هـذا التشفِّي؟
ثــوزٌ يـنـال الـثُّـريّـا وعـالـمٌ متـخـفِّـي
ذهـبـت أطـلـب يحيى فـقـيـل لـي: قـد تـوفي

آخر:

رأيـتُ الدهـر يَرفـعُ كلَّ وغْـدٍ ويخفِـضُ كلَّ ذي شِـيَـمٍ شـريفهْ
كمثْـل البحْـر يغـرق فيـه حـيٌّ ولا ينفـك تطفـو فيـه جِيفـهْ
وكالميـزان يخفـض كل وافٍ ويرفـع كلَّ ذي زنـةٍ خفيفـهْ

فصل جامع في ذم الدنيا

حدثنا الشيخ الإمام أبو محمد عبد الله بن الحسين بإسناده عن أبي موسى الأشعري أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من أحب دنياه أضر بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى».

محمد بن المنكدر عن جابر، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ما كان لله فيها».

ابن المنكدر قال: يجاء بالدنيا يوم القيامة سوداء مظلمة فتقول: اللهم اجعلني لأحسن أوليائك نصيبًا، فيقول الله: أنت أحقر وأذل وأهون وأصغر من أن أجعلك لأحد من أوليائي، بل أنت وأهلك في النار[٧٦].

علقمة، عن عبد الله قال: اضطجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم على حصير، فقام وقد أثر بجلده، فلما كنت أمسح وأقول: ألا آذنتنا حتى نبسط على الحصير شيئًا يقيك؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها».

زيد بن أرقم قال: كنا مع أبي بكر في سفر فاستسقى، فأتي بإناء فيه ماء، فأدناه مِنْ فِيه، ثم نحاه وبكى حتى بكى أصحابه، وسكتوا وما سكت، ثم مسح وجهه، ثم عاد حتى يئسوا من كلامه، ثم مسح عينيه، فقالوا: يا خليفة رسول الله ما الذي أبكاك؟ قال: كنت مع رسول الله

(٧٦) كنز العمال ٢/ ٩٧.

صلى الله عليه وآله وسلم، فرأيته يدفع عنه شيئًا وما أرى معه أحدًا، فقلت: يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك ولا أرى معك أحدًا؟ قال: «هذه الدنيا تمثّلَتْ[٧٧] لي، وحنَتْ ظهرها عليّ، فقلت: إليكِ عني، فقالت: أما والله إن نجوت لم ينج مني مَنْ بعدك»، فذكرتُ ذلك اليومَ، فخشيت أن تلحقني[٧٨].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب»، رواه خباب وسلمان.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الدنيا سجن المؤمن والقبر حصنه والجنة مأواه، والدنيا جنة الكافر والقبر سجنه والنار مأواه».

المسيح عليه السلام: مثل الدنيا كمثل رجل له امرتان، إن أرضى إحداهما أسخط الأخرى.

علي عليه السلام: مثل الدنيا والآخرة مثل المشرق والمغرب وسارٍ بينهما، كلما قرُب من جانب بَعُدَ من جانب.

ويروى: الدنيا دار مَنْ لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له، وشهواتها يطلب[٧٩] مَنْ لا فهم له، وعليها يعادي مَنْ لا عِلْم له، وفيها يحسد مَنْ لا فِقه له، ولها يسعى من لا يقين[٨٠] له.

ابن السماك: الدنيا كالعروس المحلية تشوقت لخاطبها وافتتنت بغرورها، والعيون إليها ناظرة، والقلوب عليها والهة، والنفوس لها عاشقة، وهي لأزواجها قاتلة، وأنشد شعر:

يا خاطب الدنيا إلى نفسها ... تنح عن خطبتها تسلم
إن الذي تخطب غرّارة ... قريبة العرس من المأتمِ

علي بن أبي طالب عليه السلام: من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبًا، ولا عن النار مهربًا: عرف الله فأطاعه، وعرف الشيطان فعصاه، وعرف الحق فاتبعه، وعرف الباطل فاتقاه، وعرف الدنيا فرفضها، وعرف الآخرة فطلبها.

---

(٧٧) تمثّلَتْ: تملات، م، ي، شعب الإيمان ١٣/ ١٦٣.
(٧٨) تلحقني: يلحقني، م، ي. شعب الإيمان ١٣/ ١٦٣.
(٧٩) يطلب: تطلب، م، ي.
(٨٠) يقين: تبقى، م، ي. المغني عن حمل الأسفار ص١١٠٣.

وروي مرفوعًا: «الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا»، وأنشد:

هب الدنيا تساق إليك عفوًا ... أليس مصير ذاك إلى انتقالِ
وما دنياك إلا مثل فيءٍ ... أظلك ثم آذن بالزوال

ويروى مرفوعًا: «ما الدنيا فيما مضى منها إلا كمثل ثوب شق اثنين، وبقي خيط، فكان الخيط قد انقطع».

شعر[٨١]:

يا ساكن الدنيا لقد أوطنتَها ... ولتبرَحنّ وإن كرهت بَراحها
ما زلت تُنقَل مُذْ خُلِقْتَ إلى البلا ... فانظر لنفسك إن أردت صلاحها

وعن سالم بن أبي الجعد قال: قلت: يا رسول الله ما يكفي من الدنيا؟ قال: «ما سد جوعتك، ووارى عورتك، فإن كان لك بيت يكنك فذاك، وإن كان لك مركب تركبه فبخٍ»[٨٢].

أبو كبشة الأنماري قال: ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل الدنيا فقال: «مثلها مثل أربعة رهط: رجل آتاه الله علمًا وآتاه مالًا فهو يعمل بِعِلْمِهِ في ماله، ورجل آتاه الله علمًا ولم يؤته مالًا فيقول: لو أن الله آتاني مثل ما أوتي فلان لفعلت به مثل ما يفعل فلان، [فهما في الأجر سواء، ورجل آتاه الله مالًا ولم يؤته علمًا، فهو يمنعه من حقه، وينفقه في الباطل، ورجل لم يؤته الله مالا ولم يؤته علمًا، فهو يقول: لو أن الله آتاني مثل ما آتى فلانا لفعلت فيه مثل ما يفعل] فهما في الوزر سواء»[٨٣].

نافع عن ابن عمر قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعو ويقول: «لا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر هَمِّنا، ولا مَبْلَغَ عِلْمِنا، ولا تُسلِّط علينا مَنْ لا يرحمنا».

مختصر من كلام ابن الربيع بن مرة: إن الدنيا كأسُ سكراتٍ، أماتت[٨٤] شُرَّابها وهم أحياء، فعموا[٨٥] وهم يبصرون، وصمُّوا وهم يسمعون، وخرسوا وهم ينطقون، ليت الدنيا لم تخلق، وليتها إذ خُلِقَتْ لم تُخْلَق.

---

(٨١) بصائر ذوي التمييز ٢/ ٢٣٦.
(٨٢) شعب الإيمان ١٣/ ٥.
(٨٣) شرح مشكل الآثار ١/ ٢٣٨.
(٨٤) أماتت: ماتوا، م، ي. الزهد لابن أبي الدنيا ص١٦٠.
(٨٥) فعموا: عموا، م، ي. الزهد لابن أبي الدنيا ص١٦٠.

الحسن: الدنيا ثلاثة أيام، فمضى منها أمس بما فيه، وغدًا لا تدري أتبلغه(٨٦) [أم لا]، واليوم [لك] فاعمل فيه(٨٧).

وكان موسى بن طريف يتمثل بهذا البيت شعر:

إذا أبقت الدنيا على المرء دينه فما فاته منها فليس بضائر

عبد الله بن شُمَيْط عن أبيه ووصف أهل الدنيا قال: دائم البطنة، قليل الفطنة، إنما همه بطنه وفرجه وجلده، يقول: متى أصبح فآكل وأشرب، وألهو وأطرب وألعب، متى أمسي فأنام، جيفة بالليل بطّال بالنهار(٨٨).

وروى أبو يحيى بإسناده عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من طلب شيئًا من الدنيا كان عليه شينًا في الدنيا، وعارًا في الآخرة، فاتركوا قليلها(٨٩) وكثيرها تقربوا من الله».

وقال عليه السلام: «لا تشتغلوا بعمل الدنيا عن عمل الآخرة، فيحل بكم عقوبة الله».

وعن الحسن في مواعظه: يابن آدم بع دنياك بآخرتك فتربحهما جميعًا، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعًا، أحمق يباهي بدنياه لمالهما وولدهما فأنت في غم الساعة، هيهات هيهات ذهبت الدنيا وبقيت الأعمال في أعناق بني آدم قلائد إلى يوم القيامة، ابن آدم إنك ناظر إلى عملك يوزن خيره وشره، فلا تحقرن من الشر شيئًا وإن صغر، فإنك إذا رأيته ساءك مكانه، ولا تحقرن من الخير شيئًا وإن صغر، فإنك إذا رأيته سَرَّك مكانه، رحم الله امرءًا كسب طيبًا، وأنفق قسطًا، وقدم فضلًا ليوم فقره وفاقته، إن من كان قبلكم يأخذون من الدنيا بلاغًا ويشترون بالفضل أنفسهم من الله.

شراحيل بن زيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أنا زعيم المكبّ على الدنيا الحريص عليها، بفقر لا غنى له، وشغل لا فراغ له، وهم وحزن».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «نعم المطية الدنيا، فارتحلوا تبلغكم الآخرة».

---

(٨٦) تدري أتبلغه: يدري أيبلغه، م، ي.

(٨٧) انظر: كلام الليالي والأيام لابن أبي الدنيا ص٦١.

(٨٨) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ١/ ١٢٧.

(٨٩) قليلها: قليلا، م، ي.

وهب بن منبه: أوحى الله إلى عيسى يا عيسى إن الدنيا سجن ضيق منتن الريح، حشوه ما قد ترى من الجبارين، وإياك والدنيا فارفضها واهرب منها، فكل نعيمها يزول، وما نعيمها إلا قليل.

الفضيل بن عياض: إنما أتي الناس من خصلتين: حب الدنيا، وطول الأمل.

وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مر بقبر دفن جديدًا فقال: «ركعتان خفيفتان مما تتنفلون يزادان في عمله أحب إليه من بقية دنياكم».

وروى أبو يحيى بإسناده أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يا علي أربع خصال من الشقاء: جمود العين، وقساوة القلب، وبُعْدُ الأمل، وحُبُّ الدنيا».

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن ما بقي من الدنياء بلاء وفتنة».

وروى البزاز بإسناده عن المستورد قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «والله ما الدنيا إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم، فلينظر بِمَ يرجع».

ابن عمر قال: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخذ بعضدي وقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، أو كأنك من أهل القبور».

ابن مسعود قال: ذهب صفو الدنيا وبقي كدرها، فالموت تُحْفَةٌ[٩٠] لكل مُسْلم.

الحسن عن الضحاك الكلالي قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا ضحاك ما طعامك»؟ قلت: اللحم واللبن، قال: «ثم يصير إلى ماذا»؟ قال: ثم يصير إلى ما قد علمت، قال: «فإن الله ضرب ما يخرج من ابن آدم مثل الدنيا».

أبو حازم الأعرج قال: إياكم والدنيا فإنه بلغني أن العبد يوقف بين يدي الله يوم القيامة إذا كان معظمًا للدنيا فيقال: هذا عَظَّمَ ما حَقَّرَ اللهُ.

أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ينادي نداء ولا يناجي نجاء: دعو الدنيا لأهلها، من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أَخَذَ بحتفه وهو لا يشعر».

سعيد بن المسيب قال: قال مُوَرِّقٌ: دخل سعيد بن مالك وابن مسعود على سلمان يعودانه فبكى، فقالا: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ فقال: عهدٌ عَهِدَهُ إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(٩٠) تُحْفَةٌ: مخفة، م، ي. المعجم الكبير للطبراني ٩/ ١٥٤.

لم يحفظه أحدٌ مِنَّا، فقال: «ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب»، قال: فنظروا في بيته [فإذا] إكاف [ومتاع] يبلغ ثمنه عشرين درهمًا[٩١].

أحمد بن حرب: الدنيا كلها قليل، وعمرك منها قليل، وبقي من القليل قليل.

أبو هريرة قال: دخل ابن مسعود على رسول الله[٩٢] صلى الله عليه وآله وسلم في خمسة نفر من أصحابه قد مَسَّهم الجوع، فقالوا: يا رسول الله هل من شيء؟ فإنا جياع، فلم يجد لهم رسول الله إلا سويق شعير، فأكلوه، فلم يقع منهم موقعًا، فقالوا: يا رسول الله حتى متى نحن في هذه المجاعة؟ قال: «لن تزالوا فيها، ولكن اتقوا الله وأحْدِثُوا له شكرًا، فإني قرأت الكتاب الذي أنزله الله عليَّ وعلى من كان قبلي، وتصديق ذلك في كتاب الله ﴿هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾ [الأنبياء:٢٤]، فلم أجد أهل ملة يدخلون الجنة بغير حساب إلا الصابرين ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠]، ولكن يأتي من بعدي أقوام يأكلون طيب الطعام وألوانه، ويلبسون لَيِّنَ الثياب وألوانه، ويركبون فره الدواب وألوانها، وينكحون حسناء النساء وألوانهن، ويستخدمون فره الخدام وألوانهم، ويبنون الدور، ويشيدون القصور، ويجمعون[٩٣] الأموال، ويظهرون الجفاء، ويأكلون الربا، وليس لهم همة إلا الدنيا، عاكفون عليها، منها يغدون وإليها يروحون، رضوا بها إلهًا دون إلههم، لا يبتغون بها بدلًا، ولا عنها حِوَلًا، ولا تنقضي فيها أوطارهم، ولا تشبع فيها آمالهم، لهم أجواف من الكثير لا تشبع، ولهم قلوب من ذكر الله لا تخشع، فعزيمة من رسول الله مَنْ أَدْرَكَ ذلك الزمان من عقب عقبكم فلا تسلموا عليهم في ناديهم، ولا تعودوا[٩٤] مرضاهم، ولا تصلّوا على جنائزهم، فإنهم يستنون بسنتكم، ويظهرون دعاءكم، ويخالفون أفعالكم[٩٥]، فيموتون[٩٦] على غير ملتكم، أولئك ليسوا مني ولست منهم»، رواه أبو يحيى البزاز.

ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أشد ما أتخوف على أمتي زلة عالم، وجدال منافق بالقرآن ودنيا تقطع[٩٧] رقابكم، فاتهموها على أنفسكم».

---

(٩١) حلية الأولياء ٢/ ٢٣٧.

(٩٢) على رسول الله: -، ي

(٩٣) يجمعون: يعتقدون، م، ي.

(٩٤) تعودوا: يعود، م، ي.

(٩٥) أفعالكم: هواكم، م، ي. مكارم الأخلاق للطبرسي ص٤٤٩.

(٩٦) فيموتون: ويموتون، م، ي.

(٩٧) تقطع: يقطع، م، ي. شعب الإيمان ١٢/ ٥٢٤.

أبو الزبير، عن جابر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ركعتان يصلي العبد في جوف الليل خير من الدنيا وما فيها، ولولا أن أشق على أمتي لفرضتهما عليهم».

ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله تعالى قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب».

هشام عن الحسن: أن عيسى خرج ومعه ناس، فأتوا على ذهب كثير، فقال عيسى: النجاء النجاء فإنما هي النار، ثم مضى ومضى أصحابه، وتخلف منهم ثلاثة، فقال رجلان لصاحبهما: لا نستطيع إلا أن نحمله على شيء، فخذ من هذا الذهب فاشتر لنا طعامًا وزادًا، واشتر لنا ظهرًا نحمل عليه من هذا الذهب، فانطلق لما أمراه به، وأتاهما الشيطان وقال: إذا أتاكما فاقتلاه واقسما المال نصفين، فلمّا أَحْكَمَ أَمْرَهُما انطلق الشيطان إلى الآخر، فقال: إنك لا تطيق هذين، فاجعل في الطعام سمًا فأطعمهما، ثم اذهب بالمال وحدك، فابتاع سمًا فجعله في طعامهما، ثم أتاهما، فوثبا عليه وقتلاه، وقربا الطعام فأكلاه وماتا، وانطلق عيسى لحاجته ثم رجع، فإذا بهم قد ماتوا عند ذلك الذهب، فقال: انظروا إلى ما لقي هؤلاء من الدنيا، ثم صاروا إلى النار ولم ينتفعوا منه بشيء، ثم حدث أصحابه حديثهم، ثم قال: النجاء النجاء فإنما هي النار[٩٨].

وعن عطاء قال: هذه الآيات ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ﴾ [الصافات:٥١]، نزلت في رجلين اشتركا واكتسبا ثمانية آلاف دينار واقتسما، فأنفق أحدهما ألف دينار في بستان، وألفًا في قصر، وألفًا في خدم، وألفًا في زوجة، وأنفق الآخر على المساكين وقال: اللهم إني أقرضك لتجعل لي بستانًا خير من بستانه، وقصرًا خيرًا من قصره، وخدمًا خيرًا من خدمه، وزوجة خيرًا من زوجته، فلما توفي وأدخله الله الجنة وأدخل شريكه النار وقعد هو على سريره قال لإخوته: يا إخوتاه أفما نحن بميتين؟ قالوا: لا والله لا نموت ولا نفنى أبدًا كما ترى دائمًا، قال: فإنه كان لي قرين، القصة بطولها إلى قوله: ﴿لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ﴾ [الصافات:٦١].

أسماء بنت عميس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «بئس العبدُ عبدٌ تجبّر واعتدى ونسي الجبار الأعلى، بئس العبد عبد تخيل واختال ونسي الكبير المتعال، بئس العبد عبد سها ولها ونسي المقابر والبلا، بئس العبد عبد بغى وعتا ونسي المبتدأ والمنتهى، بئس العبد عبد

(٩٨) معجم ابن الأعرابي ٢/ ١٠١٠.

باع الدين بالدنيا، بئس العبد عبد تحيل الدين بالشبهات، بئس العبد عبدٌ طَمَعٌ يقوده، بئس العبد عَبْدٌ هَوًى يُضِلُّهُ».

ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه قال: «من أصبح حزينًا على الدنيا أصبح ساخطًا على الله».

ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه قال: «فضول الدنيا رجس، ومن طلب الدنيا للدنيا ابتلي بأربع خصال: هَمّ لا انقطاع له، وشغل لا فراغ له منه، وأمنية لا ينالها، وأمل لا يبلغ منتهاه»(٩٩).

عيسى بن مريم عليه السلام قال: يا معشر الحواريين لا تطلبوا الدنيا بهلكة أنفسكم، واطلبوا أنفسكم بترك ما فيها، عراة جئتم، عراة تذهبون، لا تطلبوا اليوم رزق غد، كفى اليوم بما فيه، وغدا يدخل بشغله(١٠٠)، واسألوا الله أن يجعل رزقكم يومًا بيوم.

وروي أن أبا مالك الأشعري لما حضرته الوفاة قال: يا سامع الأشعريين ليبلِّغ الشاهدُ منكم الغائبَ، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «حُلْوَةُ الدنيا مُرَّةُ(١٠١) الآخرة».

ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما يصيب أحدُكم من الدنيا إلا نَقَصَ من درجاته عند الله».

عكرمة، عن ابن عباس قال: «قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ قال: تكاثر الأموال: جَمْعُها مِنْ غير حِلِّها، ومنعها من حقها، وشَدُّها(١٠٢) في الأوعية، ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ حتى دخلتم المقابر، ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ لو قد خرجتم من قبوركم إلى محشركم ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ لو قد تطايرت الكتب فشقيٌّ وسعيد ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۞ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ وذلك حين يمد الصراط فينصب بين جسري جهنم ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ قال: عن خمس: عن شبع البطون، وبارد الشراب، ولذة النوم، وظلال المساكن، واعتدال الخلق».

(٩٩) ابن مسعود....منتهاه:-، ي.

(١٠٠) بشغله: لشغله، م، ي. الزهد لابن حنبل ص٧٩.

(١٠١) مُرَّةُ: من، م، ي، مسند أحمد ٣٧/ ٥٣٢.

(١٠٢) شَدُّها: سدها، م، ي.

شعر:

أرى الدنيـا تجهـز بانطـلاق مشـمرة علـى قَـدَمٍ وسـاق
فـلا الدنيـا بباقيـة لحـيٍّ ولا حـيٌّ علـى الدنيـا بـباقِ

عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تُفتح الدنيا على قوم إلا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة».

شعر:

أف للدنيـا وأيامهـا فإنهـا للحـزن مخلوقـهْ
همومهـا لا تنقضـي سـاعة عـن ملـكٍ فيهـا ولا سـوقهْ
يـا عجبًـا منهـا ومـن شـأنها عـدوة للنـاس معشـوقهْ

وقيل: الناس بين شيئين هوًى فآخره ضلال، ودنيا وآخرها زوال، والاشتغال بمثل هذين محال. وفي كتاب الرقاق إلى آخر الباب: على أن مثلكم ومثل الدنيا كمثل سَفْرٍ سلكوا طريقًا، فكأنهم قطعوها، أو أفضوا[١٠٣] إلى عِلْمٍ فكأنهم قد بلغوه.

أبي بن كعب: إن الدنيا دار فناء، ومنزل قُلْعَةٍ[١٠٤]، رغب عنها السعداء، وانتزعت من أيدي الأشقياء، فغناها فَقْرٌ، وعلمها جَهْلٌ، وخطوبها صروف، وأيامها دول.

مالك بن معول: مثل من يريد الدنيا والآخرة مثل عَبْدٍ له سَيّدان، إن أرضى هذا أسخط هذا.

عيسى صلوات الله عليه: مثل الدنيا وطالبها كمثل شارب من البحر، كلما ازداد شربًا ازداد عطشًا حتى يقتله.

صالح المري: هذا ابن آدم وهذه الدنيا وهذا ربه، فإن ألغى الدنيا[١٠٥] بينه وبين ربه وصل إليه وإلا حجبته.

معروف الكرخي: إن الدنيا قِدْرٌ يغلي، وكَنِيفٌ يُمْلا[١٠٦].

---

(١٠٣) أو أفضوا: أمّوا، م، ي. موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا ١/ ٣٨١.
(١٠٤) منزلُ قُلْعَةٍ - بضم القاف -: ليس بمستوطنٍ. الصحاح (قلع).
(١٠٥) الدنيا: -، ي.
(١٠٦) كَنِيفٌ يُمْلا: كيف يملى، م، ي.

سميط بن عجلان: إن أهل الدنيا حيارى وسكارى، فارسهم يركض ركضًا، وراجلهم[١٠٧] يسعى سعيًا، لا غنيّهم يشبع، ولا فقيرهم يقنع.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «فرُّوا من فضول الدنيا كما تفرون من الجذام، وهونوا على أنفسكم كما تهونون الجيفة، وتوبوا إلى الله من فضول الدنيا وسيئات أعمالكم تنجوا من شدة القيامة».

عامر بن عبد قيس: لو أعطيت الدنيا بحذافيرها لرددتها بعيوب ثلاثة: لأنها عقوبة آدم، وجنة الكافر، ومجاورة إبليس.

عون بن عبد الله: إن من كان قبلنا كانوا يجعلون للدنيا ما فضل عن آخرتهم، وإنكم اليوم تجعلون لآخرتكم ما فضل عن دنياكم.

أبو حازم: من عرف الدنيا لم يفرح بالنعماء ولم يحزن على البلوى.

وهب بن الورد: من أراد الدنيا فليتهيأ للذل.

علي عليه السلام في وصفه الدنيا: ما أصف من دار أولها عناء، وآخرها فناء، حلالها حساب، وحرامها عقاب، من استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن، ومن سعى لها فاتته، ومن قعد عنها واتته، ومن نظر إليها أعمته، ومن نظر بها بصرته.

الحسن عليه السلام: يابن آدم احذر الدنيا فإنها دار البلوى، ومصائد الهوى، وحبها يقود إلى الردى.

عبيد بن عمير: نعيم الدنيا أمد، ونعيم الآخرة أبد.

علي عليه السلام: الدنيا نعيم لولا أنها عديم، وملكها ملك لولا أنها هلك، وشرفها شرف لولا أنها تلف، وسرورها سرور لولا أنها غرور، ويومها يوم لولا أن بعده غدًا.

شعر:

عش موسرًا ما شئت أو معسرا   لا بد في الدنيا من الغم
فكلما زادك من نعمةٍ   زاد[١٠٨] الذي زادك في الهم

(١٠٧) وراجلهم: وأرجلهم، م، ي.

(١٠٨) زاد: زادك، م، ي.

وكان المأمون لما احتضر جعل يتمعك في التراب وينشد:

عـزّ حـيّ وذل مـن هـو يمـوت قـد تيقنـتُ أنني سـأموتُ
ليـس مُلْـكٌ يزيله المـوتُ مُلْكًا[١٠٩] إنمـا المُلْـك مُلْـك مـن لا يمـوتُ

آخر:

الدهـر فـان لا بقـاء لواحـد كل سـيفنى غيـر وجـه الواحـد
أصبحـت ترجـو فيـه عيشًـا بـاردًا هيهـات تضـرب فـي حديـد بـاردِ

فصل في حب الدنيا

الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قال: «لو كان لابن آدم واديان مِنْ ذَهَبٍ لابتغى لهما ثالثًا، ولا يملأ جوفَ ابن آدم إلا الترابُ، ويتوب الله على من تاب».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «ما ذئبان ضاريان أرسلا في غنم بأفسد لها من حُبِّ الشرف والمال لدين المرء المسلم».

ابن عباس: لما نزل قوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ [إِذَا جَآءَتْهُمْ] ذِكْرَىٰهُمْ﴾ [محمد:١٨] جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس وقال: «أيها الناس، من ربكم»؟ فقالوا: الله الذي لا إله إلا هو وأنت رسوله، قال: «قد استقر ذلك في قلوبكم وسمعكم وأبصاركم»؟ قالوا: بلى والذي بعثك بالحق، قال: «فابشروا بالجنة إلا أن تخلطوا بشيء»، فقال سالم مولى أبي حذيفة: بماذا نخلطه يا رسول الله؟ قال: «بحب الدنيا، والجمع لها، والحرص عليها، بكلام الأبرار وعمل الجبابرة، فإذا فعلتم ذلك فلن تستكملوا حقيقته».

الفضيل قال: جُعل الشرُّ كله في بيت، وجُعل مفتاحه حب الدنيا، وجُعل الخيرُ كله في بيت، وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا.

أيوب اليماني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما سكن حبُّ الدنيا قَلْبَ عَبْدٍ إلا الْتَاط[١١٠] منها بثلاث لا تفارقه: شُغْلٍ لا ينفك عناؤه، وأمل لا يدرك منتهاه، وفقر لا يدرك غناؤه».

---

(١٠٩) يزيله الموتُ مُلْكًا: الذي يزول بملكٍ، م، ي. إتحاف السادة المتقين ١٤/٥٦.
(١١٠) الْتَاطَ: علق ولصق. تاج العروس (لوط).

الحسن: ما عجبت عجبًا أكثر من عجبي من رجل لا يجعل حُبَّ الدنيا من الكبائر، قال: وحبها عندي من أكبر الكبائر؛ لأن مِنْ حُبِّها تشعّب(١١١) الكبائر.

الصادق عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من زاده الله علمًا ثم ازداد للدنيا حبًا ازداد من الله بُعْدًا، وازداد الله عليه غضبًا».

يزيد بن أبي حبيب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «تكون أمتي على ثلاثة أطباق: فأما الطبق الأول: فلا يحبون جمع المال ولا كثرة المال قليله ولا كثيره إلا ما يبلغهم المحل، وأما الطبق الثاني: فيحبون جمع المال [أو] كثرة المال يحجّون ويتصدقون، ولأن يعض أحدهم على الجمر أحب إليه من أن يكسب مالًا قبيحًا، وأما الطبق الثالث: فيحبون جمع المال وكثرة المال لا يبالون من أين دخل عليهم كَسْبُهم، فأولئك لا يعاتبون في أنفسهم».

وروى محمد بن المنكدر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لو أن عبدًا جاء يوم القيامة قد أدى إلى الله جميع ما افترض الله عليه إلا أنه محب للدنيا، لأمر الله به مناديًا(١١٢) ينادي به على رؤوس أهل الجمع: إن هذا فلان بن فلان قد أحب ما أبغض الله».

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «قلب الشيخ شاب على حب اثنتين(١١٣): طول الحياة، وكثرة المال».

وروى أبو يحيى بإسناده عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أنتم اليوم على بينة من ربكم لم تظهر فيكم السكرتان: سكرة حب العيش، وسكرة الجهل، فأنتم تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتجاهدون في سبيل الله، وستحولون عن ذلك إذا فشا فيكم حب الدنيا فلا تأمرون بالمعروف، ولا تنهون عن المنكر، وتجاهدون في غير سبيل الله، فالقائمون يومئذ بالكتاب سرًا وعلانية كالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار».

ثوبان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يوشك الأمم تداعى عليكم تداعي الأكلة على قصعتها»، قال قائل: يا رسول الله، مِنْ قِلَّةٍ نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم كثير، ولكنكم غثاء

(١١١) تشعّب: شعب، م، ي.
(١١٢) مناديًا: مناد، م، ي.
(١١٣) اثنتين: اثني، م، ي.

كغثاء السيل، ولينزعنّ[١١٤] الله من عدوكم المهابة، وليقذفنّ[١١٥] في قلوبكم الوهن»، قيل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا وكراهية الموت».

عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ليأتين على الناس زمان قلوبهم قلوب العجم»، قلت: وما قلوب العجم؟ قال: «حب الدنيا، وسنتهم سنة الأعراب، ما أتاهم مِنْ رزقٍ جعلوه في حيوان، يرون الجهاد ضرارًا، والصدقة مغرمًا».

شعر:

أيها المتعب جهلًا نفسه ... يطلب الدنيا حريصًا جاهدا
لا لك الدنيا ولا أنت لها ... فاجعل الهمَّيْن همًّا واحدا

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من أحب الدنيا وسرّ بها ذهب حب الآخرة من قلبه».

عمر: ويل لمن كانت الدنيا أمله، والخطايا عمله، عظيم بطنته قليل فطنته، عالم بدنياه، جاهل بآخرته.

علي عليه السلام: إن الدنيا قد أدبرت وآذنت بانقطاع، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «حُبَّان لا يجتمعان في قلب واحد: حُبُّ الدنيا، وحب الآخرة».

شعر:

نادتكَ دنياك فلبيْتَها ... تلبيةً بِعْتَ بها الآخرةْ
آثرتَ دنياك على جَنَّة ... تلك لعَمْري صفقةٌ خاسرةْ
أَشْهَدُ بالله وآياته ... شهادةً باطنةً ظاهرةْ
ما شَرَفُ الدنيا بشيءٍ إذا ... لم يتبعه[١١٦] شرف الآخرة

ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «عجبًا لغافل لا يغفل عنه، عجبًا لطالب دنيا والموت يطلبه، عجبًا لضاحك ملء فيه لا يدري أرَضَى الله أم أسْخَطَه».

(١١٤) لينزعنّ: اراعن، م، ي. سنن أبي داود ٤/ ١١١.
(١١٥) ليقذفنّ: انفذ، م، ي. سنن أبي داود ٤/ ١١١.
(١١٦) يتبعه: يجتمع فيها، ي؛ بك فيها: م.

ابن مسعود قال: لو أن أهل العلم صانوا علمهم ووضعوه عند أهله لسادوا به أهل زمانهم، ولكن بذلوه لأهل الدنيا لينالوا به من دنياهم فهانوا على أهلها، سمعت نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من جعل الهموم همًا واحدًا كفاه الله هم أحزانه، ومن تشعبت به الهموم وأحوال الدنيا لم يبال الله في أي وادٍ من أوديتها وقع».

منصور بن عمار: حب المال ضرني، وطول الأمل غرني.

يحيى بن معاذ: يابن آدم لا يزال دينك ممزقًا ما كان قلبك يحب الدنيا معلقًا.

وعن بعضهم قال: وقع إبليس فيما وقع فيه من حب الدنيا قال: أنا خير، إبليس لم يسجد لحب الرئاسة.

وقيل لحكيم: ألا تحدثنا بما عندك من العلوم؟ قال: أكره أن يميل قلبي باجتماعكم إلى حب الدنيا والرئاسة.

شعر:

حب الرئاسة داء لا دواء له ... وقَلَّ مَنْ تجد الراضين بالقسم

الفضيل: لا أفلح من طلب الرئاسة فلينافس.

أبو الأحوص: الجنة محفوفة بطلب الحقوق، والنار مفروشة بحب الرئاسة.

وقيل: حب المال والشرف شر للرجل من ذئبين في حظيرة غنم.

قتادة: لولا حب الحسن الرئاسة لمشى على الماء.

وقيل: شرف الدنيا بالمال، وشرف الآخرة بالأعمال.

فصل في النظر إلى من هو دونه

قال تعالى: ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف:١٠١].

عمرو[١١٧] بن شعيب عن أبيه عن جده، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكرًا صابرًا، ومن لم يكونا فيه لم يكتبه الله شاكرًا ولا صابرًا:

(١١٧) عمرو: عمر، م، ي.

من نظر إلى مَنْ هو فوقه في دينه فاقتدى به، ونظر إلى من هو دونه في دنياه فحمد الله على ما فضله به عليه، كتب شاكرًا صابرًا. ومن نظر إلى من هو دونه في دينه اقتدى به، ونظر إلى من هو في دنياه فوقه فأسف على نفسه على ما فضله عليه لم يكتب شاكرًا ولا صابرًا».

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «انظروا إلى من هو دونكم، فإنه أجدر ألاّ تزدروا نعم الله».

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «انظروا إلى من هو دونكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فإنه أجدر ألاّ تزدروا نعمة الله».

أبو ذر قال: «أوصاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أنظر إلى من هو دوني، ولا أنظر إلى من هو فوقي».

شعر:

مـن شـاء عيشًـا رخيًـا يستفيد بـه	فـي دينـه ثـم فـي دنيـاه إقبـالا
فليتظـرن إلـى مَـنْ فوقـه أدبـا[118]	ولينظـرن إلـى مَـنْ دونـه[119] مـالا

وفي الرقاق عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر: «أوصيك بوصية إن أنت لزمتها قرت عينك: انظر إلى من هو تحتك ولا تنظر إلى من هو فوقك، فإنك إذا فعلت ذلك خشع قلبك، فإن لم تفعل شمخ قلبك وشمخ معه السمع والبصر».

عطاء بن السائب، عن أبي إسحاق البحتري، عن سلمان قال: كيف أنتم وثلاث يكن فيكم: دنيا تقطع أعناقكم، وزلة عالم، ومجادلة منافق بالقرآن، أما مجادلة منافق: فالقرآن لكم منار كمنار الطريق، فما عرفتم فخذوه، وما لم تعرفوه منه فكلوه إلى الله. وأما زلة عالم: فإن هو اهتدى فلا تقلدوه[120] دينكم تقولون[121]: نصنع كما يصنع فلان، وننتهي كما ينتهي [عنه] فلان، وإن أخطأ فلا تقطعوا إياسكم منه[122] فتعينوا عليه الشيطان. وأما دنياكم تقطع أعناقكم: فإذا كان ذلك فلينظر الرجل إلى من هو أسفل منه ولا ينظر إلى من هو فوقه.

(١١٨) ادبا: أدنا، م، ي.م، ي.

(١١٩) من دونه: من هو دونه، م، ي..

(١٢٠) تقلدوه: تتبعوه، م، ي، الموافقات للشاطبي ٤/ ١٦٩.

(١٢١) تقولون: تقولوا، م، ي. الموافقات للشاطبي ٤/ ١٦٩.

(١٢٢) إياسكم منه: آياتكم عنه، م، ي. الموافقات للشاطبي ٤/ ١٦٩.

وعن معاذ قال: كيف أنتم عند ثلاث: دنيا تقطع رقابكم، وزلة عالم، وجدال منافق بالقرآن. فأما زلة عالم: فإن هو اهتدى فلا تقلدوه[١٢٣] دينكم، فإن افتتن فلا تقطعوا منه إياسكم[١٢٤]. فإن المؤمن يفتتن ثم يتوب، وأما جدال منافق: فالقرآن لكم منار كمنار الطريق، وأما دنيا تقطع رقابكم: فلينظر الرجل إلى من هو أسفل منه ولا ينظر إلى من هو فوقه.

فصل فيمن باع دينه بدنياه

قال الله تعالى: ﴿[يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً][١٢٥] أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ..﴾الآية [آل عمران:٧٧].

وروى أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «سيكون بين يدي الساعة فتن يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا، [ويمسي مؤمنًا] ويصبح كافرًا، يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا»[١٢٦].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم في وصية: «يا علي ألا أنبئك بشر الناس؟ هو من باع دينه بدنياه، ألا أنبئك بشر من ذلك؟ من باع دينه بدنيا غيره».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء، وألزم الله قلبه أربع خصال: همًا لا ينقطع منه أبدًا، وشغلًا لا يتفرغ[١٢٧] منه أبدًا، وفقرًا لا يبلغ غناه أبدًا، وأملًا لا يبلغ منتهاه أبدًا».

عيسى عليه السلام: ارضوا بالدون من الدنيا مع الدين، كما رضي أهل الدنيا بالدون من الدين مع الدنيا.

سميط بن عجلان: رأس مال المرء دينه، حيثما زال زال معه، لا يخلفه في الرحال، ولا يأمن عليه الرجال.

---

(١٢٣) تقلدوه: تقلدوا، م، ي، إعلام الموقعين ١/ ٤٢١.

(١٢٤) إياسكم: آالكم، م، ي، إعلام الموقعين ١/ ٤٢١.

(١٢٥) يشترون بعهد الله وايمنهم ثمنا قليلا: اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا. م،ي.

(١٢٦) مسند أحمد ٢٥/ ٣١.

(١٢٧) يتفرغ: تتفرغ، م، ي. الزاهر في بيان ما يجتنب من الخبائث ص٦٩.

سليمان بن عبد الملك قال: يا بني عليكم بالدين، فلم أر الدين بنى شيئًا فهدمته الدنيا، ورأيت الدنيا بنيت بنيانًا فهدمه الدين، ما زلت أسمع أصحابنا يسبون عليًا ويدفنون فضائله فلا يزيده ذلك من القلوب إلا قربًا، ويجتهدون في تقريب أنفسهم إلى الخلق فلا يزيدهم ذلك إلا بُعْدًا.

فصل في الزهد

روى الإمام أبو الحسين أحمد بن الحسين الهاروني الحسني عليه السلام بإسناده إلى الصادق، عن آبائه، عن علي عليه السلام قال: سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم قلت: يا نبي الله أخبرني عن الزهد ما هو؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «مثِّل الآخرة في قلبك، والموت نُصْب عينك، وكن من الله على وجل، وأدِّ فرائض الله، واكفف عن محارمه، ونابذ هواك، واعتزل الشك والشبهة والطمع والحرص، واستعمل التواضع والعفة وحسن الخُلق ولين الكلام، واقنع بقبول الحق من حيث ورد عليك، واجتنب الكِبْر والبخل والفخر والرياء ومشية الخيلاء، ولا تستصغرن نعم الله وإن قلَّتْ، وجاورها بالشكر، واذكر الله في كل وقتٍ، واحمده على كل حال، واعف عمن ظلمك، وصِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وأعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وليكن صَمْتُكَ فِكْرًا، وكلامُكَ ذِكْرًا، ونَظَرُكَ اعتبارًا، وتحبَّب ما استطعت، وعاشر الناس بحسن الخلق، واصبر على النازلة، واستهن بالمصيبة، وأعمل الفكرة في المعاد، واجعل سوقك إلى الجنة، واستعذ بالتقوى من النار، وأمر بالمعروف، وانْهَ عن المنكر، ولا يأخذك في الله لومة لائم، وخذ من الحلال ما شئت إذا أمكنك، وجانب الجَمْع والمنع، واعتصم بالإخلاص والتوكل، ودع الظن، وابْنِ على أساس التقوى، وكن [مع] الحق حيثما كان، وميِّز ما اشتبه عليك بعقلك، فإنه حُجَّة الله عليك ووديعته فيك وبرهانه عندك، و ذلك إعلام الزهد ومنهاجه، والعاقبة للمتقين»[(١٢٨)].

وروى أيضًا بإسناده عن الربيع بن خثيم عن ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من لم يكن في الدنيا زاهدًا كأنه مُجْتَازٌ وفي الآخرة راغبًا كأنه راحل، وللموت خائفًا متوقعًا، لم يبلغ من الزهد غايته، ولم تَصْدُقْ نيته».

(١٢٨) مسند الفردوس بمأثور الخطاب ٥/ ٣١٨.

وروى أيضًا بإسناده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «اذكر الموت وكن من الدنيا على حذر، فمن كان يأمل أن يعيش أبدًا يقسو قلبه، ويرغب في الدنيا، ويزهد فيما أدى ربه تعالى».

وروى الشيخ أبو سعد السمان رحمه الله بإسناده عن الحسين بن علي عليهما السلام قال: قام أبو ذر الغفاري وأنا أنظر إليه خطيبًا فقال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا جندب بن السكن، معاشر الناس إن أحدكم ليريد سفرًا فيهيئ لسفره ما يصلحه، فما تعدون لسفر يوم القيامة مما يصلحكم؟ فقالوا له: وما ذاك يرحمك الله يا صاحب رسول الله، قال: تصلي ركعتين في ظلمة الليل تقيك ظلمة القبر، وتصوم يومًا شديدًا حره يقيك حر يوم النشور، وتصدق على مسكين بدرهم لعلك تنجو من يوم عسير، وتجعل كلامك كلمتين: كلمة خير قلتها، أو كلمة شر كففت عنها، والثالثة تضر ولا تنفع، وتجعل مالك درهمين: درهما أنفقته لعيالك، ودرهما أنفقته في سبيل الله ربك، والثالث يضر[١٢٩] ولا ينفع[١٣٠]، وتجعل مجلسك مجلسين: مجلسا[١٣١] في المسجد في طلب الآخرة، ومجلسا[١٣٢] في السوق في طلب الحلال، والثالث يضر ولا ينفع، ثم قال: قتلني حزن يوم لا أدركه، فقام إليه رجل فقال: وما ذاك[١٣٣] رحمك الله؟ قال: أطيل الأمل فأسيء العمل، ويحول الأجل دون الأمل، قال الحسين: ثم نزل.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ليس الزهادة في الدنيا تحريم الحلال وإضاعة المال، ولكن ألاّ تكون[١٣٤] بشيء مما في يدك أوثق[١٣٥] مما في يد الله، وأن تكون في ثواب المصيبة أرغب منك فيها لو أنها بقيت لك».

الضحاك قال: قيل: يا رسول الله، من أزهد الناس في الدنيا؟ فقال: «من لم ينس المقابر والبلى، وترك فضل زينة الدنيا، وآثر ما يبقى [على][١٣٦] ما يفنى، ولم يعد غدًا من أيامه غدًا، وعد نفسه في الموتى».

---

(١٢٩) يضر: تضر، م، ي، تنبيه الغافلين ص٢١٩.

(١٣٠) ينفع: تنفع، م، ي. تنبيه الغافلين ص٢١٩.

(١٣١) مجلسا: مجلس، م، ي. تنبيه الغافلين ص٢١٩.

(١٣٢) ومجلسا: ومجلس، م، ي. تنبيه الغافلين ص٢١٩.

(١٣٣) وما ذاك: ماذا، م، ي. تنبيه الغافلين ص٢١٩.

(١٣٤) تكون: يكون، م، ي. لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح ٨/ ٥١٤.

(١٣٥) أوثق: بأوثق، م، ي. لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح ٨/ ٥١٤.

(١٣٦) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ١٥٧.

وروى البراء بن عازب أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن لله خواص يسكنهم الرفيع من الجنان، لأنهم كانوا أعقل الناس، كانت هِمَّتُهُم في المسابقة إلى ربهم، والمسارعة إلى ما يرضيه، زهدوا في الدنيا وفي فضولها ورياضها ونعيمها، وهانت عليهم، فصبروا عليها قليلًا، واستراحوا طويلًا».

ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أغبط الناس عندي مؤمن خفيف الحاذ[١٣٧]، ذو حظ من صلاة، ويكون غامضًا في الناس، لا يشار إليه بالأصابع، أطاع ربه، وأحسن عبادته في السر، وكان عيشه كفافًا، عُجّلت منيته، وقَلَّتْ بواكيه، وقل تراثه».

سعيد بن طارق عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «نعمت الدار الدنيا لمن تزود منها لآخرته حتى يرضي ربه، وبئست الدار الدنيا لمن صرفته عن آخرته وقصرت به عن رضى ربه، وإذا قال العبد: قبح الله الدنيا، قالت الدنيا: قبح الله أعصانا للرب».

سفيان الثوري: ليس الزهد أكل الغليظ ولبس الخشن، ولكن الزهد في الدنيا: قِصَرُ الأمل.

وفي الرقاق: «سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم جبريل عن الزهد فقال: إن الزهد أن تحب ما يحب خالقك، وتبغض ما يبغض خالقك، وتتحرج من حلال الدنيا كما تتحرج من حرامها»[١٣٨].

ضمرة بن حبيب: الزهد ألاّ تفرح بما أوتيت، ولا تحزن على ما فاتك.

علي بن أبي طالب عليه السلام: لا يخلص أحد إلى الآخرة إلا بأربعة: بالزهد، وقلة الشيء، والتواضع، والصمت.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تخالفوا أهل الزهد، فإن لباسهم لباس الأنبياء، وأخلاقهم أخلاق الأنبياء، وهم من الله والله منهم، والله بريء ممن يبغضهم».

يحيى بن معاذ: لا تجعل الزهد حرفتك لتكتسب به الدنيا، ولكن اجعله عبادتك لتنال به الآخرة.

أنس بن مالك قال: جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: علمني يا رسول الله صلى الله عليك شيئًا، فقال لها: «دعي الدنيا وما فيها، واعملي في الدنيا للآخرة، وازهدي في الدنيا لعلك تنالين شرف الآخرة».

---

(١٣٧) الحاذ: الحال، م، ي، والمقصود قليل اللحم من قلة المؤونة.

(١٣٨) سراج الطالبين على منهاج العابدين ١/ ١٨٥.

أبو حازم: إن بضاعة الآخرة كاسدة، فاستكثروا منها أوان كسادها، فلو جاء يوم نفاقها لم يصل منها إلى قليل ولا كثير.

الأعمش: الزهد في الدنيا ألآ تبالي ما أقبل منها وما أدبر.

فصل في معرفة الشيطان ومكره

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن المؤمن[١٣٩] لَيُنْضِي[١٤٠] الشيطان، كما يُنْضِي أحدُكم بعيره في سفره».

وهب بن منبه: اتق الله ولا تسب إبليس علانية وأنت صديقه في السر.

أبو حازم: ما الدنيا وما إبليس؟ أما الدنيا فما مضى فحلم نائم وما بقي فأمانيٌّ وغرور، وأما إبليس فوالله لقد أطيع فما نَفَعَ، وعُصِيَ فما ضَرَّ.

حاتم الأصم: من لم ينذر نفسه لمحاربة الشيطان كرجل في جوف بيت مظلم ومعه كلب عقور يعقر كل ساعة، فإن الشيطان قد أسره.

أبو حنيفة: يقول الشيطان: كيف يفلت مني ابن آدم؟ إذا غضب طرت في رأسه، إذا سكن قعدت على قلبه.

عبد العزيز بن أبي داود قال: جاورت هذا البيت ستين سنة، وحججت ستين حجة، فما دخلت في شيء من أعمال البر ثم خرجت منها فحاسبت[١٤١] نفسي إلا وجدت نصيب الشيطان أوفر من نصيب الله، ليته لا لي ولا علي.

فصل في آفة الدينار والدرهم

أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «تعس عبد الدنيا، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الحلة، تعس عبد الخميصة[١٤٢]، تعس فانتكس، طوبى لعبد اغبر جلده ودنس ثيابه

(١٣٩) ان المؤمن: -، ي.

(١٤٠) يُنْضِي الرجلُ بعيرَه: أي: يهزله ويجعله نحيفًا. اللسان (نضا).

(١٤١) فحاسبت: فحاشيت، م، ي. إتحاف السادة المتقين ١٣/ ١٢١.

(١٤٢) الخَمِيصَةُ: كساء أسود مربع. الصحاح (خمص). صحيح البخاري ٤/ ٣٤.

يكون بالنهار في الساقة، والليل في الحرس، إن حَقًّا على الله أن يزوجه من الحور العين».

وقال صلى الله عليه: «أخلاء ابن آدم ثلاثة: واحد يتبعه إلى قبض روحه، والثاني يتبعه إلى قبره، والثالث يتبعه إلى محشره، فالذي يتبعه إلى قبض روحه فماله، والذي يتبعه إلى قبره فأهله، والذي يتبعه إلى محشره فعمله».

قال صلى الله عليه وقد سئل عن الدينار والدرهم فقال: «أما الدرهم فدار هَمٍّ، وأما الدينار فدار النار».

وقال صلى الله عليه: «ما الفقرَ أخاف عليكم، ولكن أخاف عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها[١٤٣] كما تنافسوها، وتهلككم[١٤٤] كما أهلكتهم».

وقيل: لما ضرب الدينار والدرهم أخذهما إبليس فقبَّلهما وقال: مَنْ أحبكما فهو عبدي حقًا. وكان الثوري يتمثل بهذا البيت:

إنّــي وجــدتُ فــلا تظنُّــوا غيــره ... هــذا التــورع ضــدّ[١٤٥] هــذا الدرهم
فــإذا[١٤٦] قــدرْتَ عليــه ثــم تركْتَــه ... فاعلــم بــأن تُقَــاكَ تَقْــوى مُسْــلِمِ

وقال صلى الله عليه: «يؤتى برجل جمع مالًا من حرام وأنفقه في حرام فيؤمر به إلى النار، ثم يؤتى برجل جمع مالًا من حلال وأنفقه في حرام فيؤمر به إلى النار، ثم يؤتى برجل جمع مالًا من حلال وأنفقه في حلال فهذا يحاسب».

محمد بن الحسن: تعس[١٤٧] عبد الدينار والدرهم.

وقيل لأبي ذر: ما بال الناس يفرون منك؟ قال: لأني أنهاهم عن الكنوز.

وعن رسول الله صلى الله عليه قال: «أيها الساهر ليله، الصائم نهاره، الذائب جلده، لا تفرحن بما أنت فيه، فإن الله لا يقبل عملًا بغير تقوى، والتقوى أن تجتنب محارم الله، ورأس المحارم حب الدنيا، وحب الدنيا هو حب الذهب والفضة والمال».

---

(١٤٣) تنافسوها: تنافستموها، م، ي. صحيح البخاري ٤/ ٩٦.

(١٤٤) تهلككم: تهلكك، م، ي. صحيح البخاري ٤/ ٩٦.

(١٤٥) ضدّ: عند، م، ي.

(١٤٦) فإذا: وإذا، م، ي.

(١٤٧) تعس: المسلم، م، ي. معجم الطبراني الأوسط ٣/ ١٢٧.

وعن عمر قال لأويس: ألا آتيك بنفقة؟ قال: بقي أربعة دراهم، ولي حساب على القوم من أجري، وهذا كثير لمن يموت، وأبى أن يأخذ شيئًا.

الحسن: لكل أمة صنم، وصنم هذه الأمة الدينار والدرهم يعبدونهما من دون الله.

ودخل حماد بن أبي حنيفة ومعه أربعة آلاف درهم على أبي يوسف و داود الطائي(١٤٨) فقال حماد: يا داود لقد علمت طيب كسب أبي حنيفة، وهذه من ميراثه، فاستعن بها، فقال: لا حاجة لي فيها، عندي ما يكفيني حتى أموت، فصبها بين يديه، فقال: يا أبا يوسف لو كان هذا البيت ملآن دراهم كانت أهون علي من التراب، وأبى أن يقبل.

ونظر خالد بن صفوان إلى قوم قد غنوا بعد فقر وعلا كلامهم بعد خمول، فقال:

وأنطقت الدراهمُ بَعْدَ عيٍّ أناسًا طال ما كانوا سكوتا
فما عادوا على جارٍ بخيرٍ ولا رفعوا لمكرمة بيوتًا
كذاك المال يرفع كل غثٍّ ويترك كل ذي حسبٍ صموتا

فصل في اتخاذ البناء

قال الله تعالى: ﴿وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ [الروم:٩]، ﴿وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ﴾ [الحج:٤٥]، ﴿أَتُتۡرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ * فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ﴾ [الشعراء:١٤٦، ١٤٧] إلى قوله: ﴿وَمَقَامٖ كَرِيمٖ﴾ [الدخان:٢٦]، وقوله: ﴿أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ..﴾ [الشعراء: ١٢٨-١٢٩] الآيات ونظائرها ﴿كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ﴾ الآية [الدخان:٢٥].

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا أراد الله بعبد شرًا أهلك ماله في الماء والطين».

وعن أبي الدرداء أنه بنى كنيفًا(١٤٩) بالشام فبلغ ذلك عمر بن الخطاب، فكتب إليه: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عويمر سلام عليك، أما بعد ثكلتك أمك أما كان لك فيما بنى فارس

(١٤٨) على أبي يوسف وداود الطائي: وأبو يوسف على داود الطائي، م، ي.
(١٤٩) ما أشرع من أعالي الدور. تاج العروس (كنف).

والروم كفاية أن تجدد [عمارة] الدنيا بعد رسول الله صلى الله عليه، عزمت عليك ألا تضع كتابي من يدك حتى تخرج من جميع أرض المقدس(١٥٠) إلى مصر. سيره عقوبة بما صنع(١٥١).

وهب قال: مما(١٥٢) أنزل الله تعالى: مَنْ استغنى بأموال الفقراء أفقرته، ومن تجبر على الضعفاء ذللته، ومن بنى بقوت الفقراء أعقبت بناه الخراب.

الثوري: ما أنفقت في بناء درهمًا قط.

الثوري: كان نوح اتخذ بيتا من جص فقيل له: لو بنيت بناء، فقال: هذا لمن يموت كثير.

وقال الفضيل: إني لأعجب ممن بنى دارًا وشيدها ثم تركها، إني لأعجب ممن نظر إليها فلم يعتبر بها.

أوحى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل أن عمر أمتك ثلاثمائة عام، فسألوا نبيهم أن يسأل لهم الزيادة، فلم يزد، فبرز القوم من الدور والقصور وضربوا الأخبية واتخذوا المحاريب، وأقبلوا على التبتل والعبادة، فما تناسلوا ولا توالدوا حتى هلكوا(١٥٣) كلهم.

قال: وبنى رجل بالكوفة(١٥٤) قصرًا أنفق عليه ألف دينار، ثم فرشه بفرش أنفق فيها ألف دينار، وزوج ابنه امرأة بألف دينار، فلما كان ليلة البناء ركب الشاب ومضى مع أناس من كبار أهل البلد، فإذا هاتف ببعض الطريق:

يا من بنى دارًا ليسكن داره ... سكن القبور وداره لم يسكن

فأغمي عليه، فرش عليه بالماء حتى أفاق، وركب فلما غير يسير إذ بهاتف يقول:

يا باني الدار جهلًا ليس تسكنها ... ارجع فإن إله الخلق يدعوكا

فخر ميتًا.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: مر علينا رسول الله صلى الله عليه ونحن نعالج

(١٥٠) المقدس: المقدسة، م، ي.
(١٥١) كنز العمال، ١٥/ ٤٩١.
(١٥٢) مما: ما، م، ي.
(١٥٣) هلكوا: هلك، م، ي.
(١٥٤)

خُصًّا[١٥٥] لنا وَهَى، فقال: «ما هذا»؟ فقلنا: خُصٌّ[١٥٦] لنا وَهَى نُصْلِحُه، فقال: «ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك».

عمر بن عبد العزيز قال: بنى ملك قصرًا واتخذ طعامًا ودعا الناس إليه، فدخلوا ينظرون، فقيل لهم: هل به عيب؟ قالوا: لا، وما زالوا يمدحون حتى دخل عابدان، فقيل لهما: هل به عيبٌ؟ قالا: نعم أعيب العيوب، يخرب ويموت أهله، فرقّ لقولهما وقال: ما تأمران؟ قالا: أن تبني في آخرتك التي لا تبيد ولا تنفد[١٥٧]، فترك ملكه وخرج معهما وتعبد حتى لحق بربه.

ابن مسعود: يأتي بعدكم أقوام يرفعون الطين ويضعون الدين، ويسمنون البراذين، ويصلون في قبلتكم، ويموتون على غير ملتكم.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من بنى فوق ما يكفيه جاء يوم القيامة حامله على عنقه»، وقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ﴾ إلى قوله: ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء:٥٧-٥٩].

شعر:

فإن كنتَ لا تدري متى أنت ميتٌ وقبرك لا يُدرى بأي مكان
فحسْبك قولُ الناس فيما ملكته[١٥٨]: لقد كان هذا مرة لفلان

قوله تعالى: ﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ [إبراهيم:٤٥]، قيل: قصورهم، وقيل: قبورهم، وقيل: تبني القصر ومنزلك القبر، وتبني الدار ومصيرك إلى النار.

أمير المؤمنين: رفعتم الطين ووضعتم الدين، وغرستم البساتين، وأسمنتم البراذين، وتشبهتم بالدهاقين، وصرتم ملاعين.

أحمد بن حرب: من نظر إلى بستان أو بنيان بشهوة من غير عبرة[١٥٩] سلبه الله حلاوة العبادة أربعين سنة.

---

(١٥٥) الخُصُّ: بيت من قَصَب. الصحاح (خصص).
(١٥٦) خُصٌّ: خُصًّا، م، ي.
(١٥٧) تنفد: تفقد، م، ي.
(١٥٨) ملكته: سمعته، م، ي. روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ص١٤٤.
(١٥٩) بشهوة من غير عبرة: لشهوة من عين غيره، م، ي. تنبيه المغترين أواخر القرن العاشر ص٢٠٨.

الثوري: من بنى بناء منقشًا فهو آثم، ومن أعانه عليه فهو معه[١٦٠]، ومن ابتلي بالبناء فهو مبتلى.

قتادة في قوله: ﴿لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ﴾ [الفرقان:٦٧]، وقال: لم ينفقوا في معصية الله ولم يمنعوا من حق الله.

أبو الدرداء: إذا منع الرجل حق ماله سلطه الله على الماء والطين.

الحسن قال: كنت أدخل بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأتناول سقفها بيدي.

وقال رستم بن يزيد: كنت عند الحسن فأتاه رجل فقال: يا أبا سعيد إني بنيت دارا فادخلها وادع لي بالبركة، فقام الحسن وقمنا معه، فقال: أخربت دارك وعمرت دار غيرك، غرك من في الأرض ومقتك من في السماء، بنيت[١٦١] شديدًا وأمّلت بعيدًا، وستموت[١٦٢] قريبًا.

وعن الحسن قال لأصحابه: أخبروني لو أن رجلًا أصبح وصار ماله ترابًا كنتم تقولون إنه محروم؟ قالوا: بلى، قال: أفرأيتم إذا انطلق الرجل فجعل ماله في التراب كيف لا تقولون إنه محروم.

ونظر يحيى بن معاذ إلى بستان حسن ودار حصينة، فقال: هذا أحسن ما يفنى فكيف حُسْن ما يبقى.

شعر:

يـا بانـي الـدار لقـد أوطنتهـا[١٦٣] ولتبرحَـنَّ وإن كرهـتَ بَرَاحَهـا
مـا زلتَ تُنقَـل مـذ خُلِقتَ إلـى البلا فانظـر لنفسـك إن أردت صلاحهـا

أبو العتاهية:

لِـدُوا[١٦٤] للمـوت وابنـوا للخـراب فكُلُّكُـم يصيـر إلـى ذهـاب
لِمَـنْ نبنـي ونحـن إلـى تـراب نعـود كمـا خُلِقنـا مـن[١٦٥] تـراب

(١٦٠) معه: معصية، م، ي.
(١٦١) بنيت: وقد، م، ي. تنبيه المغترّين أواخر القرن العاشر ص٢٠٨.
(١٦٢) ستموت: الموت، م، ي. تنبيه المغترّين أواخر القرن العاشر ص٢٠٨.
(١٦٣) لقد أوطنتها: التي أوطيتها، م، ي. بصائر ذوي التمييز ٢/ ٢٣٦.
(١٦٤) فعل أمر للجماعة ماضيه (وَلَدَ) من الولادة.
(١٦٥) من: إلى، م، ي.

ألا يا موتُ لم أرَ منك بُدًّا أتيتَ فما تَحِيفُ ولا تُحابي
كأنك قد هجَمتَ على مَشِيبي كما هَجَمَ المشيبُ على الشبابِ

آخر:

جَمَعُوا فما أكَلوا الذي جمعوا وبنوا مساكنهم وما سكنوا
فكأنهم كانوا بها ظعنًا لما استراحوا ساعة ظعنوا

ومر أمير المؤمنين عليه السلام بالمدائن وقت خروجه إلى صفين، فإذا أعرابي ينشد:

سفت الرياح على محل ديارهم فكأنهم كانوا على ميعاد

فقال: هلا قرأت: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ الآية [الدخان:٢٥]، والبيت للأسود بن يعفر من أبيات، شعر(١٦٦):

ماذا أُؤَمِّل بعد آل مُحَرِّقٍ تركوا منازلهم وبَعْدَ إياد
أهل الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ وبارقٍ والقصر ذي الشرفات من سِنْداد
نزلوا بِأنْقَرَةٍ يسيل عليهم ماءُ الفرات يجيء مِنْ أطْواد
أرضٌ تخيَّرها لطيب مَقِيلها كعبُ بنُ مامةَ وابنُ أمّ دُؤَادِ
جرت الرياح على محلِّ ديارهِمْ فكأنهم كانوا على ميعاد

فصل في الإزراء بالنفس وإهانتها

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف:٥٣].

وروى أبو الحسين بإسناده عن قتادة عن مطرف عن أبيه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: أنت سيد قريش، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «السيد الله»، قال: أنت أفضلها قولًا وأعظمها طولًا، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ليقل أحدكم بقوله ولا يَسْتَجِرَنَّهُ(١٦٧) الشيطان».

(١٦٦) أنظر ديوان الأسود بن يعفر، جمعه نوري حمودي القيسي، مع أختلاف في رواية الأبيات نحو: حلوا بانقرة يفيض عليهم؟ وسفت الرياح.

(١٦٧) يَسْتَجِرَنَّهُ: يسخرنه، م، ي. مسند أحمد ٢٦/ ٢٤٢.

وعن أنس قال: قال رجل: يا محمد أنت خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أيها الناس قولوا بقولكم[١٦٨] ولا يَسْتَهْوِينكم[١٦٩] الشيطان، أنا عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله».

أبو مالك الأشعري، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ليس عدوك[١٧٠] الذي إذا لقيته آجرك الله في قَتْله، ولكن أَعْدى عدوك نَفْسُك التي بين جَنْبيك، وامرأتك التي تضاحكك على فراشك، وولدك الذي من صلبك، فهؤلاء أَعْدى عدوك».

عن الحرث بن سويد قال: أكثروا على عبد الله بن عمر[١٧١] ذات يوم، فقال: لو تعلمون مني ما أعلم لحَثَيْتُمْ على رأسي التراب، والذي لا إله غيره لوددْتُ أني علمت أن الله غفر لي ذنبًا واحدًا وإن سميت عبد[١٧٢] الله بن رَوْثَة.

حبيب العجمي قال: والله لو دعاني يوم القيامة فقال: يا حبيب، قلت: لبيك، قال: جئتني بصلاة يوم أو ركعة أو تسبيحة أيقنت عليها من إبليس ألاَّ يكون طعن فيها طعنة فأفسدها؟ ما استطعت أن أقول: نعم يا رب.

سليمان بن عيسى بن عبد العزيز بن أبي داود قال: جاورت هذا البيت ستين سنة وحججت ستين حجة فما دخلت في شيء من أعمال البر ثم خرجت منه فحاسبت نفسي إلا وجدت الشيطان أوفر من نصيب الرحمن، ليته لا لي ولا علي.

قبيصة قال: قال رجل لابن المبارك: كيف أصبحت يا أبا عبد الرحمن؟ قال لي: يا أخي إنك تسأل الهارب عن[١٧٣] باب الله عن عافية الصباح، إنما العافية لسفيان الثوري وأصحابه.

بكر بن ماعز قال: صلى بنا الربيع خثيم فلما سلم أقبل علينا بوجهه، فقال: لتصلنّ وحدانًا أو لتتخذن إمامًا غيري، ما انصرفت حتى رأيت أني خيركم.

صالح المري قال: وقف بكر بن عبد الله ومطرف بالموقف، قال مطرف: اللهم لا تردهم من أجلي، وقال بكر: ما أشرفه من موضع وأرجاه لولا أني فيهم.

---

(١٦٨) بقولكم: كقولكم، م، ي. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٨/ ١٤٧٨.

(١٦٩) يَسْتَهْوِينكم: يستحرينكم، م، ي. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٨/ ١٤٧٨.

(١٧٠) عدوك: عدوكم، م، ي. المعجم الكبير للطبراني ٣/ ٢٩٤.

(١٧١) في المستدرك للحاكم ٣/ ٣٥٧، والجامع لابن وهب ص٦٩: (عبدالله بن مسعود) بدل (عبدالله بن عمر).

(١٧٢) عبد: عندم، ي. المستدرك للحاكم ٣/ ٣٥٧، والجامع لابن وهب ص٦٩.

(١٧٣) إنك تسأل الهارب عن: إنه رى أن يسال الهراب من، م، ي. ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ١/ ٤٦٠.

هدبة[١٧٤] بن خالد قال: قال حزم: شهدت جنازة محمد بن واسع فما رأيت زحامًا أكثر منه، لا للحسن ولا لغيره، ثم قال: هذا قول محمد بن واسع بعرفات: اللهم إن كنت حبست المغفرة عنهم لمكاني فشفِّعهم[١٧٥] في واغفر[١٧٦] لنا.

الحسن: ألا أخبركم بأشركم، أشركم من[١٧٧] يرى أنه خيركم.

الحسن قال: خرج ذو القرنين في سياحته فمر بقوم فقال: مَنْ أعبدكم؟ قالوا: رجل في هذا الوادي لا يكاد يخالطنا، قال: فأتوه فأقروه السلام، وقولوا له فليأتني، فأتوه، وقالوا: ذو القرنين قد عرفت منزلته من الله وهو يقول لك أن تأتيه، فقال: ما لي إليه حاجة، فأتوه فأخبروه، فخرج ذو القرنين إليه، فإذا هو يقول في دعائه: طوبى للأرواح كلها ينطلق بها إلى الجنة غير روحي، أنا الخاطئ ينطلق بروحي إلى توابيت من نار إن لم ترحمني، يا ليتني كنت طائرًا أرعى في القفار وتلحق روحي في الأرواح وجسدي في التراب ولا أقف على الله للحساب، فقال له ذو القرنين: هلم فلنصطحب ولنتعاون على هذا الأمر، فقال: ما أجد ذلك في الحكم، قال: لم؟ قال: لأنك رجل ليس لك في الدنيا صديق وأنا رجل ليس لي في الدنيا عدو، قال: فسِّر لي ما قلت؟ قال: أنت رجل قد ملكت أهل الدنيا فهم ينتظرون متى تطفأ فيرثون ما في يديك، وأنا رجل ليس لي في الدنيا شيء فيتمنى أحد موتي، قال ذو القرنين: نطقت بحكم فانصرف وخلى عنه.

وكتب محمد بن السماك إلى أخ له: أما بعد فإني أتيت إليك وأنا مسرور مستور، فأنا بهما مغرور، ذنبٌ[١٧٨] ستره علي وقد[١٧٩] طابت النفس به كأنه مغفور، ونِعَمٌ أبلاها فأنا بها[١٨٠] مسرور كأني فيها[١٨١] على تأدية الحقوق، فليت شعري[١٨٢] ما عواقب هذه الأمور؟.

---

(١٧٤) هدبة: هدية، م، ي.
(١٧٥) فشفِّعهم: فشفهم، م، ي.
(١٧٦) واغفر: فاغفر، م، ي.
(١٧٧) من: أنه، م، ي.
(١٧٨) ذنبٌ: فذنب، م، ي. شعب الإيمان للبيهقي ٤/ ١٢٣.
(١٧٩) وقد: فقد، م، ي. شعب الإيمان للبيهقي ٤/ ١٢٣.
(١٨٠) فأنا بها: أيامها، م، ي. شعب الإيمان للبيهقي ٤/ ١٢٣.
(١٨١) فيها: فيهما، م، ي. شعب الإيمان للبيهقي ٤/ ١٢٣.
(١٨٢) شعري: شعر، م، ي. شعب الإيمان للبيهقي ٤/ ١٢٣.

صالح المري: وقفت امرأة العزيز ليوسف فلما رأته ومعه الناس نادت: الحمد لله يا يوسف الذي جعل الملوك عبيدًا بمعصيته وجعل العبيد ملوكًا بطاعته، قال: فلما رآها رق لها.

وهب: كان فيمن قبلكم عابد عبد الله سبعين سنة صائمًا يفطر من سبت إلى سبت، فطلب إلى الله حاجة فلم يعطها، فأقبل على نفسه وقال: مِنْ قِبَلِك أُتيت، لو كان عندك خير قُضيتْ حاجتُك، فأنزل الله ملكًا من ساعته فقال: إن ساعتك هذه التي أزريت بنفسك فيها خير من عبادتك التي مضت.

يزيد بن هارون: تفكرت في قيام الليل فإذا الحارس يحرس الليلة بدانقين(١٨٣)، أفيطلب أحدهم الجنة بدانقين ويَمُنُّ(١٨٤) على الله بسهر(١٨٥) ليلة وهي تساوي(١٨٦) دانقين.

شعر:

من أنا عند الله حتى إذا أذنبت لم يعف عن الذنب
العفو يرجى من أقل الورى فكيف لا يرجى من الرب

شعر:

أنا العبد المقر بكل ذنب وأنت السيد الملك الغفورُ
فإن عذبتني فالذنب مني وإن تغفر(١٨٧) فأنت به جديرُ

فصل في العجب والإدلال

قال الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤].

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوًى متبع، وإعجاب المرء بنفسه».

عيسى عليه السلام: كم من سراج قد أطفأته الريح، وكم من عابد قد أفسده العجب.

---

(١٨٣) الدَّانق: سدس الدرهم. الصحاح (دنق).
(١٨٤) يَمُنُّ: تمنى، م، ي.
(١٨٥) بسهر: يسهر، م، ي.
(١٨٦) هي تساوي: هو يساوي، م، ي.
(١٨٧) تغفر: تعفو، م، ي.

مطرف بن عبد الله: لأن أبيت نائمًا فأصبح نادمًا أحبُّ إلي من أن أبيت قائمًا وأصبح معجبًا.

أبو الدرداء قال: يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم، كيف لايعيبون[١٨٨] سهر المغترين وصيامهم.

إبراهيم النخعي: تكلمت ولو وجدتُ بدًّا ما تكلمت[١٨٩]، إن زمانًا أكون فيه فقيه الكوفة لزمان[١٩٠] سوء.

عيسى: إن لم تخش أن يعذبك الله على أفضل عملك فأنت هالك.

أويس القرني: كن في أمر الله كأنك قتلت جميع الناس.

قيل لرابعة: بم ترجين أكثر ما ترجين؟ قالت: بإياسي من كل عمل.

ابن السماك: العجب أن ترى لنفسك الفضل على الناس، وتستطيل بعملك عليهم، وتحتقر مَنْ دونك في العمل، انظر: رضى مَنْ تطلب؟ وفي أي ثواب ترغب؟ ومن أي عقاب ترهب[١٩١]؟ وأي نعيم تشكر؟ فإنك إن فكّرتَ في ذلك صغر عملك عندك، ولن يستكثر ذلك إلا جاهل بعظمة الله، جاهل بعظيم ثوابه وأليم عقابه وكثير نعمائه وبما يدفع الله عنه من بلائه، وإن الملائكة لو استكثرت أعمالها لتباعدت مِن خالقها، بَلَغَني أنهم يقولون يوم القيامة: سبحانك ما عبدناك حَقَّ عبادتك، وهم عن الطاعة طرفةَ عينٍ لا يفترون، والمعصية طرفة عين لا يركبون، فقد بينت لك دواه، وكيف يعجز المرء بنفسه وما سلف منه لو أخذ به هلك، وإن استطعت ألاّ تكون محدثًا ولا قارئًا فهو أسلم؛ لأنهم إن مدحوك أهلكك العجب، وإن ذموك وشَقَّ عليك أهلكك الرياء.

شعر:

إذا المرء لم يرض ما أمكنه ... ولم يأتِ مِنْ أمْرِهِ أزينَهْ
ومال به العجبُ فاقتاده ... وتاه به التِّيهُ فاستحسنَهْ
فدعْهُ فقد ساء تدبيرُه ... سيضْحَكُ يومًا ويبكي سنَهْ

(١٨٨) لايعيبون: يشرب على، م، ي. انظر: إتحاف السادة المتقين ٤/ ٤٢٠.
(١٨٩) تكلمت ولو وجدتُ بدًّا ما تكلمت: أحيتم إليّ أحيتم، م، ي. صفة الصفوة ٢/ ٤٩.
(١٩٠) لزمان: زمان، م، ي. صفة الصفوة ٢/ ٤٩.
(١٩١) ترهب: تهرب، م؛ تذهب، ي

فصل في القناعة

قال الله تعالى: ﴿ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ [الحج:٣٦]، وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف:٢٨].

جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «القناعة مُلْكٌ لا ينفد»، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «قد أفلح مَنْ أَسْلَمَ وُرزق كفافًا وقنَّعه الله[١٩٢] بما آتاه». وروى[١٩٣] عبد الله بن عمر قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يابن آدم، عندك ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك، لا بقليل تقنع، ولا من كثير تشبع، إذا أصبحت آمنًا في سِرْبِكَ، معافًى في بدَنِك، وعندك قوت يومك[١٩٤]، فعلى[١٩٥] الدنيا العفاء»، رواه ابن عمر.

وقال أبو هريرة: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أبا هريرة كن ورعًا تكن أعبد الناس، وكن قنعًا تكن أشكر الناس، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنًا، وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلمًا، وأقلَّ الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب».

وقوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل:٩٧] قيل: القناعة، عن أبي علي، وقال الحسن: ما تطلب الحياة إلا في الجنة.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «خيار أمتي القانع، وشرار أمتي الطامع».

وعن السري: القنوع الذي لا يطلب المفقود ما كنت تجد الموجود، ولا تنازعنك نفسك إلى غير ما في يدك، فإن كان لك رغيف لا تقُلْ: لو كان لي مِلْحٌ، فتهدأ النفس وتنقطع من القلب مشارب الشهوات ومنه ترتفع.

الحسن: مكتوب في التوراة خمسة أحرف: الغنى في القناعة، والسلامة في العزلة، والحريّة[١٩٦] في رفض الشهوات، والمحبة في ترك الرغبة، وإن التمتع في أيام طويلة في الصبر[١٩٧] في أيام قليلة.

---

(١٩٢) صحيح مسلم ٢/ ٣٧٠.

(١٩٣) وروى: رواه، م، ي.

(١٩٤) يومك: يوم، م، ي، معجم الطبراني الأوسط ٨/ ٣٦١.

(١٩٥) فعل، م، ي.

(١٩٦) ا؛، م، ي، تهذيب الأسرار في أصول التصوف ص ١٥٣.

الصبر: للصبر، م، ي. تهذيب الأسرار في أصول التصوف ص ١٥٣.

وقيل: أوحى الله إلى موسى: يا موسى إني وضعت خمسة في خمسة: الحكمة في الجوع وهم يطلبونها من الشبع، فمتى يجدون؟ ووضعت الغنى في القناعة، وهم يطلبونه في المال، فمتى يجدون؟ ووضعت العز في طاعتي، وهم يطلبونه في خدمة المخلوقين، فمتى يجدون؟ ووضعت رضاي في التقوى، وهم يطلبونه في ركوب الهوى، فمتى يجدون؟ ووضعت الراحة في الجنة، وهم يطلبونها في الدنيا، فمتى يجدون؟.

ومر رجل بعامر بن عبد قيس وهو يأكل ملحًا وبقلًا، فقال: يا أبا عبد الله أرضيت من الدنيا بهذا؟ قال: ألا أدلك على من رضي بأيسر من هذا؟ قال: بلى، قال: من رضي الدنيا عوضًا من الآخرة.

وسئل حكيم عن الغنى فقال: ثلاثة أشياء: قلب[198] عالم يستغني به لدينه، وبدن صابر في طاعة ربه يتزود ليوم فقره، والقناعة بما رزق مع الإياس من الناس.

ابن مسعود قال: ما من يوم إلا وملك ينادي من تحت العرش: يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك.

زيد بن ثابت: ثلاث من مناقب الأبرار: الاستعداد للموت، والرضى بالكفاف، والتفويض في حالات الدنيا.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من أحد غني ولا فقير إلا ود يوم القيامة أن لو كان أوتي من الدنيا قوتًا».

بكر بن عبد الله: من أراد أن يستغني عن الدنيا بالدنيا كان كمطفئ النار بالتبن.

وقيل: الظالم نادم وإن مدحه الناس، والمظلوم سالم وإن ذمه الناس، والقانع غني وإن جاع أو عري، والحريص فقير وإن ملك الكثير.

شعر:

إني أرى من له قنوعٌ — يَعْدِلُ مَنْ نال ما تَمنّى[199]

والرزق يأتي بلا عناء — وربما فات مَنْ تعنّى

(١٩٨) قلب: قلت، م، ي.

(١٩٩) ما تَمنّى: أو تعنى، م، ي. التبصرة في الوعظ لابن الجوزي ٢/ ١٦٤.

آخر:

غنى النفس لمن يعقـ ـل خير من غنى المال
وفضل الناس في الأنفـ ـس ليس[٢٠٠] الفضل في الحال[٢٠١]

آخر:

غنى النفس ما يكفيك من سد فاقة فإن زاد شيئًا عاد[٢٠٢] ذاك الغنى فقرا

آخر:

غني بلا دنيا عن الخلق كلهم وإن الغنى الأعلى عن الشيء لا به

وروى أبو يحيى بإسناده عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ليس الغنى عن كثرة العرض، إنما الغنى غنى النفس».

ابن عباس: من أحب أن يكون أغنى الناس، فليكن بما في يد الله أَوْثَقَ منه بما في يده.

أبو ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أترى أن كثرة العرض هو الغنى»؟ قلت: نعم، «وترى أن قلة الحال هو الفقر»؟ قلت: نعم، قال: «ليس كذلك، إنما الغنى غنى القلب، والفقر فقر القلب».

لابن أذينة:

إني لأَعَلَمُ والأقدارُ جاريةٌ أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى لأطلب رزقي وهو يطلبني وإن قعدتُ أتان لا يعنّيني
كم من فقير غنيّ النفس أعرفه ومن غنيٍّ فقير النفس مسكين

وروى أبو يحيى بإسناده، عن أنس، أن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه في قلبه، وجمع الله شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة».

الحسن عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا أراد الله بعبد خيرًا كف عليه ضَيْعَتَه[٢٠٣]، وجعل غناه في قلبه وبين عينيه».

(٢٠٠) من ليس: لبس، م، ي.
(٢٠١) فوائد الخرائد ص ٣٨٤.
(٢٠٢) وفي رواية عاد بدل زادك م، ي.
(٢٠٣) عليه ضَيْعَتَه: عنه ضغنه، م، ي. كذا في الزهد للإمام أحمد ص ٣٢١.

شعر:

خُلُقان لا أرضاهما لفتىً: تِيهُ الغِنَى(٢٠٤) ومَذَلَّة الفقر

فإذا غَنيتَ فلا تكن بطِرًا وإذا افتقرت فَتِهْ على الدهر

الزهري: إذا تغير الزمان وفسد الإخوان فخير أهل الزمان من جلس في البيوت واختار السكوت ورضي بالقوت.

ولبعضهم: الغنى: قلة تمنيك، والرضى بما يكفيك.

مالك بن دينار: صلاح القلب في شيئين: الحرص على العبادة، والقناعة بالقليل من الدنيا.

قتادة: خير العيش: ما لا يطغيك ولا يلهيك.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «استغنوا بغنى الله»، قالوا: وما هو؟ قال: «غداء يوم وعشاء ليلة».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «ملوك الجنة من أمتي القانع».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «إن أَغْبَطَ أوليائي عندي لمؤمنٌ خفيف الحاذ(٢٠٥)، ذو حظ من صلاة، أحسن عبادة ربه، وأطاعه في السر والعلانية، وكان غامضًا في الناس، لا يُشار إليه بالأصابع، وكان رزقه كفافًا، فصبر على ذلك، ثم نقر بيده، فقال: فعُجِّلَتْ(٢٠٦) منيته، وقَلَّتْ بواكيه، وقَلَّ تراثه» ذكر الأخبار في الرقاق.

فصل في أن العبادة أفضل من طلب المال الحلال

قال الله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما أمرت بجمع الدينار والدرهم، ولكن قيل: اعبد ربك حتى يأتيك اليقين» مختصرًا.

وروى عقبة بن عامر قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلينا ونحن في الصفة

(٢٠٤) الغِنَى: الفتى، م، ي.

(٢٠٥) الحاذ: الحال. لسان العرب (حوذ). الزهد لأحمد بن حنبل ص١٣.

(٢٠٦) فعُجِّلَتْ: عجلته، م، ي. الزهد لأحمد بن حنبل ص١٣.

فقال: «أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحاء مكة فيأتي بناقتين كَوْمَاوَيْنِ(٢٠٧) في غير إثم ولا قطيعة رحم»، قلنا: كُلُّنا يا رسول الله يحب ذلك، قال: «فَلَأَنْ يغدُوَ أحدكم إلى المسجد فَيَعْلَمَ أو يقرأ آيتين من كتاب الله خيرٌ له من ناقتين، وثلاثٌ خيرٌ له من ثلاثٍ، وأربعٌ خيرٌ من أربعٍ».

إبراهيم التيمي قال: كم بينكم وبين القوم؟ أقبلتْ عليهم الدنيا ففروا منها، وأدبرتْ عنكم فاتبعتموها.

عيسى عليه السلام: يا طالب الدنيا لتبرّ(٢٠٨) لَتَرْكُكَ لها أبَرُّ.

مالك بن دينار: لا يبلغ العبد منازل الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة وأولاده كأنهم يتامى، ويأوي إلى مذابل الكلاب.

إبراهيم بن أدهم: أتمنى أن أرى رجلًا فيه ثلاث خصال: إحداهن: أن يخاف الغنى كراهية أن يكون عنه مسؤولًا، والثانية: ألاّ(٢٠٩) يهتم بِنَيْلها خوفًا من عاقبتها، والثالثة: أن يفرح بفوتها اغتنامًا للسلامة منها.

ومر عيسى عليه السلام بنائم فقال: يا عبد الله، ألا تقوم فتعبد الله؟ قال: عبدت بأحب العبادات، قال: ما هو؟ قال: تركت الدنيا لأهلها، فقال: فنم، فقد فُقْتَ العابدين.

وجاء رجل يوم خيبر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: يا رسول الله، ربحتُ اليوم ما لم يربح أحدٌ من أهل الوادي(٢١٠)، قال: «ويحك وما ربحت»؟ قال: اثني عشر ألفًا، قال: «ألا أدلك على ما هو خير من ذلك، قال: ركعتين بعد الصلاة».

شعر:

إن السلامة من سلمى وجارتها ... ألاّ تمر بواديها على حال

جابر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن أَخْوفَ ما أخاف على أمتي الهوى وطول الأمل، فإن الهوى يصد عن الحق، وطول الأمل ينسي الآخرة، وهذه الدنيا مرتحلة،

(٢٠٧) الناقة الكَوْمَاءُ: الضخمة السنام، والمقصود: الناقة العالية الضخمة، ويقال في التثنية: ناقتان كَوْمَاوان. انظر: لسان العرب (كوم).

(٢٠٨) لَتَبرّ: لتسر، م، ي.

(٢٠٩) ألاّ: ان، م، ي.

(٢١٠) الوادي: البوادي، م، ي.

وهذه الآخرة قادمة، ولكل واحدة منهما بنون، فإن استطعتم أن تكونوا من بني الآخرة ولا تكونوا من بني الدنيا فافعلوا، فإنكم اليوم في دار عمل ولا حساب، وغدًا في دار حساب ولا عمل».

وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله أنا أقبلت على عبادة ربي فمن يرزقني؟ قال: «لم يأذن الله للسماء أن تمطر، ولا للزرع أن يزرع، ولا للأرض أن تنبت حتى يؤتك رزقك».

وروي أن الله تعالى أوحى إلى داود: يا داود إذا رأيت لي طالبًا فكن له خادمًا، واصبر على المؤونة حتى تأتيك المعونة.

عيسى عليه السلام: اعملوا لله ولا تعملوا لبطونكم، وانظروا إلى هذه الطيور تغدو برزق الله وتروح به، ولا تزرع ولا تحصد والله يرزقها.

أنس: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله لي جار عابد وأنا أكسب مالًا حلالا أنفق عليه وعلى عياله، كم بيني وبينه في الفضل؟ فقال: «لو أنفقت ما في الأرض ذهبًا وفضة وجميع نعيمها على فقراء أمتي ما بلغت سجدة يسجدها العابد».

عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما أعطي أحد من الدنيا شيئًا إلا انتقصت درجته، وإنه لمن أهل الخير.

الحسن: والله إن كان الرجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد يبس جلده على عظمه، فما بينهما شحمٌ ولا لحم، يُدعى إلى الدنيا حلالًا، فيقول: لا والله، إني أخاف أن تفسد علي عملي، فما يقبل منها قليلًا ولا كثيرًا.

الربيع بن عبد الرحمن: ابن آدم قد خيرت فلا تأخذن ما يرديك وتدع ما ينجيك، ولا تأخذن الأرذل وتدع الأفضل.

أبو حازم: يسير الدينا يشغل عن كثير الآخرة، وكل عمل تكره الموت[٢١١] من أجله فاتركه، ثم لا يضرك متى مِتَّ.

وقال أبو أمامة: زرع رجل من الأنصار فأربى، فجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله

(٢١١) الموت: الآخرة، م، ي. صفة الصفوة ١/ ١١٢.

وسلم فذكر ذلك له، فقال: «لو أنكم تصلون ما تؤمرون لأكلتم غير أَذْرِعَاء(٢١٢) ولا أشقياء، ولركعتان خفيفتان خير من الدنيا وما فيها».

فصل في الغنى والفقر

قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ﴾ [الحشر:٨]، وقال: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق:٦-٧].

وروى أسامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «وقفت على باب النار فرأيت أكثر من يدخلها النساء، ووقفت على باب الجنة فرأيت أكثر من يدخلها الفقراء، وإذا أصحاب الجَدّ(٢١٣) محبوسون».

وروى أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: يا أنس ويل للأغنياء من الفقراء يوم القيامة، يقولون: ربنا ظلمونا حقوقنا التي فرضت عليهم، فيقول: وعزتي لأقربنكم ولأباعدنهم، ثم تلا: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [المعارج:٢٤، ٢٥]».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم يومًا لأصحابه: «ما الفقر أخشى عليكم، [ولكن أخشى عليكم] أن تُبسط الدنيا عليكم كما بُسطتْ على مَنْ كان قَبْلَكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم»(٢١٤).

وروى أبو موسى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «كيف بكم إذا قتل(٢١٥) بعضكم بعضًا»؟ قالوا: نحن اليوم يقتل بعضنا بعضًا، قال: «ليس ذلك أعني»، ثم ذكر كلامًا قال: «يُنزع عقول الرجال، يحسبون أن الغَيّ(٢١٦) رشد».

ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله ليعمر بالقوم الديار ويكثر لهم الأموال وما نظر إليهم مذ خلقهم، بغضًا لهم».

---

(٢١٢) أَذْرِعَاءُ: جمع (ذَرِع)، وهو المرء الطويل اللسان بالشر، النَّيَّار بالليل والنهار. انظر: لسان العرب (ذرع).

(٢١٣) الجَدُّ: الحظ، والمقصود ذو الحظ والغنى في الدنيا. تاج العروس (جدد).

(٢١٤) البخاري ٨/ ٩٠.

(٢١٥) قتل: أقتل، م، ي.

(٢١٦) الغَيّ: الغنى، م، ي. الفوائد المعللة لأبي زرعة ص١٣٨.

أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من غني ولا فقير إلا ودّ يوم القيامة أنه أوتي من الدنيا قوتًا».

علي عليه السلام: ألا أخبركم بأخسر الخسران، رجل جمع دينارًا إلى دينار ودرهمًا إلى درهم، وقيراطًا إلى قيراط، ومات فرآه في ميزان غيره.

إبراهيم بن أدهم: مساكين الأغنياء، طلبوا الراحة فأخطأوا الطريق، طلبوا الراحة في الكثرة، وإنما هي في القلة.

شقيق البلخي: اختار الفقراء ثلاثًا والأغنياء اختاروا ثلاثًا، الفقراء اختاروا راحة النفوس، [وفراغ القلب، وخفة الحساب، واختار الأغنياء تعب النفس]، وشغل القلوب، وشدة الحساب»(٢١٧).

وسئل أبو حنيفة عن الغنى فقال: وهل طغى أحد إلا بالغنى، ثم تلا: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۞ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق:٦، ٧].

أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم أحْيني مسكينًا، وأمِتْني مسكينًا، واحشرني في زمرة المساكين»، قالت عائشة: ولم يا رسول الله؟ قال: «إنهم يدخلون الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفًا، يا عائشة لا تردي المساكين ولو بشق تمرة، يا عائشة أحبي المساكين وقربيهم، فإن الله يقربك يوم القيامة».

يحيى بن معاذ قال: الفضل في التقى لا في الغنى. وعنه: لا يوزن فقرك ولا غناك، وإنما يوزن صبرك على الفقر وشكرك على الغنى.

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم من أيام الآخرة وهو خمسمائة عام»(٢١٨).

ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يقال للفقراء: ادخلوا الجنة يوم القيامة، فيختلط بهم رجل من الأغنياء، فإذا بلغ باب الجنة قيل له: ارجع فلست منهم، فيتمنى ليته كان فقيرًا منذ خلقه الله إلى أن تقوم الساعة».

---

(٢١٧) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ١١/ ٥٧٢.

(٢١٨) مسند أحمد ١٤/ ٢٠٨.

أبو سعيد الخدري قال: سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجلًا يقول: اللهم أدخلني الجنة بلا حساب، قال: «إن كنت واحد من الاثنين دخلتها بغير حساب وإلا فلا»، قال: ما هما يا رسول الله؟ قال: «مملوك يطيع الله وينصح لمواليه، ورجل معوز».

شعر:

يـا عائـب الفقـر ألا تزدجـر؟ عيـب الغنـى أكثـر لـو تعتبـر
إنـك تعصـي كـي تنـال[٢١٩] الغنـى ولسـت تعصـي الله لـو تفتقـر

آخر:

يَدُلُّـك أن الفقـر خيـرٌ مـن الغنـى وأن قليـل المـال خيـرٌ مـن المُثْرِى
لقـاؤك مخلوقـًا عصـى الله بالغِنَـى ولـم تَـرَ مخلوقـًا عصـى الله بالفقـر

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم من أحبني فارزقه العفاف والكفاف، ومن أبغضني فأكثر ماله وولده»، رواه أبو هريرة.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «اطلعت على أهل الجنة فإذا عامة من دخلها الفقراء والمساكين، وإذا ليس فيها[٢٢٠] أحد أقل من الأغنياء والنساء».

كعب قال: قال الله تعالى لموسى: يا موسى إذا رأيت الغِنَى مقبلًا فقل: [ذَنْبٌ عُجِّلَتْ عقوبته، وإذا رأيت الفقر مقبلًا فقل:] مرحبًا بشعار الصالحين[٢٢١].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا أخبركم عن ملوك الجنة؟ الضعفاء والمظلومون الذين لا يُزَوّجون[٢٢٢] المتنعمات[٢٢٣]، ولا تفتح لهم أبواب السُّدَد[٢٢٤]، يموت أحدهم وحاجته تختلج في صدره، لو أقسم على الله لأبره».

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الفقر خزانة من خزائن الله، وهو أزين على المؤمن من العذار الجيد[٢٢٥] على خَدِّ الفرس»[٢٢٦].

---

(٢١٩) كي تنال: أن ملكت، م، ي، العقد الفريد ٢/ ٣٣٠.
(٢٢٠) فيها: منها، م، ي.
(٢٢١) انظر: في: المجالسة وجواهر العلم ٤/ ٤٥٢.
(٢٢٢) يُزَوّجون: يرجون، م، ي. تنبيه الغافلين ص٢٢٣.
(٢٢٣) المتنعمات: المنعمات، م، ي. تنبيه الغافلين ص٢٢٣.
(٢٢٤) السُّدَد: السدف، م، ي. تنبيه الغافلين ص٢٢٣.
(٢٢٥) الجيد: الحة، م، ي. والعِذَارُ من اللِّجام: ما سال على خَدِّ الفرس. تاج العروس (عذر).
(٢٢٦) الإرشاد إلى نجاة العباد ص١٥٩.

وعن بعضهم: مسكين ابن آدم، لو خاف من النار مثل ما خاف من الفقر لنجا منهما، ولو رغب في الجنة كما رغب في الغنى لوصل إليهما، ولو خاف الله في الباطن كما خاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن لي حرفتين من أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني: الفقر، والجهاد».

وقال المؤمل [المحاربي]: كنا نرى الفقراء في مجلس الثوري كأنهم أمراء.

فصل في الرزق

قال الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ الآية [الذاريات:٢٢]، يقال: أقسم الله بنفسه في أربعة مواضع: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [النساء:٦٥]، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ﴾ [الحجر:٩٢]، ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ [وَٱلۡأَرۡضِ] إِنَّهُۥ لَحَقٞ﴾ [الذاريات:٢٣]، وقوله: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾.

وقيل: خمس آيات تقوي ثقة العبد:

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣]، وسئل بعضهم عن التوكل فقال: عشرة أشياء: السكون(٢٢٧) إلى المضمون(٢٢٨)، والوقوف عند الدون، والاستسلام بما يكون، وتعلق القلب بين الكاف والنون، والدخول في العبودية، والخروج من الربوبية، وقطع العلائق، والإياس من الخلائق، والدخول في الحقائق، والأخذ بالدقائق.

والثانية: قوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَا﴾ [هود:٦] [مستقرها] في الرحم ومستودعها في القبر، عن ابن عباس وابن مسعود، وقيل: مستقرها في الرحم، ومستودعها في الصلب.

والثالثة: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡ..﴾ الآية [العنكبوت:٦٠]، وروى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا وتروح بطانًا.

---

(٢٢٧) السكون: السكوت، م، ي. تهذيب الأسرار في أصول التصوف ص١١٧.
(٢٢٨) المضمون: المصمون، م، ي. تهذيب الأسرار في أصول التصوف ص١١٧.

والرابعة: حكاية عن لقمان: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ..﴾ الآية [لقمان:١٦].

الخامسة: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ [الذاريات:٢٢].

بشر الحافي:

أتتركُني وقد آليت حلفًا ... بأنك لا تضيّع مَنْ خَلَقْتا
وأنك ضامنٌ للرزق حتى ... توفّيّ كل عبدٍ ما ضَمِنْتا
وإني واثق بك يا إلهي ... ولكن القلوب كما علمتا

سعد:

جرى قلم القضاء بما يكون ... فسيّان التحرك والسكون
جنون منك أن تسعى لرزقٍ ... ويُرزق في غشاوته الجنين

وكان نقش خاتم إنسان:

أنا بالله واثق ... إن ربي لرازق

ونقش خاتم آخر:

أنا بالله طامع ... إن ربي لصانع

وروى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن من ضعف النفس أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يَجُرُّهُ حِرْصُ حريص، ولا يردُّه كراهة كاره، إن الله بحكمه وجلاله جعل الروح والراحة في الرضى واليقين، وجعل الغم والحزن في الشك والسخط».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنه ليس يُقَرِّبكم من الجنة شيءٌ ويباعدكم من النار إلا وقد نهيتكم عنه، وإن الروح الأمين نفث في روعي أن لا تموت نفس حتى تستوفي(٢٢٩) رزقها، ألا فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله، فإنه لا يُدْرَكُ ما عند الله إلا بطاعته»، رواه ابن مسعود.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «خير الرزق ما يكفي، وخير الذكر الخفي»، رواه سعد

(٢٢٩) تستوفي: يستوفي، م، ي.

بن مالك، وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لو أن عبادي أطاعوني لأسقيتهم [المطر] بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار، ولم أسمعهم صوت الرعد»[٢٣٠].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لو أن أحدكم فر من رزقه لأدركه كما يدركه الموت»، رواه أبو سعيد الخدري.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما بال أقوام يُشَرِّفون[٢٣١] المترفين، ويستخفُّون بالعابدين، ويعملون بالقرآن ما وافق أهواءهم، وما خالف أهواءهم تركوه، فعند ذلك يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، يسعون فيما يدرك بغير سعي من القدر المقدور، والأجل[٢٣٢] المكتوب والرزق المقسوم، ولا تسعون فيما لا يدرك إلا بالسعي من الجزاء الموفور، والسعي المشكور، والتجارة التي لا تبور» رواه شقيق بن سلمة عن ابن مسعود. عن أنس قال: أهديت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث طوائر، فأطعم خادمه طائرًا، فلما كان من الغد أَتَتْهُ[٢٣٣] بها فقال: ألم نَنْهَكِ أن تَرْفَعي شيئًا لغدٍ، فإن الله يأتي برزق كل غد».

وقال عليه السلام لابن عمر: «كيف بك إذا بقيت في قوم يُخَبِّئون[٢٣٤] رزق سنتهم ويضعف اليقين، فإذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح، فإنك لا تدري ما اسمك غدًا».

الحسن: لعن الله أقوامًا أقسم لهم ربهم ثم لم يصدقوه، ثم قرأ: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ..﴾ الآية [الذاريات:٢٢]،.

مسروق: إن أحسن ما أكون ظنًا بربي حين تقول الجارية: ليس في البيت قفيز قمح ولا شعير.

وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا أصابت أهله خصاصة قال: «قوموا إلى الصلاة»، ويقول: «بهذا أمرني ربي، وقرأ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ[٢٣٥]﴾ [طه:١٣٢]».

---

(٢٣٠) مسند أحمد ١٤/ ٣٢٧.

(٢٣١) يُشَرِّفون: يسرفون، م، ي. شعب الإيمان للبيهقي ٢/ ٤١٣.

(٢٣٢) والأجل: فالأجل، م، ي، شعب الإيمان للبيهقي ٢/ ٤١٣.

(٢٣٣) أَتَتْهُ: أتيته، م، ي. يعني تلك المرأة التي أهدته. والله أعلم.

(٢٣٤) يُخَبِّئون: يحبون، م، ي. المنتخب من مسند عبد بن حميد ص٢٥٩.

(٢٣٥) نرزقك: نرزقكم، م، ي.

جعفر بن سليمان قال: مررت بدار فإذا عجوز فيها مكفوفة تنوح على نفسها، فقلت لها: ما معاشك؟ فقالت: دع عنك ما لا يحتاج إليه، بلغت هذا المبلغ فما[٢٣٦] الله أحوجني إليك، أما لك في خليل الرحمن واعظ؛ هو الذي يطعمني ويسقين، وإذا مرضت فهو يشفين[٢٣٧].

لأمير المؤمنين عليه السلام يعظ جابرًا:

لا تخضعن لمخلوق على طمع ... فإن ذلك نقص منك في الدين
واسترزق الله مما في خزائنه ... فإن ذلك بين الكاف والنون

أبو الدرداء، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما في الأرض عبد يموت حتى يستكمل رزقه، فإن أصابه حرامًا حُيِبَ[٢٣٨] من رزقه، وإن صبر أتاه الحلال».

ولقي أمير المؤمنين رجلًا كأضعف ما يكون لحمًا على وضم وقد ملك مالًا عظيمًا ويسمى وبرة، فقال عليه السلام:

سبحان ربِّ العباد يا وبره ... ورازق المتقين والفجرهْ
لو كان رزق العباد عن جَلَدِ ... ما نِلْتَ مِنْ رزق ربِّنا مَدَرَهْ

وروي أن عروة بن أذينة دخل على عبد الملك فأنشده قصيدة منها[٢٣٩]:

أني لأعلم والأرزاق جارية ... أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
أَسْعَى له فيُعَنِّينِي تَطَلُّبُه ... ولو قعدتُ أتاني لا يعنِّيني
كم من فقير غني النفس ذي كرم ... ومن غني فقير النفس مسكين
ومن خليل طوى كشحًا[٢٤٠] فقلت له ... إن انطواءك عنا عنك يطويني

(٢٣٦) فما: فمال، م، ي.

(٢٣٧) إشارة إلى قوله تعالى حاكيًا عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٧٩، ٨٠].

(٢٣٨) حُيِبَ: حوسب، م، ي.

(٢٣٩) م، ي. وللابيات رواية أخرى أنظر شعر عروة بن أذينة، تحقيق محيي الجبوري، مكتبة الاندلس: بغداد، ٢٨٥-٢٨٨.

(٢٤٠) الكَشْحُ من الجسم: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف، ومن المجاز قولهم: طوى فلان كشحه عن فلان، يريدون: قطعه وتركه. الصحاح (كشح).

كم قد أفدت وكم أتلفت[٢٤١] مِنْ نَشَبٍ[٢٤٢] ومن معاريض رزق غير ممنون
فما أشِرْتُ على يُسْرٍ[٢٤٣] وما[٢٤٤] ضرعَتْ[٢٤٥] نفسي لخلة عُسْر[٢٤٦] جاء يبلوني

ومنها:

وما اشتريت بمالي قط مكرمة إلا تيقنت أني غير مغبون
وما دعيت إلى مجد ومحمدةٍ إلا أجبت إليه من يناديني

فقال عبد الملك: هلا قعدت في بيتك حتى يأتيك رزقك، فخرج حزينًا حتى لحق بأهله، فقال عبد الملك: أتانا رجل فَجَبَهْنَاهُ[٢٤٧]، وأمر له بعشرة آلاف درهم، فحملت[٢٤٨] إليه إلى بيته.

أبو بكر: ما وجد عبد خالص لله بالعبادة إلا شغله ذلك عن طلب الوَرِق[٢٤٩].

وشكى رجل إلى فضيلِ الفقرَ، فقال له: أمدبرًا غير الله تريد؟

وعن بعضهم: إياك وهَمّ غد وارض لغد برزق غد.

فصل فيمن اختار الشدة على النعمة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ..﴾ [الكهف:١٣] الآيات.

أبو سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «كيف أنعم وصاحب القرن قد التقمه، وأصغى سمعه، وحنى جبهته، ينتظر متى يؤمر فينفخ».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ بن جبل: «إياك والتنعم، وإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين».

---

(٢٤١) أتلفت: أبلغت، م، ي.
(٢٤٢) النَّشَبُ: المال والعقار. الصحاح (نشب).
(٢٤٣) يُسْرٍ: سرٍ، م، ي.
(٢٤٤) ما: قد، م، ي.
(٢٤٥) الأَشَرُ: البطر. والضراعة: الذل والخضوع.
(٢٤٦) لخلة عُسْر: تخالف عشر، م، ي.
(٢٤٧) يُقال: جَبَهَ الرجلَ يَجْبَهُهُ جَبْهًا: رده عن حاجته واستقبله بما يكره. اللسان (جبه).
(٢٤٨) حملت: حمل، م، ي.
(٢٤٩) الوَرِقُ: الفضة، والمقصود هنا: المال عامة.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «عِظَمُ الجزاء على قدر عظم البلاء، وإذا أحب الله قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «المؤمن بيته قصب، وطعامه كِسَرٌ(٢٥٠)، ورأسه شعث، وثيابه خلق، وقلبه خاشع، ولا يعدل بالسلامة شيئًا».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «أتاني جبريل بمفاتيح خزائن الدنيا، فوالذي نفسي بيده ما بسطت إليها يدي».

وروي أن داود دخل على حزقيل النبي عليه السلام وقد يبس جلده على عظمه فسلم، فقال حزقيل: هذا صوت رجل شبعان، يا داود أنت الذي لك كذا وكذا امرأة وكذا سرّية؟ قال: نعم، وأنت في هذه الشدة؟ فقال: ما أنا في الشدة وما أنت في الرخاء.

جندب بن عبد الله: لا فاقة بعد الجنة، ولا غنى بعد النار.

أبو حازم: كل نعمة لا تقرب إلى الله فهي بلية.

علي بن أبي طالب عليه السلام: شتان ما بين العملين، عمل تذهب مُؤْنَتُهُ ويبقى أجره الأبد، وعمل تذهب لذَّتُه وتبقى تَبِعَتُهُ الأبد.

وروي أنه لما اشتد بأيوب البلاء قيل له: ألا تدعو الله فيكشف عنك؟ قال: قد أتى علي في الرخاء سبعون، فدعني حتى يأتي علي في البلاء سبعون ليكون الشكر لله، ثم أدعو(٢٥١) الله بالعافية.

ابن مسعود: حبذا المكروهان(٢٥٢): الفقر والموت.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من قل ماله وكثر عياله، وحسنت صلاته، ولم يغتب المسلمين، جاء معي يوم القيامة هكذا، وجَمَعَ بين أصبعيه».

وهب: ليس بفقيه من لم يعدّ البلاءَ نعمةً والرخاء مصيبة.

شعر:

إنـا لنفـرح بالأيـام ندفعهـا ... وكلُّ يـومٍ مضـى نَقْـصٌ مـن الأجـل

(٢٥٠) كِسَرٌ: كشر، م، ي.

(٢٥١) أدعو: يدعو، م، ي.

(٢٥٢) المكروهان: المكروهات، م، ي. الزهد لوكيع بن الجراح ص١٩٣.

فـإن مضـت شـدة بالأمـس أو سـعة فمـا بقـى اليـوم مـن بـؤسٍ ومـن جـدل
فاعمـل لنفسـك قبـل المـوت مجتهـدًا فإنمـا الربـح والخسـران فـي العمـل

أبو حازم: إنما بيني وبين الملوك يوم واحد، أما أمس فلا يجدون لذَّته ولا أجد شِدَّته، وغدًا فلا أدري أنحن من أهله أم لا، وإني وإياهم لعلى وَجَلٍ، وإنما هو اليوم، فما عسى أن تكون شدة يوم.

كعب: كانت الأنبياء بالفقر والبلاء أشد فرحًا منهم(٢٥٣) بالغنى والرخاء، فكان البلاء عليهم مضاعفًا.

محمد بن مطر: لأن تلقى الله وعليك دَيْنٌ ومعك دين أحب إليك(٢٥٤) من أن تلقى الله وليس عليك دين ولا معك دين.

علي عليه السلام: شتان ما بين العملين.

أبو الدرداء: تكرهون السقم وأنا أحبه، أحب السقم تكفيرًا لخطاياي، وأحب الفقر تواضعًا لربي، وأحب الموت اشتياقًا إلى ربي.

ويقال: إن الله تعالى يحتج بأربعة نفر على أربعة أجناس يوم القيامة: بسليمان على الأغنياء، وبيوسف على العبيد، وبأيوب على أصحاب البلاء، وبعيسى على الفقراء.

أبو الدرداء: من لا يعرف نعمة الله إلا في مطعمه ومشربه وملبسه فقد قَلَّ عمله وحضر عذابه.

الحسن: أدركنا أقوامًا كانت الدنيا تعرض على أحدهم حلالًا وهو مجهودٌ، فيدعها مخافة العاقبة.

فصل في صرف الله الدنيا عن المؤمن

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً..﴾ الآية [الزخرف:٣٣].

محمد بن لبيد، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله يحمي عبده المؤمن من الدنيا

(٢٥٣) منهم: مني، م، ي. حلية الأولياء ٦/ ٣٦٥.
(٢٥٤) إليك: إلي، م، ي.

كما تحمون[٢٥٥] مريضكم الطعام والشراب تخشون عليه». قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إني والله أحبك في الله، فقال: «إن كنت تحبني فأعِدّ[٢٥٦] للفقر تِجْفَافًا[٢٥٧] فإن الفقر أَسْرعُ إلى مَنْ يحبني من السَّيل إلى منتهاه».

عائشة قالت: ما زالتْ الدنيا علينا عَسِرَةً كَدِرَةً حتى قَبَضَ اللهُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلما قُبِضَ صُبّت الدنيا صبًّا.

ابن مسعود: يأتي على الناس زمان يكون المؤمن فيه أذل من الأمة، يعيش كدود[٢٥٨] الخَلّ في الخل.

ابن المبارك: ليست للمؤمن في الدنيا دولة، لأنها سجنه وبلاه، وإنما هو الصبر، وكظم الغيظ، والأخذ بالفضل، وإنما هو دولته في الآخرة، قال: من حبس الله عنه الدنيا ثلاثة أيام وهو راضٍ عنه فقد أوجب الله له الجنة.

عيسى عليه السلام: يقول الله تعالى: يفرح عبدي المؤمن إذا وُسّع عليه الدنيا، وذاك أبغض[٢٥٩] ما يكون إلي وأَبْعَدُ ما يكون مني، ويحزن إذا ضُيّق عليه الدنيا، وذاك أحبّ ما يكون إلي وأَقْرَبُ ما يكون مني.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يود أهل البلاء في الدنيا إذا رأوا ثوابها في الآخرة أن لو كان قُرِضَ جلودهم بالمقاريض».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الموت راحة المؤمن ورائحته».

أبو العتاهية:

وَعيشُك بالهمّ مقرونة ... فلا تقطع العيش إلا بهَمّ
حلاوة دنياك مسمومةٌ ... فلا تأكل الشَّهْدَ إلا بسُمّ
محامدك اليوم مذمومة ... فلا تلبس الحمد إلا بذمّ

(٢٥٥) تحمون: يحمون، م، ي. انظر: مسند أحمد ٣٩/ ٣٧.
(٢٥٦) أعِدّ: استعد،م، ي.
(٢٥٧) التِّجْفَافُ: ما جُلّل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح. اللسان (جفف)، والمعنى: كن مستعدًا.
(٢٥٨) كدود: كددا، م، ي. تنبيه المغترّين أواخر القرن العاشر ص١٠٩.
(٢٥٩) أبغض: أحب، م، ي. كتاب النصائح للحارث المحاسبي ص١٦٧.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «المؤمن بين خمس شدائد: مؤمن يحسده، ومنافق يبغضه، وكافر يقتله، وشيطان يضله، ونَفْسٍ تنازعه».

عقبة بن عامر: الدنيا سجن المؤمن وسَنَتُهُ(٢٦٠)، فإذا خرج من الدنيا نجا من الفتنة والسَّنَة.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم مَنْ أحبني وأطاع أمري فأَقْلِلْ له من المال والولد، اللهم من أبغضني وعصى أمري فأكثر له من المال والولد».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا أحسن العبد ألصق الله به البلايا فإن(٢٦١) الله يريد أن يصافيه(٢٦٢)، وإذا أحب الله عبدًا ابتلاه ليسمع(٢٦٣) تضرعه».

عمر قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو متكئ على حصير ووسادة حشوها ليف وقد أثر الحصير في جنبه فقلت: يا رسول الله أنت أحب الخلق إلى الله وليس عندك إلا حصير قد أثر بجنبك، وكسرى وقيصر يلففان الديباج؟ فقال: «يا عمر ذاك لهم في الدنيا وهو لنا في الآخرة».

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا أحب [الله] عبدًا ابتلاه بالضراء، وإن الدنيا لا تصفو للمؤمن، هي سجنه وعذابه».

وهب: يقول الله تعالى: يابن آدم لو أَتَيْتُكَ الدنيا كلها لم يكن لك منها إلا قوتك، فقد آتيتك قوتك وجعلت حسابه على غيرك.

مجمع التيمي: بلغني أن عليا أخرج سيفًا له إلى السوق، فقال: من يشتريه مني، أما إنه لو كان عندي من إزار ما بعته.

فضالة بن عبيد قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا صلى يخرّ(٢٦٤) رجال من قامتهم(٢٦٥) في الصلاة، وهم أصحاب الصُّفَّة، حتى قالت الأعراب: هؤلاء مجانين، فإذا قضى

---

(٢٦٠) المقصود بالسَّنَة: الأزمة والشدة والقحط، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾. انظر: لسان العرب (سنه).

(٢٦١) فإن: كأن، م، ي. مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ١٦٣.

(٢٦٢) يصافيه: يخالطه، م، ي. مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ١٦٣.

(٢٦٣) ليسمع: يسمع، م، ي.

(٢٦٤) يخرّ: خير، م، ي. سنن الترمذي ٤/ ١٦١.

(٢٦٥) قامتهم: إقامتهم، م، ي. سنن الترمذي ٤/ ١٦١.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاته انصرف إليهم فقال: لو تعلمون ما لكم عند الله لازددتم فاقة وحاجة».

وعنه عليه السلام: «إن الله إذا أحب عبدًا جوعه»، قيل: يا رسول الله وكيف يجوعه؟ قال: «تحبس عنه الدنيا طعامها ولباسها حتى لا يجد مأوى ولا طعامًا».

وعن معاوية قال: أما أبو بكر لم يرد الدنيا ولم ترده، وأما عمر فأرادته ولم يُرِدْها، وأما عثمان فقد نال منها ونالت منه، وأما نحن فقد تمرغنا فيها ظهرًا لبطن فلا ندري إلام نصير.

فصل في الشهوات وتركها

قال الله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا﴾ الآية [النساء:٢٧]، ونظائرها، وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ [النازعات:٤٠].

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن من السرف أن يأكل الرجل كل ما يشتهيه[٢٦٦]».

وأوحى الله إلى داود: يا دود حرام على قَلْبِ كلِّ عالِمٍ يحب الشهوات أن نجعله إمامًا للمتقين.

وعن عبد الله الداراني قال لمالك بن دينار: إن سَرَّكَ أن تبلغ ذورة هذا الأمر فاجعل بينك وبين الشهوات حائطًا من حديد.

وعن بعضهم: أَمِتْ الشهوات في النفس ولا تُمِتْ النفس في الشهوات، فإذا أمتَّ الشهوات فيها فقد ألقيتها في الشهوات، وإن أمتَّها في الشهوات فقد أحرمتها الشهوات.

حذيفة بن اليمان: كم من شهوة ساعة أورثت حزنًا طويلًا.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من غلب علمُه هواه فذلك العلم النافع، ومن جعل شهوته تحت قدمه فرَّ الشيطان من ظِلِّه، ومن فرح قلبه بشيء من عرض الدنيا فقد أخطأ الحكمة».

---

(٢٦٦) يشتهيه: يشتهي، م، ي. قوت القلوب في معاملة المحبوب ٢/ ٢٨٣.

وعن بعضهم الجنة جُمْلَتُها[٢٦٧] شيئان: الراحات، والشهوات.

عيسى عليه السلام: يا معشر الحواريين إنكم لا تنالون ما تريدون إلا بترك ما تشتهون، ولا تبلغون ما تأملون إلا بصبركم على ما تكرهون.

وقيل لعطاء السلمي في مرضه: أما تشتهي شيئًا؟ فقال: إن خوف جهنم لم يدع في قلبي موضعًا للشهوة.

قال: ومرض مالك بن دينار، فأتاه جار له يعوده فقال: يا أبا يحيى هل تشتهي شيئًا؟ قال: نفسي تنازعني إلى شيء منذ أربعين سنة، قيل: ما هو؟ قال: رغيف[٢٦٨] أبيض ولبن[٢٦٩] في زجاج، قال: فأتاه به، فجعل ينظر إليه ويقول: دافعت شهوتي عمري حتى لم يبق إلا مثل ظِمْء الحمار[٢٧٠] أَكَلْتُها، اذهبوا به إلى يتيم آل فلان، ومات بشهوته[٢٧١].

الحسن: [أربع] مَنْ كُنَّ فيه فقد عصمه الله من الشيطان وحرمه على النار: من ملك نفسه عند الرغبة والرهبة، والحدة والشهوة.

الثوري: إذا عصتْك نفسُك فيما تأمرها فلا تطعها فيما تشتهي.

يحيى بن معاذ: من كثر شبعه كثر لحمه، ومن كثر لحمه كثرت شهوته، ومن كثرت شهوته كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه قسا قلبه، ومن قسا قلبه غرق في الآفات.

عن بعضهم: ثلاث يذهبن بثلاث: حب الشيء يذهب منفعته، وحب الرئاسة[٢٧٢] يفلس في الدارين، وحب الشهوة يزهق النفس.

وروي أن امرأة العزيز قالت ليوسف بعدما ملك خزائن الأرض: يا يوسف إن الحرص والشهوة صيَّرا الملوك عبيدًا، وإن الصبر والتقى صيرا العبيد ملوكًا.

---

(٢٦٧) جُمْلَتُها: حملتها، م، ي. تنبيه المغترين أواخر القرن العاشر ص١١٠.

(٢٦٨) رغيف: رغيفًا، م، ي.

(٢٦٩) لبن: لبنًا، م، ي.

(٢٧٠) يقال: ما بقي من عمره إلا مقدار ظِمْءُ الحمار، أي لم يبق إلا اليسير، وذلك لأن الحمار أقصر الدواب ظمأ. لسان العرب (ظمأ). ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ٣/ ٩٧.

(٢٧١) بشهوته: لشهوته، م، ي. ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ٣/ ٩٧.

(٢٧٢) الرئاسة: الريانيه، م، ي.

وقال يحيى الوراق: من أرضى الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجر الندامات.

الأسود: حبذا شدة تؤدي إلى الرخاء، وبؤسًا لنعمة تؤدي إلى الشقاء.

شعر:

ألسنا نرى شهوات النفو ... س تفنى وتبقى علينا الذنوب

يخاف على نفسه من يتوب ... فكيف ترى حال من لا يتوب؟

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا وإن أعمال الجنة حَزْنٌ(٢٧٣) بربوة، ألا وإن أعمال النار سَهْلٌ(٢٧٤) بِسَهْوَةٍ(٢٧٥)، ألا رب شهوة ساعة أورثت حزنًا طويلًا»(٢٧٦).

محمد بن كعب كان يقول في سجوده: يا ويحيى، يا ويلي [على] ما انقطعت عني لذَّتُه وبقيت علي تبعته.

الحسن: اعلم يابن آدم أن الشغل باللذات ينسيك ذكر الممات حتى تصير إلى الوفاة، وتندم على السيئات إذا عاينت السكرات.

الحرث عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات، ومن أشفق من النار لَهَا عن الشهوات، ومن ترقب الموت ترك اللذات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات».

وهب: قال سليمان بن داود عليهما السلام [للشيطان]: ماذا أنت صانع بأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: لا أدعهم حتى يكون الدينار والدرهم أشهى عندهم من لا إله إلا الله.(٢٧٧)

يحيى بن معاذ: ذو الحسنات سعيدٌ مقرَّب، وذو السيئات شقيٌّ معذَّبٌ، وذو الشهوات مبعوث محاسَبٌ.

---

(٢٧٣) حَزْنٌ: حرثة، م، ي، مسند أحمد ٥/ ١٤٩.

(٢٧٤) سَهْلٌ: سهلة، م، ي. مسند أحمد ٥/ ١٤٩.

(٢٧٥) بِسَهْوَةٍ: لشهوة، م، ي. مسند أحمد ٥/ ١٤٩.

(٢٧٦) الحَزْنُ من الأرض: ما غلُظَ، والرَّبْوة: المرتفع من الأرض، والسَّهْوَة: الأرض اللينة التربة. وفي هذا الحديث شبه الطاعة في مشقتها بالأرض الوعرة الغليظة، وشبه المعصية في سهولتها على مرتكبها بالأرض السهلة.

(٢٧٧) تنبيه المغترين أواخر القرن العاشر ص ٢١١.

شعر:

اقطع نياط الحرص عنـ ... ـك بعفةٍ قطعاً طويلا
وتجنب الشهوات واحـ ... ـذر أن تكون بها قتيلا
فلرب شهوة ساعةٍ ... قد أورثت حزناً طويلا

فصل في غض البصر

قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ..﴾ الآية [النور:٣٠]، ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء:٣٦]، ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر:١٩].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «اضمنوا لي ستّا أضمن لكم على الله الجنة: أدوا إذا ائتمنتم، وأوفوا[٢٧٨] إذا عاهدتم، واصدقوا إذا حَدَّثتم، واحفظوا فروجكم، واغضضوا من أبصاركم، واكففوا أيديكم»، رواه عبادة بن الصامت.

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من اطّلع في دار قوم بغير إذنهم فَفَقَأُوا[٢٧٩] عينه فقد هدرت عينه».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «النظر إلى محاسن المرأة سهم من سهام إبليس، فمن تركه أذاقه الله طعم عبادته».

وقال داود: امش خلف الأسد والأَسْوَدِ[٢٨٠] ولا تمش خلف المرأة.

ذو النون: نعم حاجب[٢٨١] الشهوات غض الأبصار.

وقيل ليحيى بن زكريا عليهما السلام: ما بدء الزنا؟ قال: التمني والنظر.

عيسى عليه السلام: لا يزني فرجُك ما غضضت طَرْفَكَ.

(٢٧٨) وأوفوا: وافوا، م، ي.
(٢٧٩) فَفَقَأُوا: فأفقوا، م، ي. مسند أحمد ١٥/ ٢١٢.
(٢٨٠) الأَسْوَدُ: العظيم من الحَيَّات. الصحاح (سود).
(٢٨١) حاجب: صاحب، م، ي. سراج الطالبين على منهاج العابدين ١/ ٣١٤.

سلمان: لأن أموت ثم أحيا ثم أموت ثم أحيا أَحَبُّ إليَّ من أنظر إلى عورة أحد، أو ينظر أحد إلى عورتي.

شعر لمحمد بن الحسن(٢٨٢):

لا تأمنن على النساء ولو أخا	ما في الرجال على النساء أمينُ
كل الرجال وإن تعفف جاهدًا	لا بد أن في نظرة سيَخُونُ

وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لأصحابه: «ما تعدون الزنا فيكم»؟ قالوا(٢٨٣): أن يزني الرجل بالمرأة فيخالطها، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الرجل ليزني بالمرأة وما يخالطها»، فقال الصحابة: إنا لله وإنا إليه راجعون، وكيف ذاك؟ قال: «العينان تزنيان، والأذنان تزنيان، واللسان يزني، والقلب يزني، واليدان تزنيان، والرِّجلان تزنيان»، فأقلقهم ذلك جدًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن زنا العين النظر، وزنا الأذنين السماع، وزنا اللسان النطق(٢٨٤)، وزنا القلب التمني، وزنا اليدين البطش، وزنا الرجلين المشي، ويصدِّق كلَّ ذلك الفرجُ أو يُكذِّبه».

وعن مسروق: ليس في الدنيا أكثر زنًا من العين، أوما سمعت ما قال الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ [غافر:١٩]؟ فخائنة الأعين أن تُري الناس أنك لا تنظر وأنت تُسِرُّ النظر إلى النساء.

المسيح عليه السلام: إياكم والنظرة، فإنها تزرع في القلب الشهوة، وكفى بها لصاحبها فتنة.

عمر بن الخطاب قال: مر بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ظهر الطريق فقال: «لا تجلسوا على ظهر الطريق، فإنها مجالس الشياطين، فإن كنتم لا بد فاعلين فأدوا [حَقَّ](٢٨٥) الطريق»، ثم مضى، قال: فقلت قال(٢٨٦) رسول الله: أدوا حق الطريق، ولم أسأله ما هو(٢٨٧) حق الطريق، فتبعته فقلت: يا رسول الله، ما حق الطريق؟ قال: «غضوا البصر، وردوا السلام، واهدوا الضالّ(٢٨٨)، وأعينوا الملهوف، وأمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر».

---

(٢٨٢) المستطرف في كل فنٌ مستظرف ص٥٢٢.

(٢٨٣) قالوا: قال، م، ي.

(٢٨٤) النطق: البصق، م، ي. صحيح مسلم ٤/ ٢٠٤٦.

(٢٨٥) شرح مشكل الآثار ١/ ١٥٤.

(٢٨٦) قال: يا،م، ي شرح مشكل الآثار ١/ ١٥٤.

(٢٨٧) أسأله ما هو: يسأله، م، ي. شرح مشكل الآثار ١/ ١٥٤.

(٢٨٨) الضالّ: المال، م، ي، شرح مشكل الآثار ١/ ١٥٤.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من أصاب من امرأة نظرة حرامًا ملأ الله عينه يوم القيامة نارًا، ثم يؤمر به إلى النار، ومن قدر عليها وتركها دخل في محبة الله ورحمته ثم يؤمر به إلى الجنة».

فصل في حب المساكين

قال الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم..﴾ الآية [الكهف:٢٨]، ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ(٢٨٩) بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ [الأنعام:٥٤]، ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الأنعام:٥٢]، ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [هود:٢٩].

أبو ذر: «أوصاني خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسبع: أوصاني بحب المساكين والدنو منهم، وأوصاني أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر إلى من هو فوقي، وأوصاني أن أقول الحق ولو كان مُرًّا، وأوصاني أن أَصِلَ رحمي وإن أدبرَتْ، وأوصاني ألاّ أخاف في الله لومة لائم، وأوصاني ألاّ أسأل الناس شيئًا، وأوصاني أن أستكثر من (لا حول ولا قوة إلا بالله)، فإنه من كنوز الجنة».

وكان سليمان بن داود عليهما السلام إذا دخل المسجد نظر إلى مسكين فجلس إليه فقال: مسكين جالس مسكينًا.

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «اللهم أحْيني مسكينا، وأمِتْني مسكينًا، واحشرني في زمرة المساكين».

أبو الدرداء: لَأَنْ أقع من فوق قصر فأتحطم أَحَبُّ إلي من [مجالسة](٢٩٠) غني لأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إياكم ومجالسة الموتى»، قيل: ومن الموتى؟ قال: «الأغنياء».

عون بن عبد الله قال: صحبت الأغنياء فلم يكن أحد أكثر مني غمًا، كنت أرى الكسوة والدواب ونحوها فَتَشْرَهُ(٢٩١) النفس فأغتم لذلك، ثم صحبت الفقراء فاسترحت.

(٢٨٩) يؤمنون: لا يؤمنون. ي.

(٢٩٠) نتائج الأفكار القدسية ٣/ ٤٢٣.

(٢٩١) فَتَشْرَهُ: فشره، م، ي.

سفيان الثوري قال: كان يقال: إياكم وجيران(٢٩٢) الأغنياء، وقراء الأسواق، وعلماء الأمراء.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أربع خصال مفسدة للقلب: مجاراة الأحمق، إن جاريته كنت مثله، وإن سكتَّ عنه سلمْت، والكذب قال تعالى: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [المطففين:١٤]، والخلوة بالنساء والعمل برأيهن، ومجالسة الموتى»، قيل: ومن الموتى؟ قال: «كلُّ غني قد أبطره غناه».

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تغبطن فاجرًا بنعمة، فإنك لا تدري إلام تصير بعد الموت، إن من ورائه طالبًا حثِّيثا(٢٩٣)».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «احتجَّتْ الجنة والنار، فقالت الجنة: ما لي لا يدخل في إلا الفقراء والمساكين، وقالت النار: ما لي لا يدخل في إلا الجبارون والمتكبرون، فقال الله تعالى للجنة: أنتِ رحمتي أصيب بك من شئت، وقال للنار: أنت عذابي أصيب بك من شئت، ولكليكما(٢٩٤) علي مِلْؤُها».

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما أوحى الله إلي اجمع المال وكن من التاجرين، ولكن أوحي إلي أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين».

عيسى عليه السلام: إن خبز الشعير والماء القراح والنوم على المزابل لَكثيرٌ لمن يسكن الفردوس غدًا.

لا تَغْـدُ عينـاكَ مسـكينًا تُلاحِظُـهُ ... فإنما هـي أقسـام وأرزاق
وكـن محبًـا لـه ترجـو شـفاعته ... فللمسـاكين يـوم الحشـر أسـواق

فصل في فضل الجوع وقلة الاكل

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ﴾ [الفرقان:٦٧].

وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «البصر في الدين: كثرة التفكر، والعبادة قلة الطعام».

(٢٩٢) جيران: خير، م، ي. محاضرات الأدباء ٢/ ٥٣٠.
(٢٩٣) حثِّيثا: حثيًا، م، ي.
(٢٩٤) لكليكما: لكلاكما، م، ي. صحيح مسلم ٤/ ٢١٧٧.

المقدام بن معدي كرب، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما ملأ ابن آدم وعاءً شرًّا من بطنه، فحسب ابن آدم أُكُلاتٌ يُقيم بها صُلْبه، فإن كان لا محالة فثُلثٌ لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفَسه»[٢٩٥].

الحسن: أدركت أقوامًا يأتي على أحدهم السبعون وما يُطْوى له ثوبٌ، ولا أمر أهله بصنعة طعام له قط.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لأصحابه يومًا: «كيف بكم إذا شبعتم من ألوان الطعام»؟ قالوا[٢٩٦]: ويكون ذلك؟ قال: «نعم»، فكبروا.

وعنه عليه السلام: «لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب، فإن القلب يموت كالزرع إذا كثر عليه الماء».

عائشة: أديموا قرع باب الملك يفتح، قيل: وكيف نديم قرعه؟ قالت: بالجوع والظمأ.

ونظر عمر بن الخطاب إلى رجل ضخم البدن فقال: ما هذا؟ فقال: بركة الله يا أمير المؤمنين، فقال: بل سخط الله، ثم قال: إياك والبطنة، فإنها ثقل في الحياة نتن في الممات.

الشافعي: ما رأيت سمينًا عاقلًا غير محمد بن الحسن.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من بات في خفة من الطعام والشراب تداكَتْ - يعني رقصَتْ - حوله الحور العين حتى يصبح».

مالك بن دينار: مما[٢٩٧] نقل الناس: (من لم يأكل اللحم أربعين يومًا نقص عقله)، وأنا لم آكل اللحم منذ عشرين سنة وعقلي كل يوم مع زيادة.

سهل بن سعد: «ما أكل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رغيفًا مُحَوَّرًا قط حتى خرج من الدنيا».

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «شرار أمتي الذين يأكلون مخ الحنطة».

الحسن قال: كان فاكهة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دقيقًا من شعير. أم

(٢٩٥) مسند أحمد ٢٨/ ٤٢٢.

(٢٩٦) قالوا: قال، م، ي.

(٢٩٧) مما: ما، م، ي.

أيمن قالت: غَرْبَلْتُ دقيقا أصنعه رغيفا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فمر بي فقال: ما تصنعين؟ قلت: هذا شيء كنا نصنعه في أرضنا، فقال: رُدِّيه ثم اعجنيه[٢٩٨].

يحيى بن معاذ: معشر الصديقين، جوِّعوا أنفسكم لوليمة الفردوس فإن[٢٩٩] شهوة الطعام على قدر تجويع الأنفس.

يحيى بن معاذ: الشبع يكنى أبا الكفر.

الحسن: لا تجمعوا بين الإدامين فإنه طعام المنافقين.

وأتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسويق اللوز، فلما خَبِضَ قال: «ما هذا»؟ قيل: سَوِيقُ اللَّوز، قال: «أخِّروه عني، فإن هذا شراب المترفين».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «شرار أمتي الذين ولدوا في النعيم، وغذوا به، إنما همتهم ألوان الطاعم وألوان اللباس، يتشدقون في الكلام».

وسئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ما أكثر ما يدخل النار؟ قال: «الأجوفان: البطن والفرج».

سمط بن عجلان: يابن آدم بطنك شبر في شبر، فَلِمَ تدخلك النار؟

شعر:

إن لـم تـذُدْ نفسَـك عـن هواهـا ... وتعطهـا إن سـألت مناهـا
وأجوفاهـا قَضَيَـا شـهاها ... لـن تلـج الخُلْـد ولـن[٣٠٠] تراهـا

حاتم الأصم: دع الشهوات تَنْجُ من خدمة الدنيا، ودع اللذات تنج من الإثم، ودع الطمع تنج من الغم.

الحسن قال: أُتي عمر بشربة[٣٠١] عسل فلم يشربها وقال: أكره أن تذهب لذتها وتبقى تبعتها.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أبلوا أجسادكم بالجوع والعطش، وأفنوا لحومكم، وأذيبوا شحومكم، تستبدلوا لحومًا طيبة محشوة بالمسك والكافور في الجنة».

---

(٢٩٨) أم أيمن...أعجنيه: -، ي. انظر: الجوع لابن أبي الدنيا ص ١١٤.
(٢٩٩) فإن: فإنه، م، ي. إحياء علوم الدين ٣/ ٩١.
(٣٠٠) الخُلْد ولن: الجلد ولا، م، ي.
(٣٠١) بشربة: مشربة، م، ي. الجوع لابن أبي الدنيا ص١٦٣.

علي عليه السلام: كثرة الأكل مفسدة للقلب.

أبو الدرداء: جُعل كل خير بين السماء والأرض في الجوع، وجُعل كل شر بين السماء والأرض في الشبع.

أويس: مساكين بني آدم، إن شبعوا كسلوا، وإن جاعوا ضعفوا، وإن كانوا في ضر لم يصبروا، وإن كانوا أصحاء لم يشكروا، هذا دَأْبهم وهذه أخلاقهم، وليس لهذا خلقوا.

الحسن: ابن آدم أسير الجوع، صريع الشبع.

أبو الدرداء: لقد أتى علينا زمان وإن المَمْقُوت[٣٠٢] عندنا الممتلئ شحمًا، البرَّاق الثياب، ولقد رأيته المغبوط فيكم[٣٠٣].

يحيى بن معاذ: جع تشبع،واشبع لتقنع، واقنع لتخشع، واخشع لترفع.

أنس بن نافع: ويل لمن همُّه بَطْنُه، ودِينُه دنياه.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من وعاء أبغض إلى الله من بطن ملئ ولو من حلال».

علي بن بكار: مَنْ خبَّرك أن مَنْ يشبع[٣٠٤] مِنَ الطعام يطيق[٣٠٥] القيام فلا تصدقه.

نور الشامي: قرأت في بعض الكتب أن الجوع والعطش يذهبان[٣٠٦] حب الدنيا من[٣٠٧] قلوب الأبرار[٣٠٨] حتى يغفل المرء عن نفسه.

يحيى بن معاذ: لم أر شيئًا أدعى إلى الزهد من هذا الفقر، ولا أعون على ذكر الآخرة من الجوع.

---

(٣٠٢) المَمْقُوت: المعنت، م، ي. المروءة لابن المرزبان ص٨٢.

(٣٠٣) المروءة لابن المرزبان ص٨٢.

(٣٠٤) يشبع: شبع، م، ي.

(٣٠٥) يطيق: فيطيق، م، ي.

(٣٠٦) يذهبان: يبان، م، ي.

(٣٠٧) من: في، م، ي.

(٣٠٨) الأبرار: الفجار، م، ي.

وعنه: لو شَفَعْتَ إلى نفسك بكل شيء[٣٠٩] وكتاب وحكمة وولي على أن تصالحك[٣١٠] في ترك الدنيا لم تُجِبْك[٣١١] حتى تشفع إليها بالجوع.

فصل في التقشف في الثياب

معاذ بن أنس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من ترك اللباس وهو يقدر عليه تواضعًا لله دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلاق حتى يخير في حلل الإيمان، فيلبس أيها شاء».

أبو أمامة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «البَذَاذَةُ[٣١٢] من الإيمان ثلاثًا».

وعن بردة قال: دخلت على عائشة: فأخرجت إلينا كساء مُلَبَّدًا[٣١٣] وقالت: في هذا قبض نبيكم.

أبو هريرة قال: رأيت سبعين من أهل الصُّفَّة يُصَلُّون في ثوب، منهم من لا يبلغ ركبته، فإذا ركع[٣١٤] أحدهم قبض بيديه[٣١٥] على عورته مخافة أن تبدو عورته.

سلمان: من ركب المنظور، ولبس المشهور واستلقى على المأثور، لم يرح رائحة الجنة.

وقال علي لعمر: إن أردت أن تلقى صاحبك فرقِّع قميصك، واخصف نعلك، وقصِّر أَمَلك، وكُلْ دون الشبع.

وقيل لأبي ذر وقد دُخل عليه: أين متاعكم؟ قال: إن لنا بيتًا نُوَجِّه[٣١٦] إليه صالح متاعنا، فقيل: إنه لا بُدَّ لك[٣١٧] [من متاع] ما دمت هاهنا، قال: إن رَبَّ المنزل لا يَدَعُنا فيه[٣١٨].

---

(٣٠٩) نبيّ: شيء، م، ي.
(٣١٠) تصالحك: يصالحوك، م، ي.
(٣١١) تُجِبْك: يجيك، م، ي.
(٣١٢) البَذَاذَةُ: رثاثة الهيئة. لسان العرب (بذذ).
(٣١٣) الثوب المُلَبَّد: المُرَقَّع. تاج العروس (لبد). جامع معمر بن راشد ١١/ ٣٠٩.
(٣١٤) ركع: بلغ، م، ي.
(٣١٥) بيديه: يده يد، م، ي.
(٣١٦) نُوَجِّه: يوجه، م، ي. شعب الإيمان ١٣/ ١٩٢.
(٣١٧) فقيل إنه لابُدَّ لك: فقال إنه يدرك، ي؛ -، م. شعب الإيمان ١٣/ ١٩٢.
(٣١٨) شعب الإيمان ١٣/ ١٩٢.

ابن مسعود: كان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخشن [ثيابًا] وأرق قلوبًا من التابعين، والتابعون أرق ثيابًا وأخشن قلوبا من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم (٣١٩).

وكان مالك بن دينار يلبس العباء، وكان كثيرا ما يعرِّض بطيلسان بكر بن عبد الله، فقال له الحسن: يا مالك قد أكثرت في طيلسان بكر وأنا عليك في عبادتك أخوف مني على بكر في طيلسانه، فقال: يا أبا سعيد أنشدك الله زيِّي (٣٢٠) بزي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [أشبه] أم زيُّه؟ قال: بل زيُّك، وقال(٣٢١): قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يشبه الزّي الزي حتى يشبه القلب القلب».

أنس بن مالك: ما شبهت الناس اليوم في المسجد وكثرة الطيالسة إلا بيهود خيبر(٣٢٢).

عروة بن الزبير: رأيت رداء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان يخرج به إلى الوفد طوله أربعة أذرع وعرضه ذراعان وشبر.

وخرج علي إلى السوق وعليه ثياب غلاظ غير غسيل(٣٢٣) متقلص(٣٢٤)، فقلت له: يا أمير المؤمنين، لو لبست آلين من هذا؟ فقال: هذا أخشع للقلب وأشبه بشعار الصالحين، وأحسن أن يقتدي به المؤمن.

أبو عثمان النهدي: رأيت على عثمان قميصًا فيه اثنتا عشرة(٣٢٥) رقعة وهو على المنبر يخطب.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن في الجنة لغرفًا: إذا فتح باب(٣٢٦) من أبوابها ذهب ضوء أهل الجنة»، قيل: يا رسول الله من يدخلها؟ قال: «أصحاب التطهير في الدنيا، لباسهم الرهبانية، والمتحابون في الله».

---

(٣١٩) تنبيه المغترين أواخر القرن العاشر ص١١١.

(٣٢٠) زيِّي: لزيي، م، ي.

(٣٢١) وقال: فقال، م، ي.

(٣٢٢) مسند البزار ١٤/٦.

(٣٢٣) غسيل: غسل، م، ي، الإعتبار وسلوة العارفين ص٨٨.

(٣٢٤) تَقَلَّصَ الثوب: انكمش.

(٣٢٥) اثنتا عشرة: اثنا عشر، م، ي.

(٣٢٦) باب: بابًا، م، ي.

عمر: إذا أكلت الطيب ولبست اللين فما بقي من دينك.

ابن مسعود: كونوا جدد القلوب، أخلاق الثياب، ينابيع العلم، أحلاس البيوت، تُعرَفون في أهل السماء، وتخفون على[٣٢٧] أهل الأرض.

وقال رجل في مجلس السري السقطي: إن الله جميل يحب الجمال، فقال السري: يا لكع ذهبت إلى غير وجهه، إن الله جميل يحب أن يُتزين له بطاعته، ولو كان الجمال بالثياب لكان الفاجر أحب إلى الله من المؤمن.

ابن عباس: ما لبس نبي الله موسى صلوات الله عليه وسلم إلا الصوف حتى قبض.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لقد مر بالصخرة من الروحاء سبعون نبيًا ليس منهم أحد إلا وعليه عباء من صوف ورداء من صوف يرومون بيت الله العتيق، منهم موسى كليم الله».

أبو الدرداء قال لأم الدرداء: إذا رأيت الناس قد لبسوا المِرْعِزَّى[٣٢٨] فالبسي الصوف، فإذا رأيتهم يلبسون[٣٢٩] الكِتَّان فالبسي القطن.

فصل في الاكتساب

قال الله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [النساء:٢٩]، وقد اختلف الناس في التكسب، فمنهم من قال: إنه حرام، ومنهم قال: حلال، والمكتسب من وجه حلال طيب باتفاق الفقهاء، والمكتسب من وجه حرام قد يكون حرامًا وقد يكون مكروهًا يلزمه التصدق به، وموضع هذا كتب الفقه. وقد ورد أخبار في إباحة التكسب وطلب الرزق، ووردت أخبار في النهي عن التعرض للكسب الحرام.

وأما الكسب الحلال فقد قال تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [النساء:٢٩] ونحوها، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «طلب الحلال فريضة بعد الفريضة»، رواه علقمة بن عبد الله.

---

(٣٢٧) على: في، م، ي. سنن الدارمي ١/ ٣١٧.
(٣٢٨) المِرْعِزَّى: كالصوف يُخَلَّص من شعر العنز. العين (مرعز).
(٣٢٩) يلبسون: يلبسوا، م، ي.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من طلب الدنيا حلالًا سعيًا على أهله وتعطفًا على جاره واستعفافًا عن المسألة لقي الله ونور وجهه كالقمر ليلة البدر، ومن طلب الدنيا حلالًا مفاخرًا مكاثرًا مرائيًا لقي الله وهو عليه غضبان»، رواه أبو هريرة.

وقال رجل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا رسول الله ادع الله أن يستجب دعائي، فقال: «إن أردت ذلك فأَطِبْ كَسْبَكَ».

وسئل بعضهم: ما خير المكاسب؟ قال: خير مكاسب[٣٣٠] الدنيا أن تكسب الحلال لزوال الحاجة، والأَخْذُ منها لعدة العبادة[٣٣١]، وتقديم الفضل لزاد سفر يوم القيامة، فأما خير مكاسب الآخرة فعلوم مستورة نشرتها، وأعمال[٣٣٢] صالحة قدمتها، وسُنَّة حَسَنة أحييتها[٣٣٣].

وعن ابن عباس قال: مر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوم بموضع يقال له قباء في المدينة، فمنهم من يصلي، ومنهم من يتذاكر العلم، ومنهم من يتدارس القرآن، فوقف عندهم ساعة، ثم قال: «من أنتم»؟ قالوا: يا رسول الله نحن قوم قرأنا القرآن، فمررنا بقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۞ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢، ٣]، وتوكلنا على الله فهو حسبنا ونعم المتوكلون، وإن الله سيرزقنا، فقال: «يا قوم قوموا تفرقوا واكتسبوا وابتغوا من فضل ربكم، فإن الله لم يأمر بهذا، قال الله تعالى: ﴿قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ [الطلاق:٣] يعني لكل أمة رزقًا وحرفة وكسبًا وأنتم المتواكلون[٣٣٤] على الناس، إنما المتوكل على الله الذي يصلي الخَمْسَ في الجماعة، ويبتغي مِنْ فَضْل ربه»، قال ابن عباس: فما تم رسول الله حتى تفرقوا وصاروا بعد ذلك أصحاب تجارات.

ومر عمر بقوم فقال: من أنتم؟ فقالوا: نحن المتوكلون، قال: كُذبتم أنتم المتواكلون[٣٣٥]، إنما المتوكل رجل ألقى الحب وهو ينتظر الغيث.

---

(٣٣٠) مكاسب: المكاسب، م، ي. تنبيه الغافلين ص٤٥٤.
(٣٣١) العبادة: العباد، م، ي. تنبيه الغافلين ص٤٥٤.
(٣٣٢) وأعمال: أعمال، م، ي. تنبيه الغافلين ص٤٥٤.
(٣٣٣) أحييتها: أجريتها، م، ي. تنبيه الغافلين ص٤٥٤.
(٣٣٤) المتواكلون: المتآكلون، م، ي. ينابيع النصيحة في العقائد الصحيحة ص٢٧١.
(٣٣٥) المتواكلون: المتآكلون، م، ي.

علي عليه السلام: وددت أن لي درهمًا من حلال فكنت أشتري به طعامًا فأدقه فأجعله في قارورة استشفي به الناس[٣٣٦].

ابن عباس: طلب الحلال أشد من قراع الكُماة.

أبو ذر: من أصاب مالًا من حلال ثم أنفقه في حله فذاك يغسل الخطايا كما يغسل الماء التراب، ومن أصاب مالًا من غير حله فذاك الداء العضال.

ميمون بن مهران: لو أن كل رجل منا تعاهد[٣٣٧] كسبه فلم يكتسب إلا طيبًا وأخرج حقوق الله، ما بطر الأغنياء ولا احتاج الفقراء.

بشر بن الحارث[٣٣٨]: ثمانية[٣٣٩] كانوا يتحرَّون[٣٤٠] عن مطعمهم جدا، فإن وجدوا حلالًا أكلوا وإلا استفُّوا التراب: الثوري، وابن أدهم، وأبو معاوية[٣٤١] الأسود، وعلي بن فضيل[٣٤٢]، وسليمان الخواص، وابن أسباط، والمرعشي، ووهيب.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر: «إذا اكتسبت فاكتسب من الحلال، وإذا عملت فاعمل بإخلاص، وإذا رضيت فارض بالقوت، وعُدَّ نفسك في الموتى».

واجتمع حبيب العجمي ومالك بن دينار ويزيد الرقاشي، فتذاكروا الصناعات، فقال مالك: ولو خُيِّرت لاخترت أن أكون حدادا، لكي أذكر النار ولهبها، فقال حبيب: لكني اخترت حفر الأجداث لكي أذكر القبر وضنكه، فقال يزيد: لكني اخترت كتب المصاحف لعلي أذكر ما فيها من الترغيب والترهيب، أما الكسب الحرام فقد قال تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة:٤٢].

وروى علي عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «كَسْبُ المغنية سُحْتٌ،

(٣٣٦) بهجة النفوس والأحداق ١/ ٤٠٤.
(٣٣٧) تعاهد: يعاهد، م، ي.
(٣٣٨) الحارث: الحرث، م، ي. تهذيب الكمال ٨/ ٢٤٣، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٤/ ٣٨٩.
(٣٣٩) ثمانٍ: ثماني، م، ي.
(٣٤٠) يتحرَّون: يبحثون، م، ي.
(٣٤١) أبو معاوية: ابن معونة، م، ي. تهذيب الكمال ٨/ ٢٤٣، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٤/ ٣٨٩.
(٣٤٢) فضيل: الفضيل، م، ي، تهذيب الكمال ٨/ ٢٤٣، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٤/ ٣٨٩.

وكسب الزانية[٣٤٣] سحت، وكسب المغني سحت، وحق على الله ألّا يدخل الجنة لحم نبت من سحت».

ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا يكسب عبد مالًا من حرام فيتصدق به فيؤجر عليه، ولا ينفق منه فيبارك [له] فيه، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار».

وسمع علي بن الحسين عليهما السلام رجلًا يقول: اللهم ارزقنا حلالًا صافيًا، فقال: يا هذا، سَلْ الله رزقًا لا يعاقبك عليه، فإن الحلال الصافي رزق الأنبياء.

مسعر: ما أعرف اليوم شيئًا حلالًا إلا أن يأتي الرجل دجلة فيشرب بكفيه، إن رجلًا من السلف دخل الشام لطلب الحلال، فأكل الحشيش حتى اخضر بطنه، فرأى في المنام الآن صفا بطنك من الحرام.

ابن شبرمة: العجب ممن يحتمي من الحلال مخافة الداء، كيف لا يحتمي من الحرام مخافة النار.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من لم يبال من أين يكتسب المال لم يبال الله من أين يدخله النار».

إبراهيم بن أدهم: أعز شيء في الدنيا ثلاثة: أخ في الله، ودرهم من حلال، وكلمة حق عند ذي سلطان.

ابن عباس: لا يقبل الله صلاة امرئ في جوفه حرام.

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به».

وخطب حذيفة بالمدائن فقال: أيها الناس تعاهدوا ضرائب غلمانكم فإن كانت من حلال فكلوها، وإن كانت من حرام فارفضوها، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [يقول]: «ليس لحم ينبت من سحت فيدخل الجنة»[٣٤٤].

وقال الله لموسى عليه السلام: من كان غذاء جسده من حرام كانت النار أولى به.

---

(٣٤٣) الزانية: الغانية، م، ي. ينابيع النصيحة ص٢٧٢.

(٣٤٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ١/ ٢٨١.

سفيان: قلب[٣٤٥] الرجل حيث كنزّه[٣٤٦]، وقال: إياك أن ترجع[٣٤٧] إلى بيتك بزاد[٣٤٨] خبيث فعسى أن تكون مغناةً[٣٤٩] لغيرك ووباله عليك.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من اكتسب مالًا من حرام لم يقبل الله منه صدقة ولا عتاقًا ولا حجًا ولا اعتمارًا، وكتب عليه بقدر ذلك أوزارًا، وما بقي معه بعد موته كان زاده[٣٥٠] إلى النار».

علي عليه السلام: إنك لا تكسب من المال شيئًا فوق قوتك إلا كنت فيه خازنًا لغيرك.

وكان محمد بن واسع يتمثل[٣٥١]:

لا تخلِطَنَّ خبيثاتٍ بطيِّبة ... واخلع ثيابك عنها وانجُ عريانا

وكان مسلمة بن عبد الملك يقول:

ولو بعض الحلال ذهلت[٣٥٢] عنه ... لأغناك الحلال عن الفضول

ابن المبارك:

أتعصي بعد شيبك يا أُخَيَّ ... كما قد كنت تعصيه غلاما

أراك من التهاون لا تبالي ... حلالًا كان كَسْبُك أو حراما

ابن عمر: من اشترى ثوبًا بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم حرام لا يقبل الله ما دام عليه منه شيئًا[٣٥٣]، صمت أذناي إن لم أكن سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرتين أو ثلاثًا.

يحيى بن معاذ: في اكتساب الدنيا ذل النفوس، وفي اكتساب الآخرة عز النفوس، فيا عجبًا ممن يختار الذلة فيما يفنى على العز فيما يبقى.

---

(٣٤٥) قلب: أين، م، ي. المجالسة وجواهر العلم ١/ ٣٣٧.
(٣٤٦) كنزّه: أخبره، م، ي. المجالسة وجواهر العلم ١/ ٣٣٧.
(٣٤٧) ترجع: ترفع، م، ي.
(٣٤٨) بزاد: يراد، م، ي.
(٣٤٩) مغناة: مهناة، م، ي.
(٣٥٠) زاده: رداه، م، ي.
(٣٥١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ٩/ ٣٠٠. والبيت قائله أمية بن أبي الصلت.
(٣٥٢) ذهلت: ذهبت، م، ي. تاريخ دمشق لابن عساكر ٣١/ ٤٩٩.
(٣٥٣) شيئا: شيء، م، ي.

لقمان: من أكل الحرام يجري على لسانه الزور والكذب، ومن أكل المتشابه يجري على لسانه الغيبة والفضول، ومن أكل الحلال يجري على لسانه العلم والحكمة.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا كانت سنة ستين ومائتين من بعدي يقل الكسب الحلال».

الحسن: إذا أردتم أن تعلموا من حيث أصاب الرجل المال فانظروا فِيمَ ينفقه، فإن الخبيث يُنْفَقُ سَرَفًا.

وعنه: ويحك يابن آدم أنت مقيم على اكتساب الحرام وقد ترى ممر الليالي والأيام، وأنت مكب على الشرور والآثام(٣٥٤)، وقد جد بك الأمر الجليل، والحزن الطويل، فما تنتظر بأولئك.

الثوري: لو نظرتم في خبز الحلال ما شبعتم من خبز الشعير.

وقال رجل للفضيل: أين أجلس؟ قال: حيث يسلم لك دينك ويطيب لك قوتك.

فصل في الجد في العبادة وتعذيب النفس

قال تعالى: ﴿وَجَـٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ﴾ [الحج:٧٨]، قال الله تعالى: ﴿طه * مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه:١، ٢]، قيل: نزلت لما صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى تورمت قدماه، فقال الكفار: إنه ليشقى، فنزلت الآية.

وروى المغيرة بن شعبة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي حتى تورم قدماه، فقيل له في ذلك: أتفعل وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبدًا شكورا».

الحسن: أدركت أقوامًا كان أحدهم أشح على عمره منه على درهمه(٣٥٥) وديناره.

وكان عمر بن عتبة يخرج ليلًا فيقف على القبور ويقول: طويت الصحف، ورفعت الأعمال، ثم يصف بين قدميه حتى يصبح فيشهد الصلاة في المسجد.

---

(٣٥٤) الشرور والآثام: السر والأيام، م، ي.

(٣٥٥) على درهمه: بدرهمه، م، ي. العمر والشيب لابن أبي الدنيا ص٨١.

وكان أويس القرني يقول: هذه ليلة الركوع، فيحيي[٣٥٦] الليل كله في ركعة، وهذه ليلة السجود فيحيي[٣٥٧] الليل في سجدة.[٣٥٨]

وكان الحسن يقول: يا قوم، المداومة المداومة، فإن الله لم يجعل لعمل المؤمن أجلًا دون الموت.

أبو هريرة قال: إني جعلت الليل ثلاثة أثلاث: ثلثًا أنام فيه، وثلثًا أصلي، وثلثًا أستيقظ[٣٥٩] أستذكر فيه أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن أبغض الخلق إلى الله الصحيح الفارغ».

وعن أبي الأحوص قال: كان الرجل ليطرق الفسطاط فيسمع فيه دويًا كدوي النحل، فما بال هؤلاء يأمنون ما كان أولئك يخافون.

مجاهد: المجتهد فيكم اليوم كاللاعب فيمن كان قبلكم[٣٦٠].

بلال بن سعد: زاهدكم راغب، ومجتهدكم مقصر، وعالمكم جاهل، وجاهلكم مغتر.

المسور[٣٦١] بن مخرمة: لقد جالست أقوامًا لو رأوني[٣٦٢] جالسًا معاكم لاستحييت منهم.

الربيع بن خثيم: إنا جالسنا أقوامًا نحن في جنبهم لصوص.

عبد الله بن داود: كان أحدهم إذا بلغ أربعين سنة طوى فراشه.

وروي أن ابنة لسعيد بن جبير قالت له: يا أبت ما لي أرى الناس ينامون وأنت لا تنام؟ قال: يا بنية إن خوف جهنم لا يدعني أنام.

مالك: لو استطعت ألاّ أنام لم أنم مخافة أن ينزل العذاب وأنا نائم، ولو وجدت أقوامًا لفرقتهم في منازل الدنيا ينادون: النار النار.

(٣٥٦) فيحيي: فيحني، م، ي. إحياء علوم الدين ٤/ ٤١٠.
(٣٥٧) فيحيي: فيحني، م، ي. إحياء علوم الدين ٤/ ٤١٠.
(٣٥٨) تاريخ دمشق لابن عساكر ٩/ ٤٤٤.
(٣٥٩) استيقظ: استكد، م، ي.
(٣٦٠) الزهد لابن حنبل ص٣٠٧.
(٣٦١) المسور: سعيد، م، ي. الزهد لابن المبارك ص٢٢٣.
(٣٦٢) رأوني: رآني، م، ي. الزهد لابن المبارك ص٢٢٣.

الحسن: أدركت سبعين بدريًا لو رأوكم لقالوا: ما لهؤلاء في الآخرة من خلاق، ولو[٣٦٣] رأوا شراركم لقالوا: هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب.

قيل لأعرابي: تصوم في هذه البادية والسَّمُوم[٣٦٤]، قال: كانت الدنيا ولم أكن، وتكون الدنيا ولا أكون، أفأدع أيامي تذهب باطلًا.

الربيع بن خثيم: لقد رأيت للجنة طلابًا ومن النار هرابًا، فلم أركم تشبهونهم[٣٦٥].

ثابت البناني: أدركت رجالًا يصلي أحدهم حتى ما يأتي فراشه إلا حبوًا.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أرأيتم نفسًا إن نَعَّمها صاحبُها ذَمَّتْه غدًا قُدَّام الله، وإن أَتْعَبَها وأَنْصَبها مدحَتْه غدًا قُدَّام الله»؟ قالوا: ما هي يا رسول الله؟ قال: «نَفْسُكم التي بين جنبكم».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما رأيت كالجنة نام طالبها، ولا كالنار نام هاربها».

وعن بعض الحكماء قال: شاورت نفسي في القيام والمنام، ثم توسدت فنمت، فأتاني آتٍ فقال: قل، فقلت: ما أقول؟ قال: قل شعر:

يـا خَـدُّ إنـك إن تُوَسَّـدْ لَيِّنـا ... وُسِّدْتَ بعد الموت صُمَّ الجَنْدَلِ
فاعمل لنفسك في حياتك صالحًا ... فلتندمَـنَّ غـدًا إذا لـم تَفْعَـلِ

فضالة بن عبيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «المجاهد من جاهد نفسه في الله».

عبد الله بن عمر قال: جاء أعرابي فقال: يا رسول الله أخبرني عن الهجرة: أهي إليك أينما كنت؟ أم إلى أرض معروفة؟ أم لقوم حاضرين؟ أم إذا مت انقطعت؟ فسكت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: «أين السائل»؟ فقال: أناذا يا رسول الله، فقال: «الهجرة: أن تهجر الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وأنت مهاجر وإن مِتَّ بالحضر».

لبعضهم: جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من خاف الله أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا وإن سلعة الله غالية».

---

(٣٦٣) ولو: فلو، م، ي.

(٣٦٤) السَّمُومُ: الريح الحارّة. الصحاح (حرر).

(٣٦٥) أركم تشبهونهم: أرهم يشبهونهم، م، ي.

وقال عمر لرجل يوصيه: [اعمل] لنفسك، فإن الأكياس قد سبقوك إلى رغد عيش ومعالي الدرجات، فكم من ولي لله قد كان في الدنيا حقيرًا وعند أهله ذليلًا قد صار إلى قصور الياقوت وخيام المرجان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، وكم من عدو لله كان في الدنيا عظيمًا وعند أهله عزيزًا قد صار إلى نار الله الحامية وإلى مذلة بعد تعزز.

سلمان: أربعة لا أتركها إلى الموت: أصلّي[٣٦٦] فإذا أعيت الرِّجْل أقول لها: [استريحي][٣٦٧]، أنت أيها اللسان قد رجعتْ النوبة إليك فاجتهد بالذكر، فإذا أعيا أقول للعين: قد رجعت النوبة إليك فانظري[٣٦٨] بالعبرة، فإذا أعيت أقول للرِّجْل قد رجعتْ النوبة إليك.

شقيق: الجهد في الرضى أهون من الحسرة في البلاء.

الداراني: ليس العجب ممن لا يجد لذة الطاعة، العجب ممن وجد لذتها ثم تركها.

وكان حبيب العجمي إذا ذهب هَزِيعٌ[٣٦٩] من الليل يقول لامرأته: قومي يا عمارة حتى تقطعي طريق الآخرة، فقد مضت القافلة، والسفر بعيد، والزاد[٣٧٠] قليل.

سميط بن عجلان: إني والله ما رأيت أبدانكم إلا مطاياكم إلى ربكم فأمضوها[٣٧١] في طاعة الله، بارك الله لكم.

أبو حازم: كنا نقول: لئن كان أحد من حديد فسعيد بن المسيب، من كثرة اجتهاده وعبادته.

وكان علي إذا جنه الليل زفر زفرة ويقول: ويلك[٣٧٢] يابن آدم اعمل في ليلتك هذه، فإنها لم ترد عليك فيما مضى، ولئن صرفت عنك لا ترجع إلى قيام الساعة. وإذا جاء النهار قال مثل ذلك.

عبد الواحد بن زيد قال: إن معاذ بن جبل استبطأ نفسه في الطاعة لله تعالى فغضب على

(٣٦٦) أصلّي: أصل، م، ي. الإرشاد إلى نجاة العباد ص٢٩٢.
(٣٦٧) الإرشاد إلى نجاة العباد ص٢٩٢.
(٣٦٨) انظري: انظر، م، ي. الإرشاد إلى نجاة العباد ص٢٩٢.
(٣٦٩) الهَزِيعُ: جزء من الليل في أوله نحو ثلثه. لسان العرب (هزع).
(٣٧٠) الزاد: الرد، م، ي.
(٣٧١) أمضوها: أنضوها، م، ي. محاسبة النفس لابن أبي الدنيا ص١٣٤.
(٣٧٢) ويلك: في تلك، م، ي. الإرشاد إلى نجاة العباد ص٢٦٤.

نفسه، وخرج بقيع الغرقد، وبرز[٣٧٣] وألقى ثيابه وجعل يتقلب على الرمضاء ويبكي، ويقول: ذوقي يا نفس جيفة بالليل وبطّالة[٣٧٤] بالنهار، فنزل جبريل وقال: يا محمد ما هذا الذي باهى الله به الملائكة من أصحابك في هذا اليوم؟ فقال: «ما أدري»، فقال: انطلق معي حتى أدركه، فجاء به إلى البقيع، فلما بصر به لبس ثيابه وجعل يعتذر، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما حملك على هذا»؟ قال: يا رسول الله إن نفسي أعيتني فأردت أن أذكّرها عذاب الله، فقال: «إن الله قد باهى بك الملائكة، ولك عند الله دعوة مجابة فادع لإخوانك»، فقال: اللهم اجمع على الهدى أمرنا، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «زدهم»، فقال: اجعل التقوى زادنا، فقال: «زدهم»، قال: اجعل الجنة مآبنا، قال: «آمين آمين، وجبت».

مالك بن دينار: ما سَرَرْتُ نفسي إلا ساءتني، ولا سُؤْتها إلا سَرَّتْني.

فضالة بن عبيد، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «المجاهد: مَنْ جاهد نفسه في الله».

أبو مالك الأشعري: ليس عدوك الذي إذا لقيته فقتلته آجرك[٣٧٥] الله في قتله، ولكن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيتك، وامرأتك التي تضاحكك، وولدك الذي من صلبك، فهؤلاء أعدى عدوك.

وكان مالك بن دينار يقول:

أتروضُ نفْسَكَ بعدما هرمَتْ ... ومن العناء رياضة الهرمِ

يحيى بن معاذ: أعداء المرء ثلاثة: نفسه، وشيطانه، ودنياه، فالاحتراز من النفس بقطع الشهوات، ومن الدنيا بالزهد فيها، ومن الشيطان باختيار مرضاة [الرحمن][٣٧٦].

وكان الفضيل يقول: من أحب النظر إلى مُراءٍ فلينظر إليّ[٣٧٧].

يحيى بن معاذ: إنما أنت في الدنيا كالمريض الشديد الداء، إن صبرت نفسك على مضض الدواء اكتسبت بالصبر عافية الشفاء، وإن جزعت نفسك على ما تلقى من ألم الداء طالت لك[٣٧٨] مقاساة البلاء.

---

(٣٧٣) أبرز: برز، م، ي.

(٣٧٤) جيفة بالليل وبطّالة: خيفة الليل طال، ي. محاسبة النفس لابن ابي الدنيا ص٩٤.

(٣٧٥) آجرك: أحبك، م، ي. الذريعة إلى مكارم الشريعة ص٢٦٢.

(٣٧٦) تهذيب خالصة الحقائق ص٣٧٢.

(٣٧٧) إحياء علوم الدين ٣/ ٣٦١.

(٣٧٨) لك: له، م، ي.

وعنه: من أحب الله أبغض نفسه.

قوله: ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج:٧٨]، قيل: الجهاد ثلاثة: جهاد بالسيف مع الكفار، وجهاد باللسان مع الضالين المبتدعين، وجهاد بالقلب مع النفس والشيطان. وجهاد العمل[٣٧٩] لله رب العالمين حق جهاده: [أن] يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويُشكر فلا يكفر.

إبراهيم بن أدهم: لن ينال أحد[٣٨٠] درجة الصالحين حتى يجوز[٣٨١] ست عقاب:

أولها: يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة.

والثاني: يغلق باب العز ويفتح باب الذل.

والثالث: يغلق باب الراحة ويفتح باب الجهد.

والرابع: يغلق باب النوم ويفتح باب السهر.

والخامس: [يُغلق باب الغنى ويفتح باب الفقر][٣٨٢].

والسادس: يغلق باب الأمل ويفتح باب الاستعداد [للموت][٣٨٣].

وعن بعضهم: جئت إبراهيم بن أدهم وقد لف نفسه بعباءة ثم رمى بنفسه فلم ينقلب من جنب إلى جنب حتى طلع الفجر وأذن، فقام وصلى ولم يتوضأ، فحك في نفسي، فقلت: يرحمك الله نمت الليل؟ فقال: كنت جائلًا في رياض الجنة أحيانًا، وفي أودية النار أحيانًا، فهل من منام بين ذلك.

فصل في الاهتمام لأمر الآخرة

قال الله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الروم:٧]، منهم من كانت همته الدنيا فحُزْنه عليها[٣٨٤] وسروره بها، ومنهم من كانت همته الآخرة فحُزْنه عليها[٣٨٥] وسروره بها.

(٣٧٩) العمل: بالعمل، م، ي.

(٣٨٠) أحد: الله، م، ي.

(٣٨١) يجوز: تجوز، م، ي.

(٣٨٢) تاريخ المقريزى الكبير ١/ ٥٤.

(٣٨٣) تاريخ المقريزى الكبير ١/ ٥٤.

(٣٨٤) فحُزْنه عليها: محرمة عليه، م، ي.

(٣٨٥) فحُزْنه عليها: فحرمت عليه، م، ي.

وروى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الله يحب(٣٨٦) كل قلب حزين».

مالك بن دينار: القلب إذا لم يكن فيه حزن خرب، كما أن البيت إذا لم يسكن خرب.

الحسن: والله ما يسع(٣٨٧) المؤمن في دينه(٣٨٨) إلى الحزن.

بكر العابد: كل حزن يبلى إلا حزن الذنوب.

الربيع بن خثيم: ما أجد في الدنيا أشد هَماً من المؤمن، يشارك أهل الدنيا في هم المعاش وتَفَرَّد بهَمّ الآخرة(٣٨٩).

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا اقشعر جلد المؤمن من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما تحات عن الشجر ورقها».

قيل لهرم بن حيان(٣٩٠): أنت الشهرَ والدهرَ مهمومٌ فممَّ همك؟ قال: الحياء من ربي بما أفضيت إليه من المعاصي.

حاتم الأصم في قوله: ﴿ألا(٣٩١) تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ [فصلت:٣٠] إنما يقال: لا تخف ولا تحزن للخائف والحزين، فأما الآمن المستبشر(٣٩٢) فلا يجوز أن يقال لهما: لا تخف ولا تحزن.

إبراهيم التيمي: ينبغي لمن لا يخاف ولا يحزن ألاّ يكون من أهل الجنة؛ لأنهم قالوا: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ﴾ [فاطر:٣٤].

عبد الواحد بن زيد: لو رأيت الحسن لقلت قد بُثَّ عليه حزن الخلائق من طول تلك الدمعة وكثرة ذلك التسبيح(٣٩٣).

(٣٨٦) يحب: يح، م، ي. مسند البزار ١٠/ ٨٢.
(٣٨٧) يسع: يسمع، م، ي. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٢/ ١٣٣.
(٣٨٨) دينه: الدنيا، م، ي. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٢/ ١٣٣.
(٣٨٩) ربيع الأبرار ٢/ ١٥٦.
(٣٩٠) حيان: حبان، م، ي.
(٣٩١) ألا: لا، م، ي.
(٣٩٢) المستبشر: فالنا، م، ي. تفسير السمرقندي ٣/ ١٨٣.
(٣٩٣) المنتخب في النّوب، ص ١٣٥.

فصل في إصلاح السريرة

روى أبو يحيى بإسناده، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من استوى سريرته وعلانيته باهى الله به ملائكته وقال: هذا عبدي حقًّا».

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن العبد إذا صلى في العلانية فأحسن صلاته ثم صلى في السر فأحسن قال الله تعالى: «هذا عبدي حقًّا».

وروى أبو[٣٩٤] هريرة أن رجلًا قال: يا رسول الله إن الرجل يعمل [العمل] فيسره[٣٩٥] فإذا اطُّلع عليه أعجبه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «له أجران: أجر السر، وأجر العلانية»[٣٩٦].

أبو سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «فَضْل عَمَلُ السر على العلانية سبعين ضعفًا، [والعلانية أفضل] إذا أراد أن يُتَأَسَّى به»[٣٩٧].

عثمان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من كانت له سريرة صالحة كساه الله منها رداء يُعْرف به».

سفيان: كان يقال: من كانت سريرته أفضل من علانيته فذلك الفضل، ومن كانت سريرته مثل علانيته فذلك العدل، ومن كانت علانيته أفضل من سريرته فذلك الجور.

ليث بإسناده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس».

الحارث عن علي: ثلاث[٣٩٨] كان يتواصى العلماء [بها][٣٩٩] بينهم، وإذا غابوا كتب بعضهم إلى بعض: من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه، ومن أحسن سريرته أحسن الله علانيته، ومن أحسن فيما بينه وبين الله أحسن الله فيما بينه وبين الناس، وروي: كفاه الله أمر الناس.

---

(٣٩٤) أبو: أبا، م، ي.

(٣٩٥) فيسره: بسره، م، ي. الآداب الشرعية لابن مفلح ١/ ١٠٧.

(٣٩٦) الآداب الشرعية لابن مفلح ١/ ١٠٧.

(٣٩٧) شعب الإيمان ٩/ ٢٤٢.

(٣٩٨) ثلاث: ثلاثًا، م، ي. المشيخة البغدادية لأبي طاهر السلفي٩/ ٥١.

(٣٩٩) المشيخة البغدادية لأبي طاهر السلف٩/ ٥١.

بلال بن سعد: لا تكن وليًا لله في العلانية وعدوه في السر.

الحسن: إن المؤمن رجل صدق، قولُه عمَلُه، سرُّه علانيته، ومشهده مغيبه، وإن المنافق رجل كَذَّبَ قولَه عملُه، وسرُّه علانيته، ومشهده مغيبه.

الحسن: تحب الصالحين وتفر من أعمالهم، وتبغض الفجار وأنت أحدهم، وتلعن إبليس في العلانية وأنت صديقه في السر.

سفيان قال: إن الربيع بن خثيم كان عمله سرًا، يقرأ المصحف فيدْخُل الداخلُ فيغطيه.

أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يخرج في آخر الزمان أقوام يَخْتِلُون(٤٠٠) الدنيا بالدين، يلبسون جلود الضأن من اللِّين، ألسِنَتُهم أحْلى من السكر، وقلوبهم قلوب الذئاب، يقول الله تعالى: أبي يغترون، أم علي يجترئون، فبي حَلَفْتُ لأبعثن على أولئك فتنة تدع الحليم فيها حيران»(٤٠١).

وقيل لعبد الواحد: بم بلغ الحسن فيكم ما بلغ وكان فيكم فقيهًا؟ فقال: إن أردت حدثتك، وإن أردت بترْتُ(٤٠٢) القول بترًا، إن شئت في واحدة وإن شئت في اثنتين؟ فقيل: هات الاثنتين، فقال: كان إذا أمر الناس بشيء كان أعْمَلَ الناس له، وإذا نهى الناس عن شيء كان أتْرَكَ الناس له، فقيل: هات الواحدة، فقال: لم أر أحدًا(٤٠٣) قط سريرته أشبه بعلانيته منه.

الأحنف: ذو الوجهين لا يكون وجيهًا في الدنيا ولا يسود في الآخرة.

معاوية بن قرة: بكاء القلب(٤٠٤) خير من بكاء العين، وكان(٤٠٥) يقول: مَنْ يدلني على رجل بكَّاءٍ بالليل بسَّامٍ بالنهار.

ونظر أبو أمامة إلى رجل يبكي في المسجد وهو ساجد فقال(٤٠٦): أنت أنْت، قال: لو كان هذا في بيتك.

---

(٤٠٠) يَخْتِلُون: أي يطلبون. اللسان (ختل).

(٤٠١) سنن الترمذي ٤/ ١٨٢.

(٤٠٢) بترْتُ: بتر، م، ي.

(٤٠٣) أحدًا: أحد، م، ي.

(٤٠٤) القلب: العمل، م، ي. تنبيه المغترين أواخر القرن العاشر ص٣٥.

(٤٠٥) وكان: فكان، م، ي.

(٤٠٦) فقال: ويقول، م، ي. إتحاف السادة المتقين ١٠/ ٨٠.

فصل في الحرص وقصر الأمل

قال الله تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ﴾ [الحجر:٣].

[لا] ينبغي للعاقل أن يكون حريصًا على الدنيا طويل الأمل، وينبغي أن يكون قصير الأمل، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن أخوف ما أخاف على أمتي الهوى وطول الأمل، أما الهوى فيُضِلُّ عن الحق، وأما طول الأمل فيُنْسِي الآخرة»، قال: «يهرم ابن آدم ويشب فيه اثنان: الحرص، والأمل» رواه أنس.

وقال: «قلب الكبير شاب على حب اثنتين: حب الحياة، وحب المال».

محمد بن عمر قال: مررت برجل ينشد:

ألا رُبَّ ذي أَجَلٍ قد حَضَر ... طويل التَّمني قصير الفِكَر
إذ هَزَّ في المشي أَعْطَافَهُ ... تبيَّنْتَ في مَنْكِبَيْه البَطَر

فغدوت لأكتب تمام القصيدة فإذا قد مات.

وكان محمد بن بشر يتمثل(٤٠٧):

أرى كلَّ مغرور تُمَنِّيهِ نفسُه ... إذا [ما] مضى عام سلامةَ قابل

أبو سعيد الخدري قال: اشترى أسامة بن زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار إلى شهرٍ، فسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في ذلك: «ألا تعجبون من أسامة المشتري إلى شهر، إن أسامة لطويل الأمل، والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي فظننت أن شُفْرَيَّ(٤٠٨) يلتقيان حتى أقبض، وما رفعت قدمي فظننت أني واضعه(٤٠٩) حتى أقبض، ولا لقمت لقمة فظننت أني أسيغها حتى أَغُصَّ بها من الموت»، ثم قال: «يا بني آدم إن كنتم تعقلون فعُدُّوا أنفسكم من الموتى، فوالذي نفسي بيده إن ما توعدون لآتٍ وما أنتم بمعجزين».

ومر صالح المركب على رجل يغرس فسيلًا فقال شعر:

(٤٠٧) تاريخ المقريزي الكبير ٤/ ١٨٦.

(٤٠٨) الشُّفْرُ: أصل منبت الشعر من جفن العين. والشعر الذي ينبت فيه هو الأهداب. لسان العرب (شفر)، (هدب). حلية الأولياء ٦/ ٩١.

(٤٠٩) واضعه: أوضعه، م، ي.

تؤمل عيشًا لتبقى له فمات المؤمّل دون الأمل
يربي فسيلًا لينمو به فعاش الفسيل ومات الرجل

داود بن أبي هند قال: رأى عيسى رجلًا أخذ مسحاة ويثير الأرض، قال عيسى: اللهم انزع عنه الأمل، فوضع الشيخ المسحاة، وقال عيسى: اللهم رُدَّ عليه أمله، فعاد فأخذ المسحاة، فقال له عيسى: ما شأنك؟ قال: بينما أنا أعمل إذ قالت لي نفسي(٤١٠): إنك شيخ كبير تموت غدًا فما تعمل؟ فألقيت المسحاة واتكأت(٤١١)، ثم قالت لي نفسي: لا بد من المعيشة ما دمت حيًا لعلك تبقى، فعدت إلى المسحاة.

وكان عبد الله بن مرزوق يتمثل:

ومُؤَمِّلٍ قَدْ قُصِّرَتْ أكفانُه ومحاذِرٍ أكفانهُ لم تُغْزَلِ

داود الطائي: من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن طال أمله ساء عمله.

وروي أن أبا الدرداء أشرف على أهل حمص فقال: ألا تستحيون، تبنون ما لا تسكنون، وتأملون ما لا تدركون، وتجمعون ما لا تأكلون؟ لا جرم أن من كان قبلكم بنو شديدًا، وأمّلوا بعيدًا، وجمعوا(٤١٢) كثيرًا عتيدا، فأصبحت اليوم مساكنهم قبورًا، وأملهم غرورا، وجمعهم [بورا].(٤١٣)

ابن السماك: أيها المغتر بشبابه، أما علمت أن الأرواح تغدوا عليها وتروح.

الحسن: ابن آدم إنك في هدم عمرك منذ سقطتَ مِنْ بَطْن أمك.

وعنه: أيها الرجل تحسس(٤١٤) طعامك وشرابك في بطنك، أيها المرء لعل عشاك مهيًّا(٤١٥) لغيرك، أيها المرء لعَلّ السّواد(٤١٦) المختطف اليوم أنت، أيها المرء لا تدري بأي مَنية تموت، أيها المرء دَاوِ نفسك.

---

(٤١٠) نفسي: نفسك، م، ي.

(٤١١) اتكأت: اتكيت، م، ي.

(٤١٢) جمعوا: أجمعوا، م، ي.

(٤١٣) تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٧/ ١٣١.

(٤١٤) تحسس: تحسن، م، ي.

(٤١٥) مهيًّا: المهيأ، م، ي.

(٤١٦) السَّوَادُ: الشخص. الصحاح (سود).

وقيل لحكيم: إن فلانًا جمع مالًا كثيرا(٤١٧)، فقال: هل جمع حياةً(٤١٨) على قدر المال، قال: لا؟ قال: فلم يصنع(٤١٩) شيئًا، ما يصنع الموتى بالمال؟

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا زعيم لثلاثة أنفس بثلاث: للمكب على الدنيا الحريص عليها الشحيح بها بفقر لا غنى [بعده](٤٢٠)، وشغل لا فراغ [منه](٤٢١)، وهم لا فرح معه(٤٢٢)».

ابن مسعود قال: خط لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطًا، فوضع في وسطه شيئًا فقال: «هكذا الإنسان، وهكذا أجله»، ثم فرع(٤٢٣) إليه من الخط أشياء فقال: «هذه الأعراض إن أخطأته هذه أصابته هذه»، ثم وضع شيئًا أمامه وقال: «هذا أمله حال الأجل دون الأمل».

ابن مسعود: ما أصبح اليوم أحد من الناس إلا وهو ضيف وماله عارية، والضيف مرتحل، والعارية مردودة.

عَوْن(٤٢٤) بن عبد الله: كم من مستقبل يومًا لا يستكمله، وكم من منتظر غدًا لا يبلغه، لو رأيتم الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره.

وكان مسعر يتمثل:

ومُشَيِّد دارًا(٤٢٥) ليَسْكن دارَهُ ... سَكَنَ القبورَ ودارَهُ لم يَسْكُنِ

ويتمثل:

نهارُك يا مغرورُ سَهْوٌ وغفلةٌ ... وَلَيْلُكَ(٤٢٦) نومٌ والردى لك لازمُ
وسَعْيُك فيما سوف تَكْرَهُ غِبَّهُ(٤٢٧) ... كذلك في الدنيا تعيش البهائمُ

---

(٤١٧) كثيرا: كبيرًا، م، ي. تهذيب الأسرار في أصول التصوف ص٤٨٩.
(٤١٨) جمع حياةً: عد للحياة، م، ي. تهذيب الأسرار في أصول التصوف ص٤٨٩.
(٤١٩) يصنع: يستطيع، م، ي. تهذيب الأسرار في أصول التصوف ص٤٨٩.
(٤٢٠) تنبيه الغافلين ص٢٢٣.
(٤٢١) تنبيه الغافلين ص٢٢٣.
(٤٢٢) فرح معه: حزن، م، ي. تنبيه الغافلين ص٢٢٣.
(٤٢٣) فرع: أسرع، م، ي.
(٤٢٤) عَوْن: عزيز، م، ي. مصنف ابن أبي شيبة ٧/ ١٥٩.
(٤٢٥) دارًا: دار، م، ي. حلية الأولياء ٧/ ٢٢١.
(٤٢٦) وَلَيْلُكَ: فليلك، م، ي. حلية الأولياء ٥/ ٢٦١.
(٤٢٧) غبَّهُ: غيه، م، ي. حلية الأولياء ٥/ ٢٦١.

وكان عطاء يقول كل يوم بعد العصر[٤٢٨]: غدًا عطاء في القبر[٤٢٩].

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ بن جبل: «يا معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث، والوفاء[٤٣٠] بالعهد، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، وحفظ الجار، ورحمة اليتيم، ولين الكلام، وبذل السلام، وحسن العمل، وقصر الأمل، والتفقه في الدين، وحب الآخرة، والجزع من الحساب، وكظم الغيظ، وخفض الجناح».

داود الطائي: من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن طال أمله ساء عمله، وكل ما هو آتٍ قريب، وكل شيء يشغلك من ربك فهو مشؤوم، واعلم أن أهل الدنيا جميعًا من أهل القبور، إنما يندمون على ما يخلفون، ويفرحون بما يقدمون.

مجاهد قال: قال لي ابن عمر: إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح، وخذ من صحتك لسقمك، ومن حياتك لموتك، فإنك لا تدري ما اسمك غدًا، قال: وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ببعض جسدي وقال: «كن في الدنيا غريبًا أو عابر سبيل، وعُدَّ نفسك في أهل القبور».

فصل في العبودية

قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ..﴾ الآية [الفرقان:٦٣]، أشرف الأسماء العبد، ولذلك قال: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [ص:٤٥]، وكذلك جميع الأنبياء ذكرهم باسم العبد، وذكر محمدًا عليه السلام فقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء:١]، ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ [الجن:١٩].

ويقال: العبد على ضربين: عبدُ مِلْكٍ، وعبْدُ اختصاصٍ، الأول كقوله: ﴿إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم:٩٣]، والثاني: كقوله: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان:٦٣]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾ [البقرة:١٨٦].

أبو هريرة قال: جلس جبريل عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فنظر إلى السماء فإذا ملك

(٤٢٨) العصر: العدم، م، ي. حلية الأولياء ١/ ٢٢٠.

(٤٢٩) حلية الأولياء ١/ ٢٢٠.

(٤٣٠) والوفاء: في الوفاء، م، ي. إحياء علوم الدين ٢/ ٣٥٩.

نزل، فقال له جبريل: إن هذا ملك ما نزل منذ خُلق، فلما نزل قال: يا محمد أرسلني إليك ربك، فمَلَكًا[٤٣١] يجعلك، أو عبدًا رسولًا، قال جبريل: تواضعْ لربك، قال: «بل عبدًا رسولًا».

الحسن قال: أكل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الأرض، قالوا: يا رسول الله، تأكل على الأرض؟ فقال: «أنا عبدٌ، آكل حيث يأكل العبد، وأجلس حيث يجلس العبد».

ابن المبارك: العبد عَبْدٌ ما لم يطلب خادمًا يخدمه، فإذا طلب خادمًا فقد ترك أدب العبودية.

عطاء: العبودية في أربع خصال: الوفاء بالعهود، والحفظ للحدود، والرضا بالموجود، والصبر على المفقود.

وكان بشر الحافي في زمن [لَهْوِه] في داره وعنده رفقاؤه يشربون ويطربون، فاجتاز رجل من الصالحين ببابه فوقف دون الباب، فخرجت جارية فقال: صاحب الدار حر أم عبد؟ فقالت: حر، فقال: صدقت لو كان عبدًا لاستعمل العبودية وترك اللهو والطرب، فسمع بشر كلامه فخرج حافيًا حاسرًا، وقال له: أعد الكلمة، فأعادها، فعفر خده في التراب وقال: عبد عبد، ثم هام على وجهه حافيًا حاسرًا حتى عرف بالحافي، وقيل له: ألا تلبس؟ قال: لا، صالحني مولاي وأنا على هذه الصفة فلا أترك هذا أبدًا.[٤٣٢]

واشترى إبراهيم بن أدهم عبدًا فقال: ما تأكل؟ قال: ما تطعمني، قال: ما تلبس؟ قال: ما تلبسني، قال: ما تعمل؟ قال: ما تستعملني، قال: ليس لك إرادة؟ قال: ليس للعبد إرادة مع سيده، فراجع نفسه وقال: يا مسكين هل كنت لله ساعة مثل هذا.

وقيل لإبراهيم: أنت عبد؟ قال: نعم، قيل: لمن، فلما أراد أن يقول غشي عليه، فأفاق وهو يقول: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ الآية [مريم:٩٣].

شعر:

إذا سميتني عبدا ... فقد أجللت من أمري
ولو سميتني مولا ... فمولاي الذي يدري
ولو ناديتني ميْتًا ... لجاوبتك من قبري
ولو فَتَّشْتَ[٤٣٣] عن قلبي ... ترى[٤٣٤] اسمك في صدري

(٤٣١) فمَلَكًا: فملك، م، ي. مسند أحمد ١٢/ ٧٧.
(٤٣٢) التوابين لابن قدامة ص١٢٨.
(٤٣٣) فَتَّشْتَ: فتش، م، ي.
(٤٣٤) ترى: قري، م، ي.

شعر:

أنـا عبْـدٌ لمـن لـه الخَلْـقُ عبْـدُ ليـس لـي منـه كيفمـا كنـت بُـدُّ
صاحبـي مؤنسـي ومُنْشِـي عظامـي والـذي كان لـي ولـم أكُ بَعْـدُا

قوله: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ﴾ [فصلت:٥٣]، قال: ادعيت الربوبية وأرتب الوفا من الآيات والقدرة والنعمة وادعيت العبودية ولم تأت بمعنى.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يفخرن أحد على أحد، فإنكم عبيد والرب واحد».

فصل في حب الرئاسة

قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم..﴾ الآية [الكهف:٢٨].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «كفى بالمؤمن شرًّا[٤٣٥] أن يشار إليه بالأصابع، إلا من عصمه الله في دينه ودنياه».

وعن أنس قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله أي الدعاء أفضل؟ قال: «سل ربك العفو والعافية في الدنيا والآخرة»، ثم سأله من الغد، فأجابه بمثل ذلك، ثم أتاه اليوم الثالث فقال: «سل ربك العفو والعافية، فإذا أعطيتها فقد أفلحت»[٤٣٦].

عن عائشة قالت: يا رسول الله إن أدركت ليلة القدر فما أسأل الله تعالى؟ قال: «سلي الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة».

لقمان: يا بني حملت كل شيء فلم أجد شيئًا أثقل من الدَّيْن، وأكلت الطيبات وعانقت الحسان فلم أجد شيئًا ألذ من العافية، وذقت المرارات فلم أذق شيئًا أَمَرّ من الحاجة إلى الناس.

وكان الفضيل إذا سمع أصوات أهل السجن قال: يا أهل العافية ارحموا أهل البلاء.

(٤٣٥) شرًّا: الشر، م، ي.
(٤٣٦) سنن الترمذي ٥/ ٤١٥.

لخالد بن صفوان: بت أتمنى ليلتي كلها فكسوت[٤٣٧] البحر بالذهب الأحمر، فإذا الذي يكفيني[٤٣٨] من ذلك رغيفان وكوزان وطِمْرَان[٤٣٩].

مسلم بن قتيبة: الدنيا: العافية، والشباب: الصحة، والمروءة: الصبر على الأذى.

قال أيوب السجستاني: لما مات ابن أُذَينة ذُكِرَ لأبي قلابة القضاء، فهرب ليلًا حتى أتى الشام، فوافق عزل قاضيها، فذُكر له القضاء، فهرب حتى أتى اليمامة، قال أيوب: فلقيته، فقلت له: ما كان عليك لو دخلت في القضاء؟ فقال: ما وجدت مَثَلَ القاضي العالم إلا مثل رجل[٤٤٠] سابح في بحر [فكم] عسى أن يسبح حتى يغرق؟[٤٤١]

قال ابن المبارك: قلنا للحسن: إنك إذا رُئيت[٤٤٢] أشار الناس إليك بالأصابع، فقال: لم يعن بهذا هذا، إنما عنى به المبتدع في دينه، والفاسق في دنياه، ثم روى قوله: «إلا من عصمه الله في دينه ودنياه»[٤٤٣].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من سره أن يمثل له الرجال قيامًا فليتبوأ مقعده من النار».

يحيى بن معاذ: من طلب الرئاسة في الفتنة وقع في الحفرة.

وعنه: من شم الرئاسة يترك الرأس ولا يترك الرئاسة، ومن ابتلي بالرئاسة وقع في الدياسة[٤٤٤].

شقيق بن إبراهيم: الفتنة عند الناس ضَرْبُ السيوف، وإنما السيوف تَهِيجُ في[٤٤٥] الفتنة، فمن كانت فيه ثلاث[٤٤٦] فهو رأس كل فتنة، ومن لم تكن فيه عصم من كل فتنة: الطمع، والإعجاب، وحب الرئاسة والثناء.

---

(٤٣٧) فكسوت: فكبست، م، ي. المجالسة وجواهر العلم ٥/ ٣٦.
(٤٣٨) يكفيني: يكفي، م، ي. المجالسة وجواهر العلم ٥/ ٣٦.
(٤٣٩) الطِّمْرُ: الثوب الخَلَقُ. الصحاح (طمر).
(٤٤٠) رجل: ريح، م، ي. مصنف ابن أبي شيبة ٤/ ٥٤٣.
(٤٤١) مصنف ابن أبي شيبة ٤/ ٥٤٣.
(٤٤٢) رُئيت: رويت، م، ي.
(٤٤٣) إتحاف السادة المتقين ١٠/ ١٠.
(٤٤٤) الدياسة: الدناسة، م، ي. الجامع لأخلاق الراوي ص١٦٨.
(٤٤٥) في: من، م، ي. روضة الأمراء ودوحة الوزراء الأرموي ص ٤٦.
(٤٤٦) ثلاث: ثلاثة، م، ي. روضة الأمراء ودوحة الوزراء الأرموي ص ٤٦.

وروى أبو يحيى بإسناده عن أبي هريرة قال: قام فينا أبو بكر خطيبًا وقال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عام أول كمقامي فيكم اليوم، فقال: «إن الناس لم يعطَوا أشياء هي أفضل من العفو والعافية في الدنيا والآخرة».

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافىً في بدنه، وعنده طعام يومه، فكأنما حيزت له الدنيا».

مطرف بن عبد الله: لأن أُعافى فأشكر أحبُّ إليَّ من أن أُبتلى فأصبر.

الفضيل: ما طلب الرئاسةَ أحدٌ ولا أحَبَّها إلا طلب عثرات الناس وذكر مساوئهم، وكره أن يذكر أحد عنده بخير.

سليمان الخواص[٤٤٧]: ما من أحد يكون به داء إلا وأنا أرجوه، إلا من طلب الرئاسة وقرأ القرآن وتعلم السنة بماذا أداويه، فالقرآن والسنة عقاقير المسلمين الذين يتداوون بها، وأنا أرجو أن ألقى الداء عما سوى ذلك من المسلمين.

شعر:

يتيه ابن آدم في فعله ... كأن رَحَى الموت ما يطحنه
وقد يجمع المرء أمواله ... لأعدى عدو له يحزنه
وقد يأمل[٤٤٨] المرء طول البقاء ... ويبني بناء وما يسكنه

فصل في القُرّاء المرائين

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ﴾ [الماعون:٦].

وروى معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن يسيرًا من الرياء شِرْكٌ، وإن مَنْ عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة، إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء، الذين إن غابوا لم يُفقدوا، وإن حضروا لم يُدعوا ولم يُقرّبوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل فتنة غبراء مظلمة».

(٤٤٧) الخواص: بن الحواص، م، ي.
(٤٤٨) يأمل: يأمر، م، ي.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «تعوذوا من جُبّ[٤٤٩] الحزن»، قيل: ما جب الحزن؟ قال: «واد في جهنم يتعوذ منه أهل النار كل يوم أربعمائة مرة»، قيل: يا رسول الله من يسكنه؟ قال: «القراء المراؤون الذين يزورون الأمراء ويراؤونهم»، رواه أبو هريرة.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من صلى يرائي فقد أشرك، ومن تصدق يرائي فقد أشرك»، رواه شداد بن أوس.

قال تعالى: ﴿قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ [النساء:١٤٢]، وقال عليه السلام: «يؤمر بناس من الناس يوم القيامة إلى الجنة، حتى إذا أدنوا منها فاستنشقوا رائحتها ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله فيها لأهلها، نودوا: أن اصرفوهم فلا نصيب لهم فيها، فيقولون: يا ربنا لو أدخلتنا قبل أن ترينا ما أريتنا كان أهون علينا، قال: ذاك أردت بكم، كنتم إذا خلوتم بارزتموني بالعظائم، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مُخْبِتين[٤٥٠]، تراؤون الناس بأعمالكم، هبْتُم الناس ولم تهابوني، أجللتم الناس ولم تجلّوني، تركتم للناس ولم تتركوا لي، فاليوم أذيقكم أليم العذاب مع ما حرمتم من جزيل الثواب»، رواه عدي بن حاتم.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أكثر منافقي أمتي قراؤها».

الثوري: أستعيذ بالله من القراء الفسقة.

وعنه: إذا قيل غدًا: أين القراء الفسقة؟ فأخشى أن يقال: هذا سفيان الثوري.

وقال الفضيل لابنه: اشتر لي دارًا[٤٥١] بعيدة من القراء، ثم قال: ما لي ولقوم إن ظهروا مني على [نعمة] حسدوني، وإن ظهروا مني على زلة[٤٥٢] هتكوني.[٤٥٣]

الثوري: كان يقال: المتعبد على غير السنة كالحمار في الطاحونة والعامل بغير علم ما يفسد أكثر مما يصلح.

(٤٤٩) جُبّ: حب، م، ي.
(٤٥٠) مُخْبِتين: محيتني، م، ي. المعجم الأوسط للطبراني ٥/ ٣٣٥.
(٤٥١) دارًا: دار، م، ي.
(٤٥٢) زلة: ذلة، م، ي.
(٤٥٣) سراج الطالبين على منهاج العابدين ٢/ ٤٣.

فضيل: واسوأتاه[٤٥٤] من أن يقال فلان القارئ قَدِمَ حَاجًا في نفقة فلان الفاجر، إن لله وإنا إليه راجعون.

حبيب العجمي: إن الشيطان ليلعب بالقراء اليوم كما يلعب الصبيان بالكرة.

عبد الملك بن أَبْجَرَ[٤٥٥]: ما رأيت قُرّاء زمان أغلظ رقابًا ولا أرقّ ثيابًا ولا آكل لمخ العيش[٤٥٦] منكم.

مالك بن دينار: أأنت قارئ، أأنت قارئ؟ ما للقارئ والطيلسان؟

الرازي: ينبغي للقارئ أن يكون عليه دُرَّاعَةٌ[٤٥٧] من صوف، وعصا راع يفر من الله إلى الله، ويحشر العباد إلى الله.

الحسن: لن تزال[٤٥٨] هذه الأمة في كنف الله وفي جواره[٤٥٩] ما لم يرفُقْ خيارهم بشرارهم[٤٦٠]، وما لم يعظِّم أبرارُهم فجّارَهم، وما لم يركن قراؤهم إلى أمرائهم، فإذا فعلوا ذلك رفعت يد الله عنهم، وسلط عليهم الجبابرة فساموهم سوء العذاب، وقذف في قلوبهم الرعب.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «رأيت ليلة أسري بي أقوامًا في النار تقرض شفاههم بمقاريض من النار، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم».

وقال الحسن لفرقد السبخي[٤٦١]: يا فرقد تحسب أن لك فضلًا بكسائك هذا؟ بلغني أن أكثر أهل النار أصحاب الأكسية.

وقال مالك بن دينار: مثل قراء هذا الزمان مثل رجل نَصَبَ فخًا فوقع عصفور قريبًا منه،

(٤٥٤) اسوأتاه: اشوناه، م، ي. كتاب ألف باء في أنواع الآداب وفنون المحاضرات ١/ ٥٢٢.

(٤٥٥) أَبْجَرَ: أبحر، م، ي.

(٤٥٦) لمخ العيش: لمح العش، م، ي. المجالسة وجواهر العلم ٣/ ٣٣٦.

(٤٥٧) الدُّرَّاعَةُ: ضربٌ من الثياب، وهو جبة مشقوقة المقدم العين (درع).

(٤٥٨) تزال: يزال، م، ي.

(٤٥٩) جواره: جناحه، م، ي.

(٤٦٠) بشرارهم: شرارهم، م، ي.

(٤٦١) السبخي: الحي، م، ي. حلية الأولياء ٢/ ١٥٦.

فقال: ما غيبك في التراب؟ قال: التواضع، قال: ففيم توحدت؟ قال: اعتزلت من الناس، قال: فمم انحنيت؟ قال: من طول العبادة، قال: فما هذه الحبة المنثورة عندك؟ قال: أعددتها للصائمين، قال: نعم الجار أنت، فلما كان عند غروب الشمس أخذ الحبة فخنقه، فقال: إن كان كل العباد يخنفون خَنْقَك فلا خير في العباد اليوم.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يخرج في آخر الزمان أقوام يَخْتِلُون الدنيا بالدين، ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم قلوب الذئاب، وجلودهم جلود الضأن، يقول الله: أبي يغترون، أو علي يجترئون(٤٦٢)، فبي حلفت لأبعثن على أولئك فتنة تدع الحليم فيها حيران».

قال الفرزدق:

أما النبيذ فلا يذعرك(٤٦٣) شاربه ... واحفظ ثيابك ممن يحفظ الماءَ
قوم يوارون(٤٦٤) عما في صدورهمُ ... حتى إذا استمكنوا كانوا همُ الداءَ
مُشَمِّرِين على أنصاف سوقِهِمُ ... هُمُ اللصوصُ وقد يدعَوْن قُرَّاءَا

آخر:

لا يغرنك من المر ... ءِ قميصٌ رقّعه
أو إزار فوق ظهر الـ ... كعب منه رفعه
أو جبين لاح منه ... علم قد قلعه
إنما ينتظر الصيـ ... ـد متى يَلْتَمِعُه(٤٦٥)
فإذا ما لقي الصيـ ... ـد فجأة رفعه(٤٦٦)
أعطه الدرهم تنظر ... غيّه(٤٦٧) أو ورعه

(٤٦٢) يجترئون: تحبرون، م، ي. سنن الترمذي ٤/ ١٨٢.
(٤٦٣) يذعرك: يدعوك، م، ي.
(٤٦٤) قوم يوارون: قو يراؤون، م، ي.
(٤٦٥) التَمَعْتُ الشيء: اختلسْتُه. الصحاح (لمع).
(٤٦٦) فجأة رفعه: فجأ ريعه، م، ي.
(٤٦٧) غيّه: عيه، م، ي.

آخر لمنصور بن الفقيه[٤٦٨]:

[لاتَصْحَبَنَّ] عصابة حلقوا الشوارب للطمع
بَيْنَا[٤٦٩] تراه مصليًا فإذا بصرتْ به ركع[٤٧٠]
يبكي وجلُّ بكائه ما للفريسة[٤٧١] لا تقع

فصل في كيف أصبحت

حدث الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين الحسني رحمه الله بإسناده عن سعيد بن المسيب قال: خرج علي يومًا من البيت، فاستقبله سلمان، فقال له: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟ قال: أصبحت في غموم أربعة، قال: وما هي؟ قال: غم العيال يطلبوني بالخبز[٤٧٢] والشهوات، والخالق يطلب الطاعة، والشيطان يطلب المعصية، وملك الموت يطلب الروح، فقال عليه السلام: أبشر يا أبا عبد الله، لك بكل خصلة درجات، فإني كنت دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم فقال: «كيف أصبحت يا علي»؟ فقلت: أصبحت وليس في يدي شيء غير الماء، وإني لمغتم لحال فرخيّ الحسن والحسين، فقال لي: «يا علي، غم العيال ستر من النار، وطاعة الخالق أمان من العذاب، والصبر على الفاقة جهاد، وأفضل من عبادة ستين سنة، وغم الموت كفارة للذنوب، واعلم يا علي أن أرزاق العباد على الله سبحانه، وغمك لا يضر ولا ينفعك، غير أنك تؤجر عليه، وإن أغمَّ الغمِّ غمُّ العيال».

وعن جابر قال: لقيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت له: كيف أصبحت يا رسول الله؟ قال: «بخير مِنْ أناسٍ[٤٧٣] لم يعودوا مريضًا، ولم يشيعوا جنازة».

وقيل لأبي بكر: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت عبدًا ذليلًا لرب جليل.

قيل لفاطمة: كيف أصبحت؟ قالت: أصبحت عائفةً لدنياكم، قالية لرجالكم، لفظتُهم بعد إذ

(٤٦٨) كتاب الأمالي الخميسية ٢/ ٣٠٧.
(٤٦٩) بَيْنَا: دينًا، م، ي. كتاب الأمالي الخميسية ٢/ ٣٠٧.
(٤٧٠) ركع: ربع، م، ي. كتاب الأمالي الخميسية ٢/ ٣٠٧.
(٤٧١) للفريسة: للوديعة، م، ي. كتاب الأمالي الخميسية ٢/ ٣٠٧.
(٤٧٢) الخبز: الخير م، ي. بحار الأنوار للمجلسي ٧٣/ ١٦.
(٤٧٣) مِنْ أناسٍ: إن الناس، م، ي. مصنف ابن أبي شيبة ٥/ ٢٥٣، وشعب الإيمان ١١/ ٤١٩.

عجمْتُهم[٤٧٤]، فأنا بين جهد وكرب، بينهما فَقْدُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

قيل للحسن: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت عرضًا لثلاثة أسهم: سهم بلية، وسهم منية، وسهم رزية، نظمه بعضهم فقال شعر:

المـرء مسـتهدف فـي عمـره عَـرضٌ لسـهم بلـوى وسـهم الـرزء والقـدرِ
إن يُخْطـه ذا فـذا فـي إثـره عجـل والمـرء غايتـه القصـوى بـلا صـدر

وقيل للحسن أيضًا: كيف أصبحت؟ قال: ما مَنْ انكسر مركبُه في بحرٍ عظيم بأعظمَ مصيبةً مني، قيل: ولم؟ قال: لأني مِنْ ذنوبي على يقين، ومن طاعتي على وَجَلٍ، لا أدري أمقبول مني أم مضروب على وجهي.

وقيل لهشام بن حسان: كيف أصبحت؟ [قال]:كان محمد بن واسع يقول: أصبحت قريبًا من [أجلي]، بعيدًا[٤٧٥] أملي، [عسى الله أن] يستر[٤٧٦] عملي.

قيل للربيع بن خثيم[٤٧٧]: كيف أصبحت؟ قال: أصبحنا ضعفاء مذنبين، نأكل أرزاقنا، وننتظر آجالنا.

وقيل لمالك بن دينار: كيف أصبحت؟ قال: كيف يصبح من منقلبه من دار إلى دار، ولا يدري إلى الجنة يصير أم إلى النار؟

قيل لحبيب العجمي: كيف أصبحت؟ قال: أصبحنا مغرقين[٤٧٨] بالنعمة، موقرين بالمعصية[٤٧٩]، يتحبب إلينا ربنا بالنعم وهو غنيٌّ عنا، ونبغض إليه بالمعاصي ونحن إليه فقراء.

قيل للربيع بن خثيم[٤٨٠]: كيف أصبحت؟ قال: بخير إن نجوت من النار.

قيل لعامر بن عبد القيس: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت وقد أوقرت نفسي من ذنوبي،

(٤٧٤) يقال: عَجَمْتُ الرَّجُل: إذا خبرْتَه. لسان العرب (عجم).
(٤٧٥) بعيدًا: بعيد، م، ي.
(٤٧٦) يستر: يسير، م، ي. إتحاف السادة المتقين بشرح إتحاف إحياء علوم الدين، ٧/ ٣٥٢.
(٤٧٧) خثيم: حيثم، م، ي.
(٤٧٨) مغرقين: موبوبين، م، ي. الشكر لابن أبي الدنيا ص ٢٠.
(٤٧٩) في الشكر لابن أبي الدنيا ص ٢٠: «موقرين من الشكر».
(٤٨٠) خثيم: حيثم، م، ي.

وأوقرني الله من نعمائه، فلا أدري أعبادتي [تكون][٤٨١] تمحيصًا لذنوبي أو شكرًا لنعمائه.

قيل لابن المبارك: كيف أصبحت؟ قال: كيف تسأل الهارب عن باب ربه عن عافية صباحه[٤٨٢]، إنما العافية للثوري وأصحابه.

قيل لأويس: كيف أصبحت؟ قال: كيف يصبح من لا يدري إذا أصبح أنه يمسي، وإذا أمسى لا يدري أنه يصبح.

وقيل لحكيم: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت كالآبق، آكل رزق ربي وأطيع عدوه.

وقيل للربيع بن مرة: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت ما أرى أثر سيد على عبد أحسن من أثر ربنا علينا، صرف عنا السوء[٤٨٣]، وكشف عنا البلوى، وأطعمنا الرخاء.

وقال حوشب لحسان بن أبي سنان: كيف حالك؟ قال: كيف يكون حال من يموت ثم يبعث ثم يحاسب.

وقيل لحامد اللفاف: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أشتهي عافية يوم إلى الليل، فقيل له: ألست الأيام كلها في عافية؟ قال: عافية اليوم: ألاّ أعصي الله فيه.

قال المنهال بن عمرو: قلت لعلي بن الحسين: كيف أصبحتم يا أهل بيت الرحمة؟ قال: أصبحنا من قومنا بمنزلة قوم موسى من آل فرعون، يذبّحون الأبناء، ويستحيون النساء، ولا ندري ما صباحنا من مسائنا.

قيل لشريح: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت ونصف الناس علي غضبان.

قيل لعكرمة: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت بشر أجْرَبَ مبسورًا[٤٨٤]، وكسيرًا[٤٨٥] مجبورًا.

ومر بكر بن عبد الله بقوم فقال لهم: كيف أصبحتم؟ قالوا: أصبحنا نرجو الله ونخافه، فقال: والله ما أدري ما رجاء قوم لا يصبرون على ما يكرهون لما يرجون.

(٤٨١) تنبيه الغافلين ص٥٦٦.
(٤٨٢) صباحه: صاحبه، م، ي. ربيع الأبرار ١/ ٤٦٠.
(٤٨٣) السوء: الأسواء، م، ي.
(٤٨٤) المَبْسُورُ هو: الذي به بواسير. تاج العروس (بسر).
(٤٨٥) كسيرا: أكسر، م، ي.

وقال محمد بن سيرين لرجل: كيف حالك؟ قال: ما حال من عليه خمسمائة دَيْنٌ، وهو معيل، فدخل ابن سيرين منزله وأخرج ألف درهم فدفعها إليه، فقال: خمسمائة لديْنك، وخمسمائة تنفقها على عيالك، ثم قال: والله لا أسأل رجلًا عن حاله حتى ألقى الله.

وقال حاتم الأصم: إذا قلت لأخيك: كيف حالك، ثم علمت له حاجة في مطعمه أو كسوته فلم تقضها فأنت تكذب، وكلامك[٤٨٦] سخرية [به]، وإذا قلت [له]: مرحبًا فلم يكن[٤٨٧] همك لأخيك مثل همك لنفسك فكذلك[٤٨٨].

قيل لأبي حازم: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت لا أرضى حياتي لموتي.

قيل لأبي عمران الجوني: من أين أنت؟ قال: من الآخرة، قال: من أين جئت؟ قال: من الآخرة، قال: إلى أين تذهب؟ قال: إلى الآخرة، قال: فما تأكل؟ قال: الموت، قال: فما تلبس؟ قال: الكفن، قال: فأين بيتك؟ قال: القبر.

وقال الفضيل بن عمرو[٤٨٩] قال: لقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلًا فقال: «كيف أصبحت؟ قال: بخير والحمد لله، قال: هذا [الذي] أردت منك»[٤٩٠].

الأعمش: أدركت الناس وإن أحدهم كان يلقى أخاه لم يلقه منذ شهر، فما يزيد على: كيف أصبحت؟ وكيف الحال؟ ولو سأله شطر ماله ما منعه، وإن أحدنا اليوم يلقى أخاه ولم يلقه مذ يوم أو يومين، فيسأله عن حاله وحال ولده وأهله ودابته وكيف الحال، وإن سأله دانقًا منعه إياه.

أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لشاب: «كيف أصبحت»؟ قال: أصبحت مؤمنًا بالله حقًا، قال: «ويحك لكل حق حقيقة، فما حقيقة إيمانك»؟ قال: عزلتُ نفسي عن الدنيا ولذاتها، وأسهرت ليلي، وأظمأت نهاري، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وإلى أهل النار كيف يتعاوون فيها، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «مؤمن نور الله قلبه بالإيمان، أبصرْتَ وعرفْتَ فالزم».

(٤٨٦) كلامك: كلام، م، ي.
(٤٨٧) فلم يكن: فلا يكون، م، ي.
(٤٨٨) تنبيه المغترين ص١٢٨.
(٤٨٩) عمرو: عباس، م، ي. الزهد والرقائق لابن المبارك ص٣٢٨.
(٤٩٠) الزهد والرقائق لابن المبارك ص٣٢٨.

قيل لعمر: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت في الدنيا كما يصبح عابر[٤٩١] السبيل، وما بقي من عمري إلا القليل.

قيل لسلمان[٤٩٢]: كيف أصبحت؟ قال: كيف يصبح من كان الموت غايته، والقبر منزله، والديدان زواره، وإن لم يغفر له فالنار مسكنه.

قيل للربيع بن خثيم: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت وكبدي ذائبة، وعيني باكية، وروحي عارية.

وقيل لسعيد بن المسيب: كيف أصبحت؟ قال: كيف يصبح من علم أنه عصى ربه ولا يعلم أعفا عنه، ويعلم أن له طالبًا - يعني الموت - ولا يعلم متى يأتيه، ويعلم أن لله دارين ولا يعلم في أيها مأواه.

ودخل عمرو بن العاص على معاوية في مرضه فقال: كيف أمسيت؟ قال بخير، وأنشأ يقول:

وتجلُّدي للشامتين أُريهمُ ... أنّي لِريب الدهر لا أتضعضعُ
وإذا المنيّة أنشبَتْ أظفارها ... ألفيتَ كلَّ تميمة لا تنفعُ

فصل في رؤيا الصالحين

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا﴾ [يوسف:٤]، ﴿وَقَالَ[٤٩٣] ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ﴾ [يوسف:٤٣]، ﴿قَالَ[٤٩٤] يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ [الصافات:١٠٢].

وسأل أبو الدرداء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [يونس:٦٣]، قال: «الرؤيا الصالحة يراها المسلم وتُرى له».

وروى قتيبة بن سعيد بإسناده عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فإنما هي من الله، فليحمد الله عليها وليحدِّث بها، وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان، فليستعذ بالله مِنْ شرِّها ولا يذكرْها لأحد، فإنها لن تضره».

---

(٤٩١) عابر: عابري، م، ي.

(٤٩٢) سلمان: سليمان، م، ي.

(٤٩٣) وقال: قال، م، ي..

(٤٩٤) قال: وقال، م، ي..

وروى أبو قتادة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الرؤيا ثلاثة: منها تأويل الشيطان ليحزن ابن آدم، ومنها ما يهم الرجل في يقظته فيراه في منامه، ومنها جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الرؤيا الصالحة من الله، والحُلْم من الشيطان، فإذا حلم أحدكم حُلْمًا فليتعوذ منه، وليبزق عن شماله ثلاث مرات، فإنه لا يضره»، رواه أبو سلمة.

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أَصْدَقُكم رؤيا أَصْدَقُكم حديثًا».

وسئل أبو يوسف عن مسألة الرؤيا فقال: حتى نفرغ من أمر اليقظة.

وسئل ابن سيرين عنها فقال: اتق الله في اليقظة لا يضرك ما رأيت في النوم.

وقال مالك بن دينار: رأيت مسلم بن يسار في المنام بعد موته بسَنَةٍ، فقلت له: ماذا لقيت؟ قال: لقيت زلازلًا وأهوالًا، قلت: ثم ماذا؟ قال: ماذا يكون من الكريم، قَبِل منا الحسنات، وعفا عنَّا السيئات، وضمن منا التبعات، فشهق مالك شهقة خر مغشيًا عليه.

إبراهيم بن مسلم: رأيت مهران بن موسى في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: أنا محاسَبٌ مذ متُّ بأكلي في بيوت الغرماء.

ورُئي[٤٩٥] الحسن بن ذكوان فقيل له: ما فعل بك ربك؟ فقال: أنا محبوس بإبرة استعرتها فلم أردها.

أبو قلابة قال: صليت بالجبانة ركعتين ثم اضطجعت إلى قبر فنمت، فرأيت كأن صاحب القبر يقول: إليك عني فقد آذيتني، تعملون ولا تعلمون، وإنّا نعلم ولا نعمل[٤٩٦]، فلأن تكون ركعتاك هاتان لي أحبّ إلي من الدنيا وما فيها، قلت: فأي القبور أفضل؟ قال: قبر ذلك الشاب، قلت: بماذا؟ قال: بكثرة المصايب في الدنيا.

ورُئي مجمع في المنام فقيل له: أي شيء أنفع؟ فقال: ذهب الزاهد بخير الدنيا والآخرة.

ورُئي ابن سيرين في المنام فقيل له: ما فعل [بفلان]؟ فقال: هو فوقي بخمسين درجة، قيل: بماذا؟ قال: بكثرة الحزن الذي كان في قلبه.

---

(٤٩٥) ورُئي: ورأى، م، ي.

(٤٩٦) إنّا نعلم ولا نعمل: تعلم ولا تعمل، م، ي، إتحاف السادة المتقين ١٤/ ٢٨٦.

فرقد السبخي[٤٩٧] قال: رأيت في النوم مناديًا من السماء ينادي: يا أصحاب القصور، يا أشباه اليهود[٤٩٨]، إن أعطيتكم لم تشكروا، وإن ابتليتكم لم تصبروا، كونوا على حياء من الله.

وحُدِّث عن الجوزي قال: رأيت مناديًا ينادي: إن الله اصطفى آدم ونوحًا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين، واصطفى الحسن بن أبي الحسن على أهل زمانه.

وعن أحمد بن حنبل قال: سمعت رجلًا يقول: رأيت يزيد بن هارون في المنام، فقلت: ما فعل بك ربك؟ قال: غفر لي وعاتبني، فقلت: فيم عاتبك؟ قال: قال: أتحدث عن جرير بن عثمان، قلت: يا رب ما علمته إلا خيرًا، قال: إنه يبغض علي بن أبي طالب. فقلت: هل رأيت منكرًا ونكيرًا؟ قال: بلى، ساءلاني: من ربك؟ فقلت: مثلي يسأل عن هذا، أنا كنت أعلم الناس بهذا في الدنيا، فقالا: صدقت، نم نومة العروس لا بؤس لك.

وعن مالك بن دينار: رأيت كأن القيامة أقيمت، وقيل لصديق لي: اذهبوا به إلى الجنة، ثم بعد زمان قيل لي: اذهبوا به إلى الجنة، فقلت: يا رب كنا أخوين، قال: نعم كان لك قميصان، وله[٤٩٩] قميص واحد.

وقال الحجاج بن الأسود: رأيت كأني دخلت المقابر فإذا بأهل القبور خرجوا من قبورهم، فمنهم من نام على التراب، ومنهم من نام على السندس، ومنهم من نام على الحرير، فقلت: يا رب يا رب لو سويت بينهم في الكرامة، فقال: يا حجاج هذه منازل الأعمال.

أبو بكر الخياط: رأيت في النوم كأني دخلت المقابر فإذا أهل القبور جلوس[٥٠٠] بين أيديهم الريحان[٥٠١]، وإذا معروف الكرخي قائم بينهم، فقلت: ما صنع الله بك؟ أوليس قد مِتَّ؟ قال: بلى، وأنشأ يقول شعر:

موتُ التقيِّ حياةٌ لا نفاد لها ... قد مات قومٌ وهم في الناس أحياءُ

وعن محمد بن أحمد: رأيت ليلة مات الحسن كأن أبواب السماء مفتوحة، وكأن مناديًا ينادي: ألا إن الحسن البصري قدم على الله وهو عنه راضٍ.

(٤٩٧) السبخي: المحي، م، ي. المنامات لابن أبي الدنيا ص٩٦.
(٤٩٨) أشباه اليهود: شياه، م، ي. المنامات لابن أبي الدنيا ص٩٦.
(٤٩٩) وله: ولي، م، ي.
(٥٠٠) جلوس: جلوسًا، م، ي. حلية الأولياء ٨/ ٢٨٢.
(٥٠١) الريحان: الريحا، م، ي. حلية الأولياء ٨/ ٢٨٢.

عتبة الغلام(٥٠٢) قال: رأيت من الحسن شيئًا لم أره من أحد، رأيته قهقه عند الموت وما كان يبتسم قط، فقلت: يا أبا سعيد من أين ضحكك؟ قال: فما كلمني لما فيه، فمات، فرأيته في النوم فسألته عن ضحكه، فقال: ضحكت من أمر ملك الموت أنه نودي شدد عليه فإنه بقي عليه خطيئة، فضحكت لذلك، قلت: فما كانت؟ فما أجابني.

أبو بكر بن عياش: رأيت في منامي ثلاث ليالٍ كأن قائلًا يقول:

وكيف تنام العين وهي قريرة ... ولم تدر في أي المحلين تنزلُ

وعن مالك بن دينار قال: رأيت الحسن مشرق اللون، شديد بياض الوجه، تبرق مجاري دموعه من شدة بياضهما على سائر وجهه، فقلت: يا أبا سعيد ألست عندنا من الموتى؟ قال: بلى، قلت: فماذا(٥٠٣) صرت إليه بعد الموت؟ فوالله لقد طال حزنك وبكاؤك في أيام الدنيا؟ فتبسم وقال: رفع لنا الله ذلك الحزن والبكاء عَلَمَ الهداية إلى طريق منازل الأبرار، فحللنا بثوابه مساكن المتقين، وايم الله إنْ ذلك [إلّا] من فضل الله علينا، قلت: بما تأمرني يا أبا سعيد؟ قال: ما آمرك؟ أطْوَلُ الناس حزنًا في الدنيا أطولهم فرحًا في الآخرة

فصل في التقوى والورع

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾ [القمر:٥٤] الآيات في التقوى.

جابر وجماعة قالوا: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أوسط أيام التشريق خطبة الوداع فقال: «أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي فضل على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى، ألا هل بلغت»؟ قالوا: نعم، قال: «فليبلغ الشاهد منكم الغائب».

وقال عليه السلام: «من اجتنب من الرجال أربعة أدخل الجنة: الدماء، والأموال، والفروج، والأشربة، وللنساء أربعة(٥٠٤): إذا صلت خمسها، وصامت شهرها، وأطاعت زوجها، وحفظت فرجها، دخلت الجنة»، رواه أنس.

---

(٥٠٢) عتبة الغلام: عه العلام، م، ي. التبصرة في الوعظ لابن الجوزي ١/ ٣٤٨.

(٥٠٣) فماذا: مماذا، م، ي. المجالسة وجواهر العلم/ ٤٥٥.

(٥٠٤) أربعة: أربع، م، ي.

أبو هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب، يا فاطمة بنت محمد، يا صفية عمة رسول الله، اشتروا أنفسكم من الله تعالى، فلست أغني عنكم من الله شيئًا، سلوني من مالي ما شئتم، واعلموا أن أولى الناس بي المتقون، فإن تكونوا أنتم مع قرابتكم فذاك، وإياكم أن يأتي الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تحملونها على أعناقكم فأصرف وجهي عنكم، فتقولون: يا محمد، فأقول هكذا وأجعل وجهي إلى الجانب الآخر».

أبو ذر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إني لأعرف آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢، ٣]، تصديقه قوله: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الأحزاب:٧١] بعد(٥٠٥) قوله: ﴿ٱتَّقُوا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب:٧٠]».

ابن عباس في قوله: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر:٥٦] قال: هو أَهْلٌ أن يُتقى وأهل أن يَغْفر لمن اتقى.

وهب: الإيمان عريان ولباسه [التقوى]، وماله الفقه(٥٠٦)، وزينته الحياء.

عمر بن عبد العزيز: ليست التقوى صيام النهار وقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك، ولكن تقوى الله: تَرْكُ ما حرم الله، وأداء ما فرض الله، فما رزق بعد ذلك فهو خير إلى خير.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما سمي المتقون المتقين لتركهم ما لا بأس به حذرًا ممّا به بأس(٥٠٧)».

وسئل أبو هريرة عن التقوى فقال: هل سلكت طريقًا ذات شوك؟ قال: نعم، قال: كيف صنعت؟ قال: إذا رأيت الشوك عدلت أو قصرت عنه، قال: فكذلك التقوى.

الأعمش: من كان رأس ماله التقوى كلّت الألسن عن وَصْفِ رِبْحِهِ(٥٠٨).

مجاهد: مثل المؤمن مثل النمل، فإنه يجمع في الصيف للشتاء، والمؤمن يجمع في الدنيا للآخرة.

---

(٥٠٥) بعد: يغفر، م، ي.

(٥٠٦) الفقه: النفقة، م، ي. مصنف ابن أبي شيبة ٧/ ١٩١.

(٥٠٧) حذرًا ممّا به بأس: حذار ما بين البأس، م، ي. البريقة المحمودية ٢/ ٣٥.

(٥٠٨) رِبْحِهِ: ريحه، م، ي. سراج الطالبين ١/ ٢٩١.

ابن مسعود: المتقون سادة، والفقهاء قادة، ومجالستهم زيادة.

ابن عباس في قوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق:٢] قال: من شبهات الدنيا، وغمرات الموت، وشدائد الآخرة.

مجاهد في قوله: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران:١٠٢] قال: يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر.

وسُئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن آله[٥٠٩] فقال: «كل تقي»، «ألا إن أوليائي منكم المتقون، ولا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى».

شعر:

يريد المرء أن يُعطَى مناه[٥١٠] ... ويأبى اللهُ إلاَّ ما أرادا
يقول المرء فائدتي ومالي ... وتقوى الله أفضل ما استفادا

عمران بن الحصين، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يقول الله: عبدي أدِّ ما افترضت عليك تكن مِنْ أَعْبَدِ الناس، وانته عما نهيتك تُكن من أورع الناس، واقنع بما رزقتك تكن من أغنى الناس».

ابن عباس: لو صمتم حتى تكونوا كالأوتار، وصليتم حتى تكونوا كالحنايا، ما نفعكم إلا بورع صادق.

وسئل فضيل عن تفسير الورع فقال: اجتناب المحارم.

عمر: لا يغرنكم صلاة امرئ وصيامه، من شاء صام ومن شاء صلى، ولكن انظروا إلى حديثه إذا حَدَّث، وإلى أمانته إذا ائتُمِنَ، وإلى ورعه إذا [أشفى][٥١١].

يوسف بن عبيد قال: التقوى الخروج من كل شبهة، ومحاسبة النفس مع كل طَرْفَة[٥١٢].

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق».

---

(٥٠٩) آله: ذلك، م، ي.

(٥١٠) مناه: ما تمناه، م، ي.

(٥١١) أَشْفَى على الشيء وأَشَافَ: أشرف عليه. اللسان (شوف). شعب الإيمان للبيهقي ٧/ ٢١٧.

(٥١٢) طَرْفَة: طرف، م، ي. الرسالة القشيرية ١/ ٢٣٥.

أبو موسى: لكل شيء حَدٌّ، وحدود الإسلام أربعة: الورع وهو ملاك الدين، والتواضع وهو شرف المؤمن، والصبر على الشدائد وبه النجاة من النار، والشكر في الرخاء وبه الفوز بالجنة(٥١٣).

الضحاك: أدركت الناس وما يتعلمون إلا الورع، وإنهم [اليوم] ليتعلمون الكلام(٥١٤).

شعر:

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ... ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على ألاّ تكون كمثله ... وأنك لم تَرْصُدْ بما كان أرْصَدَا

شعر:

إذا أنت لم تزرع وأبصرْتَ حاصدًا ... ندِمْتَ على التقصير في زمن البذْرِ

آخر:

مَنْ يَزْرَعْ الشَّوْكَ لا يحصُدْ به عِنبًا(٥١٥)

فصل في العزلة

قال الله تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ﴾ [مريم:٤٨]، ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ..﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ [الكهف: ١٣-١٦]، وقوله: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ [الشعراء:٢١].

محمد بن عبد الرحمن بن أبي لبيد قال: سمعت سعد بن أبي وقاص وهو معتزل بالعقيق فقيل له: لم أتعبت نفسك وبسطتها للناس(٥١٦)؟ فقال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «خير الرزق ما يكفي، وخير الذكر الخفي».

(٥١٣) بالجنة: في الجنة، م، ي. تنبيه الغافلين ص٤٧٤.

(٥١٤) الورع لابن أبي الدنيا ص٥٠.

(٥١٥) هذا عجز بيت وتمامه:

إذا وتَرْتَ امرأ فاحذر عداوته ... مَنْ يَزْرَعْ الشَّوْكَ لا يحصُدْ به عِنبًا

أدب الدنيا والدين ص١٧٦.

(٥١٦) وبسطتها للناس: وصنتها للناس، م، ي.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعبد الله بن عمرو بن العاص: «إذا رأيت الناس مَرِجَتْ[٥١٧] عهودهم، وخَفَّتْ[٥١٨] أماناتهم، وكانوا هكذا -وشبَّكَ بين أنامله- فالزم بيتك، وامْلِكْ عليك لسانك، وخُذْ ما تعرف، ودع ما تُنكر، وعليك خاصة نفسك، وذَرْ أَمْرَ العامة».

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر: «إنك تعيش وحدك، وتموت وحدك، وتبعث وحدك».

حذيفة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «خيركم في الناس الخفيف الحاذ»[٥١٩]، قيل: يا رسول [الله] وما الخفيف الحاذ؟ قال: «الذي لا أهل له ولا ولد، خفيف المؤنة».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال يومًا لأصحابه: «ألا أخبركم بأحسن الناس منزلة، رجل أخذ بعنان فرسه في سبيل الله حتى يموت أو يقتل، أفلا أخبركم بالذي يليه؟ رجل يعتزل في شعب من الشعاب، يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويعزل شروره عن الناس».

وعن عقبة بن عامر قال: قلت: يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «أَمْلِكْ عليك لسانك، وليسَعْك بيتك، وابْكِ على خطيئتك».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يأتي على الناس زمان يكون خير مال المسلم غُنَيمةٌ له في سَعَفِ[٥٢٠] الجبال ومواضع القَطْر[٥٢١]، يفر بدينه حتى يأتيه الموت».

طاوس: خير الناس في آخر الزمان: معتزلٌ يؤدي حق الله عليه.

حذيفة: وددتُ أن أغلق علي بابي فلم يدخل علي من بابي أحد، فلم يدخل علي شر ولم أخرج إليه حتى ألحق بالله.

عمر: خذوا بحَظِّكم[٥٢٢] من العزلة.

(٥١٧) مرجت عهودهم: اختلطت. اللسان (مرج). سنن أبي داود ٤/ ١٢٤.
(٥١٨) خَفَّتْ: خفيت، م، ي. سنن أبي داود ٤/ ١٢٤.
(٥١٩) الحَاذُ: ما وقع عليه اللبد من ظهر الفرس، وهو مثل (خفيف الظهر) تاج العروس (حوذ).
(٥٢٠) سَعَفِ: شعف، م، ي. صحيح ابن حبان ١٣/ ٣٨٥.
(٥٢١) القَطْر: القطر، م، ي. صحيح ابن حبان ١٣/ ٣٨٥.
(٥٢٢) بحَظِّكم: لحظكم، م، ي. الزهد لابن المبارك ٢/ ٣.

قال: ورأى معاذًا[٥٢٣] على باب داره رجلٌ[٥٢٤] يقول بيده كأنه يخاصم نفسه، فقيل له: ما شأنك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: نفسي تريد في الجلوس على الطريق، وقد سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «خمسة كلهم ضامن على الله: الحاج إلى بيت الله، والغازي في سبيل الله، والماشي إلى بيت من بيوت الله، وعائد المريض لوجه الله، والجالس في بيته ليسلم الناس منه ويسلم منهم»، ثم انقمع ودخل[٥٢٥] داره.

علي بين أبي طالب عليه السلام: إنه سيكون أقوام لا يستقيم لهم الملك إلا بالقتل والتجبّر، ولا يستقيم لهم الغنى إلا بالبخل والبطر، ولا تستقيم لهم المحبة في الناس إلا باتباع الهوى والاستخراج عن الدين، فمن أدرك ذلك الزمان فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى، وصبر على الذل وهو يقدر على العز، وصبر على البغضة في الناس وهو يقدر على المحبة، أعطاه الله ثواب خمسين صِدِّيقًا.

وهيب بن الورد: جربت الدنيا وأهلها خمسين سنة، فما وجدت أحدًا غفر لي زلة، ولا أقالني[٥٢٦] عثرة، ولا[٥٢٧] ستر علي عورة، ولا[٥٢٨] أمنته إذا غضب.

ولما وقع الاختلاف بالمدينة خرج عروة بن الزبير إلى العقيق فبنى بها واعتزلهم، فخرج إليه إخوانه يعاتبونه فقال: إني أرى ألسنتكم لاغية، وأسماعكم صاغية، وقلوبكم لاهية، وأديانهم[٥٢٩] واهية، فخفت أن تلحقني معكم داهية.

حاتم الأصم: أَنْزِل الناس عندك منزلة[٥٣٠] النار، ولا تَدْنُ[٥٣١] منهم إلا عند الحاجة، وإذا دنوت مقتبسًا فعلى حذر من بعيد.

(٥٢٣) معاذًا: معاذ، م، ي. الإرشاد إلى نجاة العباد ص٢٨٣.
(٥٢٤) رجلٌ: رجلًا، م، ي.
(٥٢٥) دخل: داخل، م، ي.
(٥٢٦) ولا أقالني: وأقالني، م، ي. ربيع الأبرار ص٥١٣.
(٥٢٧) ولا: أو، م، ي. ربيع الأبرار ص٥١٣.
(٥٢٨) ولا: أو، م، ي. ربيع الأبرار ص٥١٣.
(٥٢٩) أديانهم: دينكم، م، ي. غرر الخصائص الواضحة ص٥٨٧.
(٥٣٠) منزلة: بمنزل، م، ي.
(٥٣١) تَدْنُ: تذر، م، ي.

أبو الدرداء: اتقوا الله واحذروا الناس، فإنهم ما ركبوا ظهر بعير إلا أدبروه[٥٣٢]، ولا ظهر جواد إلا عقروه، ولا قلب مؤمن إلا خربوه.

وجاء رجل إلى وهب بن منبه فقال: إن الناس قد وقعوا في، فحدثت نفسي ألاّ أخالطهم، فقال: لا بد للناس منك ولا بد لك منهم، ولكن كن فيهم أَصَمَّ سميعًا، أعمى بصيرًا، سَكُوتًا نَطُوقًا.

وهيب[٥٣٣] بن الورد: كان يقال العافية عشرة أجزاء، تسعة في الصمت، والعاشر في الهرب من الناس، فجربتها فوجدت [أيسر] هذه الأجزاء الهرب من الناس[٥٣٤].

مكحول: لئن كان الفضل في الجماعة فإن السلامة في الوحدة.

قيل لابن المبارك: ما دواء القلب؟ قال: قلة الملاقاة.

وكان الربيع بن خثيم يقول: تفقهوا ثم اعتزلوا وتعبدوا.

وزار هرم بن حيّان أويسًا فقال: يا أويس صِلْنَا[٥٣٥] بالزيارة واللقاء، فقال: قد وصلتك بما[٥٣٦] هو أنفع لك منها، وهو عن ظهر الغيب الدعاء؛ لأن الزيارة واللقاء يعترض فيه التزيين والرياء[٥٣٧].

أبو الدرداء: نعم صومعة المرء بيته، يكف فرجه وبصره ونفسه، وإياكم ومجالس السوء، فإنها تلغي وتلهي.

ابن عباس: أفضل المجالس مجلس في قعر بيتك حتى لا تَرى ولا تُرى.

وقال فضيل لداود الطائي: اعتزلت الناس وجلست في بيتك بعد مجالست الناس؟ فقال: إن كان لك بدِينك حاجةٌ ففِرَّ من الناس أشد فرارًا من الأسد، ولقد جالستهم اللهم غفرًا[٥٣٨]، أما صغيرهم فلا يوقّرك[٥٣٩]، وأما كبيرهم فيحصي عليك عيوبك.

---

(٥٣٢) يقال: دَبِرَ ظهر الدابة، أي: قَرِحَ، وبعير أدبرُ وناقة دَبْراءُ. المحيط في اللغة (دبر).

(٥٣٣) وهيب: وهب، م، ي. قناطر الخيرات ٢/ ٣٧٩.

(٥٣٤) قناطر الخيرات ٢/ ٣٧٩.

(٥٣٥) صِلْنَا: صلن، م، ي. سراج الطالبين ١/ ٢٠٣.

(٥٣٦) بما: فيما، م، ي. سراج الطالبين ١/ ٢٠٣.

(٥٣٧) الرياء: اللقا، م، ي. سراج الطالبين ١/ ٢٠٣.

(٥٣٨) غفرًا: صفرًا، م، ي. ربيع الأبرار ص٢٣٢.

(٥٣٩) يوقّرك: يؤثرك، م، ي. ربيع الأبرار ص٢٣٢.

وكان عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر لا يجالس(٥٤٠) الناس، وكان ينزل المقبرة. وكان لا يرى إلا وفي يده كتاب، فسئل عن ذلك فقال: لم أر واعظًا أوعظ من المقبرة، ولا ممتعًا أمتع من كتاب، ولا شيئًا أسلم من الوحدة.

أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا أنبئكم بأهل الجنة، كل ضعيف مُتَضَعَّفٍ، ألا أنبئكم بأهل النار كل جوَّاظٍ(٥٤١) مستكبر».

وعن أبي قلابة عن ابن عمر أنه قال لمعاذ: ما يبكيك؟ قال: ما سمعت من صاحب هذا [القبر يعني] النبي صلى الله عليه وآله وسلم حدثني «أن [أدنى] الرياء شِرْكٌ، وأن أَحَبَّ العباد إلى الله الأتقياءُ الأخفياء، الذين إذا غابوا لم يُفقدوا، وإن شهدوا لم يُعرفوا، أولئك أئمة الهدى، ومصابيح العلم»(٥٤٢).

سفيان قال: كنا نحب الشهرة ونحن شباب، فعرفنا بعدُ أن الخمول خير.

وعن سفيان الثوري قال(٥٤٣): دخلت على جعفر بن محمد الصادق فقلت(٥٤٤): يابن رسول الله، ما لي أراك قد اعتزلت الناس؟ فقال: يا سفيان فسد الزمان وتغير الإخوان، فرأيت الانفراد أسكن للفؤاد، ثم أنشأ يقول:

ذهب الوفاء ذهاب(٥٤٥) أمس الذاهب ... فالناس بين مخاتل(٥٤٦) وموارب
يفشون بينهم المودة والصفا ... وقلوبهم محشوة بعقاربِ

آخر:

بلوتُ أخِلاَّءَ هذا الزمان ... وأكثرت بالأخذ منهم نصيبي
فكلُّهم إن تصفَّحْتَهم ... صديقُ العيانِ عدوُّ المغيبِ

(٥٤٠) يجالس: تجالس، م، ي. مروج الذهب ٢/ ٧٤.
(٥٤١) الجَوَّاظ: الضَّخْمُ الجافي الغليظ المختال في مشيته. تاج العروس (جوظ). كتب الحديث. على سبيل المثال مسند أحمد ٣١/ ٢٩.
(٥٤٢) المعجم الأوسط للطبراني ٥/ ١٦٣.
(٥٤٣) قال: قالك، م، ي.
(٥٤٤) فقلت: فقلتك، م، ي.
(٥٤٥) ذهاب: وفاء، م، ي. رشفة الصادي ص٣١٢.
(٥٤٦) مخاتل: موائل، م، ي. رشفة الصادي ص٣١٢.

آخر:

عفـاءٌ علـى هـذا الزمـان فإنـه زمـانُ عقـوقٍ لا زمـان حقـوقِ
فـكلُّ رفيـقٍ فيـه غيـر موافـق وكلُّ صديـقٍ فيه غير صـدوقِ(٥٤٧)

آخر لابن ليكك(٥٤٨):

مضى الكرماء وانقرضوا [وبادوا] وخلفنـي الزمـان علـى علـوجِ
زمـانٌ عَـزَّ فيـه الجـود حتـى كأن الجـود فـي فلـك البـروجِ
وقالـوا قـد(٥٤٩) لزمت البيت جدًّا فقلـتُ لفَقْـدِ فائـدةِ الخـروجِ

وأنشدني الشيخ الإمام أبومحمد، والشعر لمنصور الفقيه:

النـاس بحـرٌ عميـقٌ والبُعْـد عنهـم(٥٥٠) سـفينهْ
وقـد نصحتُـك فانظـرْ لنفسـك المسـكينهْ

الحسين بن علي عليهما السلام: لا يستوحش من كان الله أنيسه، ولا يذل من كان الله أعزّه(٥٥١)، ولا يفتقر من كان [بالله غناؤه، فمن استأنس بالله آنسه الله بغير أنيس، ومن اعتز بالله أعزه الله بغير عدد ولا] عشيرة(٥٥٢)، ومن استغنى بالله أغناه(٥٥٣).

الصادق عليه السلام: طوبى لغريب عرف الناس ولم يعرفوه.

ودخل الحسن البصري على شاب اعتزل فقال: ما لك توحدت؟ فقال: سري مع الله فلا أحتاج إلى ثالث، قال: فأين متاعك فإني لا أرى شيئًا؟ قال: مع خوف الله لا أحتاج إلى خوف أحد، قال: ألا تختلف إلى الحسن؟ قال: بئس العبد عبد يخدم سيده بكلام العبيد.

إبراهيم بن أدهم: إن كنت عالمًا يلومك جاهل، وإن كنت جاهلًا يلومك عالم، فاتخذ الله صاحبًا، وذر الناس جانبًا.

---

(٥٤٧) صدوق: صديقِ، م، ي. تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٣/ ٧٣١.
(٥٤٨) يتيمة الدهر ٢/ ٢٠٩.
(٥٤٩) قد: لم، م، ي. يتيمة الدهر ٢/ ٢٠٩.
(٥٥٠) البُعْد عنهم: الفرد منهم، م، ي. الحدائق الوردية ص٢٦٢.
(٥٥١) أعزّه: عوه، م، ي.
(٥٥٢) عشيرة: عشيرته، م، ي.
(٥٥٣) مشكاة الأنوار ص٢٢٣.

الداراني: اختير من التوراة: من قنع شبع[٥٥٤]، ومن الإنجيل: من ترك الشهوات استراح، ومن الزبور: من اعتزل سلم، ومن الفرقان: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران:١٠١].

يحيى بن معاذ: في العزلة ثلاث خلال: سلامة من زلات المحاورة، وآفة المكاثرة، وغفلات المناظرة.

مكحول: إن الناس اليوم كشجرة الشوك، إن نافرتهم نافروك[٥٥٥]، وإن تركتهم[٥٥٦] لم يتركوك، وإن فررت منهم أدركوك.

إبراهيم بن أدهم: حُبّ لقاء الناس[٥٥٧] مِنْ حُبِّ الدنيا، وتَرْكُهم مِنْ تَرْكِ الدنيا.

الثوري: ما رأيت للإنسان خيرًا من أن يدخل جحرًا.

عبد الله بن عبد الرحمن قال: دخلت على علي بن موسى صاحب ذي النون فقلت: أوصني بوصية، فقال: يا غلام كل خير في السكوت وملازمة البيوت، فإذا صحّ[٥٥٨] ذا وذا فارْضَ من الدنيا بقُوت.

أنشده القاضي عبد الجبار:

كُنْ لقعر البيت حِلْسًا وارْضَ بالوحْدة أنسا
ما أرى لي صاحبًا يسـ ـوى على الخيرة فلسا
وليكن بأسك دون الـ ـطمع الكاذب تُرسا
وحدتي عند انفرادي في عناء النفس عرسا

وقال نعيم بن حماد لابن المبارك: تكثر القعود في البيت وحدك. قال: أنا وحدي؟ أنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ يعني النظر إلى الحديث.

كان إياس بن قتادة يغشى السلطان، فلما وقعت الفتنة قعد في بيته، فقيل له، فقال: لَأَنْ أموت مؤمنًا مهزولًا خير من أن أموت منافقًا سمينًا.

---

(٥٥٤) شبع: شيع، م، ي. المحاضرات والمحاورات ١/ ٢٨٤.

(٥٥٥) نافرتهم نافروك: ناقدتهم ناقدوك، م، ي. جمع الجوامع للسيوطي ١٥/ ٢٦٩.

(٥٥٦) تركتهم: تاركتهم، م، ي. جمع الجوامع للسيوطي ١٥/ ٢٦٩.

(٥٥٧) لقاء الناس: للقاء للناس، م، ي. الكواكب الدريّة ١/ ٢٠٦.

(٥٥٨) صحّ: ضج، م، ي. الثاني من فوائد أبي عثمان البحيري ص٨٨.

قيل للحسن: هاهنا رجل قد لزم سارية لا يجلس إلى أحد ولا يجلس إليه أحد، فقال: دلوني إليه، فأشاروا إليه، فجاءه الحسن، وقال: أراك قد حببت إليك العزلة، فما منعك من مخالطة الناس؟ فقال: ما أشغلني عن الناس، قال: هلا أتيت الحسن فقعدت إليه؟ فقال: ما أشغلني عن الحسن، فقال: ما الذي أشغلك؟ قال: إني أصبح وأمسي بين ذنوب أستغفرها، ونِعَمٍ أشكرها، فرأيت أن أشغل نفسي بهذين.

إدريس بن محمد قاضي الصغانيات[٥٥٩] قال: كان ببغداد رجل ينادم الحائط، فقيل له: ما في ذلك؟ فقال: إنه يكتم سري ولا يعربد علي، وأبزق[٥٦٠] في وجهه متى شئت، وأنشد:

سأشرب وحدي من مخافتي الأذى ... كراهة ضرب أو سباب لئيم

ثم قال: الوحدة خير من جليس صالح، فقيل: إنما قيل: الوحدة خير من جليس السوء، فقال: إن الوحدة لا تتغير والجليس الصالح يتغير، ثم أنشأ يقول:

ليت السباع لنا كانت معاشرة ... وأننا لا نرى ممن نرى أحدا
إن السباع لتهدي في مواطنها[٥٦١] ... والناس ليس بهادٍ شرُّهم أبدا

الإمام أبو الحسين الهاروني بإسناده عن علي عليه السلام قال: ثلاث منجيات: تكف لسانك، وتبكي على خطيئتك، ويَسَعُكَ بيتُك.

وكان بعضهم ينادم قردة، فقيل له في ذلك، فقال شعرًا:

مِلْتُ إلى قردة أنادمها ... فأنكرتْ ذاك زمرةُ الحسَدَهْ
فقلت يا بُلْه لا عقول لكم ... مَنْ عَدِمَ الناسَ عاشَرَ القِرَدَهْ

فصل في إيراث المال

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ﴾ [الأحزاب:٢٧]، ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الدخان:٢٨] الآية ونظائرها.

ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله»؟

(٥٥٩) الصغانيات: بلدة.
(٥٦٠) أبزق: أبرق، م، ي.
(٥٦١) مواطنها: مرابضها، م، ي. الذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٣٦٨.

قالوا: ما منا أحد إلا وماله أحب إليه من مال وارثه، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ليس منكم إلا ومال وارثه أحب إليه من ماله، مالُك ما قدمت، ومالُ وارثك ما أخرت».

الحسن: يابن آدم لا يغرنك مَنْ حَوْلَكَ من هذه السباع العادية: ابنك، وحليلتك، وكلالتك، وخادمك، فأما ابنك فمثل الأسد ينازعك فيما في يدك، وأما حليلتك فمثل الكلبة في الهرير والبصبصة، وأما كلالتك فوالله لدرهم وصل إليهم بعد موتك أحب إليهم من لو كنت أعتقت رقبة، وأما خادمك فمثل الثعلب في الحِيَل[٥٦٢] والسرقة، فأقول: لا توقر ظهرك بصلاحهم[٥٦٣]، فإنما لك منهم أيام قلائل[٥٦٤]، وإذا وضعوك في بيت أربعة أذرع في ذراعين ثم انصرفوا عنك صفروا[٥٦٥] الثياب، وضربوا الدفوف، ضحكوا بالقهقهة، وأنت محاسب بما في أيديهم.

يزيد الرقاشي قال: لما فُتِحتْ الرّقة[٥٦٦] إذا[٥٦٧] مكتوب على بابها بالرومية: ويل لمن جمع المال من حلّه[٥٦٨]، وويلان اثنان لمن ورَّثه[٥٦٩] من لا يحمده، وقَدِمَ على مَنْ لا يَعْذُره، فالويل كله لمن قدم على الله وهو عليه ساخط، وإذا للمدينة باب مكتوب عليه: يابن آدم ما أنت بسابقِ أجلَكَ، ولا بالغِ أمَلَك، ولا مغلوبٍ على رزقك، ولا مرزوقٍ ما ليس لك، فلم تغفل عن[٥٧٠] نفسك، إن لكل أجل كتابًا، وإن لكل خير ثوابًا، ولكل ذنب عقابًا، فاذكر يوم الحساب.

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أول بعثة إلى النار ثلاثة: رجل جمع مالًا..» الخبر مكتوب في باب الوعيد.

وقال أبو خازم لأبي جعفر المدني: لا تختر ولدك على نفسك، فإن كانوا لله أولياء فلا تخش عليهم الضيعة، وإن كانوا لله أعداء فلا تبال[٥٧١] ما لقوا بعدك.

---

(٥٦٢) الحِيَل: الختل، م، ي.

(٥٦٣) بصلاحهم: بسلاحهم، م، ي.

(٥٦٤) قلائل: قلال، م، ي.

(٥٦٥) صَفَّرَ الثوب تصفيرًا: صبغه بصفرة. تاج العروس (صفر).

(٥٦٦) الرقة: رقه، م، ي. ربيع الأبرار ٢/ ٣٣١.

(٥٦٧) إذا: فإذا، م، ي.

(٥٦٨) في رواية: (من غير حقه) بدل (من حله). المستطرف في كل من مستظرف ص٢٩٦، وربيع الأبرار ٢/ ٣٣١، وآداب الملوك بالعدل ص٥٨٧.

(٥٦٩) ورَّثه: ورقه، م، ي. ربيع الأبرار ٢/ ٣٣١.

(٥٧٠) تغفل عن: تقبل على، م، ي.

(٥٧١) تبال: تبالي، م، ي.

وكان سالم بن أبي العبد يكثر العطاء، فلامته امرأته فقال: لَأَنْ أذهب بخير وأترككم بِشَرٍّ أحبُّ إلي من أن أذهب بِشَرٍّ وأترككم بخير.

حاتم الأصم: في نقصان المال خسران الورثة، وفي نقصان اللحم والسمن خسران الديدان، وفي نقصان الخيرات خسرانك، فلذلك فاغتنم.

أبو ذر قال: ألا أخبرك بيوم حاجتك إلى مالك، يوم توضع في حفرتك، واعلم أن في المال ثلاثة شركاء: الوارث ينتظر وضع رأسك، والقدر يذهب بخيره وشره، وأنت الثالث، فإن استطعت أن تكون أعجز الثلاثة فافعل، مع أنه تعالى يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ﴾ [آل عمران:٩٢].

الحسن: قدِّم ما تقدم فإنك قادم عليه، وأخِرّ ما تؤخر فإنك غير راجع إليه.

قيل لحاتم: إنك لا تدري الكسب؟ فقال: إني أدري[٥٧٢] الكسب ولكن لا أرى الـتكاز بالفارسية يعني جمع المال للورثة.

يحيى بن معاذ: مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته، قيل: وما هما؟ قال: يؤخذ عنه كله، ويسأل عنه كله.

علي عليه السلام: ألا أنبئكم بأخسر الأخسرين، رجل جمع درهمًا إلى درهم وقيراطًا إلى قيراط فورثه غيره فوضعه في حقه وأمسكه عن[٥٧٣] حقه.

يحيى بن معاذ: خوفنا من فضيحة الدنيا وفَقْرِها أَوْقَعَنَا في فضيحة الآخرة وفقرها.

وذهب بعض التجار ببلخ إلى أهله [وأحضر] أنواع الأطعمة أعطاها أهله فصنعوها[٥٧٤] طيبات الألوان وأكلوها مع الولد والخدم، فلما رجع التاجر إلى منزله دعا بالعشاء وظن أنهم ادخروها له، فقالوا: نسيناك ولم نبق شيئا، فدعا بالصندوق وفتحه وتصدق بعشرة آلاف درهم وقال: نسيتموني حيًا فكيف تذكروني ميتًا.

والمروي: «إذا مات ابن آدم قالت الملائكة: ما قدم؟ وقال الناس: ما خلف؟».

---

(٥٧٢) أدري: أرى، م، ي.
(٥٧٣) عن: من، م، ي.
(٥٧٤) أعطاها أهله فصنعوها: هاها أهلها وصنوعها، م، ي.

شعر:

بقِيَّتَ مالكَ ميراثًا لوارثِهِ يا ليت شِعْري ما بقَّى لك المالُ
القوم بَعْدَكَ في حال تَسُرُّهمُ(٥٧٥) فكيف مِنْ بَعْدِهم دارت بك(٥٧٦) الحالُ

آخر:

أَمْهِدْ لنفسِك يا أبا الفيَّاض واعلم بأنك عن قليل ماضِ
ويحُوز مالَك وارثٌ للمال أو موصى إليه أو وكيلُ القاضي
إن الكبير إذا تناهتْ سِنُّه أعيتْ رياضتُه على الروَّاضِ

وكتب سلمان إلى أبي الدرداء بالشام -وكانا أخوين آخى بينهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم-: أما بعد يا أخي إنك لن تملك من الدنيا شيئًا إلا وقد كان له أهل قبلك، وسيكون له أهل بعدك(٥٧٧)، وإنما لك من الدنيا ما مهدت لنفسك، فلا تؤثر عليها أحدًا من أهل، وارض لمن مضى من أهلك برحمة الله، ولمن بقي منهم برزق الله، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

فصل في المستقيمين في صفاتهم

قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ [فصلت:٣٠]، وقال: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود:١١٢].

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «شيبتْني هودٌ»، قيل: عنى به ﴿فَٱسْتَقِمْ﴾، وقيل: عنى به قصص الأنبياء.

أبو ذر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان، وجعل قلبه سليمًا، ولسانه صادقًا، ونفسه مطمئنة، وخليقته مستقيمة، وقد أفلح من جعل الله قلبه واعيا».

يحيى بن معاذ: الناس ثلاثة: رجل شَغَلَهُ معادُه عن معاشه، ورجل شغله معاشه عن معاده، ورجل مشتغل بهما جميعًا، فالأولى درجة الفائزين، والثانية درجة الهالكين، والثالثة درجة المخاطرين.

(٥٧٥) تَسُرُّهمُ: يسرهم، م، ي. محاضرات الأدباء ٢/ ٢٤٤.
(٥٧٦) بك: بكل، م، ي. محاضرات الأدباء ٢/ ٢٤٤.
(٥٧٧) بعدك: بعد، م، ي.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الناس غاديان: فمبتاع فمعتقها، وبائع نفسه فموبقها».

وكان أبو العباس الموصلي يقول: يا نفس لا في الدنيا مع أبنائها تتنعمين، ولا في طلب الآخرة مع العُبَّاد تجتهدين[٥٧٨]، كأني بكِ[٥٧٩] بين الجنة والنار تُحبسين[٥٨٠]، أفٍّ لك يا نفس أما تستحين.

وقال ابن أبي ليلى لابن شبرمة: ألا ترى إلى هذا الحائك لا نفتي في مسألة إلا رد علينا؟ يعني أبا حنيفة، فقال ابن شبرمة: لا أدري أهو حائك أم لا، ولكن أعلم أن الدنيا عدت إليه فهرب منها وهربت منا فطلبناها.

سفيان بن عبد الله قال: قلت: يا رسول الله، حدثني بأمر أعتصم به، قال: «قل ربي الله ثم استقم، قال: فقلت: يا رسول الله، ما أخوف ما يخاف علي، فأخذ بلسان نفسه[٥٨١] ثم قال: هذا».

أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، ولا يدخل الجنة حتى يأمن جارُه بوائقه».

أبو بكر في قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ [فصلت:٣٠]، قال: قالوا: ربنا الله ثم لم يلتفتوا إلى غيره.

وروى أنس وأبو الدرداء وواثلة بن الأسقع وأبو أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران:٧]، قال: «مَنْ بَرَّتْ يمينهُ، وصدَقَ لسانُه، واستقام قلبه، ومن عَفَّ بطنه وفرجه، فذلك الراسخ في العلم».

ثوبان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «استقيموا ولن تُحْصُوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولن[٥٨٢] يحافظ على الوضوء إلا مؤمن».

وروي عن معاذ بن جبل أنه أراد سفرًا فقال: يا رسول الله، أوصني، فقال: «أُعْبد الله ولا تُشْرِكْ به شيئًا»، قال: يا رسول الله زدني، قال: «إذا أسأتَ فأَحْسِنْ»، قال: زدني، قال: «استقم، ولْيَحْسُنْ[٥٨٣] خُلقك».

---

(٥٧٨) تجتهدين: مجتهدين، م، ي. إحياء علوم الدين ٣/ ٨٢.

(٥٧٩) كأني بكِ: كأنك، م، ي. إحياء علوم الدين ٣/ ٨٢.

(٥٨٠) تُحبسين: مجبرين، م، ي. إحياء علوم الدين ٣/ ٨٢.

(٥٨١) نفسه: قلبه، م، ي. مسند أحمد ٢٤/ ١٤٥.

(٥٨٢) ولن: فلن، م، ي. مسند أحمد ٣٧/ ٦٠.

(٥٨٣) لْيَحْسُنْ: لتحسن، م، ي. معجم الطبراني الأوسط ٨/ ٣١٨.

أبو قلابة قال: بلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن قومًا من أصحابه اجتنبوا النساء واللحم، قال: فأوعد فيه وعيدًا شديدًا ثم قال: «إني لم أبعث بالرهبانية، إن خير الدين عند الله الحنيفية(٥٨٤) السمحة، وإنما هلك من كان قبلكم من أهل الكتاب بالتشدد، شَدَّدوا فشدَّدَ اللهُ عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات، اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وحجوا واعتمروا، واستقيموا يُسْتَقَمْ لَكُم».

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «رُبَّ أَشْعَثَ أغبر ذي(٥٨٥) طِمْرَيْنِ ترده اللقمة واللقمتان، لو أَقْسَمَ على الله لأَبَرَّه»، رواه جبير بن مطعم.

وروى أبو يحيى بإسناده، عن عياض بن عمرو، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من خيار أمتي فيما نبأني الملأ الأعلى في الدرجات قوم يضحكون(٥٨٦) جهرًا من سعة الله، ويبكون سرًا من خوف شدة عذاب ربهم، يذكرون الله بالغداة والعشي في بيوته الطيبة، ويدعون بألسنتهم رغبًا ورهبًا، ويسألونه بأيديهم خَفْضًا(٥٨٧) ورفعًا، ويشتاقون إليه بقلوبهم عودًا وبدءًا، مُؤْنَتُهم(٥٨٨) على الناس خفيفة، وعلى أنفسهم ثقيلة، يدبُّون(٥٨٩) على الأرض حُفاة على أقدامهم كدبيب النمل من غير مرح ولا بذخ(٥٩٠) ولا ميل، يمشون بالسكينة، ويتقربون بالوسيلة، ويلبسون الخُلْقَانَ(٥٩١)، ويتبعون البرهان، ويتلون القرآن، ويقربون القربان، عليهم من الله شهود حاضرة، ونعم ظاهرة، وأعين حافظة، يتوسمون العباد، ويتفكرون في البلاد، أجسادهم(٥٩٢) في الأرض وأعينهم(٥٩٣) في السماء، أقدامهم في الأرض وقلوبهم في السماء، أنفسهم في الدنيا وأرواحهم في الآخرة، ليس لهم همة إلا إمامهم، قبورهم [في الدنيا](٥٩٤)،

(٥٨٤) الحنيفية: الحنفية، م، ي. تلبيس إبليس ص١٩٧.
(٥٨٥) ذي: ذو، م، ي.
(٥٨٦) يضحكون: يصحون، م، ي.
(٥٨٧) خَفْضًا: حفظًا، م، ي. المستدرك للحاكم ٣/ ١٨.
(٥٨٨) مُؤْنَتُهم: موناتهم، م، ي. شعب الإيمان للبيهقي ٢/ ٢١٤.
(٥٨٩) يدبُّون: يدنون، م، ي. المستدرك للحاكم ٣/ ١٨.
(٥٩٠) بذخ: ترح، م، ي. المستدرك للحاكم ٣/ ١٨.
(٥٩١) الخُلْقَانَ: الحلقان، م، ي. المستدرك للحاكم ٣/ ١٨.
(٥٩٢) أجسادهم: أجسامهم، م، ي. حلية الأولياء ١/ ١٧.
(٥٩٣) أعينهم: أعيانهم، م، ي. حلية الأولياء ١/ ١٧.
(٥٩٤) حلية الأولياء ١/ ١٧.

ومقامهم بين يدي ربهم، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم:١٤]».

سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: أسرني الروم، ففررت منهم فاعترض لي أسدٌ هِبَتُهُ، فقلت: يا أبا الحارث[٥٩٥] أنا سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فَبَصْبَصَ[٥٩٦] حولي ثم تقدم فدلني على الطريق، فاتبعته حتى وقف بي على ظهر الجادة ثم انصرف.

قتادة قال: سأل عامر بن عبد قيس ربه أن يسهل عليه الطهور في الشتاء، [فكان يُؤتى بالماء وله بخار، وسأل ربه أن ينزع شهوة النساء من قلبه] فكان لا يبالي أذكرًا لقي[٥٩٧] أم أنثى، وسأل [ربه] أن يمنع قلبه من الشيطان فلم يقدر عليه[٥٩٨].

وروى أبو يحيى بإسناده، عن أبي بردة الأسلمي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «رأيت قومًا من أمتي ما خلقوا بعد، وسيكونون فيما بعد، أُحبُّهم ويحبونني، ويتناصحون ويتباذلون، يمشون بنور الله في الناس رويدًا في خفية وتقية، يَسْلَمُون من الناس ويَسْلَم الناس منهم، ويعمرون مساجد الله بصلاتهم، يرحمون صغيرهم، ويجلّون كبيرهم، ويتواسون بينهم، يعود غنيُّهم على فقيرهم، وقويُّهم على ضعيفهم، يعودون مرضاهم، ويتبعون جنائزهم»، فقال رجل من القوم: وفي ذلك يرفقون برقيقهم[٥٩٩]، فالتفت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «كلا إنه لا رقيق[٦٠٠] لهم، خُدَّام أنفسهم، وهم[٦٠١] أكرم على الله من أن يوسِّع عليهم، لهوان الدنيا عند ربهم، ثم تلا رسول الله: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ..﴾ [الفرقان:٦٣] حتى ختم به الآية.

أبو يحيى بإسناده عن الحسن، عن جابر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن أهل الجنة في الدنيا شعثة رؤوسهم دنسة [ثيابهم]، إن استأذنوا على الأمراء لم يؤذنوا، وإن خَطَبوا

(٥٩٥) الحارث: الحرث، م، ي. جامع معمر بن راشد ١١/ ٢٨١.

(٥٩٦) بَصْبَصَ الكلب ونحوه: حَرَّك ذَنَبه. الصحاح (بصبص).

(٥٩٧) أذكرًا لقي: أذكر أتى، م، ي. صفة الصفوة ٢/ ١٢٢.

(٥٩٨) صفة الصفوة ٢/ ١٢٢.

(٥٩٩) رقيقهم: رفيقهم، م، ي. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٥/ ١٤٧.

(٦٠٠) رقيق: رفيق، م، ي. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٥/ ١٤٧.

(٦٠١) هم: هو، م، ي. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٥/ ١٤٧.

لم يُزَوَّجوا، يموت أحدهم وحاجته في صدره، لو قُسِّم نوره على الناس لوسعهم»[٦٠٢].

الحسن عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بكثرة صوم ولا صلاة، ولكن دخلوها برحمة الله وسلامة الصدور، وسخاوة الأنفس، والرحمة لجميع المسلمين».

عبادة بن الصامت، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا يزال في هذه الأمة ثلاثون رجلًا مثل إبراهيم خليل الرحمن، كلما مات منهم رجل أبدل الله مكانه آخر». وروي: «يكون في هذه الدنيا ثلاثون رجلًا من الأبدال»[٦٠٣].

تمت أبواب الزهد

(٦٠٢) المعجم الكبير للطبراني ٨/ ١١٩.
(٦٠٣) الأولياءلابي أبي الدنيا.

باب في الفضائل والرغائب

فصل في فضل التهليل

قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران:١٨]، ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩].

وحدثنا الشيخ الإمام أبو حامد أحمد بن محمد النجار، حدثنا بشر بن أحمد الإسفراييني[١]، حدثنا داود بن الحسين، حدثنا يحيى بن يحيى قال: قرأت على مالك، عن سمي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من قال (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) في [يوم] مائة مرة كانت له عدْلَ عشر رقاب، وكتب له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد أفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك.[٢] ومن قال: (سبحان الله وبحمده)، في يومه مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»[٣].

زيد بن أسلم، عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم، ولا منشرهم، وكأني بأهل لا إله إلا الله ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله، فإنها خفيفة في اللسان، ثقيلة في الميزان، لو جعلت (لا إله إلا الله) في كفة وجعلت السماء والأرض وما فيهن في كفة لرجحت بهن لا إله إلا الله»، رواه أبو هريرة.

علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من قال: (لا إله إلا الله الحق المبين) في كل يوم مائة مرة، كان له أمانٌ من الفقر، وأمانٌ من وحشة القبر، واستجلب به الغنى، واستقرع به باب الجنة».

---

(١) الإسفراييني: الأسفرامي؛ الأشعراني، م ي

(٢) موطأ مالك ٢/ ٢٩٣.

(٣) البخاري، ٦٤٠٥؛ الترمذي، ٣٤٦٦.

وقال: «مفتاح الجنة: شهادة أن لا إله إلا الله»، رواه معاذ.

وقال صلى الله عليه: «من قال لا إله إلا الله، ولم يحجزه حاجزه ولم يأمره آمره[٤]، لم يزده قول لا إله إلا الله إلا بعدًا»، رواه أبو سعيد الخدري.

وقال [صلى الله] عليه وسلم: «لا إله إلا الله تمنع العباد من سخط الله ما لم يؤثروا سَفْقَةَ[٥] دنياهم على دينهم، فإذا آثروا سَفَقَةَ[٦] دنياهم على دينهم ثم قالوا: (لا إله إلا الله) ردت عليهم، وقال الله: كذبتم»، رواه أبو سعيد الخدري، وزيد بن أرقم.

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من قال: لا إله إلا الله مخلصًا دخل الجنة»، وفي حديث زيد: ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «وإخلاصه أن يحجزه[٧] عما حرم الله عليه».

أبو عبيدة بن الجراح، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «رب مبيِّضٍ لثيابه مدنّسٍ لدينه، ورب مُكْرِم لنفسه وهو لها [غدًا] مهين، بادروا السيئات القديمات بالحسنات الحديثات، فإن الرجل لو أذنب حتى بلغت ذنوبه السماء ثم قال: لا إله إلا الله لعلت فوق خطاياه حتى تقهرهن»[٨].

قتادة، عن الحسن، عن ابن مسعود قال: بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سفر إذ سمع رجلا يقول: الله أكبر الله أكبر، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الفطرة». ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «خرج من النار». فأشرفنا فإذا رجل في الوادي وقد حضرت الصلاة فأقام الصلاة.

عقبة بن عامر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما من أحد يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يصلي ركعتين مقبلًا بقلبه ووجهه عليهما إلا وجبت له الجنة»، [فقلت: ما أجود هذه؟، فإذا قائل يقول:] «ما قبلهما أفضل منهما»، [فإذا عمر بن الخطاب قال: إني قد رأيتك جئت آنفًا،

(٤) لم يحجزه حاجز ولم تأتمر لآمر: لم يحجره حاجره ولم يأمره آمره، م، ي.
(٥) السَّفْقَةُ: الصَّفْقَةُ. تاج العروس (سفق). مسند أبي يعلى ٧/ ٩٥.
(٦) سَفَقَةَ: شفق، م، ي. مسند أبي يعلى ٧/ ٩٥.
(٧) يحجزه: يحجره، م، ي. معجم الطبراني الكبير ٥/ ١٩٧.
(٨) كنز العمال ٤/ ٢٧٠.

قال:] «من توضأ فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده، فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء»[٩].

الصادق عن آبائه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من قال لا إله إلا الله الحق المبين في كل يوم مائة مرة..» الخبر ذكرناه.

فصل في التعوذ

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [النحل:٩٨]، وقد ذكرنا في باب القرآن جملًا من التعوذ، وفي الآية أدلة وأسئلة:

أما سؤالاتها[١٠]**: فمنها**: لم أمر بالتعوذ مع ضعف الشيطان؟

قلنا: قيل: التعوذ عبادة، كقوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ[١١] لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر:٥٥] وهو مغفور له، ولأن الله تعالى وصف الشيطان بالضعف ثم أمر المسلمين بالاستعاذة منه ليقابله بقوة قلب، ولا يرى لنفسه قوة فيبقى العجب منه[١٢]، ولأن الإنسان لا يخلو من السهو والغفلة، والشيطان عدوٌّ فينتهز الفرصة مع ضعفه، فأمر بالاستعاذة في جميع الأحوال؛ لأن من نفسه للشيطان أعوانًا[١٣] كاللهو والشهوة، فأمر بالاستعاذة منه، لأنه يراه من حيث لا يراه مع ضعفه، فربما يغلبه من هذا الوجه.

ومنها: [لم] أمر بالتعوذ عند قراءة القرآن؟

قلنا: قيل: كل طاعة كانت أكبر فنزعات الشيطان فيه أكثر، فلما كان قراءة القرآن أجلَّ الطاعات أمر بالاستعاذة من الشيطان عندها، وقيل: إنه نبه بذلك، فإنه إذا وجب الاستعاذة عند القرآن الذي هو طاعة، فعند غيره أولى، كقوله: ﴿فَلَا[١٤] تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء:٢٣]، وقيل: لأنه قد يريه الإعجاب فأمر بالاستعاذة منه.

(٩) مسند أحمد ٢٨/ ٦١٥.
(١٠) سؤالاتها: سؤلتها، م، ي.
(١١) واستغفر: استغفر، م، ي..
(١٢) منه: عنه، م، ي.
(١٣) أعوانها: أعونا، م، ي..
(١٤) فلا: ولا، م، ي..

ومنها: لم لا يُمنَعُ ابتداءً؟

قلنا: لأن الاستعاذة عبادة وليظهر شرف المؤمن.

ومنها: ما الذي يقدر عليه الشيطان؟

قلنا: الوسوسة فقط، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ﴾ [إبراهيم:٢٢].

فأما أدلة الآية: ففيه دليل أن قراءة القرآن فِعْلُ العبد؛ لأنه لولا ذلك لما أمرنا بالاستعاذة.

وتدل على أن القرآن كلام الله، فدل على أن الشيطان يقدر على الوسوسة.

وتدل على أن الشيطان يُغَلّ.

ويدل على أن الإضلال ليس مِنْ فِعْلِ الله، ولو كان جميع الأفعال فِعْلَ الله تعالى لما صح تقدير الكلام.

وعن زر بن حبيش قال: قرأت على ابن مسعود القرآن فقلت: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، فقال لي: قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ لأني قرأت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، ثم قال: «هكذا أخذتها من جبريل».

الحسن: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا افتتح الصلاة كبر ثم يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم».

الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول قبل القراءة: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

وعن عائشة: قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قصة الإفك فكشف الرداء عن وجهها، وقال: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ [النور:١١]».

فصل في العتاق

قال الله تعالى: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد:١٣]، ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ [البقرة:١٧٧].

عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أيما مؤمن أعتق مؤمنًا في الدنيا أعتق الله بكل عضو منه عضوًا من النار».

أبو ذر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه سئل: أي الأعمال خير؟ قال: «إيمان بالله، وجهاد في سبيله»، قال: [قلت][15] أي الرقاب خير؟ قال: «أغلاها ثمنًا، وأنْفَسها عند أهلها».

البراء بن عازب، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جاء إليه أعرابي فقال: علمني عملًا يدخلني الجنة وينجيني من النار، فقال: «لئن قصرت الخطبة لقد أعرَضْتَ المسألة: أعتق النسمة، وفُكَّ الرقبة»، قال: أولستا واحدة؟ قال: «لا، عتق الرقبة أن تنفرد بعتقها، وفك الرقبة أن تعين في ثمنها»[16].

وفي حديث واثلة بن الأسقع قال: أتينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صاحب لنا قد وجب فقال: «اعتقوا عنه يعتق الله عنه بكل عضو منه عضوًا من النار».

وعن أبي نجيح السلمي قال: حاصرنا مع رسول الله الطائف فسمعته يقول: «من رمى بسهم في سبيل الله فله درجة في الجنة، ومن شاب شيبة في الإسلام كان له نورًا يوم القيامة، وأيما مسلم أعتق رجلًا مسلمًا كان وقاءَ كلِّ عَظْمٍ مِنْ عظامه عظما من عظام محرره[17] من النار، وأيما امرأة أعتقت امرأة مسلمة كان وقاء كل عظم من عظامها عظام محرره[18] من النار».

فصل في النكاح

هذا الفصل يشتمل على فصول:

منها: ما جاء في استحباب النكاح والحث عليه.

ومنها: ما جاء في العزوبة[19] وتفسيرها[20].

ومنها: ما جاء في شرائط النكاح ومَنْ ينبغي[21] أن تنكح[22].

(١٥) مصنف ابن أبي شيبة ٥/ ٣٣٦.
(١٦) صحيح ابن حبان ٢/ ٩٨.
(١٧) عظما من عظام محرره: عظم محرز، م، ي. سنن أبي داود ٤/ ٢٩.
(١٨) عظما من عظام محرره: عظم محرز، م، ي. سنن أبي داود ٤/ ٢٩.
(١٩) العزوبة: العزاب، م، ي.
(٢٠) تفسيرها: تفسيره، م، ي.
(٢١) مَنْ ينبغي: ممن يبتغي، م، ي.
(٢٢) تنكح: يمدح، م، ي.

ورابعها: ما جاء في النساء وحمدهن.

وخامسها: ما جاء في ذمهن.

مبحث في الحث على النكاح

أما الحث على النكاح: فقال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ [النور:٣٢]، ﴿فَلَا[٢٣] تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ﴾ [البقرة:٢٣٢].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «تناكحوا تناسلوا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة حتى بالسقط».

أبو هريرة: ثلاثة حق على الله غوثهم: المكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف، والمجاهد في سبيل الله.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاث مَنْ تَدَيَّنَ[٢٤] فيها ثم مات ولم يقض فإن[٢٥] الله يقضي عنه: رجل يكون في سبيل الله فتضْعُف قوته فيدين ويتقوى به على عدوه ثم يموت ولم يقض، ورجل مات عنده مسلم فلم يجد ما يكفنه فيه ولا ما يواريه إلا بدين، فمات ولم يقض، ورجل خاف على نفسه الفتنة في العزوبة، فتعفف[٢٦] بنكاح امرأة بدين فمات ولم يقض، فإن الله يقضي عنهم يوم القيامة»، رواه عبد الله بن عمر.

وجاء عكّاف الهلالي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: «يا عكاف، ألك زوجة»؟ قال: لا. قال: «ولا جارية»؟ قال: لا. قال: «وأنت صحيح موسر»؟ قال: نعم والحمد لله. قال: «فأنت إذن من إخوان الشياطين، إما أن تكون من رهبان النصارى فأنت منهم، وإما أن تكون مِنَّا فاصنع كما نصنع، فإن مِنْ سُنَّتنا النكاح، شراركم عزابكم، آباء للشياطين[٢٧] تمرّسون[٢٨] ما لهم في نفسٍ[٢٩] سلاح أبلغ في الصالحين من الرجال والنساء إلا المتزوجون،

(٢٣) فلا: ولا، م، ي..

(٢٤) تَدَيَّنَ: يدين، م، ي. من مسند عبد بن حميد ص٢٨.

(٢٥) فإن: كان، م، ي. المنتخب من مسند عبد بن حميد ص٢٨.

(٢٦) فتعفف: فيعف، م، ي. المنتخب من مسند عبد بن حميد ص٢٨.

(٢٧) آباء للشياطين: الشياطين، م، ي. مسند أبي يعلى ١٢/ ٢٦٠.

(٢٨) تمرّسون: يتاسون، م، ي. مسند أبي يعلى ١٢/ ٢٦٠.

(٢٩) مالهم في نفسٍ: ماله في نفسه، م، ي. مسند أبي يعلى ١٢/ ٢٦٠.

أولئك المطهرون المبرأون من الخنا، ويحك يا عكاف إنهن صواحب داود، وصواحب يوسف، وصواحب كُرْسُف»، قال: فقال: وما الكرسف يا رسول الله؟ قال: «رجل كان في بني إسرائيل على ساحل من سواحل البحر، يصوم النهار ويقوم الليل، لا يفتر من صلاة ولا صيام، ثم كفر بعد ذلك بالله العظيم في سبب امرأة عشقها، فترك ما كان عليه من عبادة ربه، فتداركه لما سلف منه، فتاب عليه، ويحك يا عكاف تزوج». فقال: يا رسول الله لا أبرح حتى تزوجني من شئت، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «قد زوجتك على اسم الله والبركة كريمة بنت كلثوم الحميري»، رواه عطية بن بشر المازني.

وقال عليه السلام: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء»، رواه ابن مسعود.

معاذ بن جبل: لو لم يبق من الدنيا إلا ليلة لأحببت أن يكون لي فيها زوجة خوف الفتنة.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من رغب في ملتي فليستن بسنتي، ألا وهي النكاح».

مبحث فيما جاء في العزوبة

أما ما جاء في العزوبة: فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «شراركم عزابكم»، وهذا فيمن لا يمكنه حفظ نفسه من الزنا، فأما إذا خاف لو تزوج ألا يفي ما أوجب الله عليه فإنه يجوز ألا يتزوج، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ [التغابن:١٤].

وروى حذيفة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «خيركم الخفيف الحاذ[٣٠]»، قيل: يا رسول الله ما الخفيف الحاذ[٣١]؟ قال: «الذي لا أهل له ولا ولد خفيف[٣٢] المؤنة».

مبحث في شرائط النكاح

وأما شرائط النكاح: فقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «تزوج المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها[٣٣]، ولجمالها، ودينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»، رواه أبو هريرة.

(٣٠) الخفيف الحاذ: الخفيف الظهر. معجم ابن الأعرابي ٢/ ٨٧٨.
(٣١) الخفيف الحاذ: الخفيف الظهر. معجم ابن الأعرابي ٢/ ٨٧٨.
(٣٢) خفيف: حفيف، م، ي.
(٣٣) لحسبها: لحسنها، م، ي.

وقال: «تخيروا لنفطكم الأكفاء، وانكحوا الأكفاء، واخطبوا إليهم».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاث لا تؤخرهن: الصلاة إذا حان وقتها، والجنازة إذا حضرت، والأيم إذا وجد لها كفؤ».

وعن عياض بن غنيم قال: دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «يا عياض تزوج، ولا تزوج عاقرًا ولا عجوزًا، وأكثر فإني مكاثر».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «عليكم بالأبكار، فإنهن [أَنْتَقُ] أرحامًا، وأعذب أفواهًا، وأرضى باليسير»، رواه ابن مسعود(٣٤).

وخطب يزيد بن معاوية بنت أبي الدرداء فأبى، ثم خطبها رجل فقير فزوجها منه، فسئل عن ذلك فقال: ما ظنكم ببنت أبي الدرداء إذا قام على رأسها الخصيان ونظرت في بيت تلمع فيه العينان أين دينها يومئذ.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أعظمه(٣٥) بركةً أَيْسَرُهُ مؤنةً»، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها»، وقال: «لا نكاح إلا بولي مُرْشِدٍ وشهود عدول»، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «النكاح رق، فلينظر أحدكم أين يضع كريمته».

وقيل لأعرابي: إذا قيل للرجل: [املك] فقد أُهْلِكَ، المملَّك هو المملوك إلا أن ثمنه عليه(٣٦).

شعر(٣٧):

يقولون تزويجٌ(٣٨) وأشهد أنه ... هو البيع إلا أن(٣٩) من [شاء] يكذب

مبحث فيما جاء في مدح النساء

قال تعالى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ [النساء:٣٤]، ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ

(٣٤) معجم الطبراني الأوسط ٧/ ٣٤٤.
(٣٥) أعظمه: أعظم، م، ي. حلية الأولياء ٦/ ٢٥٦.
(٣٦) ربيع الأبرار وفصوص الأخبار ٢/ ٤٢١.
(٣٧) عيون الأخبار ٢/ ٧١.
(٣٨) تزويج: ترويح، م، ي. عيون الأخبار ٢/ ٧١.
(٣٩) أن: أنه، م، ي. عيون الأخبار ٢/ ٧١.

وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب:٣٥]، ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ [التحريم:١١].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «سيدات نساء العالمين أربع: آسية، ومريم، وخديجة، وفاطمة» مختصر.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاث من السعادة وثلاث من الشقاوة: فمن السعادة: المرأة تراها فتعجبك، وتغيب عنها فتأمنها على نفسها ومالك، والدابة تكون وطية تُلْحِقُكَ بأصحابك، والدار [تكون] واسعة كثيرة المرافق. ومن الشقاء: المرأة تراها فتسوؤك وتحمل لسانها عليك، فإن غبت عنها لم تأمنها على نفسها ومالك، والدابة تكون قطوفًا[٤٠] إن ضربتها أتعبتك، وإن تركتها لم تلحقك أصحابك، والدار تكون ضيقة قليلة المرافق»[٤١]، رواه محمد بن سعد عن أبيه عنه.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاثة في ظل العرش يوم القيامة: رجل وصول لرحمه فيعطف عليهم، ورجل صنع طعامًا فأطابه ودعا إليه الفقراء، وامرأة كان لها زوج مات عنها وترك أيتامًا فخطبها رجل [فأبت] أن تتزوج، وأقرت على الأيتام حتى كفاهم الله وأغناهم»، رواه أنس.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا وسَفْعَاء الخدين الحانية على ولدها كهاتين يوم القيامة، وأشار بالسبابة والوسطى»[٤٢].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الدنيا متاع، وليس من متاع الدنيا أفضل من المرأة الصالحة»، رواه عبد الله بن عمر.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «صرير مغزل المرأة يعدل التكبير في سبيل الله»، رواه أبو هريرة.

أحمد بن حرب[٤٣]: إذا اجتمع للمرأة خمس خصال كمل صلاحها: المحافظة[٤٤] [على]

---

(٤٠) القَطُوف من الدواب: المتقارب الخطو البطيء. لسان العرب (قطف).

(٤١) المستدرك للحاكم ٢/ ١٧٥.

(٤٢) بصائر ذوي التمييز ٣/ ٢٢٦.

(٤٣) حرب: حزب، م، ي.

(٤٤) المحافظة: محافظة، م، ي.

الصلوات، وطواعية[٤٥] الزوج في مرضاة الله، وحفظ اللسان، والزهد في الدنيا، والصبر عند المصائب، فذلك جهاد النساء[٤٦].

حاتم الأصم: المرأة الصالحة عماد الدين، وعمارة البيت، وعون الطاعة.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «حبب إلي من دنياكم ثلاث: الطيب، والنساء، وجعل قرة عيني في الصلاة»، قال تعالى: ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف:١٨٩].

قيل: خير النساء الهينة اللينة، التقية النقية.

شعر:

ونحن بنو الدنيا وهنّ[٤٧] بناتها وعيش بني الدنيا لقاء بناتها

آخر:

إن النساء رياحين خُلِقْنَ لنا وكلنا يشتهي شم الرياحين

مبحث فيما جاء في ذم النساء

فأما ما جاء في ذمهن: فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدًا: الديوث من الرجال، والرَّجُلَة من النساء، ومدمن الخمر»، قالوا: يا رسول الله أما مدمن الخمر فقد عرفناه، فما[٤٨] الديوث؟ قال: «الذي لا يبالي من دخل على أهله». قلنا: فالرَّجُلَة؟ قال: «التي[٤٩] تتشبه بالرجال»، رواه عمار.

وقال: «ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ولا يصعد لهم إلى السماء حسنة: العبد الآبق حتى يرجع إلى مولاه فيضع يده في يده، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى، والسكران حتى يصحو»، رواه جابر.

قال: «خلقت المرأة من ضِلَع، فلا يزال في خلقها عوج، فإن أقمتها كسرتها، وكسرها طلاقها، وإن استمتعت بها فإن فيها متعة»، رواه أبو هريرة.

---

(٤٥) طواعية: مطواعة، م، ي.

(٤٦) تنبيه المغترين ص٦٢.

(٤٧) هنّ: نحن، م، ي. ثمار القلوب ص٢٦٢.

(٤٨) فما: فأما، م، ي.

(٤٩) التي: الذي، م، ي.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «صنفان من أمتي [لم] أرهما[٥٠]: قوم معهم سياط مثل أذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات، رؤوسهن[٥١] مثل أسنمة[٥٢] البخت المائلة، لا يدخلن الجنة [و] لا يجدن ريحها، وإن ريحها يوجد من مسيرة كذا وكذا»[٥٣]، رواه ابن مسعود.

وخطب صلى الله عليه وآله وسلم وقال: «يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار»، فقالت امرأة منهن حوله: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال: «تُكثِرْن اللعن وتكفُرْن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن»، قالت: يا رسول الله وما نقصان العقل والدين؟ قال: «أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، وتمكث الليالي ما تصلي وتفطر في رمضان، فهذا نقصان الدين»، رواه ابن عمر، وهو في صحيح مسلم.

وعن علي عليه السلام: ناقصات العقل والدين والحظ. أما العقل والدين فكما ذكرنا، وأما الحظ فنصيبها في الميراث نصف نصيب الرجل.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «شاوروهن[٥٤] وخالفوهن فإن البركة في خلافهن».

عمر: استعيذوا من شرار النساء، وكونوا من خيارهن على حذر. وقيل: النساء حبائل الشيطان.

بعض السلف: كيد النساء أعظم من كيد الشيطان لقوله: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٧٦]، وقال: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف:٢٨].

فصل في الصلح

قال الله تعالى: ﴿أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء:١١٤]، وقال: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء:١٢٨]، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «كل صلح جائز إلا صلحًا حرم حلالًا أو أحل حرامًا».

(٥٠) أمتي لم أرهما: أمتي أرهما، م، ي.
(٥١) رؤوسهن: روسمين، م، ي.
(٥٢) أسنمة: أنسمة، م، ي.
(٥٣) صحيح مسلم ٣/ ١٦٨٠.
(٥٤) شاوروهن: شاورون، م، ي.

وعن عمر: رُدُّوا[٥٥] الخصوم حتى يصطلحوا[٥٦] فإن فصل[٥٧] القضاء يورث بينهم الضغائن.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم لأبي أيوب: «ألا أدلك على صدقة يحبها الله ورسوله؟ تصلح بين الناس إذا تفاسدوا، وتقرب إليهم إذا تباعدوا».

محمد بن المنكدر قال: تنازع رجلان في المسجد فقمت أصلح بينهما، فلما اصطلحا قال أبو هريرة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من أصلح بين اثنين استوجب ثواب شهيد».

وكان أبو هريرة إذا أصبح يقول لجلسائه: هل تعلمون من جنازة نشهدها؟ فإن قيل: لا، قال: هل تعلمون من ملهوف نغيثه؟ فإن قيل: لا، قال: اللهم إني أشهدك أني صائم.

أبو أمامة: سِرْ ميلًا عد مريضًا، سر ميلين زر أخاك، سر ثلاثة أميال أصلح بين اثنين، من أصلح بين اثنين أعطاه الله بكل كلمة عتق رقبة.

فصل في أعمال البر

أبو سلمة قال: مررت برجل يضرب غلامًا له، وأشار إليّ الغلام، فسألت مولاه فعفا عنه. فلقيت أبا سعيد الخدري فأخبرته فقال: يابن أخي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من أغاث مكروبا أعتقه الله من النار يوم الفزع الأكبر».

الحسن: مهور الحور في الجنة كنس المساجد وعمارتها.

أنس: من أسرج في مسجد سراجًا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوء.

أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «عرضت علي محاسن أعمال أمتي فلم أر شيئًا أحسن من إخراج القناديل إلى المساجد».

وروي «أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل المسجد فصلى ركعتين ثم قعد».

(٥٥) رُدُّوا: أدوا، م، ي. مصنف عبد الرزاق ٨/ ٣٠٣.

(٥٦) حتى يصطلحوا: تصطلحوا، م، ي. مصنف عبد الرزاق ٨/ ٣٠٣.

(٥٧) فصل: فضل، م، ي.

الحسن: من اتبع جنازة غفر له سيعين موبقة.

عكرمة: وجدت[٥٨] ضالة فأخذت زمامها ودخلت المدينة، فسمعت صارخًا يقول: من وجد لي شاردًا؟ فناولتها بزمامها، ثم أتيت أبا هريرة فأخبرته فقال: قد عدلت[٥٩] اليوم الصائم القائم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من أغاث ملهوفًا كشف الله ضره وثبت أقدامه يوم تزول الأقدام».

ابن عمر: ما من شيء أهون[٦٠] من البر: قلب رحيم ووجه طلق ولسان لطيف.

كعب: من عاد مسكينًا أو فقيرًا أو زاره يريد به تواضعًا وُكّل به ألف ملك يستغفرون له يومه.

مر ابن عون على رجل يسبح فقال له: نعم ما تغرس.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم في وصيته: «يا علي ينبغي أن تكون في المؤمن ثمان خصال: وقور عند الهزاهز[٦١]، وصبور عند البلاء، وشكور عند الرخاء، وقنوع بما رزق الله، لا يظلم الأعداء، ولا يتعدى على الأصدقاء[٦٢]، بدنه منه في تعب والناس منه في راحة، يا علي سبعة من كن فيه فقد استكمل حقيقة الإيمان وأبواب الجنة مفتحة: من أسبغ وضوءه، وأحسن صلاته، وأدى زكاة ماله، وكف غضبه، وسجن لسانه، واستغفر لذنبه، وأدى النصيحة لأهل بيته، يا علي ثلاث درجات وثلاث مهلكات وثلاث كفارات وثلاث منجيات:

أما الدرجات: فإسباغ الوضوء في السبرات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، والمشي بالليل والنهار إلى الجماعات.

وأما الكفارات: فإفشاء السلام، وإطعام الطعام، والتهجد بالليل والناس نيام.

وأما المهلكات: فشح مطاع، وهوىً مُتَّبع، وإعجاب المرء بنفسه.

وأما المنجيات: فخوف الله في السر والعلانية، والقصد في الغنى والفقر، وكلمة العدل في الرضا والسخط.

(٥٨) وجدت: وجد، م، ي.
(٥٩) عدلت: عنيت، م، ي.
(٦٠) أهون: أهو، م، ي.
(٦١) الهَزَاهِزُ: الفتن، يهتز فيها الناس. الصحاح (هزهز).
(٦٢) الأصدقاء: الأصداق،، م، ي.

يا علي سِرْ سنتين بر والديك، سر سنة صل رحمك، سر ميلًا عد مريضًا، سر ميلين شيع جنازة، سر ثلاثة أميال أجب دعوة، سر أربعة أميال زر أخًا في الله، سر خمسة أميال أغث الملهوف، سر ستة أميال انصر المظلوم، وعليك بالاستغفار.

يا علي الإسلام عريان ولباسه الحياء، وزينته الوفاء، ومروؤته العمل الصالح، وعماده الورع، ولكل شيء أساس، وأساس الإسلام حبنا أهل البيت».

وذكر الأصم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «عملان موجبان، وعملان بأمثالهما، وعمل بعشرة أمثاله، وعمل بسبعمائة عمل، وعمل لا يعلم ثواب عامله إلا الله، فأما العملان الموجبان: فمن لقي الله مؤمنًا وجبت له الجنة، ومن لقيه كافرًا وجبت له النار. وأما العملان بأمثالهما: فمن هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة، ومن عمل سيئة كتبت له سيئة. وأما العمل الذي بعشرة أمثاله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام:١٦٠]، وأما العمل الذي بسبعمائة: النفقة والحسنة في سبيل الله بسبعمائة، وأما الذي لا يعلم ثواب عامله إلا الله فالصوم».

وعن معاذ بن جبل قال: أقبلنا(٦٣) مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من غزوة تبوك، فرأيته خاليًا فقلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة، قال: «بخٍ(٦٤) لك، سألت عن عظيم وهو يسير على من يسره الله عليه: تقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي(٦٥) الزكاة المفروضة، وتلقى الله لا تشرك(٦٦) به شيئًا، أولا أدلك على رأس الأمر وعموده وذروة سنامه، أما رأس الأمر فالإسلام(٦٧) مَنْ أسلم سَلِمَ(٦٨)، وأما عموده فالصلاة، وأما ذروته وسنامه فالجهاد في سبيل الله، أولا أدلك على أبواب الخير: الصوم [جُنَّة](٦٩)، والصدقة برهان، وقيام العبد في جوف الليل يكفر خطأه، وتلا هذه الآية: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة:١٦]، أولا أدلك على ما هو أملك من ذلك كله لله»، قال: فأشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده

---

(٦٣) أقبلنا: أكبرنا، م، ي. مسند أحمد ٣٦/ ٣٨٧.

(٦٤) بخ: ويح، م، ي. مسند أحمد ٣٦/ ٣٨٧.

(٦٥) تؤدي: يؤدي، م، ي، مسند أحمد ٣٦/ ٣٨٧.

(٦٦) تشرك: يشرك، م، ي، مسند أحمد ٣٦/ ٣٨٧.

(٦٧) فالإسلام: والإسلام، م، ي. مسند أحمد ٣٦/ ٣٨٧.

(٦٨) سَلِمَ: يسلم، م، ي. مسند أحمد ٣٦/ ٣٨٧.

(٦٩) مسند أحمد ٣٦/ ٣٨٧.

إلى لسانه، فقلت: يا رسول الله، إنا لنؤاخذ بما نتكلم به؟ قال: «ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم».

فصل في الدعاء

قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، وقال: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الحشر:٨].

إن الله تعالى أمر بالدعاء وندب إليه، وذم تاركه، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ﴾ [غافر:٦٠]، ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل:٦٢]، ونهى عن عبادة غيره فقال: ﴿فَلَا[70] تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨]، وقيل: المساجد هي[71] موضع الصلاة، وقيل: المواضع التي يسجد عليها من الأعضاء.

وقال: من وفق لعشر[72] خصال لم يحرم عشرًا: مَنْ وُفِّقَ للجهاد لم يحرم الهداية، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩]، ومن وفق للإنفاق لم يحرم الخلف ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ:٣٩]، ومن وفق للشكر لم يحرم المزيد ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧]، ومن وفق للصبر لم يحرم الأجر ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم﴾ [الزمر:١٠]، ومن وفق للاستغفار لم يحرم المغفرة ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:١١٠]، ومن وفق للتوكل لم يحرم[73] الكفالة ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣]، ومن وفق للدعاء لم يحرم الإجابة ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، ومن وفق للتوبة لم يحرم القبول ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الشورى:٢٥].

وثانيها: أن الدعاء يجب أن يتوجه إلى الله.

وثالثها: النهي عن دعاء غيره.

ورابعها: شرائط الدعاء وآدابه.

وخامسها: الأوقات التي الدعاء فيها أفضل.

والسادس: آثار متفرقة في إجابة الدعاء.

---

(٧٠) فلا: لا، م، ي..

(٧١) هي: وهو، م، ي.

(٧٢) عشر: سبع، م، ي.

(٧٣) يحرم: يحمر، م، ي.

أما الأوّل: فالدعاء عبادة أمر الله به، قال تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ﴾ [غافر:٦٠]، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الدعاء مخ العبادة».

وأما الثاني: فقال: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ﴾ [الأعراف:٥٥]. وروي أن جبريل اعترض لإبراهيم حين رمي به في النار، فقال: هل من حاجة؟ فقال: أما إليك فلا. قال: فادع الله. قال: كفى مِنْ سؤاله عِلْمُه بحالي.

واحتاج بعض الصالحين بالبصرة إلى النفقة(٧٤) فدعا الله، وكان بالبصرة تاجر موسر، فرأى في المنام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: [أرسل] إلى فلان ألف درهم، فظنه حلمًا فعاد الليلة الثانية والثالثة، فقام وحمل المال وركب الدابة وأرسل عنانها، فمضى حتى موضعه(٧٥) فدق الباب، فخرج رجل فسأله عن اسمه فأخبره، فإذا هو، فدفع المال إليه وقال: إذا احتجت إلى شيء [فأتني] في محله كذا فقال: كلا، إني [آتي] من بعثك هذه الليلة إلي بابي.

في حكمة آل داود: لو رجع العبد إلي في أول المصائب لأبرزت(٧٦) إليه من صنعي العجائب، ولكن رجع إلى أمثاله فرُدَّ(٧٧) في أسفاله.

وأما الثالث: فقال: ﴿فَلَا(٧٨) تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ [الجن:١٨]، وقال: ﴿أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا..﴾ [الأنعام:٧١] الآيات.

ودخل بعض الصالحين على بعض الأمراء وقال: سل حاجتك، قال: حاجتي أن تغفر لي. قال: ليس هذا إلي، سلني حوائج الدنيا. قال: تزيد(٧٩) في عمري. قال: ذاك ليس إلي. قال: إذًا أسأل من له الآخرة والأولى.

وقد دعا الأنبياء ربهم فأجابهم، يونس: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ﴾ [الأنبياء:٨٨]، أيوب: ﴿فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖ﴾ [الأنبياء:٨٤]، وزكريا: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ [الأنبياء:٩٠] ونظائره،

(٧٤) النفقة: النافقة، م، ي.
(٧٥) موضعه: موتره، م، ي.
(٧٦) لأبرزت: لأثرت، م، ي.
(٧٧) فرُدَّ: فردت، م، ي.
(٧٨) فلا: لا، م، ي..
(٧٩) تزيد: يريد، م، ي..

ويوسف لما توكل على الآدمي[٨٠] فقال: ﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف:٤٢].

وأما الرابع: فينبغي أن يدعوه بالإخلاص، لقوله: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر:١٤]، وينبغي أن يدعوه تضرعا وخيفة، ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ ويكون واثقًا بالإجابة وإن لم يجب، فيرى[٨١] الخلل من جهته، فقد روي عن الصادق أنه قيل له: ما لنا لا يجاب دعاؤنا؟ قال: لأنكم تدعون من لا تعرفون.

يحيى بن معاذ: ادعوني بصدق اللجأ[٨٢] أستجب لكم صالح الدعاء.

وأما الخامس: فينبغي أن تختار الأوقات الفاضلة كعقيب الصلاة، وبين الأذان والإقامة، وآخر الليل، ويجدد توبة، وبتقرب وطاعة، ثم يدعو الله بشرط المصلحة.

فأما الآثار في الدعوات إذا أجيبت: فروى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما من مسلم دعا بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا إثم إلا أعطاه الله بها إحدى خصال ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخر له في الآخرة، وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها».

ورفعت امرأة قصة إلى المنصور وهو راكب ذكرت فيها أنه قَتَلَ[٨٣] لها أبًا، وأخًا، وزوجًا، ولها في سجنه غلام يافع قد راهق الحلم، فاعف يا أمير المؤمنين عنه، فغضب المنصور وقال: لا عفا الله عني إن عفوت عنه. فولت وأنشأت تقول شعر:

بغـي وللبغـي سـهام تنتظـر ... أغـرز[٨٤] في الأحشـاء مِـنْ وَخْـزِ الإبـر
أسـرع فـي الآجـال مـن وقـع المطـر ... سـهام أيـدي القانتيـن فـي السـحر

قال: فنشب الفرس بالمنصور فاندق عنقه وخر مغشيًا عليه، فلما أفاق قال لمن حوله: أطلقوا لها ولدها، هذه سهام أيدي القانتين في السحر.

(٨٠) الآدمي: الأدني، م، ي.
(٨١) فيرى: فترى، م، ي.
(٨٢) اللجأ: النجاء، م، ي. الفتوحات الربانية ٣٩٨/٤.
(٨٣) قَتَلَ: قيل، م، ي.
(٨٤) أغرز: أغزر، م، ي.

شعر:

أتلعب بالدعاء وتزدريه ... وما تدري[٨٥] بما صنع الدعاء
سهام الليل لا تخطئ ولكن ... لها أمدٌ وللأمد انقضاء

شعر آخر:

نحن ندعو الإله في كل خطب ... ثم ننساه عند كَشْفِ الخطوب
كيف نرجو إجابة لدعاءٍ ... قد سددنا طريقه بالذنوب

ومن الحكايات عن السلف في إجابة الدعاء، وذلك يكثر، وسنورد حكايات قليلة.

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعاها، فإذا سألتموه فاسألوه[٨٦] وأنتم واثقون بالإجابة، فإن الله لا يستجيب دعاء من دعاه عن ظهر قلب غافل». رواه ابن عمر.

قال تعالى: ﴿أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا﴾ [يونس:٨٩]، ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ [الأنبياء:٧٦]، ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل:٦٢].

وروي في حديث استسقاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاستسقى عمر بالعباس وقد ذكرنا.

وروي أن عمرو بن عبيد كان في النزع، فقال[٨٧]: يا رب إن كنت تعلم أني ما خيرت بين اثنين[٨٨] أحدهما فيه هواي والآخر فيه رضاك إلا اخترت رضاك أن تريحني الساعة. فتوفي من ساعته.

وذكر أن وهبًا دعا الله أن يرفع عنه النوم بالليل، فذهب عنه النوم أربعين سنة.

وروى الواقدي عن يوسف بن المنكدر قال: أودع خراساني عند أبي أربعمائة دينار، وأذن له أن ينفقها بشرط الرد، فأنفقها، وقدم الخراساني من الحج وطلب المال، فقال أبي: ارجع إلي غدًا لأرده إن شاء الله، وقام تلك الليلة وتوضأ وصلى وقال: إلهي انقطع رجائي عن الخلق،

---

(٨٥) وماتدري: تبين فيه، م، ي..

(٨٦) سألتموه فاسألوه: سألتموها فاسألوها، م، ي.

(٨٧) فقال: فقيل، م، ي.

(٨٨) اثنين: أمرين م، ي، م، ي.

وأنت ثقتي ورجائي، فلا تفضحني، فإذا رجل دفع إليه منديلًا فيه أربعمائة دينار وقال: اجعلها في حاجتك.

وكان لوهب بن الورد جراب فيه سويق، فخرقته الفأرة، فدعا وقال: اللهم خذها، فخرجت واضطربت وماتت.

ويحكى عن هارون بن بلال قال: خرج رجل غازيًا وكان له امرأة حامل، فقال: اللهم إني أستودعك ما في بطنها، فخرج وتوفيت المرأة ودفنوها، وذكر الناس أنهم يرون نورًا عند ذلك القبر، وعاد الرجل وإذا امرأته ميتة، وأخبر بذلك النور، فارتاب(٨٩) فيه فرآه، فنبش القبر، فإذا ابن يرتضع من ثدي أمه، فهتف به هاتف: استودعت الولد فرددناه عليك، ولو استودعت الأم لرددناها. والحكايات في ذلك كثيرة.

فصل آخر من الدعاء

حدثنا الشيخ الإمام بإسناده عن بريدة قال: سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلًا يقول: اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد. قال: «لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب».

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «أن أوفى الدعاء أن يقول العبد: اللهم أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي، لا يغفر الذنوب إلا أنت، يا رب اغفر لي».

ويروى من دعائه: «عافنا ما أبقيتنا، وارحما إذا توفيتنا، واجعل خير عمرنا آخره، وخير عملنا خواتمه(٩٠)، وخير أيامنا يوم نلقاك، توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين، واجعلنا صالحين غير خزايا(٩١) ولا نادمين».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «دعاء الوالد لولده كدعاء النبي لأمته»، رواه أنس.

وقال: «الدعاء هو العبادة، ثم قرأ ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]»، رواه النعمان بن بشير.

---

(٨٩) فارتاب: فرأى، م، ي.

(٩٠) عملنا خواتمه: أعمالنا بخواتيمه، م، ي.

(٩١) خزايا: خزا، م، ي.

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «وذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد[٩٢] يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه[٩٣] حرام وملبسه حرام، فأنى يستجاب ذلك».

سعد[٩٤] بن أبي وقاص، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إني لأعرف كلمة لا يقولها مكروب إلا فرج الله كربه، كلمة أخي يونس في الظلمات ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ الآية [الأنبياء:٨٧]، قال الله: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء:٨٨]»، وقال[٩٥] عليه السلام: «دعوتان ليس بينهما وبين الله حجاب: دعوة المظلوم، ودعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب»، رواه ابن عباس.

أبو هريرة قال: دعا رجل من الأنصار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانطلقنا معه، فلما طعم قال: «الحمد لله الذي يُطعِمُ ولا يطعَم، ومَنَّ علينا فهدانا، وأطعمنا وسقانا، وكل بلاء حسن أبلانا، الحمد لله غير مودَّع ولا مكافإٍ، ولا مكفور ولا مستغنى عنه، الحمد لله الذي أطعم من الطعام، وسقى من الشراب، وكسى من العري، وهدى من الضلالة، وفضل على كثير ممن خلق تفضيلًا، الحمد لله رب العالمين».

وقال: «إذا أذن المؤذنون فتحت أبواب السماء فلا يرد الدعاء بين[٩٦] الأذان والإقامة»، رواه أنس.

فصل في التسبيح

قال الله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة:٧٤].

أبو هريرة: جاء الفقراء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: يا نبي الله ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلى والنعيم المقيم، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضول أموال يحجون بها ويعتمرون ويتصدقون، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا أحدثكم بأمر إن أخذتم به أدركتم من سبقكم ولم يلحقكم أحد بعدكم إلا أحد عمل

(٩٢) يمد: مد، م، ي. صحيح مسلم ٢/ ٧٠٣.
(٩٣) ومطعمه: فمطعمه، م، ي. صحيح مسلم ٢/ ٧٠٣.
(٩٤) سعد: سعيد، م، ي. مسند أبي يعلى ص٢١٧.
(٩٥) وقال: فقال،م، ي.
(٩٦) بين: بن، م، ي.

مثل عملكم: تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثًا وثلاثين»، فلما سمع ذلك الأغنياء فعلوا مثل ما فعل الفقراء، فقالت الفقراء: يا رسول الله لما بلغ الأغنياء قالوا مثل ما قلنا، قال: «ذلك الفضل من الله يؤتيه من يشاء».

وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله أدبرت الدنيا عني وقلّت ذات يدي. قال: «أين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق، وبها يرزقون: أن تقول ما بين طلوع الفجر إلى أن تصلي الغداة مائة مرة: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، أستغفر الله، تأتيك الدنيا راغمة».

وروى عبد الله بن عمرو، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «خصلتان لا يحافظ عليهما عبد في يومه وليلته إلا أدخلتاه الجنة، وهما يسير»، قالوا: وما هما يا رسول الله؟ قال: «تسبّح(٩٧) الله دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين، وتكبره ثلاثًا وثلاثين».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «كلمتان خفيفتان على اللسان، حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»، رواه أبو هريرة.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من صباح يصبحه العباد إلا نادى منادٍ من السماء: أيها الناس سبحوا قدسوا»، رواه الزبير بن العوام.

وعن قتادة: أن ضفدعًا كلمت موسى عليه السلام فسألها عن دعائها وتسبيحها، فقالت: أقول: لا إله إلا الله المعبود بكل مكان، لا إله إلا الله المذكور بكل بلسان، لا إله إلا الله المعروف بالإحسان.

ابن مسعود قال: كنت عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ دخل كعب الأحبار فتحدثنا، فذكر كعب أن في كتب الأنبياء: أن هامة جاءت إلى نبي الله سليمان فقالت: السلام عليك يا نبي الله، فقال: وعليك يا هامة، أخبريني كيف تركت العمران وسكنت الخراب؟ قالت: لأن الخراب ميراث [الله]، والعمران يدعيها مُلّاكها. فقال سليمان: يا هامة ما تقولين إذا جلست على الخراب؟ قالت: أقول: أين الذين كانوا يتنعمون؟ هم اليوم في القبور، ويل لبني آدم كيف ينامون وبين أيديهم الأهوال والشدائد، سبحان خالق النور، سبحان خالق النور(٩٨).

(٩٧) تسبّح: تسبيح، م، ي.
(٩٨) حلية الأولياء ٥/ ٣٩١.

وعن عطاء بن السائب، عن أبيه قال: أتى علي فاطمة عليهما السلام فقال: إني أشتكي صدري مما أَمُدّ بالقِرَب، فقالت: والله إني لأشتكي يدي ممّا أطحن بالرحا، فقال لها: ائتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد أتاه سبي لعله أن يُخْدِمَك خادمًا، فانطلقت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسلمت عليه ثم رجعت إلى علي، فقال: ما لك؟ فقالت: والله ما استطعت أن أكلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هيبته، فانطلقا معًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما جاء بكما؟ لقد جاء بكما حاجة»؟ فقال له علي: يا رسول الله شكوت إلى فاطمة مما أمد بالقرب وشكت إلي مما تطحن، فأتيناك لتخدمنا خادمًا مما أتاك من السبي، قال: «لا ورب الكعبة، ولكن أبيعهم وأنفق أثمانهم على أصحاب الصفة الذي تنطوي أكبادهم من الجوع، ولا أجد ما أطعمهم»، فرجعا وأخذا مضاجعهما، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالليل وهما في خميل لهما - والخميل: القطيفة من الصوف - وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم جهزها[٩٩] بها وبوسادة محشوة بإذخر وقربة، وقد كان علي وفاطمة حين ردهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجدا في أنفسهما وشق عليهما، فلما سمعا حس النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذهبا ليقوما، فقال لهما: «مكانكما»، ثم جاء حتى جلس على طرف الخميل ثم قال: «إنكما جئتماني لأخدمكما خادمًا، وإني سأخبركما بما هو خير لكما من الخادم: تُسَبِّحان[١٠٠] الله في دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين، وتحمدانه ثلاثًا وثلاثين، وتكبرانه أربعًا وثلاثين، وإذا أخذتما مضجعكما من الليل فذلك مائة»[١٠١]، قال علي عليه السلام: فما أعلم أني تركتها بعد، فقال له ابن الكواء: ولا ليلة الهرير بصفين؟ فقال علي عليه السلام: يا أهل العراق قاتلكم الله ولا ليلة صفين.

فصل في قول: لا حول ولا قوة إلا بالله

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف:٣٩].

وروى أبو موسى قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزاة، فأشرفوا فجعل

(٩٩) جهزها: جهزهما، م، ي. مسند البزار ٣/ ٧.

(١٠٠) تسبحان: سبحان، م، ي..

(١٠١) مسند البزار ٣/ ٧.

الناس يكبرون ويهللون: الله أكبر الله أكبر ويرفعون أصواتهم، فقال: «يا أيها الناس، ارْبَعُوا[١٠٢] على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا، إنه معكم»، فسمعني وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال: «يا عبد الله بن قيس، ألا أدلك على كلمة هي كنز الجنة»؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله».

زيد بن علي عن آبائه عليهم السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يا علي حب الدنيا سلوة عن حب الآخرة، وحب الآخرة سلوة عن حب الدنيا، وحب طاعة الله أمان من معصيته، وحب معصيته ذهاب عن طاعته، يا علي إذا حَزَبَك[١٠٣] أمر فقل: (لا حول ولا قوة إلا بالله) فإنه كنز».

وعن أبي ذر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنها[١٠٤] «كنز من كنوز الجنة».

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ألا أدلكم على باب من أبواب الجنة»؟ قالوا: بلى، قال: (لا حول ولا قوة إلا بالله».

وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ألا أدلك على كلمة من تحت العرش وكنز الجنة: لا حول ولا قوة إلا بالله، يقول الله: أسلم العبد واستسلم».

وعن أبي ذر: «أوصاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسبع: أن أنظر إلى من هو أسفل مني ولا أنظر إلى من هو فوقي، وأوصاني بحب المساكين، وأوصاني أن أصل رحمي، وأوصاني أن أقول الحق ولو كان مرًا، وأوصاني لا أخاف في الله لومة لائم، وأوصاني ألاّ أسأل الناس شيئًا، وأوصاني أن أستكثر من قول (لا حول ولا قوة إلا بالله) فإنها كنز الجنة»[١٠٥].

جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «استعينوا بلا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها تذهب سبعين بابًا من الفقر، أدناها الهم».

وروي: أول من قال: (لا حول ولا قوة إلا بالله): حملة العرش في السماء، وإبراهيم في الأرض.

---

(١٠٢) ارْبَعُوا: ارفعوا، م، ي.

(١٠٣) حَزَبَك: أحرزك، م، ي.

(١٠٤) مسند أحمد ٣٥/ ٢٢٣.

(١٠٥) شعب الإيمان ٥/ ١٠٤.

وأُسِر ابنٌ لبعض الصحابة، فشكى إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «أكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، يرده الله عليك»، فقالها فلم يشعر إلا وقد جاء ابنه سالمًا مع غنيمة.

يونس بن عبيد: رأيت الحسن في المنام فقلت: عظني، فقال: كن من الناس على وجل، ومن الشيطان على حذر، ومن نفسك على خطر، ومن الدنيا على هرب، فإن الأمر هاهنا على غير ما ظننا. فقلت: يا أبا[١٠٦] سعيد فما الحيلة؟ قال: أما الخَلْق والشيطان فهينان، أما الخلق فمُرْهُم بالمعروف، وانْهَهُم عن المنكر، وأما الشيطان فأكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنه يذوب حين يسمعها كما يذوب الرصاص، وأما نفسك والدنيا فجاهدهما حتى تنهزم عنك الدنيا وتبقى لك النفس، فما رأيت صريعًا أذل ممن ترضى عنه نفسه، ولا خاسرًا[١٠٧] أخسر ممن غرته دنياه.

وروي أنه على كل باب ملك، فإذا قال العبد: بسم الله، قال الملك: هديت، وإذا قال: توكلت على الله، قال الملك: كفيت، وإذا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، قال الملك: وُقيت.

ومعنى الكلمة ما روى ابن مسعود قال: قلت: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا أخبركم بتفسيرها»؟ قلت: بلى، قال: «لا حول عن معصية الله، ولا قوة على طاعة الله إلا بعون الله، وقال: هكذا أخبرني جبريل».

وعن علي عليه السلام: لا حول للجنين من جنب إلى جنب إلا بالله، ولا قوة له في الخروج من بطن أمه إلا بالله.

وقيل: لا يحول الأحوال إلا الله، ولا يقدر على تقليب الليل والنهار إلا هو.

وقيل: لا تغني حيلة العبد من الفقر شيئًا.

وسئل بعضهم: ما الحيلة؟ قال: ترك الحيلة.

وللشافعي رحمه الله تعالى:

لـو كان بالحِيَـل الغنـى لوجدتَنـي ... بنجـوم أقطـار السـماء تعلقـي
لكـنّ مَـنْ رُزق الحِجَـى حُـرِمَ الغنى ... ضـدان يفترقـان أيَّ تَفَـرُّقِ[١٠٨]

(١٠٦) في الأصل: يابا.

(١٠٧) خاسرًا: خاصر، م، ي.

(١٠٨) تَفَرُّقِ: تفرقي، م، ي.

وقيل: ليس الحيلولة من النار إلا رحمة الله، ولا القوة على جواز الصراط إلا بقوة الله.

وقيل: يحول(١٠٩) بين المرء وما يشتهيه يوم القيامة ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤]، وقيل: يحول بين المرء وقلبه.

وروي أن بعض الزبيرين سعى بيحيى بن عبد الله إلى الرشيد، فأحضره فقال يحيى: إنه يكذب علي. فقال الرشيد للزبيري: ما تقول؟ فأخذ يحلف، فقال يحيى: لا تحلف بهذا، ولكن عندنا يمين نحب أن تحلف بها، قل: برئت من حول الله وقوته واعتصمت بحولي وقوتي إن كذبت فيما قلت، فارتعد الزبيري وأبى، فغضب الرشيد، فحلف الزبيري، فقال يحيى: قطعت والله عمرك، فمات في اليوم الثالث، وقد ظهر فيه الجذام.

وقيل: نعم الدين والدنيا أشياء: النفس وهو الذي خلقها فسواها،وركب فيها الجوارح وقوّاها، ونفخ فيها الروح فأحياها،ثم ألهمها فجورها وتقواها، وحكم الفلاح من زكاها، وخيبة من دساها، والروح(١١٠) وهو الذي أنشأها، والسماء الذي رفعهاوبناها ورفع سمكها فسواها، والأرض وهو الذي فرشها ودحاها أخرج منها ماءها ومرعاها، والجبال أرساها، والنبات أنماها، والنهار وهو الذي أخرج ضحاها، والليل إذا يغشاها، والأنعام وهو الذي أبداها، والشمس والقمر والنجوم وهو الذي نورها وجلاها، والقيامة وحشر الناس وهو يعيدها كما تراها، والأنبياء وهو الذي أرسلها وأنباها، والقرآن والكتب وهو الذي أنزلها وأوحاها، والدين والشرع وهو الذي بين أركانها وهداها، والطاعات وهو الذي حث عليها وأحبها(١١١)، والكفر والضلالات وهو الذي نهى عنها وقلاها، والنار وهو الذي سعرها وسَنَّاها، والجنة وهو الذي زينها وأعطاها، وصنوف النعم وهو الذي منه مبدأها ومنتهاها، وأصناف البلايا وهو الذي دفعها وكفاها، الحمد لله وكل الحول والقوة له تعالى الله.

شعر:

إذا نحـن أثنينـا عليـك بصالـح ... فأنـت كمـا نثـني(١١٢) وفوق الـذي نثني

فـإن جـرت الألفـاظ يومًـا(١١٣) بمدحـةٍ ... لغيـرك أنشـأنا فأنـت الـذي نعنـي

(١٠٩) يحول: تحول، م، ي.

(١١٠) الروح: الورق،م ي

(١١١) وأحبها: وحداها، م، ي.

(١١٢) نثني: يثنى، م، ي. المستطرف في كل فنٌ مستظرف ص٢٣٦.

(١١٣) يومًا: منك، م، ي.

وقيل: لا عصمة إلا من عصمته، ولا هداية إلا من هدايته، ولا رزق إلا من خزائنه، ولا قوة إلا بقدرته، ولا حول إلا من جهته.

شعر:

أَبلِغَا عنّي المنجّم أنّي كافرٌ بالذي قضتْه الكواكبْ
عالمٌ أن ما يكون وما كا ن قضاء من(١١٤) المهيمن واجبْ

فصل في التوبة والاستغفار

هذا الفصل يشتمل على فصول ستة:

منها: ما جاء في التوبة.

ومنها: الآثار في التوبة.

ومنها: شرائط التوبة.

ومنها: الاستغفار وما جاء فيه.

ومنها: ما جاء في قبول التوبة.

ومنها: أسباب التوبة:

مبحث فيما جاء في التوبة

أما الفصل الأول: فإن الله تعالى أمرنا بالتوبة فقال: ﴿تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [التحريم:٨]، ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر:٥٤]، ومدح عليها فقال: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ [التوبة:١١٢]، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ [البقرة:١٦٠]، ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ [مريم:٦٠]. ثم بين أن التوبة تورث عشرة أشياء:

فمنها: القبول، قال تعالى: ﴿وَقَابِلِ(١١٥) ٱلتَّوْبِ﴾ [غافر:٣].

ومنها: الرحمة، ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ..﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ﴾ [الأنعام:٥٤].

ومنها: المحبة، قال تعالى: ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢]، والمغفرة: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن

(١١٤) قضاء من: من الواحد، م، ي. طبقات الشعراء والمحدثين ص١٢٦.

(١١٥) وقابل: قابل، م، ي..

تَابَ﴾ [طه:٨٢] إلى قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖ﴾ [الفرقان:٧٠].

ومنها: الفلاح، قال: ﴿وَتُوبُوٓاْ(١١٦) إِلَى [ٱللَّهِ] جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [النور:٣١].

ومنها: النور، ﴿يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ﴾ [التحريم:٨].

ومنها: الشفاعة، ﴿فَٱغۡفِرۡ(١١٧) لِلَّذِينَ تَابُواْ﴾ [غافر:٨].

ومنها: الإيمان ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾، ثم قال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة:١١٢].

ومنها: الجنة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [مريم:٦٠] بعد قوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾.

والتوبة على وجوه: توبة آدم ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ﴾ [الأعراف:٢٣]، وتوبة داود ﴿فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ﴾ [ص:٢٤]، وتوبة موسى ﴿رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ﴾ [القصص:١٧]، وقوله: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي﴾ [القصص:١٦]، توبة يونس ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الأنبياء:٨٧]، توبة سليمان ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا﴾ [ص:٣٥]، توبة بني إسرائيل ﴿فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ..﴾ الآية [البقرة:٥٤]، توبة من سأل الرؤية ﴿[قَالَ سُبۡحَٰنَكَ](١١٨) تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف:١٤٣]، وتوبة أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أسهل التوبة، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «الندم توبة».

مبحث في الآثار في التوبة

فأما الآثار في التوبة فكثيرة، فروى أبو أمامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «أنه حلف لا يستثني: ما من أحد يقول إذا أصبح: اللهم لك الحمد لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، آمنت بك مخلصًا لك ديني، أصبحت على عهدك ووعدك ما استطعت، أتوب إليك من سيئ عملي، وأستغفرك لذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فإن مات من يومه مات حامدًا موحدًا مؤمنًا تائبًا مخلصًا مستغفرًا، وإن قالها حين يمسي فمثل ذلك».

أنس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا تاب العبد إلى الله أنسى الله الحفظة ما عملوا من مساوئه، وأمر الجوارح أن يكتموا ما علموا من مساوئه، وقال للأرض: اكتمي ما علمت منه».

---

(١١٦) وتوبوا: توبوا، م، ي..

(١١٧) فاغفر: واغفر، م، ي..

(١١٨) قال سب: قال إني، م، ي..

عائشة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من ذنب إلا وله عند الله توبة إلا سوء الخلق[١١٩]، فإنه لا يتوب من ذنب إلا وقع فيما هو شرّ[١٢٠] منه».

معاذ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يا معاذ، اذكر الله عند كل شجر ومدر، وأحدث لكل ذنب توبة، السر بالسر، والعلانية بالعلانية».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الندم توبة».

عن ابن مسعود عنه: «من أذنب أو أخطأ ثم ندم فذلك كفارته».

عائشة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن العبد إذا أذنب ثم ندم غفر الله له ذلك من قبل أن يستغفر بلسانه».

عطاء بإسناده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والمستغفر من الذنب وهو مقيم كالمستهزئ بربه».

صفوان بن عسال المرادي، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن قبلَ المغرب بابًا[١٢١] مسيرة عَرْضِه أربعون سنة أو سبعون سنة، فتحه الله للتوبة يوم خلق السماوات والأرض، فلا يغلقه حتى تطلع الشمس منه».

ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن للجنة ثمانية أبواب، سبعة مغلقة، وباب منها مفتوح للتوبة».

ابن عباس: ليس من الذنوب ذنب إلا للعبد منه توبة، إلا اليمين الغموس أن يحلف على مال امرئ مسلم فيقتطعه ثم لا يرده».

مبحث في شرائط التوبة

فأما شرائط التوبة: فيجب الندم على ما مضى، والعزم[١٢٢] على ألّا يعود، ويتدارك[١٢٣] ما

(١١٩) الخلق: الخلف، م، ي. فيض القدير ٥/ ٥٨١.
(١٢٠) شرّ: أشد، م، ي، فيض القدير ٥/ ٥٨١.
(١٢١) بابًا: باب، م، ي. معجم الطبراني الكبير ٨/ ٥٦.
(١٢٢) العزم: الهزم، م، ي.
(١٢٣) يتدارك: بتدراك، م، ي.

فاته ويمكن تلافيه، وما كان بينه وبين العباد فيرده ويرضي خصمه، ويجب أن يكون مخلصًا لا يعود.

ابن عباس في قوله: ﴿تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم:٨] قال: التوبة النصوح: الندم بالقلب، والإقلاع بالبدن، والإضمار ألاّ يعود، والاستغفار باللسان.

ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «النادم ينتظر الرحمة، والمعجب ينتظر المَقْتَ، وكل عامل سيقدم على ما أسلف عند موته، فإن ملاك الأعمال بخواتيمها، والليل والنهار مطيتان فاركبوهما بلاغًا إلى الآخرة، وإياكم والتسويف بالتوبة، واعلموا أن الجنة والنار أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، من يعمل مثقال ذرة خيرًا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شر يره».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «المستغفر باللسان والمصرّ على الذنوب كالمستهزئ بربه».

قيل ليحيى بن معاذ: من التائب؟ قال: من كسر [الشباب] على رأسه، والدنيا على رأس الشيطان، ولزم الفطام[١٢٤] حتى أتاه الحمام.

ومن شرائط التوبة من البدعة ما قال الله تعالى: ﴿وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾ [البقرة:١٦٠].

وعن أبي بكر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «استكثروا من الاستغفار، فإن الشيطان قال: قد أهلكت الناس بالذنوب فأهلكوني بقول: لا إله إلا الله، وبالاستغفار، فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء، فهم يحسبون أنهم مهتدون ولا يستغفرون».

الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أعوذ بالله من ذنب لا أستغفر الله منه»، قيل: يا رسول الله ويكون هذا؟ قال: «نعم، أقوام في آخر الزمان يبتدعون البدع، يدينون الله بها، لا يستغفرون الله منها حتى يموتوا».

أنس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله حجر التوبة عن كل صاحب بدعة».

الصادق عن آبائه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يا علي إن الله تعالى أهبط آدم بالهند، وأهبط حواء بجدة، فمكث آدم بالهند مائة سنة لا يرفع رأسه إلى السماء، واضع

(١٢٤) الفطام: القطام، م، ي.

يده على رأسه على خطيئته، وجلس جلسة الحزين مائة سنة، فبعث الله جبريل فقال: يا آدم إن ربك يقرئك السلام ويقول: ألم أخلقك بيدي؟ ألم أنفخ فيك من روحي؟ ألم أُسْجِد لك ملائكتي؟ ألم أزوجك أمتي حواء؟ ألم أسكنك جنتي؟ ألم تسبق إليك رحمتي؟ قال: بلى يا رب، قال: فما هذا البكاء؟ قال آدم: يا جبريل وما يمنعني من البكاء وقد خرجت من جوار ربي. فقال جبريل: يا آدم تكلم بهذه الكلمات، فإن الله يقبل التوبة: سبحانك لا إله إلا أنت، عملت سوءًا، وظلمت نفسي، فاغفر لي وارحمني، وأنت أرحم خير الغافرين، وارحمني وأنت خير الراحمين. فلما قالها تاب الله على آدم».

الحسن قال: خر داود ساجدًا أربعين ليلة حتى قيل قد غفر لك، وقيل: إنه فقد دمعه فبكى دمًا.

شعر:

تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي درج الجنان بها وفوز العابد
أنسيتَ أنّ الله أَخْرَجَ آدمًا منها إلى الدنيا بذنبٍ واحد

ويقال: أذنب آدم ذنبًا واحدًا فبكى عليه ألف سنة، وأنت أذنبت ألف ذنب فما تبكي عليه مرة واحدة.

سفيان: البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها.

عبد الله بن عمرو، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يخطب: «ارحموا ترحموا، واغفروا يغفر الله لكم، ويلٌ للمُصِرِّين الذين يُصِرُّون على ما فعلوا وهم يعلمون».

ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن التوبة من الذنب أن يتوب العبد ثم لا يعود».

شعر:

نذوب[١٢٥] ولكننا لا نتوب وما فات من عمرنا لا يؤوبُ
ونرجو البقاء مُنًى باطلًا وكيف البقاء لجسم يذوب

عائشة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الدواوين عند الله يوم القيامة ثلاثة: ديوان لا

(١٢٥)

يغفر الله منه شيئًا، وديوان لا يترك الله منه شيئًا، وديوان لا يعبأ الله به شيئًا، فأما الديوان الذي لا يغفر الله منه شيئًا فالشرك، وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئًا فذنب العبد فيما بينه وبين الله مثل صلاته وصيامه، وأما الديوان الذي يترك الله منه شيئًا فظلم العباد بعضهم من بعض، القصاص لا محالة».

أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الظلم ثلاثة: ظلم لا يغفره الله أبدًا، وظلم لا يدعه الله أبدًا، وظلم يغفره الله، فأما الظلم الذي لا يغفره الله أبدًا فمن لقي الله مشركًا، وأما الذي لا يدعه الله فظلم العباد بعضهم على بعض حتى يقتص بعضهم من بعض، وأما الظلم الذي يغفره فظلم العبد فيما بينه وبين ربه، فيستغفر الله فيغفر له».

أبو الدرداء، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الله تعالى يقول: ذنب أغفره وذنب لا أغفره، فأما الذي أغفره فما كان بيني وبين عبدي، لو أذنب حتى يبلغ ذنبه السماء ثم استغفرني لغفرت له، وأما الذي لا أغفره فما بينه وبين العباد، لا أغفره حتى يرد(١٢٦) المظالم على أهلها».

في الزبور: يابن آدم كم من ليلة قصيرة أقللت فيها ذكري وأطلتها بالمعاصي، فإذا أصبحت خادعتني بالاستغفار من غير نية، كأنما تعامل بخداعك من غاب عنه الخداع.

وقيل: التوبة الحياء العاصم، والبكاء الدائم. وقيل: هو الندم على ما فات، وإصلاح ما هو آت. وقيل: قود النفس بخطام الرغبة، وردّها عن المعصية بزمام الرهبة. وقيل: التوبة الإقبال على المنان والاستعانة بطلب الأمان(١٢٧).

مبحث في الاستغفار

فأما الاستغفار: فإنه توبة وإن كان اللفظ مختلفًا، قال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ [هود:٩٠]، ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى:٥]، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ(١٢٨)﴾ [النساء:٦٤]، ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [التوبة:٨٠]، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال:٣٣]، الآيات ونظائرها.

---

(١٢٦) يرد: أرد، م، ي.

(١٢٧) نور الأنوار وكنز الأبرار ص ٥٨.

(١٢٨) جاؤوك: جاءوا، م، ي..

فأما الآثار في الاستغفار وشرائطه: فقد روي عن علي عليه السلام أن رجلًا قال بحضرته: أستغفر الله، فقال: ثكلتك أمك، أتدري ما الاستغفار، إن الاستغفار درجة العليين، وهو اسم واقع على ستة معان:

أولها: الندم على ما مضى.

والثاني: العزم على ترك العود إليه أبدًا.

والثالث: أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله وليس عليك تبعة.

والرابع: أن تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدي حقها.

والخامس: أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتى تلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد.

والسادس: أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية، فعند ذلك تقول: أستغفر الله[١٢٩].

وحدثنا الشيخ الإمام أبو محمد بإسناده عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «صاحب اليمين أمين على صاحب الشمال، فإذا عمل العبد حسنة كتب له بعشرة أمثالها، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: أمسك، فيمسك عنه سبع ساعات، فإن استغفر الله لم تكتب، وإن لم يستغفر كتب عليه سيئة».

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، تبوء بالنعمة وأبوء بالذنب، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. فإذا قالها العبد حين يمسي موقنًا بها فمات من ليلته كان من أهل الجنة، وإذا قالها حين يصبح موقنًا به فمات قبل أن يمسي كان من أهل الجنة»، رواه شداد بن أوس.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من رزق خمسة لم يحرم خمسة: من رزق الشكر لم يحرم الزيادة، قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧] وزيادته الجنة، ومن رزق

(١٢٩) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠/٥٦.

التوبة لم يحرم القبول، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الشورى:٢٥]، ومن رزق الاستغفار لم يحرم المغفرة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:١١٠]، ومن رزق الدعاء لم يحرم الإجابة، لقوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، ومن رزق الصبر لم يحرم الأجر، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠]» رواه أبو هريرة. وفي رواية أنس: «من أعطي ستًا لم يحرم ستًا: من أعطي النفقة لم يحرف الخلف، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ:٣٩]».

الفضيل: الاستغفار بلا إقلاع: توبة الكاذبين.

أنس قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سفر فقال: «استغفروا الله»، فاستغفرنا، فقال: «تمموهما سبعين مرة»، فتممناها، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من عبد ولا أمة يستغفر الله سبعين مرة إلا غفر الله له سبعمائة ذنب، وقد خاب عبد أو أمة عمل في ليلة أو يوم أكثر من سبعمائة ذنب».

زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، غفر له ذنوبه وإن كان فرَّ من الزحف».

مبحث في قبول التوبة

فأما قبول التوبة: فإن عندنا لا بد إذا أتى بشرائطها أنها تقبل، قال تعالى: ﴿وَقَابِلِ(١٣٠) ٱلتَّوْبِ﴾ [غافر:٣]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الشورى:٢٥].

وحدثنا الشيخ الإمام أبو محمد بإسناده عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لَلَّهُ أَفْرَحُ بتوبة أحدكم منه بضالته إذا وجدها».

عائشة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن العبد إذا أذنب فاعترف به وتاب غفر له، وقال الله تعالى في قصة داود: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ [ص:٢٥]».

مجاهد في قوله: ﴿كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة:٣٧]، قال: قال آدم: رب خلقتني بيدك، ونفخت فيَّ من

(١٣٠) وقابل: قابل، م، ي.

روحك، وعطستُ فقلتَ: يرحمك الله، فسبقتْ رحمتُك إياي غضبَك عليّ يا رب، أرأيت إن تبت وأصلحت أتردني إلى الجنة؟ قال: نعم.

أبو سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن إبليس قال[١٣١] لربه بعزتك وجلالك لا أبرح أغوي ابن آدم ما دامت الأرواح فيهم، فقال له ربه: فبعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني»[١٣٢].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يد الله مبسوطة لمسيء الليل ليتوب بالنهار، ولمسيء النهار ليتوب بالليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»، رواه أبو موسى.

أنس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا أنبئكم بدوائكم من دائكم»؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «فإن داءكم الذنوب، ودواءكم التوبة والاستغفار».

علي عليه السلام: العجب ممن يقنط ومعه النجاة، قيل: وما هي؟ قال: الاستغفار.

وعنه: بقية عمر المرء لا قيمة لها، يدرك بها ما فات، ويحيي ما أمات.

أبو العتاهية في التوبة والاستغفار شعر:

نعى لك ظلَّ الشباب المشيبُ ... ونادتْك باسمِ سواك الخطوبُ
فكن مستعدًا لريب المنون ... فكل الذي هو آتٍ قريبُ
ألسنا نرى شهوات النفو ... س تفنى وتبقى علينا الذنوبُ
يخاف على نفسه من يتوب[١٣٣] ... فكيف ترى حال من لا يتوب

آخر:

أستغفر الله عما كنت أستره ... عن العباد وعنه غير مستور
وأستعيذ بربي خائفًا وَجِلًا ... من أن أموت وذنبي غير مغفور

ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله، فأتته امرأة فأعطاها ستين دينارًا على أن يطأها، فلما أن قعد منها مقعد الرجل من المرأة ارتعدت وبكت، فقال: ما يبكيك أكرهتك؟ قالت: لا ولكن هذا عمل لم أعمله قط،

---

(١٣١) قال: أقم، م، ي. المقصد العلي ٢/ ٣٧٤.

(١٣٢) المقصد العلي ٢/ ٣٧٤.

(١٣٣) نفسه من يتوب: ربه التائبون، م، ي. لطائف المعارف ص٣٩١.

وإنما حملني عليه الحاجة، فتركها وقال: اذهبي والدنانير لك، ثم قال: والله لا يعصي الكفل أبدًا. قال: فمات من ليلته، فأصبح مكتوبًا على بابه: قد غفر للكفل».

ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثًا، ولا يملأ(١٣٤) جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب».

عطاء قال: لما رفع لإبراهيم ملكوت السماوات رأى رجلًا يزني فدعا عليه فهلك، ثم رأى آخر يزني، فدعا عليه فهلك، ثم رأى ثالثا يزني فدعا عليه، فقيل له: على رِسْلك يا إبراهيم، إنك عبد مستجاب لك، وإني من عبدي على إحدى ثلاث: إما أن يتوب إلي فأتوب عليه، وإما أن أخرج منه ذرية طيبة يعبدونني، وإما أن يتمادى فيما هو فيه فإن جهنم من ورائه.

أبو يحيى بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من مسلم يعمل ذنبًا إلا وقف الملك الموكل به ثلاث ساعات، فإذا استغفر الله من ذنبه ذلك في شيء من تلك الساعات لم يُكتَب عليه ولم يُعذَّب عليه يوم القيامة».

وعنه عليه السلام: «طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارًا كثيرًا عند الله».

ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الهجرة خصلتان: إحداهما أن يَهْجُر السيئات، والأخرى أن يهاجر إلى الله ورسوله ولا تنقطع(١٣٥) الهجرة ما تُقُبِّلت التوبة، ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب، فإذا طلعت طُبِع على كل قلب بما فيه، وكُفِيَ الناس عن العمل».

ابن عباس في قوله: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [النساء:١٧] قال: القريب ما بينه وبين أن ينظر إلى ملك الموت.

عائشة قالت: جاء حبيب بن الحارث إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله إني أتوب ثم أعود، قال: «وكلما أذنبت فتب»، قال: إذًا تكثر ذنوبي يا رسول الله، قال: «عفو الله أكثر من ذنوبك يا حبيب بن الحارث».

عطاء: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»، رواه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(١٣٤) يملأ: يملي، م، ي.

(١٣٥) تنقطع: يقطع، م، ي. شرح مشكل الآثار ٧/ ٤٧.

مبحث في أسباب التوبة

فأما أسباب التوبة: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد:١٦]، قيل: نزلت في المنافقين، وقيل: نزلت في أصحاب الكبيرة، تخشع: تلين فيتوبوا. قيل: ألم يأن لك أن تذكر القبر والبلى، وتنسى القصور والدنيا، وترجع إلى خدمة المولى، ألم يأنِ لك الخشوع، ألم يأن لك النزوع، ألم يأن لك إرسال الدموع، أما آن لك الدعاء، أما آن لك البكاء، أما آن لك الندامة على الفساد، أما آن لك إيثار السداد، أما آن لك استعداد الزاد، أما آن لك هجر الرقاد، أما آن لك التوبة والإنابة، أما آن لك الإجابة، أما آن لك أن تترك الصبا وتهجر الهوى وتدع الحياة الدنيا.

شعر[١٣٦]:

ألـم يـأن لـي يـا قلـب أن أتـرك الصبـا   وأن أنـزع النفـس اللجـوج عـن الهـوى

[نثر]: أما آن لك أن تجعل الموت بين عينيك، وتوصي بمظالمك ودَيْنك، فإنك على شفا حفرة من حينك، أما آن لك أن تلطم وجنتك بيديك[١٣٧]، وتغسل عثرتك بعبرتك، وتذكر وحدتك في حفرتك، وخلوتك بحسرتك.

شعر:

وحـق لمثلـي البـكاء[١٣٨] قبـل موتـه   ومـا لـي لا أبكـي وموتـي قـد اقتـرب
ولـي عمـل فـي اللـوح أحصـاه خالقـي   لئـن لم يَجُدْ بالصفـح صرت إلـى العطب

أما آن لك أن تقول من قلبك آه، وتركع من ذنوبك إلى الله، ولا تفرح بما سواه، ولا تعتمد إلا إياه.

شعر:

آه مـن تضييـع أوقـا   تـي وعمـري مسـتعار
فمتـى يصفـو يقينـي   ويمـوت الاغتـرار

أما آن لك أن تنادي بالعويل على نفسك وتستعد للرحيل إلى رمسك.

---

(١٣٦) وأن أنزع النفس اللجوج: وفي رواية وأن أزجر النفس اللجوج.
(١٣٧) بيديك: بمدعيك م، ي.
(١٣٨) البكاء: بالبكا، م، ي.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «بادر خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك»، رواه ابن عباس.

ويحكى أن فُضَيلا(١٣٩) كان يقطع الطريق فخرج ليلًا وإذا ناس يَمُرُّون وأحدهم يقرأ بصوت حزين: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟..﴾ الآية [الحديد:١٦]، فصاح ومزق ثيابه وقال: بلى والله قد آن قد آن.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟..﴾ الآية [التوبة:١١٨]، نزلت في كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن ربيعة، وكانوا تخلفوا عن رسول الله في غزوة تبوك، «فنهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن مكالمتهم، وأمر نساءهم بمفارقتهم»، فما زالوا يبكون ويتضرعون حتى أنزل الله تعالى، فبشرهم رسول الله بقبول توبتهم.

عن كعب بن مالك قال: تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوم من المنافقين في غزوة تبوك، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اعتذروا بمعاذير، ودخلت عليه وكنت قد تخلفت، فتبسم إلي تبسم غضب، وقال: «ما الذي خلفك»؟ فأقررت بالذنب وقمت، فلامني قومي، فكدت أن أرجع إليه وأكذِّب نفسي، فقلت: هل قال أحد ما قلت؟ قالوا: نعم، هلال بن أمية ومرارة بن ربيعة. فذكروا رجلين صالحين شهدوا بدرًا ولي فيهما أسوة، فقلت: والله لا أرجع إليه في هذا أبدًا، ولا أكذب نفسي، وكنا نأتي المسجد ونمشي في الأسواق ولا يكلمنا أحد، فجعلنا نبكي، فبينا أنا أطوف في السوق إذا نصراني جاء، وجعل يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ فأشاروا إلي، فأعطاني صحيفة من ملك غسان، فيها: أما بعد، فقد بلغني أن صاحبك قد جفاك وأقصاك، ولست بدار مضيعة، فالْحَقْ بنا. فقلت: هذا أيضًا من البلاء والشر، فأحرقتها، فلما مضى أربعون يومًا إذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أتاني وقال: «اعتزل امرأتك»، فقلت: أطلقها؟ قال: «لا، ولكن لا تقربها». وجاءته امرأة هلال بن أمية فقالت: يا رسول الله [إن هلال بن أمية] شيخ فهل تأذن لي أن أخدمه(١٤٠)؟ قال: «نعم، ولكن لا يقربك»، فلما مضت خمسون من حين نهى عن كلامنا كنت أصلي على ظهر بيت لنا الفجر إذ سمعت النداء من وراء السطح أن أبشر يا كعب، فخررت ساجدًا، وانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في المسجد يستنير كاستنار القمر، فجلست بين يديه

(١٣٩) فُضَيلا: فضيل، م، ي.

(١٤٠) أخدمه: أحدثه، م، ي. مسند أحمد ٤٥/ ١٥٤.

فقال: «أبشر يا كعب»، قلت: من عند الله أو من عندك؟ قال: «بل من عند الله، ثم تلا: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ..﴾ [التوبة:١١٧] الآيات».

ولما أرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبا لبابة إلى بني قريظة للرسالة وأشار إلى حلقه أنه الذبح - في الحديث المعروف - تنبه، وقال: خنت رسول الله، فربط نفسه بسارية في المسجد حتى قبلت توبته.

وكان حبيب العجمي تاجرًا بالبصرة يمر على حلقة الحسن البصري والناس يبكون، فيقول: اسيان بي كادوه، يعني: لا عمل لهم[١٤١]، فاتفق في بعض الأيام أنه طلب غريمًا كان في مجلسه، فجلس وسمع كلامه وبكى وارتعد، ثم قام وهو يقول: يا حبيب أنت في غير عمل، وتصدق بجميع ماله، ولزم الحسن، فلما خاف الحسن استتر في داره، فطلب منها فقال: اللهم إن هذا هو الذي دلني عليك - يعني الحسن رحمه الله فاحفظه لي عندك.

وكان سبب توبة إبراهيم بن أدهم ما يحكى عنه أنه قال: كان أبي من كبار خراسان، وكنت أحب الصيد، فخرجت يومًا للصيد، فإذا هاتف يهتف بي: يا إبراهيم، ما لهذا خُلِقْتَ وما بهذا أُمرتَ، فالتفتُّ فلم أر شيئًا، فمضيت، فإذا هاتف هتف ثانيًا كالأول، فالتفت فلم أر أحدًا، فقلت: هذا النذير من ربي، فرجعت وأخذت ثياب سائس لنا وخرجت أسيح حتى بلغت العراق، فأقمت بها، فلم أصب حلالًا، فسألت الناس، فأشاروا علي بطرسوس، فذهبت إلى [باب البحر] فوقعت على رجل فسار بي إلى بستان، فمكثت فيه زمانًا، فسألني يومًا رمانًا حلوًا، فجئته برمان فإذا هو حامض، فقال: أمرتك بالحلو فجئت بالحامض، فقلت: لا أعرف الحلو من الحامض، فقال: سبحان الله لو كنت إبراهيم بن أدهم ما زدت[١٤٢]، فطلبت غفلة وهربت[١٤٣].

وقال أحمد بن عبد الله الخراساني: كان إبراهيم من أهل النعم بخراسان، فبيناهو مشرف على قصره إذ رأى رجلًا يأكل رغيفًا بيد في فناء قصره، فنظر إليه فأكل الرغيف وشرب ماء ونام، فلما انتبه قال: جيئوني به، فلما جاءوا به قال: أيها الرجل أكلت الرغيف وأنت جائع؟ قال: نعم، [قال]: فشبعت؟ قال: نعم، قال: ثم نمت طيبًا؟ قال: نعم. فقال إبراهيم في نفسه:

---

(١٤١) كتاب الإرشاد إلى نجاة العباد للعنسي ١/ ٣٤٦ م، ي.

(١٤٢) زدت: زادم ن ي.

(١٤٣) كتاب منهاج الأبرار شرح كتاب التوبة والاستغفار، ص ٣٤/ ١٣٤؛ تاريخ المقريزي ١/ ٥٧.

فما أصنع بالدنيا والنفس تقنع بما رأيت. فخرج سائحًا، فلقيه رجل فقال: من أين وإلى أين يا غلام؟ قال: من الدنيا إلى الآخرة.

وكان عمرو بن هشام فاسقًا شريبًا، فبينا هو في مجلس شرابه إذا هاتف يهتف ويقول:

جـدّ بـك الجـد أبـا عمـرو وأنـت معكـوفٌ علـى الخمـر
تشـرب صهبـاء صراحيـة سـال بـك السـيل ومـا تـدري

فغشي عليه ثم أفاق وتاب.

وكان بشر الحافي يشرب والمغنون يضربون حوله، فمر بعض الصالحين ببابه فقال: أحُرٌّ هذا أم عَبْدٌ؟ فقالت جارية على بابه: حر. فقال: يفعل فعل الأحرار. فسمعها بشر فخرج حافيًا وهو يقول: بل عبد وابن عبد. وتاب.

وكان صلة بن أشيم من الفساق، فنظر يومًا إلى المصحف فقرأ ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر:٤٧]، فارتعد وتاب.

وكان علي بن سالم - على ما رواه مالك بن دينار - لا يزال يشرب الخمر، فسمع هاتفًا يقول شعر:

يـا أهـل لـذة لهـو لا دوام لهـا إن المنايـا تبيـد اللهـو والطربـا
كـم قـد رأينـاه مسـرورًا بنعمتـه أمسـى فريـدًا مـن الأهليـن مغتربـا

فغشي عليه ثم تاب.

وكان مالك بن دينار يزني، فمر يومًا بصبيان يلعبون، [فأرادوا إيذاءه] فقالوا: لا تفعلوا فهذا شيخ، فقالوا: هذا شيخ يزني، فتاب ومضى أيامًا، فمر بصبيان يلعبون فقالوا: جاء الشيخ التائب.

وكان عتبة الغلام يميل إلى النساء، فلقي امرأة سترت جميع بدنها إلا عينيها، فاستحسن عينها فتبعها، فالتفتت المرأة فقالت: لماذا تتبعني؟ فقال: أحب عينك، فقالت: تعالَ إلى باب داري. فتبعها إلى باب دارها، فدخلت وقعد هو، وكان على باب دارها سترة مرخاة من شعر، فما لبث إلا يسيرًا إذ جاءت خادمة لها بطبق وقد فقأت عينها ووضعتها على الطبق، وقالت: إن كنت أحببت العين فخذها، فتحير عتبة وانصرف وتاب.

وكان سبب توبة وهيب(١٤٤) بن الورد أنه مر برأّاس(١٤٥) وقال: أخرج رأسًا [من التَّنُّور] فأخرج، فلما رآه(١٤٦) تذكر قوله: ﴿وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٤]، فزال عقله ثم صحا وتاب، رواه الفضيل الرقاشي(١٤٧).

وكان سميط بن العجلان من أبناء الدنيا، فمر بحداد والمطارق تضرب، فخطر بباله: ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ﴾ [الحج:٢١]، فهام على وجهه أيامًا ثم رجع تائبًا.

وكان أبو حبيب العدوي قائمًا في بيت فيه نار، فضرب برجله على النار فاحترقت، فتذكر نار جهنم وتاب.

والحكايات في هذا الباب كثيرة، وما ذكرناه يكفي هاهنا.

تمّت أبواب الفضائل والرغائب والحمد لله

(١٤٤) وهيب: وهب، م، ي.

(١٤٥) الرأّس: بائع الرؤوس. تاج العروس (رأس).

(١٤٦) رآه: ذكر، م، ي.

(١٤٧) تاريخ دمشق ٥٣/ ٢١١.

باب المقامات

فصل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ الآية [آل عمران:١٠٤].

الأمر بالمعروف ينقسم، فما كان بواجب فهو واجب، وما كان بندب فهو ندب، والنهي عن المنكر كله باب واحد وهو واجب، ثم ينقسم، فيأمره باللسان، فإن انتهى وإلا بالسيف، فإن لم يمكنه فبالقلب، ويكون بحيث لا يؤدي إلى منكر أعظم، ثم هو واجب عقلًا عند بعضهم، وشرعًا عند الآخرين وهو الصحيح. وقد أمر الله تعالى به، ﴿وَلْتَكُن..﴾ الآية، وذكر الأمة فقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ..﴾ الآية [آل عمران:١١٠]، وذكر من ترك ذلك فقال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [المائدة:٧٨]، ثم قال: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ..﴾ الآية [المائدة:٧٩].

والآثار في ذلك كثيرة، نشير إلى جملة منها:

فروى أبو بكر الصديق عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الناس إذا رأوا المنكر لا يغيرونه أو الظالم لا يأخذون على يديه، يوشك أن يعمهم الله بعقابه».

وقال عليه السلام: «تبسُّمُك في وجه أخيك صدقة، وأمْرُك بالمعروف ونَهْيُك عن المنكر صدقة، وإرشاد الرجل الضالّ صدقة، وإماطتك الشوك والحجر العظيم عن الطريق صدقة»، رواه أبو ذر.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «المقام أحدكم في الدنيا يتكلم بكلمة يردُّ بها باطلًا ويحقُّ بها حقًا أفضل من هجرة معي»، رواه عبد الله بن موهب[1] عن عصمة[2] عنه.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه،

(١) موهب: وهب، م، ي. عمر م، ي. الإبانة الكبرى لابن بطة ١/ ٢٠٩.
(٢) عصمة: غنيمة، م، ي. الإبانة الكبرى لابن بطة ١/ ٢٠٩.

فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك[٣] أضعف الإيمان»، رواه أبو سعيد الخدري، وهو في صحيح مسلم.

وقال عليه السلام: «مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تَدعوا فلا يُستجاب لكم، وأن تستغفروا فلا يُغفر لكم، ألا إن الأمر بالمعروف لا يدفع رزقًا، ولا يقرب أجلًا»، رواه سالم عن ابن عمر عنه.

وقال عليه السلام: «من أنكر المنكر بقلبه فقد أنكر بخصلة من الإيمان، ومن أنكره بقلبه ولسانه فقد أنكره بخصلتين من الحق، ومن أنكره بقلبه ولسانه ويده فقد أنكره بالحق كله، ألا أنبئكم بميت الأحياء، من لم ينكر بقلبه ولا بلسانه ولا بيده»، رواه عبيد بن عمر الليثي.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن النكر حتى يكون فيه أربع خصال: عالمًا بما يأمر، عالمًا بما ينهى، رفيقًا فيما يأمر، رفيقًا فيما ينهى»، رواه أنس.

وعن أبي هريرة قلنا: يا رسول الله إن لم نأمر بالمعروف ولم نَنْهَ[٤] عن المنكر حتى لا يبقى من المعروف شيء إلا عملنا به، ولا من المنكر شيء إلا انتهينا عنه، إذًا لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن المنكر أبدًا، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله، وانهوا عن المنكر وإن لم تنتهوا[٥] عنه كله».

وفي بعض الأخبار عن الحسن: ود الشيطان لو ظفر منكم بذلك؛ يعني ترك الأمر لهذه العلة.

فأما قوله تعالى: ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة:٤٤] فإنما هو ذم على ترك العمل لا الأمر بالمعروف.

علي عليه السلام: أفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشنآن الفاسقين، فمن أمر بالمعروف شد ظهر المؤمنين، ومن نهى عن المنكر أرغم أنف المنافقين، ومن شنأ الفاسقين وغضب لله غضب الله له.

عمر: يأتي على الناس زمان يكون صالحو ذلك الزمان من لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن

(٣) وذلك: فذلك، م، ي. صحيح مسلم ١/ ٦٩.
(٤) نَنْهَ: ينه، م، ي، م، ي. حديث أبي الفضل الزهري ص٤٨٢.
(٥) تنتهوا: ينتهوا، م، ي. حديث أبي الفضل الزهري ص٤٨٢.

المنكر، إن رضوا رضوا لأنفسهم، وإن غضبوا غضبوا لأنفسهم، ولا يغضبون لله ولا يرضون لله.

وأوحى الله إلى يوشع: إني مهلك من قومك أربعين ألفًا من خيارهم وستين ألفًا من شرارهم، قال: يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ قال: لم يغضبوا لغضبي، وواكلوهم وشاربوهم.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا قدس الله أمة لا يأخذ ضعيفُها من قويِّها حقه غير متعتع[٦]».

وكان الثوري يقول: إذا كان محبيًا في جيرانه، محمودًا عند إخوانه فاعلم أنه مداهن.

مالك بن دينار: أوحى الله إلى ملائكته: أن أهلكوا قرية كذا، قالوا: يا رب إن فيهم فلانًا العابد، قال: أسمعوني ضجيجه فيهم، فإن وجهه لم يتغير غضبًا لمحارمي.

ابن مسعود: من مات ولم يكن في جيرانه من يذمه مات مداهنًا.

شعر:

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم ... والمنكرون لكل أمر مُنْكَرِ
وبقيت في خلف يزين بعضهم ... بعضًا ليدفع مُعْوِرٌ عن مُعْوِرِ

ثوبان، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في الأرض، وخليفة كتابه ورسوله».

وعنه عليه السلام: «الآمر بالمعروف كفاعله».

شعبة عن قتادة قال: ذكر أن رجلًا من خثعم أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يومئذ بمكة فقال: أنت الذي تزعم أنك رسول الله؟ قال: «نعم»، قال: فأي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «الإيمان بالله»، قال: ثم مه؟ قال: «ثم صلة الرحم»، قال: ثم مه؟ قال: «ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

أبو الدرداء: لولا ثلاث ما باليت متى مت: لولا الظمأ بالهواجر، وأن أعفر وجهي في التراب، وأن آمر بمعروف وأنهى عن منكر، ما باليت متى مِتُّ.

(٦) متعتع: منقنع، م، ي. المعجم الأوسط للطبراني ٧/ ١٧٨.

ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إنكم منصورون ومصيبون ومفتوح لكم، فمن أدرك ذلك منكم فليتق الله وليأمر بالمعروف، ولينه عن المنكر، ومن كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار».

جرير بن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما من قوم يُعمل فيهم بالمعاصي، هم أعز وأكثر ممن يعمله لا يغيرونه إلا عمهم الله بعقابه».

عائشة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خطب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس [إن الله تبارك وتعالى يقول لكم]: مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوني فلا أجيبكم، وتسألوني فلا أعطيكم، وتستنصروني فلا أنصركم»، فما زاد عليهن حتى نزل[٧].

حذيفة: والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون[٨] عن المنكر أو ليسلطنّ الله شراركم على خياركم فيقتلونهم فلا يبقى أحد يأمر بمعروف ولا ينهى عن المنكر، ثم لتدعن الله فيمقتكم فلا يستجيب لكم.

ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ليس منا من لم يوقر كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ولم يأمر بمعروف ولم ينه عن منكر».

النعمان بن بشير، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «مثل الواقع في حدود الله والمدهن[٩] فيها كمثل قوم ركبوا سفينة فاستهموا عليها، فأصاب قوم عُلُوها وقوم سفلها، وكانوا إذا استقوا[١٠] آذوهم وأصابوهم بالماء، فقالوا: قد آذيتمونا بما تمرون[١١] علينا، فأعطوا رجلًا فأسًا ينقب عندهم نقبًا، فقالوا لهم: ما تصنعون؟ قالوا: تأذيتم[١٢] [بنا] فننقب عندنا نقبًا فنستسقي منه، فإن تركوهم هلكوا وأهلكوا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجّوا»[١٣].

عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الرجل من بني إسرائيل

(٧) صحيح ابن حبان ١/ ٥٢٦.
(٨) لتنهون: لتنهن، م، ي.
(٩) المدهن: المدمن، م، ي.
(١٠) استقوا: استبقوا، م، ي.
(١١) تمرون: تأمرون، م، ي.
(١٢) تأذيتم: ناديتم، م، ي.
(١٣) المشيخة البغدادية ١٦/ ١١.

كان إذا رأى أخاه على الذنب نهاه عنه تعذيرًا، فإذا رآه من الغد لم يمنعه ما رأى منه أن يكون[١٤] أكيله وخليطه وشريكه، فلما رأى ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم على بعض، ولعنهم على لسان نبيهم داود وعيسى، ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ۝ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة:٧٨، ٧٩]»، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر ولتأخذن على يدي الظالم أو ليضرب بقلوب بعضكم على بعض ويلعنكم كما لعنهم».

علي عليه السلام: الجهاد ثلاثة: فجهاد بيد، وجهاد بلسان، وجهاد بقلب، فأول ما يُغلب عليه من الجهاد يدك، ثم لسانك، ثم يصير إلى القلب، فإذا كان القلب لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا [نكس] وجعل[١٥] أعلاه أسفله[١٦].

أسامة بن زيد، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فيندلق أقتاب[١٧] بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع[١٨] إليه أهل النار فيقولون: يا فلان ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ قال: بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه».

شعر:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

فصل في قول الحق عند سلطان جائر

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ [غافر:٢٨]، وقال: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ [القصص:٢٠] الآيات ونظائرها.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أفضل الجهاد من قال كلمة حق عند سلطان جائر»، رواه أبو سعيد الخدري.

(١٤) ما رأى منه أن يكون: تعذيرًا إن، م، ي. تفسير الطبرى ٤/ ٦٥٧.

(١٥) وجعل: فجعل، م، ي.

(١٦) كنز العمال ٢/ ٢٧٢.

(١٧) أقتاب: قتاب، م، ي. صحيح مسلم ٤/ ٢٢٩٠.

(١٨) فيجتمع: يجتمع، م، ي. صحيح مسلم ٤/ ٢٢٩٠.

أسامة قال: كان الثوري يقول: لا تقتدوا بي فإني مداهن مُقصِّر، وكان يكاشف الأمراء مكاشفة.

أبو أمامة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يحشر ناس من أمتي من قبورهم على صورة القردة والخنازير، داهنوا أهل المعاصي وكفوا عن نهيهم وهم يستطيعون».

ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «كيف أنتم إذا كثرت أمراؤكم وطغت نساؤكم»؟ قالوا: إن ذلك لكائن يا نبي الله؟ قال: «نعم وأشد من ذلك»، قالوا: فما هو؟ قال: «لا تأمرون[١٩] بمعروف ولا تنهون[٢٠] [عن] منكر»، قالوا: وإن ذلك لكائن؟ قال: «نعم وأكثر من ذلك»، قالوا: وما هو؟ قال: «يكون المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا»[٢١].

عمر بن الخطاب، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إنه سيصيب أمتي بلاء من سلطانهم شديد لا ينجو فيه إلا رجل عرف [دين][٢٢] الله فصدَّق به، ورجل عرف دين الله فسكت عليه، فإن رأى من يعمل خيرًا أحبه، وإن رأى من يعمل بالباطل أبغضه عليه، فذلك[٢٣] الذي ينجو على إبطائه[٢٤]».

خالد بن أبي عمران، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «وجب عليكم الأمر بالمعروف ما قبل منكم، فإذا تخوفتم أن يؤتى إليكم فوق ما أمرتم أو نهيتم عنه فقد حل لكم الصمت».

أبو أميّة قال: سألت ثعلبة الخشني عن هذه الآية ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة:١٠٥]، فقال: لقد سألت عنها خبيرًا، سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، فإذا رأيتم شحًا مطاعًا، وهوًى متبعًا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك نفسك، ودع عنك أمر العوام، فإن من ورائكم أيام صبر، الصابر فيهم كالقابض على الجمر، للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلًا»، قالوا: يا رسول الله، أجر خمسين منهم؟ قال: «لا، بل أجر خمسين منكم».

---

(١٩) تأمرون: يأمرون، م، ي.

(٢٠) تنهون: ينهون، م، ي.

(٢١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن أبي الدنيا ص١١٦.

(٢٢) تاريخ أصبهان ١/ ١١٢.

(٢٣) فذلك: فلذلك، م، ي. تاريخ أصبهان ١/ ١١٢.

(٢٤) إبطائه: إبطاه، م، ي. تاريخ أصبهان ١/ ١١٢.

عائشة قالت: قلت: يا رسول الله متى لا يُؤْمَرُ(٢٥) بالمعروف ولا يُنهى عن المنكر؟ قال: «إذا كان البخل في كباركم، والعلم في أراذلكم، والملك في صغاركم، والادهان في خياركم».

ابن مسعود: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم شيئًا يسرني، قال(٢٦): «إذا رأى الرجل المنكر لا يستطيع له غيرًا فحسبه أن يعلمه الله أنه منكر له بقلبه».

حذيفة: ليس للمؤمن أن يذل نفسه، قيل: فكيف يذل نفسه؟ قال: يتعرض من البلاء لما لا يطيق.

ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «سيكون بعدي أمراء يقولون ما لا يفعلون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، لا إيمان بعده»، رواه ابن راهويه في سنده عن ابن مسعود.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «سيكون أمراء يملكون رقابكم، يحدثونكم فيكذبونكم، ويعملون فيسيئون، ولا يرضون عنكم حتى تحسنوا قبيحهم وتصدقوا كذبهم، فأعطوهم الحق ما رضوا به، فإذا تجاوزوه إليكم فقاتلوهم، فمن قُتل على ذلك فهو شهيد»، رواه أبو سلامة الأسلمي.

فصل في الأمراء

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ [الأنعام:١٢٣]، ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ [النمل:٣٤]، ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا..﴾ [الإسراء:١٦] الآيات.

الأمراء على ضربين: منهم من تجب طاعته، ومنهم من لا تجب طاعته.

فأما من تجب طاعته فهو الذي يعمل بالكتاب، واجتمع فيه الشرئط، وقال الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩]، ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ﴾ [النساء:٨٣].

(٢٥) يُؤْمَرُ: يأمر، م، ي.
(٢٦) قال: فقال، م، ي.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «تمسكوا بطاعة أئمتكم لا تخالفوهم، فإن طاعتهم طاعة الله، وإن معصيتهم معصية الله، [وإن الله تعالى إنما بعثني أدعو إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة، فمن خلفني في ذلك فهو وليّ، ومن ولي من أمركم شيئًا فعمل بغير ذلك] فإن الله بريء منه وهو بريء مني»[٢٧]، رواه أبو ليلى الأشعري.

معاذ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «خذوا العطاء ما دام عطاءً[٢٨]، فإذا صار رشوة على الدين فلا تأخذوه، ولستم بتاركيه[٢٩]، يمنعكم[٣٠] من ذلك المخافة والفقر، ألا وإن رحى بني مرح قد دارت، ألا وإن رحى الإيمان دائرة، فدوروا[٣١] مع الكتاب حيث يدور، ألا وإن الشيطان والكتاب سيفترقان، ألا فلا تفارقوا الكتاب، ألا إنه سيكون عليكم أمراء إن أطعتموهم أضلوكم، وإن عصيتموهم قتلوكم»، قالوا: فكيف نصنع يا رسول الله؟ قال: «كما صنع أصحاب عيسى، حملوا على الخشب، ونُشروا[٣٢] بالمناشير، موت في طاعة خير من حياة في معصية».

وقال عليه السلام: «صنفان من أمتي لا ينالها شفاعتي: أمير ظلوم غشوم عسوف، وكل غالٍ مارق»، رواه أبو أمامة.

ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره ما لم يؤمر بمعصيةٍ[٣٣]، فإذا أُمر بمعصية فلا سَمْع عليه ولا طاعة».

ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «كيف بك إذا كان أمراء يطفئون السنّة ويؤخرون الصلاة عن ميقاتها، ثم قال: فكيف[٣٤] تأمرني يا رسول الله؟ قال: تسألني ابن أم عبد ما تفعل، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»، رواه ابن راهويه في مسنده.

وقال عليه السلام: «من ولي من أمر المسلمين شيئًا فاحتجب دون خَلَّتِهم وحاجتهم وفَقْرِهم احتجب الله عنه يوم القيامة دون خَلَّتِهِ وحاجته وفقره»، رواه ابن أبي مريم صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

(٢٧) معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصفهاني، ر. ٦٣٥٢؛ المعجم الكبير للطبراني، ٢٢/ ٣٧٤.
(٢٨) عطاءً: العطاء، م، ي. المعجم الصغير للطبراني ٢/ ٤٢.
(٢٩) تاركيه: تاركه، م، ي. المعجم الصغير للطبراني ٢/ ٤٢.
(٣٠) يمنعكم: من منعكم، م، ي. المعجم الصغير للطبراني ٢/ ٤٢.
(٣١) فدوروا: فدروا، م، ي.
(٣٢) ونُشروا: ووشروا، م، ي. معجم الطبراني الصغير ٢/ ٤٢.
(٣٣) معصيةٍ: معصيته، م، ي. صحيح البخاري ٩/ ٦٣.
(٣٤) فكيف: فيما، م، ي. كنز العمال ٥/ ٧٩٧.

وقال عليه السلام في حجة الوداع: «نضر الله امرءًا سمع مقالتي فوعاها، فرب حامل فِقْهٍ إلى من هو أَفْقَهُ منه، ورب حامل فقه غير فقيه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم»، رواه أبو سعيد الخدري.

عمران بن الحصين عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

ورأى الثوري عيسى بن موسى، فوضع وجهه على باب حتى مر، فقيل: وما يمنعك من النظر إليه قال: وما يمنعني ألاّ أنظر إلى من لا ينظر الله إليه.

علي عليه السلام قال: كنا جلوسًا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو نائم، وذكرنا الدَّجَّال، فاستيقظ محمرًا وجهه فقال: «غير الدجال أَخْوَفُ عندي عليكم، أئمة مضلّون[٣٥]».

عن عبادة بن الصامت أنه قدم من الشام فجاء إلى عثمان فقال: ألا أخبرك[٣٦] بشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: بلى، قال: سمعته يقول: سيكون عليكم أمراء يأمرونكم بما تعرفون[٣٧]، ويَعْلمون ما تنكرون[٣٨]، فليس لأولئك عليكم طاعة».

مبحث فيما جاء في القرآن في الأئمة الضالة

قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [القصص:٤١]، وقال: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ[٣٩] أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة:١٢].

وقال عليه السلام: «ويل للعرفاء، ويل للأمراء، ليأتين على أحدهم يوم ودَّ أنه معلق بذؤابته منذ طلعت الثريا وأنه لم يتأمر على الناس»، رواه ثوبان.

وروي أيضًا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «استقيموا لقريش ما استقاموا لكم، فإن لم يفعلوا فضعوا أسيافكم على عواتقكم ثم أبيدوا خضراءهم، فإن لم تفعلوا فكونوا أشقياء أذلة»[٤٠].

(٣٥) مضلّون: مضلين، م، ي. مصنف ابن أبي شيبة ٧/ ٤٩٣.
(٣٦) أخبرك: أخبركم، م، ي. مصنف ابن أبي شيبة ٧/ ٥٢٦.
(٣٧) تعرفون: يعرفون، م، ي. مصنف ابن أبي شيبة ٧/ ٥٢٦.
(٣٨) تنكرون: ينكرون، م، ي. مصنف ابن أبي شيبة ٧/ ٥٢٦.
(٣٩) فقاتلوا: قاتلوا، م، ي..
(٤٠) المعجم الأوسط للطبراني ٨/ ١٥.

عمر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن أفضل عباد الله منزلة يوم القيامة إمام عادل رفيق، وإن شر عباد الله منزلة يوم القيامة إمام جائر خِرَقٌ»(٤١).

مغفل بن يسار، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «صنفان من أمتي لا ينالها شفاعتي: سلطان ظلوم غشوم، وغالٍ في الدين، يشهد عليهم ويبرأ منهم».

مجاهد في قوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:١٢٤]، قال: لا أجعل إمامًا ظالمًا يقتدى به.

وعنه: «يا علي أربعة لا ترد لهم دعوة: إمام عادل، ووالد لولده، والرجل يدعو لأخيه بظهر الغيب، والمظلوم، لقوله: وعزتي وجلالي لأنتصرن لك ولو بعد حين».

وروى أبو القاسم البلخي بإسناده عن أنس بن مالك قال: كنا في بيت، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على باب البيت وقال: «الأئمة من قريش، ولي عليكم حق ولهم عليكم مثله ما فعلوا ثلاثًا: إذا استُرحموا رحموا، وإذا حكموا عدلوا، وإذا عاهدوا وفوا، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين».

فصل في الوصايا والمواعظ

قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ [البقرة:١٣٢]، وقال: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر:٣]، وفي ضد ذلك: ﴿أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات:٥٣].

وذكر الجاحظ أن رجلًا قال: يا رسول الله، أوصني بشيء ينفعني الله به، قال: «أكثروا ذكر الموت يسلك عن الدنيا، وعليك الشكر فإن الشكر يزيد في النعمة، وأكثر في الدعاء فإنك لا تدري متى يستجاب لك، وإياك والبغي فإن الله قضى أنه مَنْ بُغي عليه لينصرنه، وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [يونس:٢٣]، وإياكم والمكر فإن الله قد قضى أنه لا يحيق المكر السيء إلا بأهله».

وقيل: يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: «اجتناب المحارم، وأن لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله».

(٤١) شعب الإيمان ٩/ ٤٧٧.

وعن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أوصاني ربي بسبع خصال: أوصاني بالإخلاص في السر والعلانية، وأن أعفو[٤٢] عمن ظلمني، وأعطي من حرمني، وأصل من قطعني، وأن يكون صمتي ذكرًا، وكلامي شكرًا، ونظري عبرًا».

وروى المقبري عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إياكم أن تحرصوا على الإمارة، إنها تكون يوم القيامة حسرة وندامة[٤٣]، والذي نفسي بيده ليتمنين رجال كانوا على الإمارة أنهم سقطوا من عند الثريا ولم يكونوا على إمارة قط».

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أفضل الجهاد كلمة حق يقولها مسلم عند سلطان جائر فيُقتل عليها».

وقال الحسن لابن هبيرة: اتق الله فإنه يوشك أن يأتيك رسول من ربك فيجذبك من سرير ملكك، ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك، فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك، وتقدم على ربك، وتنزل على كل عملك، في حديث نذكره في مقامات الحسن.

ولقي العمري هارون الرشيد فقال له: عظني، فقال له: يا أمير المؤمنين لا يغرنك المداحون بالزور، ولا القائلون[٤٤] بالغرور في نفسك وأهلك، واتق نارًا وقودها الناس والحجارة، ولتمرنّ[٤٥] بها، وإن العلماء كتموا علمهم ونبذوه وراء ظهورهم، فلا يلهينك عن الجنة[٤٦] ملاهي النساء والإماء، ولا تولين القريب لقرابته، ولا الصديق لصداقته، فإني لك ناصح، عليك شفيق.

ودخل شبيب بن شيبة على المنصور فقال له: عظني وأوجز، فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى لم يرض لنفسه أن يجعل فوقك أحدًا، فلا ترض له من نفسك أن يكون أحد أطوع له منك.

ودخل محمد بن واسع على بلال بن أبي بردة فقال له: ما تقول في القدر؟ فقال محمد: جيرانك أهل القبور فتفكر فيهم، فإن فيهم شغلًا عن القدر.

(٤٢) أعفو: أغفر، م، ي. إصلاح المال لابن أبي الدّنيا ص٩٩.
(٤٣) ندامة: ندانة، م، ي.
(٤٤) القائلون: القائلين، م، ي.
(٤٥) لتمرنّ: لتمر، م، ي.
(٤٦) الجنة: الرغبة، م، ي.

وقال هارون الرشيد لابن السماك[٤٧]: عظني. فقال: يا أمير المؤمنين إن لك مقامًا بين يدي الله تعالى أذل من مقامي بين يديك، فاتق الله في خلقه، واحفظ محمدًا عليه السلام في أمته، وانصح لنفسك ولرعيتك.

ولما ولّى عثمان عبد الله بن عامر أتاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبطأ عنه أبو ذر، وكان له صديقًا، فأرسل إليه، وقال: ما منعك أن تأتينا وقد أتانا إخوانك؟ فقال أبو ذر: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «[إن الرجل] إذا ولي ولاية تباعد الله تبارك وتعالى عنه»، فكرهت أن أدنو ممن تباعد الله عنه[٤٨].

وحكي أن هشام بن عبد الملك قدم مكة حاجًا فقال: ائتوني برجل من الصحابة، فقيل: قد تفانوا، قال: فمن التابعين، فأتي بطاوس، فلما دخل عليه خلع نعله بحاشية بساطه ولم يسلم بإمرة المؤمنين، وجلس بإزائه بغير إذنه، وقال: كيف أنت يا هشام؟ فغضب من ذلك غضبًا شديدًا حتى هَمَّ بقتله، فقيل له: يا أمير المؤمنين أنت في حرم الله وحرم رسوله لا يمكن ذلك، فقال: يا طاوُس، ما حملك على ما صنعت؟ فقال: وما صنعت؟ فاشتد غضبه، فقال: خلعت نعلك بحاشية بساطي، ولم تُقبّل يدي، ولم تسلم علي بإمرة المؤمنين، ولم تكنني، وجلست بإزائي، وقلت: كيف أنت يا هشام؟ قال: أما خلع النعلين فإني أخلعهما بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات فلا يعاقبني ولا يغضب علي، وأما ما قلت لم تقبل يدي، فسمعت عليًا يقول: لا يحلّ لرجل أن يقبّل يد أحد إلا امرأته من شهوة أو ولده من رحمة، وأما ما قلت: لم تسلم بإمرة المؤمنين. فليس كل الناس راضين بإمرتك، فخفت أن أكون كاذبًا، وأما التكني فإن الله سمى أولياءه فقال: ﴿يَٰدَاوُۥدُ﴾ [ص:٢٦]، ﴿يَٰعِيسَىٰٓ﴾ [آل عمران:٥٥]، ﴿يَٰيَحۡيَىٰ﴾ [مريم:١٢]، وكنى أعداءه فقال: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ﴾ [المسد:١]، وأما قولك: جلست بإزائي. فإني سمعت عليًا يقول: إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالس وحوله قيام. فقال له: عظني، فقال: سمعت أمير المؤمنين عليًا عليه السلام يقول: إن في جهنم حيات كالقلال وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته. ثم قام وخرج من عنده وهرب.

عن يحيى بن أكثم والمفلح بن الأسود قالا: قال المأمون ليحيى: إني أحب أن أرى بشر بن الحرث، قال: إذا شئت يا أمير المؤمنين، قال: الليلة ولا يكون معنا ثالث. فلما جن الليل

(٤٧) السماك: السمار، م، ي. الجامع لشعب الإيمان ٩/ ٥١٤.

(٤٨) إتحاف السادة المتقين ٦/ ٧١٥.

ركبا إلى داره فدقا الباب، فقال: من هو؟ قال: من تجب عليك طاعته، قال: وأي شيء تريد؟ قال: أُحبُّ لقاءك، قال بشر: طائعًا أو كارهًا؟ قال: ففهم المأمون، فقال ليحيى: اركب، فمَرّا على رجل يقيم صلاة العشاء الأخيرة فدخلا وصليا، وإذا الإمام يحسن القراءة، فلما أصبح المأمون وجَّه إليه، فجيء به، فجعل يناظره في الفقه، وجعل الرجل يخالفه ويقول: القول في هذه المسألة غير هذا. فغضب المأمون، فلما كثر خلافه قام على رجله وقال: عهدي بك تذهب إلى أصحابك، وتقول خطّأتُ أمير المؤمنين، فقال: أما والله يا أمير المؤمنين إني لأستحيي من أصحابي أن يعلموا أني جئتك. فقال المأمون: الحمد لله الذي جعل في رعيتي من يحتجب عني ومَن يستحيي أن يجيئني، ثم سجد لله.

وقال منصور بن عمار لزبيدة حين دخل عليها: يا عدد الرجال ويا مبرد الاشغال، دعتكم إلى هذه الغرارة دواعيها فأجبتم مسرعين مناديها. ثم ولى.(٤٩)

وعن جابر بن عبد الله قال: دخلت على أمير المؤمنين وهو يوصي ابنه محمد ابن الحنفية فقال: يا بني لا تلومن أحدًا على طلب قوته، فإن من عدم قوته عدم عقله ومله أهله، وكان كثرة كلامه وبالًا عليه، يا بني الفقير ضعيف حقير، ولا يسمع كلامه، ولا يعرف مكانه، تنقضي بالحسرات أيامه(٥٠)، فإن كان حكيمًا فندوه، وأن كان عالمًا جهلوه، يا بني إن الله تعالى قد أذل الدنيا بشيئين: بالموت، والفقر، فلولا الموت ما ذل الجبار، ولولا الفقر ما خضع العبد للأحرار، ثم أنشأ يقول شعرًا:

إن عضك الدهر فانتظر فرجًا	فإنه نازلٌ(٥١) بمنتظره
أو مَسَّك العُسْر فابتليت به	فاصبر فإن الرخاء(٥٢) في أثره
رُبَّ معافى شكى تقلُّبه	ومبتلَى ما ينام من سهره
وآمنٍ في عَشاء ليلته	دبَّ [إليه] البلاء في سَحَرِهِ
من صاحب الدهر ذَمَّ صحبته	ونال مِنْ صَفْوِهِ ومِنْ كَدَرِه

وجاء رجل إلى الحسين عليه السلام وشكى إليه الفقر، فأنشأ الحسين يقول:

(٤٩) ينسب بعض الكلام لإبراهيم بن أدهم، حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني.

(٥٠) أيامه: أيام، م، ي.

(٥١) نازلٌ: ناظر، م، ي.

(٥٢) الرخاء: الرجاء، م، ي. ينسب الكلام لابراهيم بن أدهم، حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني.

يـا لائـم الدهـر علـى ضـره لا(٥٣) تَلُـم الدهـر علـى ضـرهِ
الدهـر مأمـور لـه آمـرٌ يقلـب الدهـر علـى أمـرهِ
كـم كافـرٍ بـالله أموالـه تـزداد أضعافًـا علـى كفـرهِ
ومؤمـنٍ ليـس لـه درهـمٌ يـزداد إيمانًـا علـى فقْـرهِ
لا خيـر فيمـن لـم يكـن عاقـلًا يمـد رِجْلَيْـه علـى قَـدْرهِ

ثم قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من ضيع أيام زرعه ندم أيام حصاده».

وعن علي عليه السلام: جميع الخير في ثلاث خصال: النظر، والسكوت، والكلام، [فكلّ] نظر(٥٤) ليس فيه اعتبار فهو سهو، وكل كلام ليس فيه ذِكْرٌ فهو لغْوٌ، وكل سكوت ليس فيه فِكْرٌ فهو غفلة، فطوبى لمن كان نظره عبرًا، وسكونه فكرًا، وكلامه ذكرًا، وبكى على خطيئته، وأمن الناس شره.(٥٥)

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعظ: «من استوى يوماه فهو مغبون، ومن غَدُه شَرٌّ من يومه فهو ملعون، ومن لم يكن في الزيادة كان في النقصان، ومن كان في النقصات فالموت خير له».

ووعظ جبريل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجازى به».

ووعظ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبا ذر فقال: «يا أبا ذر جاور القبور تذكرك الآخرة، واغسل الموتى يحزن قلبك، فإن معالجة جسد خاوٍ عظة بليغة».

وعن معاذ قال: قلت: أوصني يا رسول الله، قال: «إذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة، السر بالسر، والعلانية بالعلانية».

وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: عظني، فقال: «لا تغضب»، فقال: زدني، قال: «استحي من الله كما تستحيي من صالح جيرانك»، قال: زدني، قال: «صلِّ صلاة مودع كأنها آخر صلاتك من الدنيا، وإياك وما يُعتذر منه».

---

(٥٣) لا: لم، م، ي.
(٥٤) نظر: بطرًا، م، ي. بحار الأنوار ٦٨/ ٢٧٥.
(٥٥) بحار الأنوار ٦٨/ ٢٧٥.

وعن عطاء: رأيت طاوسًا فقلت: عظني، فقال: يا عطاء هيئ زادك وزم جهازك، وكن وصي نفسك، واعلم يا عطاء أنه ليس من الله عوض، ولا من تقواه خلف، يا عطاء إن كان ما يكفيك لا يغنيك فليس في الدنيا شيء يكفيك، يا عطاء تأتي من لا يدعوك إلى نفسه وقد أغلق عنك بابه وأظهر لك بؤسه وبُخْله، وتَدَعُ مَنْ يدعوك إلى نفسه وأبوابه مفتحة بالليل والنهار، وقد أخبرك بجوده وكرمه؟

وعن الحسن: بعض العلم خير ميراث، والأدب أزين للناس، والتقوى خير زاد، والعبادة أربح بضاعة، والعقل خير قائد، وحسن الخلق خير قرين، والحلم خير وزير، والقناعة أفضل غنى، والتوفيق خير عون، وذكر الموت خير مؤدب.

ودخل بعض العباد على عمر بن عبد العزيز فقال عمر له: عظني، فقال: اذكر وقوفك بين يدي من لا يشغله عنك كثرة من تخاصم إليه، وأنت بلا ثقة من عملك ولا براءة من دينك. فصاح عمر صيحة خر مغشيًا عليه.

وعن بعضهم يعظ: ليس للدين عوض، ولا للأيام بدل، ولا للدين خلف، ومن كان مطيته الليل والنهار فإنه يُسار به وإن لم يَسِرْ.

وكتبت زبيدة إلى منصور بن عمار: كيف يقف ذو اللب على ما ينفعه؟ وكيف يجتنب ما يضره؟ فكتب إليها: بسم الله الرحمن الرحيم، من أبصر عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره، ومن تعرى عن لباس التقوى لم يستتر بشيء من الدنيا، ومن رضي برزق الله لم يحزن على ما في يدي غيره، ومن نسي زلله استعظم زلل غيره، ومن كابدالأمور عطب، ومن اقتحم اللجج غرق، ومن أعجب برأيه ضل، ومن استغنى بعقله زل، ومن تكبر على الناس ذل، ومن تهاون بالدين ارتطم، ومن اغتنم أموال الناس افتقر، ومن انتظر العاقبة صبر، ومن صارع الحق صُرِع، ومن أبصر أجله قصر أمله.(٥٦)

وكان عيسى عليه السلام إذا مر بشاب قال: كم من زرع لم يدرك الحصاد. وإذا مر على شيخ قال: ما ينتظر بالزرع إذا أدرك الحصاد.

شعر:

جنبـي تجافـى عـن الوسـاد   مخافـة المـوت والمعـاد

(٥٦) المجالسة وجواهر العلم ٣/ ٥٩.

من خاف من سكرة المنايا لم يدر ما لذة الرقاد
قد بلغ الزرع منتهاه لا بد للزرع من حصاد

وقال رجل لعمر بن عبد العزيز: أوصني. قال: كلنا ميت. قال: زدني. قال: إذا كان الله معك فمن تخاف. قال: زدني. قال: إذا كان الله عليك فمن ترجو. قال: زدني. قال: لا تكونن من ثلاث: ممن يحمد الصالحين ولا يخالطهم، ويلوم المذنبين وهو منهم، ويلعن الشيطان علانية ويطيعه سرًا في جميع أموره.

وقيل لبعضهم: أوصني. قال: لا يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك. قال: زدني. قال: لا أجد مزيدًا.

وقيل لمحمد بن واسع: عظني[٥٧]. فقال: أوصيك أن تكون[٥٨] ملكا في الدنيا والآخرة. قال: وكيف لي بذلك. قال: ازهد في الدنيا.

ولما احتضر وكيع قيل له: عظنا. فقال: أوصيكم بعدي برجل غني قد أفقره علمه، وأحذركم من[٥٩] فقير قد أغناه علمه.

وقيل لأبي غياث الزاهد: عظنا. قال: أوصيك أن تؤذي نفسك، وتذيب كيسك[٦٠].

وقيل لبعضهم: [أوصني] فقال: اتخذ الله خليلًا، ومليكك أنيسًا.

وقال موسى: يا رب أوصني. قال: يا موسى أَقِلِ العثرة، واعف عمن ظلمك، وأجب من دعاك، أكن لك كذلك.

وأوصى عبد الله بن قيس ابنه خبيلًا فقال:

أجبيل[٦١] إن أباك كارب يومه فإذا دعيت إلى المكارم فاعجل
أوصيك إيصاء[٦٢] امرئٍ لك ناصح طِبنٍ برئت[٦٣] الدهر غير مغفل

---

(٥٧) عظني: عظنا، م، ي.
(٥٨) تكون: يكون، م، ي. تهذيب الأسرار للخركوشي ص١٠٠.
(٥٩) من: عن، م، ي.
(٦٠) كيسك: كسبك، م، ي. المخلاة للعاملي ص ٧١.
(٦١) أجبيل: أخبيل، م، ي. لسان العرب (كرب).
(٦٢) إيصاء: أن تقفا، م، ي. لسان العرب (كرب).
(٦٣) والطِّبنُ: الفَطِنُ. جمهرة اللغه (بطن).

الله فاتَّقِهِ وأَوْفِ بنذره وإذا حلفت ممارِيًا فتحلل
واستغن ما أغناك رب بالغنى وإذا تصبك خصاصة فتحمل

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أيما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فإنها نعمة من الله سبقت، فإن قَبِلها شكر، وإلا كانت حجة من الله عليه ليزيد بها إثمًا، ويزيد الله بها عليه سخطًا».

وقال رجل لسفيان: عظني. فقال: ثق بما تُكُفِّل به، واشغل نفسك بما فُرِض عليك، ولا تطلب ما ليس لك.

وأوصى الحسن وقال: إنكم وقوف تنتظرون[٦٤] آجالكم، وعند الموت تلقون الخير والشر، فخذوا ما عندكم لما بعدكم.

وعنه: أمس ذهب، وغدًا أمل، واليوم عمل.

علي بن عبيدة: إنما الأيام سهام، والناس أغراض، والدهر يرميك كل يوم بسهامه، ويتخرمك بلياليه وأيامه حتى يستغرق جميع أجزائك، فكيف[٦٥] بقاء سلامتكم مع وقوع الأيام وسرعة الليالي في بدنك[٦٦].

الحسن: يابن آدم دينك دينك فإنما هو لحمك ودمك، فإن سلم لك دينك يسلم لك لحمك ودمك، وإن تكن الأخرى فنعوذ بالله من نار لا تنطفئ[٦٧] ونفس لا تموت.

هرم بن حيان: ويل للقاسي قلبه، والساهي من الله، اعلموا أن لله سطوات ونقمات لا يعلمهن إلا العلماء بالله، ألا وإن العالم بالله رجل حذر كيس، لا يصحب إلا من يُزَهِّده في الدنيا ويرغبه في العقبى، ويحذره عقوبة المولى، ألا وإن الدنيا قد أذنت وأشرفت بإقبال، والمضمار اليوم والسباق غدًا.

شعر:

إذا لم يعظني واعظ من جوارحي بنفعٍ فما شيء سواه بنافع

(٦٤) تنتظرون: ينتظرون، م، ي.

(٦٥) فكيف: فكم، م، ي. إتحاف السادة المتقين ٩/ ٥٨٥.

(٦٦) بدنك: ذراك، م، ي. إتحاف السادة المتقين ٩/ ٥٨٥.

(٦٧) تنطفئ: تطفى، م، ي.

محمد بن ذر: ابن آدم أما علمت أن الجديدين[٦٨] يكران عليك بالفجائع في إقبالهما وإدبارهما، وأنت تتقلب في الليل والنهار آمنًا من الموت ونزوله، أما رأيت من أخذ مضجعه من الليل صحيحًا ثم أصبح على فراشه ميتًا، لو علم أهل العافية بما تضُمه[٦٩] القبور من الأجساد البالية لجدوا واجتهدوا في أيامهم الخالية، خوفًا ليومٍ[٧٠] تتقلب فيه القلوب والأبصار.[٧١]

شقيق: اعبدوا الله بقدر حاجتكم إليه، واعملوا للدنيا بقدر مكثكم فيها، واعصوا الله بقدر طاقتكم على عذابه، وتزودوا من الدنيا للآخرة بقدر مصيركم إليها، واعملوا للجنة بقدر ما تحبون المقام فيها.

[شعر]:

يا ميتًا في كل يوم بعضُه ... سَدَّدْ[٧٢] فتوشك[٧٣] أن تموت جميعا

عون بن عبد الله: ابن آدم إن سقم[٧٤] ندم، وإن صح أمن، وإن افتقر حزن، وإن استغنى[٧٥] فتن، وأن نشط زهد، يكره الموت ثم لا يرتدع، ويحب الحياة ثم لا يصنع، إن سأل أكثر، وإن أنفق قتر، يرجو النجاة ولم يحذر، ويبتغي الزيادة ولم يشكر.[٧٦]

وأوصى أبو بكر فقال: أوصيك بتقوى الله فإنها حفظ نفسك، ورضى ربك.

واستوصى رجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «أكثر ذكر الموت يشغلك عما سواه، وأكثر الدعاء فإنك لا تدري متى يستجاب لك، وأكثر الشكر فإنه زيادة».

واستوصى رجل أويس القرني فقال: أوصني[٧٧]، قال: توسد الموت إذا نمت، وانصبه بين عينيك إذا استيقظت، وثق بموعود الله حيثما كنت.

---

(٦٨) الجديدين: الجديدان، م، ي. تاريخ دمشق ٢٤/ ٥٢١.

(٦٩) تضُمه: تضمنه أهل، م، ي. تاريخ دمشق ٢٤/ ٥٢١.

(٧٠) خوفًا ليوم: فاليوم، م، ي. تاريخ دمشق ٢٤/ ٥٢١.

(٧١) تاريخ دمشق ٢٤/ ٥٢١.

(٧٢) سَدَّدْ: شدد، م، ي. حماسة الظرفاء ص١٢٤.

(٧٣) فتوشك: فيوشك، م، ي. حماسة الظرفاء ص١٢٤.

(٧٤) سقم: أسقم، م، ي. حلية الأولياء ٤/ ٢١٥.

(٧٥) استغنى: غني، م، ي. حلية الأولياء ٤/ ٢١٥.

(٧٦) حلية الأولياء ٤/ ٢١٥.

(٧٧) أوصني: أوصيك، م، ي.

ودخل محمد بن واسع على حبيب العجمي فقال: أوصني يا محمد، فقال: ﴿إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء:٢٥].

واستوصى رجل ابن معاذ فقال: آثر الله في كل شيء.

وأوصى حكيم رجلًا فقال: استغفر لذنبك، وأنصف من نفسك، واقتصد في معاشك، واعمل لغدك.

فصل في مقامات الأنبياء عليهم السلام

قال الله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥]، وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم:٤] الآيات.

وللأنبياء في تبليغهم ووعظهم مقامات في قومهم قد بيناها في قصصهم، ونشير إلى ذلك على سبيل الإيجاز:

فمنها: آدم عليه السلام مع الملائكة ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم﴾ [البقرة:٣٣]، وهي: اللغات وأسامي الأنبياء، وكانت معجزة له.

ومنها: مقام نوح، وله في قومه مقامات كثيرة ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ في سورة نوح [نوح:٢-٤]، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾ في سورة هود [هود:٢٨]، ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾ في سورة الشعراء [الشعراء:١٠٦] ونظائرها.

ومنها: مقام إبراهيم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ في البقرة [البقرة:٢٥٨]، وفي هود(٧٨): ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ﴾ [هود:٦٩]، وفي سورة الأنبياء: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [الأنبياء:٥١]، وفي سورة الصافات: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ﴾ [الصافات:٨٨]، وفي الأنعام: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ [الأنعام:٧٦]، وفي العنكبوت(٧٩): ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا﴾ [العنكبوت:٣١]، وفي الشعراء: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الشعراء:٦٩].

(٧٨) هود: الأعراف، م، ي.
(٧٩) العنكبوت: هود، م، ي.

ومنها: مقام هود في الأعراف: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف:٦٥]، وفي هود: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ﴾ [هود:٥٠]، وفي الشعراء: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٢٣].

ومنها: مقام صالح مذكور في هذه السور الثلاث، وفي النمل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ..﴾ الآية [النمل:٤٥].

ومنها: مقام يوسف مع صاحبي السجن، ومع المرأة، ومع الملك.

ومنها: مقام موسى مع القبطي ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾ [القصص:١٥].

ومنها: مقام يوشع زمن موسى ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ [المائدة:٢٣].

ومنها: مقام إلياس ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ في الصافات [الصافات:١٢٣].

ومنها: مقام لوط في الأعراف وهود والشعراء والعنكبوت.

ومنها: مقام سليمان وحديث بلقيس في النمل.

ومنها: حديث طالوت والنبي الذي بشر به.

ومنها: مقام عيسى ﴿وَلَمَّا جَآءَ [عِيسَىٰ] بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الزخرف:٦٣]، وحديثه في المهد.

ومنها: مقام زكريا حين خرج من المحراب.

ومنها: مقامات نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ﴾ [آل عمران:٦٤].

ومنها: حديث المباهلة وغير ذلك مما مر في قصصه.

ومنها: مقام مؤمن آل ياسين.

ومنها: مقام مؤمن آل فرعون.

ومنها: مقامات نبينا صلى الله عليه وآله وسلم مع الجن ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الأحقاف:٢٩]، ﴿قُلْ أُوحِىَ﴾ [الجن:١].

فصل في مقامات الأولياء عند الملوك

مبحث في مقام أبي حازم عند سليمان بن عبد الملك

روي أن سليمان بن عبد الملك حينما[٨٠] مر بالمدينة زاره مَنْ بها من العلماء غير أبي حازم، فقال سليمان: هل بقي أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قالوا: لا. فقال: ممن رأى الصحابة؟ قالوا: نعم أبو حازم الأعرج. فدعاه، فلما دخل عليه قال: ما هذه الجفوة؟

قال: وما ذاك؟

قال: زارني كل الناس غيرك.

قال: لم يكن بيني وبينك معرفة فآتيك قضاء لحقك، ولم يكن لي إليك حاجة فآتيك لها، ولا خفت منك شيئًا فآتيك لدفعه.

فقال: أصاب الشيخ[٨١] وأخطأت. فقال: أيها الشيخ ما بالنا نكره الموت؟

قال: إنكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم، فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب.

قال: صدقت يا أبا حازم، فكيف القدوم على الله؟

قال: أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء فكالآبق يرد إلى مولاه.

فبكى سليمان فقال: ليت شعري ما أنا عند الله؟

فقال: اعرض نفسك على كتاب الله.

قال: على أي آية؟

قال: قوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار:١٣، ١٤]، فإن كنت من الأبرار دخلت الجنة، وإن كنت من الفجار دخلت النار، فانظر أي الرجلين أنت.

قال: فأين صلاتنا وصومنا وحجنا؟

قال: تجد ذلك في كتاب الله.

قال: ما هو؟

قال: قوله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧].

---

(٨٠) حينما: ما، م، ي.

(٨١) الشيخ: الشي، م، ي. تاريخ دمشق ١٢/ ١٣٠.

قال: فأين قرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

قال: تجد ذلك في كتاب الله.

قال: ما هو؟

قال: قوله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون:١٠١].

قال: فأين رحمة الله؟

قال: تجد ذلك في كتاب الله.

قال: ما هو؟

قال: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦].

قال: فبكى سليمان وقال: بقينا والله مفاليس، ثم قال: يا أبا حازم، فأي عباد الله أكرم؟

قال: أولو المروءة والتقى.

قال: أي الأعمال أفضل؟

قال: أداء الفرائض، واجتناب المحارم.

قال: فأي الدعاء أسمع؟

قال: دعوة المحسنين.

قال: فأي القول أعدل؟

قال: قول الحق عند من تخافه وترجوه.

قال: فأي الناس أحمق؟

قال: رجل انحط في هوى أخيه وهوًى ظالمٍ، فباع آخرته بدنيا غيره.

قال: صدقت، فما تقول فيما نحن فيه؟

قال: اعفني يا أمير المؤمنين.

قال: لا، ولكن نصيحة تلقيها إلي.

قال: إن آباءك قهروا الناس بالسيف، فأخذوا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضى حتى قتلوا عليه مقتلة عظيمة وارتحلوا عنها، فلو سمعت ما قالوا وما قيل لهم.

فغشي على سليمان، فقال رجل من جلسائه: بئس ما قلت يا أبا حازم.

فقال: كذبت يا عدو الله، إن الله أخذ ميثاق العلماء فقال عز ذكره: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران:١٨٧].

فأفاق سليمان وقال: يا أبا حازم، كيف لنا أن نصلح؟

قال: تدع الصلف، وتستمسك بالمروءة، وتقسم بالسوية.

قال: كيف المأخذ به؟

قال: أن تأخذ من حِلِّه وتضع في أهله.

قال: يا أبا حازم هل لك أن تصحبنا فتصيب منا ونصيب منك؟

قال: أعوذ بالله يا أمير المؤمنين.

قال سليمان: ولم ذاك؟

قال: أخشى أن أركن إليكم شيئًا قليلا فيذيقني الله ضعف الحياة وضعف الممات.

قال: يا أبا حازم ارفع إلي حوائجك.

قال: تنجيني من النار وتدخلني الجنة.

قال: ليس ذلك إلي.

قال: فلا حاجة لي غيره.

قال سليمان: يا أبا حازم، فادع الله لي.

قال: اللهم إن كان سليمان وليك فبشره في الدنيا والآخرة، وإن كان عدوك فخذ بناصيته إلى ما تحب وترضى.

قال سليمان: زدني وأوجز.

قال: قد فعلت وأكثرت إن كنت من أهله، وإلا فما يغني أن أرمي من قوس ليس لها وتر.

قال: يا أبا حازم أوصني.

قال: أوصيك وأوجز، عظم ربك، وإياك أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك.

فلما خرج بعث إليه بمائة دينار، فردها وكتب: أعوذ بالله أن يكون سؤالك يا أمير المؤمنين هزلًا وردّي عليك[٨٢] [بذلًا]، إني لا أرضاها لك، فكيف أرضاها لنفسي؟ إن نبي الله موسى لما ورد ماء مدين وجد رعاة الناس يسقون، ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ..﴾ إلى قوله: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص:٢٣، ٢٤]، وذلك إنما كان خائفًا فسأل ربه ولم يسأل الناس، لم يفطن الرعاة وفطنت[٨٣] الجاريتان، فأخبرتا أباهما، فدعاه، فلما دخل على شعيب عليهما السلام إذ هو بالعشاء مهيأ، فدعا إليه موسى - وقد كان سمع قول الجارية ﴿إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص:٢٥] - [فقال][٨٤]: أعوذ بالله، فقال شعيب: ولم ذاك؟ إنما أنت جائع؟ قال: بلى، ولكن أخاف أن يكون هذا عوضًا لما سقيت لهما، وإنا أهل بيت لا نبيع شيئًا من أمر ديننا بملء الأرض ذهبًا، قال شعيب: لا والله يا شاب، ولكنها عادتي وعادة آبائي، نقري الضيف، ونطعم الطعام. فجلس موسى وأكل.

ثم قال أبو حازم: فإن كانت الدنانير عوضًا لما حدثتك فالميتة ولحم الخنزير أَحَلُّ لي من هذه الدنانير، وإن كان هذا حقًا في بيت المال فلي فيها نظر، فإن سويت بيننا، وإلا فلا حاجة لي فيها.

فقال جلساؤه ومنهم الزهري: يا أمير المؤمنين أيسرك أن يكون الناس كلهم مثله؟

[قال: لا والله][٨٥].

قال أبو حازم: يا أمير المؤمنين، إن بني إسرائيل لمّا كانوا[٨٦] على الهدى والرشد كان أمراؤهم تأتي علماءهم رغبة فيما عندهم يريدون به الله، فلما كان علماؤهم يأتون أمراءهم رغبة فيما عندهم يريدون به الدنيا تعسوا ونكسوا وسقطوا من كرامة الله تعالى، ولو أن علماءنا زهدوا فيما عند أمرائنا لرغب الأمراء في علمهم، ولكنهم رغبوا فيما عند الأمراء فزهدوا فيهم وهانوا في أعينهم.

---

(٨٢) ردّي عليك: ردا علي، م، ي.
(٨٣) فطنت: فطنة، م، ي. تاريخ دمشق ١٢/ ١٢٩.
(٨٤) تاريخ دمشق ١٢/ ١٢٩.
(٨٥) وفيات الأعيان ٢/ ٣٥٣.
(٨٦) لمّا كانوا: ما داموا، م، ي. وفيات الأعيان ٢/ ٣٥٣.

فقال الزهري: أبي تُعرِّض أم إياي تعني؟

قال: والله ما تعمدتك، ولكن هو ما تسمع.

قال سليمان للزهري: أتعرفه؟

قال: هو جاري منذ ثلاثين سنة ما كلمته.

قال أبو حازم: أجل والله لو أحببت الله لعرفتني، ولكن أبغضت الله فنسيتني.

فقال الزهري: يا أبا حازم، أتشتمني؟

فقال سليمان: لا ولكن شتمت نفسك، أما علمت أن للجار حقًا كالقرابة، ثم قال يا أبا حازم ما ينجينا مما نحن فيه؟

قال: لا تمتنع مما أمرت به، ولا تركب ما نهيت عنه.

قال: من يطيق هذا يا أبا حازم؟

قال: من طلب الجنة وهرب من النار.

مبحث في مقام عمر بن عبد العزيز مع سليمان

روي أنه ركب عمر بن عبد العزيز يومًا مع سليمان بن عبد الملك، وكان واقفًا عنده، إذ رعدت السماء رعدة فضرب سليمان صدره على مقدم السرج فجرح، فقال عمر: يا أمير المؤمنين هذا صوت رحمته فكيف صوت عذابه.

قال: ثم نظر سليمان إلى كثرة الناس فقال: ما أكثر الناس. فقال عمر: كلهم خصماؤك.

مبحث في مقام سليمان الدمشقي عند هشام بن عبد الملك

لما ولي هشام بن عبد الملك خرج غيلان وصاحبه إلى أرمينية فأرسل في طلبهما، فجيء بهما، فلما دخلا عليه قال هشام: يا غيلان، أتزعم أن ما في أيدينا ليس هو من عطاء الله؟ قال غيلان: أعوذ بجلال الله أن يأتمن الله خوانًا أو يستخلف خزّانا(٨٧)، أو يستخلف الخلفاء من خلقه فُجّارًا، إن أئمته: القائمون بأحكامه، الراهبون لمقامه، الذين كابدوا بالعدل الدول، وخافوا مقامًا لا يجدون عنه الحول، ولا ينقلبون عنه بالعلل، باتوا ومقامهم المحمود، وليلهم

(٨٧) خزّانا: خوانًا، م، ي. التذكرة الحمدونية ١/ ٣٣٨.

المشهود بطول القيام والسجود، لم يول الله وثابًا على الفجور، ولا ركّابًا للمحظور[٨٨]، ولا شرابًا للخمور، ولا شاهدًا بالزور.

فأمر هشام بحبسه وحبس صاحبه، ثم أخرجهما وقال لغيلان: كيف ترى ما صنع بك ربك؟ فالتفت غيلان وقال: لعن الله من صنع بي هذا.

واستسقى صالح، فقال بعض من حضر: لا أسقيكم حتى تشربوا من الزقوم، فقال غيلان لصالح: يزعم هؤلاء أنهم لا يسقوننا حتى نشرب من الزقوم، لعمري لئن كانوا صدقوا إن الذي نحن فيه ليسير في جنب ما نصير إليه بعد ساعة من عذاب الله، ولئن كانوا كذبوا إن هذا الذي نحن فيه ليسير في جنب ما نصير إليه بعد ساعة من روح الله، فاصبر يا صالح.

ثم مات صالح، فصلى عليه غيلان، ثم أقبل على الناس، وقال: قاتلهم الله كم من حق أماتوه، وكم من باطل قد أحيوه، وكم من ذليل في دين الله أعزوه، وكم من عزيز في دين الله أذلوه. فقيل لهشام: قطعت يد غيلان ورجله وأطلقت لسانه، قد نبه الناس على ما كانوا غافلين عنه. فأرسل إليه فقطع لسانه، فمات رضي الله عنه.

مبحث في مقام قتيبة بن مسلم

قال: دخل قتيبة بن مسلم على الحجاج فقال: يا قتيبة إني نظرت في سنك فوجدتك لدتي وقد بلغت الخمسين. فقال قتيبة:

إذا كانت الخمسون سِنَّك لم يكن ... لدائك إلا أن تموت طبيبُ
وإنّ امرأً قد سار سبعين حجة ... إلى منهلٍ من ورده لقريبُ
إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل ... خلوت ولكن قل عليّ رقيبُ
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن ما يخفى عليه يغيبُ
إذا ما مضى القرن الذي كنت[٨٩] منهم ... وخُلّفت[٩٠] في قرن فأنت غريبُ

(٨٨) للمحظور: للمحذور، م، ي. التذكرة الحمدونية ١/ ٣٣٨.
(٨٩) كنت: أنت، م، ي.
(٩٠) خُلّفت: خليت، م، ي.

مبحث في مقام ابن أبي ذئب عند الرشيد

روي أن الرشيد ولّى غلامًا على المدينة، فجار وظلم وحبس بعض القرشيين وضيق عليه، فرفعت قصته إلى[٩١] الرشيد، فأمر بأن يدخل عليه قومًا من أهل العلم ليروا حاله ويكتبوا إليه، فأدخل مالك بن أنس[٩٢]، وابن أبي سبرة[٩٣]، وابن أبي ذئب، وكان العامل فيه قد هيأ له مكانًا ووسع عليه لما سمع القصة، فلما دخلوا ورأوه، وكتب مالك والقوم بأنه وسع عليه، وأن ما قيل فيه باطل وكذا وكذا، فقال ابن أبي ذيب: داهنتم، وكتب إلى الرشيد: إني رأيت مجلسًا ضيقًا، وعنفًا وشدة حبس، ووصف شدة ما فيه، وبعثوا بالكتب، واتفق أن الرشيد قدم المدينة، فاجتمع الناس وفيهم الحسن بن زيد وعبد الصمد عامله هذا، فجعل الناس يتظلمون، وأطنب[٩٤] بشدة الظلم، فهمَّ الرشيد بالعامل، فقال: يا أمير المؤمنين سله عن نفسك فإنه يقول فيك شرًا مما يقول في، فسأله عن نفسه فقال: اعفني، [فلم يقبل] فقال: أنت ظالم وجائر، وأخذ يده، فسلوا السيوف وهموا به، فصاح الرشيد بهم، وتفرق الناس، فلما أصبحوا دعا ابن ذئب ودعا بقدح بلور وماء ورد ومسك وكافور ثم [قال]: علي بابن أبي ذئب، فلما جاء أجلسه إلى جنبه وحلقه بيده وأمر له بتسعة آلاف درهم وفضله على مالك بثلاثة آلاف، وروي أنه لما دخل دنا[٩٥] الخادم فجعل يمسح صدره ويقول: مرحبًا برجل لا تأخذه[٩٦] في الله لومة لائم.

مبحث في مقام سفيان بن عيينة

عن سفيان بن عيينة قال: بعث إليّ المنصور فدعاني، فجئت بابه واستأذنت، فقيل: إنك وافقت ساعة اشتد فيها غضبه، فلا تكلمه. فدخلت وسلمت وإذا رجل مكبل في الحديد قائم بين يديه وهو يقول: قتله الله إن لم يقتله، وهو يقول: الله الله يا أمير المؤمنين في دمي فإنه مكذوب علي. قال: وبين يديه النطع والسيف، فقلت في نفسي: رجل يقتل لا أدري فيم يقتل، لأتكلمن، فقلت: يا أمير المؤمنين أدلك على أدب الله وأدب رسوله؟ فالتفت إلي مغضبًا فقال:

(٩١) إلى: على، م، ي.
(٩٢) أنس: أوس، م، ي.
(٩٣) سبرة: نسوة، م، ي.
(٩٤) أطنب: أحضر،شبرمة نم م، ي.
(٩٥) دنا: داره، م، ي.
(٩٦) تأخذه: يأخذه، م، ي.

وما أدب الله؟ فقلت: قوله: ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ..﴾ الآية [الحجرات:٦]. قال: وما أدب رسوله؟ قلت: قوله: «لا تصدق قَتَّاتا». قال: فأمر بإطلاقه ودعا بكراسة فقرأ علي ثلاثين حديثًا وأمر لي بثلاثين ألف درهم، فخلص الله بي رجلًا من النار ورجلًا من القتل ورحت بثلاثين ألف درهم.

مبحث في مقام منصور بن عمار عند الرشيد

عن منصور بن عمار قال: دخلت على هارون فقال: تكلم. فقلت: إن سليمان بن داود الذي سخر له الطير وعفاريت الشياطين وألان له الحديد، أليس نعق به صائح الموت وأزعجه عن وطنه، وسلبه نظارة ملكه، وبالله يا أمير المؤمنين ما الذي ترجو من البقاء بعده، وقد قال ابن المبارك:

كلال العيون ووهن[97] العظام ... دبيب المنية لو[98] تعلمينا
فإن كنت تبكين[99] مَنْ قد مضى ... فابكِ[100] على الحيِّ لا[101] الهالكينا
وابك[102] لنفسك جهد البكاء ... إن كنت تدرين أو[103] تعقلينا[104]

قال: فبكى الرشيد.

مبحث في مقام محمد بن واسع عند بلال

وعن محمد بن واسع قال: دخلت على بلال بن أبي بردة فقلت: إن أباك حدثني عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن في جهنم واديًا يقال له هَبْهَبُ، حق على الله أن يسكنه كل جبار، فإياك يا بلال أن تكون ممن يسكنه».

(٩٧) وهن: وهي، م، ي.
(٩٨) لو: إن، م، ي.
(٩٩) تبكين: تبكي، م، ي.
(١٠٠) فابكِ: فبكي، م، ي.
(١٠١) الحيِّ لا: الحق في، م، ي.
(١٠٢) وابك: وبكي، م، ي.
(١٠٣) أو: أن، م، ي.
(١٠٤) تعقلينا: تعلقينا، م ن ي.

وروي أنه قال له: ما تقول في القدر؟ فقال محمد: جيرانك أهل القبور، فتفكر فيهم، فإن فيهم شغلًا عن القدر.

مبحث في مقام ابن السماك عند محمد بن سليمان

عن ابن السماك قال: دخلت على محمد بن سليمان والي البصرة فقال: عظني، فقلت: بماذا أعظك؟ إنما الناس ثلاثة: زاهد، وصابر، وراغب، فأما الزاهد فقد خرجت الأفراح والأحزان من قلبه فلا يأسى[١٠٥] على ما فاته، ولا يفرح بما أوتي، الناس منه في راحة، ونفسه في عناء، وأما الصابر يشتهيها بقلبه فإذا ذكر ما فيها من عارها وشنارها امتنع، ولو اطلعت على ما في قلبه من التعفف والتصبر لاطلعت على أمر عظيم، فأما الراغب فإنه لا يبالي من أين أتته الدنيا، أفسد فيها دينه أو دنس فيها عرضه، فمن أي الثلاثة أنت؟ قال: من الراغبين. قال: فإذًا أفٍ لك ولأصحابك، ما تصلحون[١٠٦] إلا أن يسد بكم الأنهار والجسور، والسلام.

مبحث في مقام سفيان الثوري عند المهدي

مر الثوري بمنى وعليه إزار ثقيل قصير والمهدي جالس، فقال أبو عبد الله وزيره: هذا سفيان الثوري، فقال: علي به، فجاء الوزير وقال: أجب أمير المؤمنين، فتلكأ، فقال: إنه يراك، فمضى معه، فلما دنا من مضاربهم دعا بأعلى صوته: ما هذه الفساطيط؟ ما هذه السرادقات. فلما جلس عنده قيل: حدث أمير المؤمنين، فقال: حدثني فلان عن قدامة قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرمي جمرة العقبة على ناقة له[١٠٧] صهباء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك»، فقال له الوزير: حدث أمير المؤمنين بما ينفعه، فقال: يا أمير المؤمنين اتق هذا؛ يعني أبا عبد الله.

مبحث في مقام حيوة عند ابن عون بن المبارك

قال: لما ولي ابن عون مصر وقدم عليها أراد أن يستقضي حيوة بن شريح، فدعاه فأبى،

(١٠٥) يأسى: ييأس، م، ي.
(١٠٦) تصلحون: يصلحون، م، ي.
(١٠٧) له: لها، م، ي.

فقال ابن عون: إن أَمْرَنا لا يرد، فإن أبيت قُتلت. فقال: دعني أستخير الله الليلة. فمضى وأوصى بوصيته، فدعاه من الغد وقال: ما صنعت؟ قال: إني قرأت القرآن فأتيت على ذكر السحرة الذين جاءوا ليطفئوا نور الله فآمنوا في ساعة ثم قالوا لفرعون لما أوعدهم: ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ﴾ [طه:٧٢]، فلا ينبغي لي وقد ولدت على الإسلام وكبرت فيه أن أكون أضعف يقينًا منهم، اقض ما أنت قاض، والله لا أتولى[١٠٨] الحكم أبدًا. فقال ابن عون: اذهب فأنت شيخ أحمق.

مبحث في مقام خالد بن صفوان عند هشام

عن شبيب بن شيبة، عن خالد بن صفوان قال: أوفدني يوسف بن عمر إلى هشام في وفد العراق، فقدمت عليه وقد خرج بفراعته – يعني وزرائه وأهله وحشمه وجلسائه – في أحسن منظر وأجمل مستمطر[١٠٩]، وقد ضرب له فسطاط ما رُئي مثله، وقد أخذ الناس مجالسهم. فأخرجت رأسي من ناحية الفسطاط، فنظر إلي شِبْهُ[١١٠] المستنطق، فقلت: أتم الله عليك يا أمير المؤمنين نعمة وسوغكها شكره، وجعل ما قلّدك[١١١] من الأمر رشدًا وعافية، وما تؤول[١١٢] إليه حمدًا أخلصه[١١٣] لك بالتقى وكثّره لك بالنماء، ولا كدّر عليك منه ما صفا[١١٤]، ولا خالط سروره الردى، وما أجد يا أمير المؤمنين أحدًا أبلغ في قضاء حقك وتوقير[١١٥] مجلسك مني. لما مَنَّ الله عليّ من مجالستك والنظر إلى وجهك، فأذكرك [بمن قبلك] من الملوك، فإن أذن أمير المؤمنين أخبرته. وكان متكئًا فاستوى جالسًا، وقال: هات يابن الأهتم. قلت: إن ملكًا من الملوك قبلك خرج في عام مثل هذا إلى الخورنق[١١٦] والسدير[١١٧] في عام قد بكر وسْمِيُّه[١١٨].

(١٠٨) أتولى: أتي، م، ي.
(١٠٩) مستمطر: مستنظر، م، ي. تاريخ دمشق ٩/ ٧٩ وكتاب التاريخ للسلمي ص١٢١.
(١١٠) شِبْه: شيبة، م، ي. تاريخ دمشق ٩/ ٧٩ وكتاب التاريخ للسلمي ص١٢١.
(١١١) قلّدك: قدرك، م، ي. تاريخ دمشق ٩/ ٧٩ وكتاب التاريخ للسلمي ص١٢١.
(١١٢) تؤول: تولي، م، ي. تاريخ دمشق ٩/ ٧٩ وكتاب التاريخ للسلمي ص١٢١.
(١١٣) حمدًا أخلصه: جهدًا خاصة، م، ي. تاريخ دمشق ٩/ ٧٩ وكتاب التاريخ للسلمي ص١٢١.
(١١٤) منه ما صفا: فيه مناه، م، ي. تاريخ دمشق ٩/ ٧٩ وكتاب التاريخ للسلمي ص١٢١.
(١١٥) حقك وتوقير: حاجتك وتوفر، م، ي، تاريخ دمشق ٩/ ٧٩ وكتاب التاريخ للسلمي ص١٢١.
(١١٦) الخَوَرْنَقُ: قصر بالعراق للنعمان. تاج العروس (خرنق).
(١١٧) والسَّدِيرُ: نهر بالحيرة. تاج العروس (سدر).
(١١٨) الوسميّ: مطر الربيع الأول. الصحاح (وسم).

وتتابع[١١٩] وَلِيُّه[١٢٠]، وأخذت الأرض زخرفها من نور ربيع مونق، فهو في أحسن مستمطر، وأشرف مجلس، بصعيد كأن ترابه قطع الكافور، حتى لو أن مضغة[١٢١] ألقيت فيه لم تترب، وكان قد أُعطِي [فتاء] السنّ مع الكثرة[١٢٢] والغلبة والفهم، فنظر فأبعد النظر فقال لجلسائه: لمن مثل هذا؟ أرأيتم ما أنا فيه أم أُعطي أحدٌ مثل ما أعطيت؟ قال: وعنده رجل من بقايا حملة الحجة والمضي على أدب الحق ومنهاجه - ولن تخلو الأرض من قائم لله بحجته من عباده - فقال: إنك قد سألت عن أمر، أفتأذن لي في الجواب؟ قال: نعم. قال: أرأيت هذا الذي أنت فيه أشيء لم يزل لك، أم شيء قد صار إليك وهو زائل عنك وصائر إلى غيرك كما صار إليك؟ قال: كذلك هو. قال: وأنا أراك إنما أعجبت بشيء يسير، تكون فيه قليلًا، وتغيب عنه طويلًا، وتكون غدًا بحسابه مرتهنًا. قال: ويحك فأين المهرب وأين المطلب؟ قال: إما أن تقيم فتعدل في ملكك بما ساءك وسرك، ومضك وأَرْمَضَكَ[١٢٣]، وإما أن تضع تاجك[١٢٤] وتلقي أطمارك، وتلبس أمساحك، وتعبد ربك في هذا الجبل حتى يأتيك أجلك. قال: فإذا كان السحر فاقرع علي بابي، فإني مختار أحد الرأيين، فإن اخترت ما أنا فيه كنت وزيرًا لا تعصى، وإن اخترت خلوات الأرض وفقر البلاد كنت رفيقًا لا تخالف، فلما كان وقت السحر قرع عليه بابه فإذا به قد وضع تاجه ووضع أطماره ولبس أمساحه وتهيأ للسياحة، فلزما - والله - الجبل حتى انتهت آجالهما، فهو حيث يقول أخو بني تميم عدي بن زيد العبادي[١٢٥]:

أيها الشامت المعيِّر بالدهـ ـر أأنت المبرأ الموفورُ؟
أم لديك العهد الوثيق من الأيـ ـيَام بل أنت جاهلٌ مغرور
مَنْ[١٢٦] رأيت المنون خلدن أم مَنْ[١٢٧] ذا عليه من[١٢٨] أن يضام خفير

(١١٩) تتابع: تتابه، م، ي. تاريخ دمشق ٩/ ٧٩ وكتاب التاريخ للسلمي ص١٢١.
(١٢٠) وَلِيُّه: وليه، م، ي. تاريخ دمشق ٩/ ٧٩ وكتاب التاريخ للسلمي ص١٢١.
(١٢١) مضغة: قطعت، م، ي. تاريخ دمشق ٩/ ٧٩ وكتاب التاريخ للسلمي ص١٢١.
(١٢٢) الكثرة: الكبره، م، ي. تاريخ دمشق ٩/ ٧٩ وكتاب التاريخ للسلمي ص١٢١.
(١٢٣) أَرْمَضَهُ الحَرُّ: أحرقه. تاج العروس (رمض).
(١٢٤) تاجك: خيارك، م، ي. مختصر تاريخ دمشق ٧/ ٣٥٥.
(١٢٥) تاريخ دمشق ٩/ ٧٩.
(١٢٦) مَنْ: أم، م، ي.
(١٢٧) مَنْ: خير، م، ي.
(١٢٨) ذا عليه من: البرية، م، ي. تاريخ دمشق ٩/ ٧٩.

أين كسرى كسرى الملوك بني سا ... سان أم أين قبله سابورُ
وبنو الأصفرِ الكرامُ ملوكُ الرُّو ... م لم يبق منهم مذكورُ
وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجـ ... ـلة تُجْنَى[129] إليه والخابورُ
لم تهبْه ريب المنون فباد الـ ... ـمُلْك عنه فبابهُ مهجور
وتذكر رب الخورنق إذ أشـ ... ـرف يومًا للهدى تفكير
سره حاله وكثرة ما يمـ ... ـلك والبحر معرضا والسدير
فارعوى قلبه وقال وما غبـ ... ـطة حي إلى الممات يصير
ثم أضحوا كأنهم ورقٌ جَفـ ... ـفَ فألْوَتْ به الصَّبا والدبور
ثم بعد الفلاح والملك والإ ... مّة[130] وارتهم[131] هناك القبور

وأنشدوا في الخورنق والسدير:

ماذا أُؤَمل بعد آل محرِّق ... تركوا منازلهم وبعد إياد
أهل الخَوَرْنق والسَّدِير وبارقٍ ... والقصر ذي الشرفات من سنداد[132]
نزلوا بأنقرة[133] يسيل عليهمُ ... ماء الفرات يجيء من أطواد
أرض تخيرها لطيب مقيلها ... كعبُ بن مامة وابن أم دؤاد[134]
جرت الرياح على محل ديارهم ... فكأنهم كانوا على ميعاد
وأرى النعيم وكل ما يلهى به ... يومًا يصير إلى بِلى ونفادِ

مبحث في مقام الأعرابي عند سليمان بن عبد الملك

روي أن عمر بن عبد العزيز دخل على سليمان بن عبد الملك وقال: إن بالباب أعرابيًا له دين، فإن أذنت له فسمعت منه؟ قال: نعم. فأذن له، فسلم وقال: يا أمير المؤمنين إني مكلمك بكلام فاحتمله، فإن وراءه ما تحب إن قبلته. قال سليمان: هات. قال: أما إني إذا أمنت زيادة

---

(١٢٩) تُجْنَى: تجي، م، ي. تاريخ دمشق ٩/ ٧٩.

(١٣٠) الإمَّة: النعيم والملك. لسان العرب (أمم).

(١٣١) وارتهم: وراتهم، م، ي.

(١٣٢) سنداد: شداد، م، ي.

(١٣٣) أنقرة: أنفرة، م، ي.

(١٣٤) دؤاد: راود، م، ي.

غضبك فإني مطلق لساني بما خرست به الألسن عن صفتك تأدية لحقك[١٣٥] وحق إمامتك، إنه قد تكنفك[١٣٦] أقوام أساءوا الاختيار لأنفسهم، وابتاعوا دنياك بآخرتهم، ورضاك بسخط ربهم، خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك، فلا تأمنهم على الذي ائتمنك الله عليه، فإنهم لم يألوا الإمامة تضيعًا، والأُمّة[١٣٧] خسفًا وعسفًا، وأنت مسؤول عما اجترحوا، وليسوا بمسؤولين عما اجترحت، فلا تفسد آخرتك بدنيا غيرك. فقال له سليمان: أما أنت يا أعرابي فقد سللت لسانك وهي أقطع من سيفك. قال: نعم يا أمير المؤمنين، لك لا عليك. قال: سل حاجتك. قال: ما أجد خاصًا دون عامٍ.

مبحث في مقام عطاء عند الوليد بن عبدالملك

عن مسروق بن سعيد الواسطي قال بلغني أن عطاء بن أبي رباح دخل على على الوليد بن عبدالملك وعنده عمر بن عبد العزيز فقال: السلام عليك يا وليد، فغضب، ثم قال: اجلس. فجلس عطاء وأقبل عليه بحديثه فكان مما حدث أن قال:بلغنا أن في جهنم واديًا يقال له هبهب أعده الله لكل إمام جائرٍ في حكمه، فصعق الوليد، وقام عطاء وأنصرف[١٣٨].

مبحث في مقام الشعبي[١٣٩] عند الوليد بن عبد الملك

وفي الحديث لما قَتل عبد الملك بن مروان مصعب بن الزبير جلس بالقصر في الكوفة وأذن للناس، ووضع رأسه بين يديه على طبق، وكان الناس يدخلون أفواجًا يهنئونه بالفتح ويتكلم كل واحد بما يحضره، فقام الشعبي وقال: يا أمير المؤمنين عندي أعجوبة. فقال: هات يا شعبي. فقال: إن الدنيا دار فناء وبلاء وعناء لا تنقضي عجائبها، ولا تفنى غرائبها، لا يركن إليها عاقل، ولا يجمعها إلا غافل، ولقد رأيت في هذا القصر في مكانك هذا عبيد الله بن زياد وبين يديه رأس الحسين عليه السلام والناس بين ساكت ومهنئ، ثم رأيت المختار أبي عبيد ورأس عبيد الله بن زياد بين يديه، ثم رأيت مصعب بن الزبير ورأس المختار بين يديه، وها أنا

(١٣٥) لحقك: لحق، م، ي.
(١٣٦) تكنفك: يكفيك، م، ي.
(١٣٧) الأمّة: أمة، م، ي.
(١٣٨) م، ي.مقام عطاء...وأنصرف:-، ي.
(١٣٩) الشعبي: عطاء، م، ي.

أراك ورأس مصعب بين يديك، وسيقضي الله من أمره ما أراد. فقال الوليد بن عبد الملك: نعم، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء.

مبحث في مقام الأوزاعي عند المنصور

عن الأوزاعي قال: بعث إلي المنصور، فدخلت عليه وسلمت فأجلسني، وقال: ما الذي أبطأ بك عنا يا أوزاعي؟ قلت: وما يريد أمير المؤمنين؟ قال: أريد الأخذ عنكم والاقتباس منكم. قلت: فانظر يا أمير المؤمنين لا تجهل شيئًا مما أقول لك. قال: وكيف أجهله وأنا أسأل عنه وفيه وجهت إليك وأقدمتك له. قلت: أن تسمعه ولا تعمل به، فصاح بي الربيع وأهوى بيده إلى السيف، فانتهره المنصور، وقال: هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة. فطابت نفسي وانبسطت في الكلام فقلت: يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أيما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فإنها نعمة من الله سبقت إليه، فإن قبلها بشكر، وإلا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها إثمًا ويزداد الله بها غضبًا».

يا أمير المؤمنين وحدثني مكحول عن عطية بن بشر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أيما والٍ مات غاشًا لرعيته حرم الله عليه الجنة»، يا أمير المؤمنين من كره الحق كره الله، إن الله هو الحق المبين.

يا أمير المؤمنين إن الذي لين قلوب أمتكم(١٤٠) لكم حين ولاكم أمورهم لقرابتكم من رسول الله، وقد(١٤١) كان بهم(١٤٢) رحيمًا مواسيًا لهم(١٤٣) بنفسه في ذات يده [محمودًا عند الله] وعند الناس، فحقيق [بك] أن تقوم له فيهم بالحق، وأن تكون بالقسط فيهم قائمًا، ولعوراتهم ساترًا، ولا تغلق دونهم الأبواب، ولا تقم(١٤٤) من دونهم الحجّاب، تبتهج بالنعمة عندهم، وتبتئس بما أصابهم من شدة. (١٤٥)

يا أمير المؤمنين قد كنت في شغل شاغل من نفسك من عامة الناس الذين(١٤٦) أصبحت

---

(١٤٠) قلوب أمتكم: قلوبكم أمتي، م، ي. إحياء علوم الدين ٢/ ٣٤٨.

(١٤١) وقد: فقد، م، ي.

(١٤٢) بهم: بكم، م، ي. إحياء علوم الدين ٢/ ٣٤٨.

(١٤٣) لهم: لكم، م، ي. إحياء علوم الدين ٢/ ٣٤٨.

(١٤٤) تقم: تقوم، م، ي.

(١٤٥) إحياء علوم الدين ٢/ ٣٤٨.

(١٤٦) الذين: الذي، م، ي. إحياء علوم الدين ٢/ ٣٤٨.

تملكهم أحمرهم وأسودهم، مسلمهم وكافرهم، وكلٌ له عليك نصيب من العدل، فكيف[١٤٧] بك وقد انبعث فيهم فِئام بعد فِئام[١٤٨] ليس فيهم أحد إلا وهو يشكو بلية قد أدخلتها عليه، أو ظلامة قد سقتها إليه.

يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عروة بن رويم قال: «كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين، فأتاه جبريل فقال: ما هذه الجريدة التي كسرت بها قلوب أمتك وملأت قلوبهم رعبًا»، فكيف بمن شقق أبشارهم[١٤٩] وسفك[١٥٠] دماءهم وأجلاهم[١٥١] عن بلادهم للخوف منهم.

يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن زيد بن حارثة، عن حبيب بن مسلمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا إلى القصاص من نفسه في خدشة خدشها أعرابيًا لم يتعمد، فأتاه جبريل فقال: يا محمد إن الله لم يبعثك جبارًا ولا متكبرًا، فدعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأعرابي وقال: «اقتص مني»، فقال الأعرابي: قد حللتك بأبي أنت وأمي وما كنت لأفعل ذلك أبدًا ولو أتيت على نفسي، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخير.

يا أمير المؤمنين رضِّ نفسك وخذ لها الأمان من ربك[١٥٢]، وارغب في جنة عرضها السماوات والأرض، التي يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لقيد قوس أحدكم من الجنة خير له من الدنيا وما فيها».

يا أمير المؤمنين إن الملك لو بقي لمن قبلك لم يصل إليك، وكذلك[١٥٣] لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك، تدري ما جاء في تأويل الآية عن جدك ﴿مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف:٤٩]؟ قال: الصغيرة: التبسم، والكبيرة: الضحك. فكيف بما عملته الأيدي وحصدته[١٥٤] الألسن.

---

(١٤٧) فكيف: وكيف، م، ي.

(١٤٨) الفِئام: الجماعة من الناس. لسان العرب (فأم). إحياء علوم الدين ٢/ ٣٤٨.

(١٤٩) شقق أبشارهم: سفق أستارهم، م، ي.

(١٥٠) سفك: يسفك، م، ي.

(١٥١) أجلاهم: يخليهم، م، ي.

(١٥٢) بك: ربكن، م، ي.

(١٥٣) كذلك: ذلك، م، ي.

(١٥٤) حصدته: حصرته، م، ي.

يا أمير المؤمنين بلغني أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قال: لو ماتت سخلة على شاطئ الفرات ضائعة(١٥٥) لخفت أن أسأل عنها، فكيف مَنْ حُرِمَ عَدْلَكَ وهو على بساطك.

يا أمير المؤمنين تدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [ص:٢٦]؟ قال: يا داود إذا قعد الخصمان بين يديك، وكان لك في أحدهما هوى فلا تتمنين أن يكون الحق له فيفلح على صاحبه(١٥٦)، فأمحوك عن نبوتي(١٥٧) ثم لا تكون خليفتي ولا كرامة، إنما جعلت رسلي على عبادي رعاء كرعاء الإبل لعلمهم بالرعاية، ورفقهم بالسياسة، ليجبروا الكسير، ويدلوا [الهزيل] على الماء والكلأ.(١٥٨)

يا أمير المؤمنين إنك بُليت(١٥٩) بأمر لو عُرض على السماوات والأرض والجبال لأبَيْن أن يحملنه(١٦٠) وأشفقن منه(١٦١).

يا أمير المؤمنين حدثني يزيد بن جابر، عن عبد الرحمن الأنصاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل رجلًا من الأنصار على الصدقة فرآه بعد أيام مقيمًا فقال له: ما منعك من الخروج إلى عملك، أما علمت أن لك مثل أجر المجاهد في سبيل الله؟ قال: لا. قال: وكيف ذلك؟ قال: لأنه بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما من والٍ يلي شيئًا من أمور الناس إلا أتي به فيوقف يوم القيامة على جسر(١٦٢) في النار ينتفض به الجسر انتفاضة يزيل كل عضو من موضعه، ثم يقاد فيحاسب، فإن كان محسنًا جوزي بإحسانه، وإن كان مسيئًا انحرف(١٦٣) به ذلك الجسر فهوى(١٦٤) به في النار سبعين خريفًا»، قال له: ممن سمعت هذا؟ قال: من أبي ذر وسلمان. فأرسل إليهما عمر يسألهما فقالا: نعم سمعناه من رسول الله صلى الله

(١٥٥) ضائعة: ضيعة، م، ي..
(١٥٦) صاحبه: صاحب، م، ي.
(١٥٧) عن نبوتي: من ديواني،م، ي.
(١٥٨) إحياء علوم الدين ٢/ ٣٤٩.
(١٥٩) بُليت: تلبست، م، ي.
(١٦٠) يحملنه: يحملنها، م، ي.
(١٦١) منه: منها، م، ي.
(١٦٢) جسر: حبس، م، ي.
(١٦٣) انحرف: أعرق، م، ي..
(١٦٤) فهوى: فهو، م، ي.

عليه وآله وسلم، فقال عمر: واعمراه من يتولاها بما[١٦٥] فيها، فبكى وأبكى الناس.

يا أمير المؤمنين قد سأل جدك النبي صلى الله عليه وآله وسلم إمارة مكة والطائف واليمن، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يا عباس، يا عم النبي - صلى الله عليه - نفس تحييها[١٦٦] خير من إمارة لا تحصيها»، نصيحة منه لعمّه[١٦٧] وشفقة عليه، لأنه[١٦٨] لا يملك له من الله شيئًا إذ[١٦٩] أوحى الله إليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، فقال: «يا عباس عم رسول الله، يا صفية عمة رسول الله، يا فاطمة بنت[١٧٠] رسول الله. إني لست أُغني عنكم من الله شيئًا، ألا لي عملي ولكم عملكم»، وقال عمر بن الخطاب: لا يقيم أمر الناس إلا حصيف العقل، أريب العقد[١٧١]، لا يُطلع منه على عورة، ولا يحنق[١٧٢] على جرادة[١٧٣]، ولا تأخذه في الله لومة لائم، وقال رضي الله عنه: السلطان أربعة أمراء: فأمير ظلف[١٧٤] نفسه وعماله، فذلك كالمجاهد في سبيل الله، يد الله عليه باسطة بالرحمة، وأمير فيه ضعف ظلف نفسه وأرتع عماله لضعْفِهِ[١٧٥] فهو على شفا هلاك إلا أن يرحمه الله، وأمير ظلف عماله وأرتع نفسه فذلك في الحطمة الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «شر الرعاء الحطمة فهو الهالك وحده».

يا أمير المؤمنين وأمير أرتع نفسه وعماله فهلكوا جميعًا.

وقد بلغني يا أمير المؤمنين أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «أتيتك حين أمر الله بمنافخ النار فوضعت على النار لتسعر إلى يوم القيامة، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: صف لي النار. فقال: إن الله تعالى أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت، ثم

(١٦٥) من يتولاها بما: مما تولى مما، م، ي. إحياء علوم الدين ٢/ ٣٤٩.
(١٦٦) تحييها: تنحيها، م، ي. إحياء علوم الدين ٢/ ٣٤٩.
(١٦٧) لعّمه: ونعمة، م، ي. إحياء علوم الدين ٢/ ٣٤٩.
(١٦٨) لأنه: وأنه، م، ي.
(١٦٩) إذ: إذا، م، ي.
(١٧٠) بنت: ابنت، م، ي.
(١٧١) أريب العقد: أديب الفعل، م، ي. إحياء علوم الدين ٢/ ٣٤٩.
(١٧٢) يحنق: يتقدم، م، ي.
(١٧٣) جرادة: جريرة، م، ي.
(١٧٤) ظلف نفسه أي: منعها. الصحاح (ظلف).
(١٧٥) لضعْفِهِ: الضعفة، م، ي.

أوقد عليها ألف عام حتى اصفرت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة، لا يضيء لهبها، ولا تنطفئ جمرتها، والذي بعثك بالحق لو أن ثوبًا من ثياب أهل النار أُظهر لأهل الدنيا(١٧٦) لماتوا جميعًا، ولو أن ذَنُوبًا من شرابها صُبَّ في ماء الأرض لقتل من ذاقه، ولو أن ذراعا من السلسلة التي ذكرها الله تعالى وُضِع على جبال الأرض لذابت وما استقلت، ولو أن رجلًا دخل النار ثم أخرج منها لمات أهل الدنيا(١٧٧) من نتن رائحته وتشويه خلقه وعظمه، فبكى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبكى جبريل لبكائه، وقال: أتبكي يا محمد وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدًا شكورًا؟ فلم بكيت يا جبريل وأنت الروح الأمين أمين الله على وحيه؟ قال: أخاف أن أبتلى بمثل ما ابتلي به هاروت وماروت، وهو الذي منعني(١٧٨) من اتكالي على منزلتي عند ربي فأكون قد أمنت مكره».

وبلغني يا أمير المؤمنين أن عمر بن الخطاب قال: اللهم إن كنت تعلم أني أبالي إذا قعد الخصمان بين يدي على من الحق من قريب أو بعيد فلا تمهلني طرفة عين.

يا أمير المؤمنين إن أَشَدَّ الشِّدة القيام لله بحقه، وإن أكرم الكرم عند الله التقوى، وإنه من طلب العز بطاعة الله رفعه وأعزه، ومن طلبه(١٧٩) بمعصية الله أذله الله ووضعه، فهذه نصيحتي والسلام عليك. ثم نهض، فأمر له بمال فأبى أن يقبله، وقال: إني في غنى عنه وما كنت لأبيع نصيحتي بعرض الدنيا، ثم قال: إلى أين؟ قال: إلى الوطن بإذن أمير المؤمنين. قال: قد أذنت لك وشكرت لك نصيحتك وقبلتها فلا تخلني(١٨٠) من مطالعتك إياي بمثلها، فأنت المقبول غير المتهم في النصيحة.

مبحث في مقام الرجل الصالح عند المنصور بمكة

عن ابن مهاجر قال: بينا أبو جعفر يطوف في السحر إذ مر برجل ملتزم بالركن اليماني وهو يقول: اللهم إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع، فضربوه فأبى إلا ثبوتًا، فدعاه أبو جعفر وقال: من هذا الذي هو من أهل الحق قد دخله

(١٧٦) الأرض: النار،م؛ الدنيا، ي. إحياء علوم الدين ٢/ ٣٥٠.
(١٧٧) الأرض: النار،م؛ الدنيا ي. إحياء علوم الدين ٢/ ٣٥٠.
(١٧٨) منعني: من، م، ي. إحياء علوم الدين ٢/ ٣٥٠.
(١٧٩) طلبه: طلب، م، ي. إحياء علوم الدين ٢/ ٣٥٠.
(١٨٠) تخلني: تحلني، م، ي.

الطمع؟ فقال: إن أمَّنتني أنبأتك. قال: فأنت آمن على نفسك ومالك وأهلك. قال: إن الذي دَخَله الطمع حتى حال(١٨١) بينه وبين [إصلاح] ما ظهر في الأرض من الفساد والبغي لأنت. قال: فكيف ذلك والحلو والحامض في يدي؟ قال: جعلت بينك وبين الناس جبالًا من جص وآجرّ وأبوابًا عليها حجبة بأيديهم السلاح، ثم قلت: لا يدخلن عليَّ إلا فلان وفلان، لأنفس سميتها(١٨٢) بأسمائها، فلما سجنك أولئك النفر حيث سجنت نفسك لهم، تواثقوا ألّا يخرج لك عامل إلى جهة حتى يأخذوا منه مثل الخراج الذي يطلب، وإذا أراد المظلوم أن يرفع قصته(١٨٣) وجدك قد نهيت الناس أن يرفعوا إليك المظلوم، فإذا أعيته الأمور صرخ بين يديك فضرب ضربًا مبرحًا يكون نكالًا لغيره وأنت تنظر إليه، فما بقاء الأرض على هذا، وقد كان بنو أمية على ما كان فيها كانت بطانتها العرب، فكان الدين عزيزًا، وكان يأتي الرجل من أهل الأرض فيقول: يا أهل الإسلام، فيقولون: ما لك، فيقول: أتى إلي من الأمر كذا، فإذا دخلوا على خليفتهم ابتدروه بالمنطق كلهم يقولون: بالباب مظلوم، فيدعى فيعطى ظلامته، وكنت قد اختلفت إلى الصين وكان في أُذُن مَلِكِهم صمم، فبكى يومًا ثم قال: إني لا أبكي للبلية التي نزلت بي، ولكن أبكي لصارخ مظلوم على الباب لا أسمع صوته، فإن كان سمعي قد ذهب فإن بصري لم يذهب، فلا يلبس قباء أحمر إلا من كان مظلومًا حتى أعرف(١٨٤) المظلوم إذا رأيته. وكان يركب الفيل طرفي النهار بكرة وعشية لينظر إلى المظلوم. هذا مشرك بالله قد غلبته رأفتُه بالناس شُحَّ نفسه، وأنت مسلم ولا تغلب رأفتُك بالناس شُحَّ نفسك، فإنك إنما تجمع المال لثلاث خصال، إن قُلْتَ: أجمعها لتشييد سلطاني وتقوية شأني فقد أراك الله في بني أمية عبرًا، وما جمعوا من جبال الذهب والفضة وصنوف الأموال، فما أغناهم حين أراد الله بهم ما أراد، وإن قلت: أجمعها لولدي فقد أراك الله عبرًا في الطفل يسقط من بطن أمه وما على الأرض له مال، وإن قلت: أجمعها لغاية هي أجسم مما أنت فيها، فوالله ما بقي من الغايات غاية هي أجسم من الغاية التي أنت فيها، إلا غاية واحدة لا تدرك إلا بطاعة الله؛ يعني الجنة.

يا أمير المؤمنين أخبرني عن ابن آدم إذا أنت غضبت عليه هل تبلغ غاية أشد من القتل؟ قال: لا. قال: فكيف تصنع بملك لا رحم بينك وبينه، يرى ما عقد عليه قلبك، ووعى سمعك، ونطق

(١٨١) حال: مال، م، ي.
(١٨٢) سميتها: مسماين، م، ي.
(١٨٣) قصته: القصص، م، ي.
(١٨٤) أعرف: أعزل، م، ي.

لسانك، ونظر إليه بصرك، وما خرجت وبطشت به يداك، وما حملت على ظهرك، ولا يغني ما شحخْت[185] عليه من ملك الدنيا [أمام] الذي لا تكتمه حديثًا. قال: ويحك فكيف أصنع فإني لم أر أحدًا إلا خائنًا؟ قال: يا أمير المؤمنين إذا كنت مشاورًا لم آلك رشدًا. قال: فهات. قال: [إن] أضررت بآخرتك نلت[186] من دنياك طرفًا، فإن أضررت بدنياك تدرك وتنل من آخرتك. وللناس فقهاء يفزعون إليهم في أمر دينهم ويرضون فيه بقولهم، فاجعلهم بطانتك، وأطعهم ترشد. قال: ويحك قد أرسلت إلى أولئك فهربوا مني. قال: يا أمير المؤمنين ابعث إليهم فشاورهم، فإذا استقر رأيك ورأيهم على الأمر الذي فيه للرعية صلاح فأنا ضامن بمساعدتهم إياك واتباعهم لك ومعاونتهم لك، إنما يهرب القوم فرقًا منك أن تحملهم على رأيك الذي أنت عليه. قال أبو جعفر: ضمنت أن أعمل بما قلت. وأقيمت الصلاة، فلما انصرفوا قال: علي بالرجل. فلم يوجد.[187]

مبحث في مقام عمرو بن عبيد عند المنصور

عن أبي هاشم الجعفري قال: حدثني أبي قال: كنا بباب المنصور يومًا والناس محجوبون عنه إذ جاء رجل على حمار فنزل عن حماره، ثم نحى البساط برجله وجلس، وسألت عنه فقيل: رجل من البصرة، فقلت لرجل من بني هاشم: ما تزال بصرتكم ترمينا بأحمق من حمقائها، فلم يلبث إلا قليلًا حتى خرج الربيع فأومأ بيده ودخل به على المنصور، فقال: الغلام[188] الهاشمي: إن الذي استحمقته أيضًا قد دخل ونحن محجوبون. فأقام ما شاء الله ثم خرج متكئًا على يد الربيع فقال: يا غلام حمار أبي عثمان، فقدم حماره فحمله وسوى ثيابه تحته. فقلت للربيع: لقد رأيتك اليوم عظمتم هذا الرجل شيئًا ما عظمتموه أحدًا قبله. فقال الربيع: ما غاب منكم فيما فعل به أمير المؤمنين أعظم. قلت: حدثنا[189]. قال: إن أمير المؤمنين لما علم بمكانه أمر بلبود يفرش، فقعد عليها وأذن له، فلما دخل عليه رفعه حتى أقعده إلى جنبه ثم قال له[190]:

---

(١٨٥) شحخْت: حخت، م، ي. إتحاف السادة المتقين ٨/ ١٦٨.

(١٨٦) نلت: قبلت، م، ي.

(١٨٧) إتحاف السادة المتقين ٨/ ١٦٨.

(١٨٨) الغلام: يا غلام، م، ي.

(١٨٩) حدثنا: حديثا، م، ي.

(١٩٠) قال له: قاله، م، ي.

عظني يا أبا عثمان. فقال: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر:١، ٢] فقرأ ثم قال: إن ربك يا أبا جعفر لبالمرصاد. فبكى حتى اخضلّ لحيته، ثم قال: زدني. فقال: إن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر منه نفسك ببعضها، واعلم أن هذا الأمر الذي في يدك قد كان في يد غيرك، وهو خارج من يدك إلى من بعدك، فمهّد لنفسك. فقال المنصور: يا أبا عثمان أعنّي بأصحابك. قال: اعمل بالحق يتبعك أهله. قال: فقال: ابرِ لي قلمين. فأخذ السكين فبرى قلمين فوضعهما بين يديه، فلما أراد أن يقوم أخذ القلم وكسره، قال: لم كسرته؟ قال: إن الله تعالى يقول: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصافات:٢٢]، جاء في الحديث أنهم يحشرون حتى من برى لهم قلمًا فيؤمر بهم[١٩١] إلى النار، فخشيت أن أكون في جملة الظلمة. فقال المنصور: قد أمرت لك بعشرة آلاف درهم. قال: لا حاجة لي بها. قال: والله لتأخذنها. قال: والله لا أخذتها. فقال المهدي: يحلف أمير المؤمنين وتحلف؟ قال: من هذا الفتى؟ قال: ابني محمد وليّ عهد المسلمين. فقال: لقد سميته باسمٍ ما استحقه بعمله، ورديته رداء أمتع[١٩٢] ما يكون به أشغل ما يكون عنه، ثم قال: نعم يا بني إذا حلف أبوك حلف عمك، لأن[١٩٣] أباك أقدر على الكفارة من عمك. فقال: يا أبا عثمان هل لك حاجة؟ قال: لا، إلا ألا تبعث إليّ حتى آتيك. قال: إذًا لا نلتقي. قال: هو حاجتي. ونهض فأتبعه بصره وقال:

كلهم يمشي رويدْ ... كلكم يطلب صيدْ
غير عمرو بن عبيدْ

ولما توفي عمرو ودفن بمران في طريق الحج مر المنصور بقبره فزاره وقال منشدًا:

يا باكي الطلل المحيل بقفرة ... جهد الجواد بدمعه العينان
لا تبكين ديار [قوم] وابكهم ... إذ ودعوا وخلوا من العمران
إن الديار بأهلها فإذا خلت ... كانت كبعض سباسب الحيطان
فالموت لا يبقى عليه عاقل ... في رأس أرعن ثابت الأركان
لو كان هذا الدهر[١٩٤] يبقي[١٩٥] صالحًا ... أبقى لنا عمرًا أبا عثمان

(١٩١) يؤمر بهم: هو مربهم، م، ي.
(١٩٢) أمتع: أمنع، م، ي. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٨/ ٦٠.
(١٩٣) لأن: لا، م، ي.
(١٩٤) الدهر: الدار، م، ي. عيون الأخبار ص٢٠٩.
(١٩٥) يبقي: يبكي، م، ي. عيون الأخبار ص٢٠٩.

صلى الإله عليك من متوسَّدٍ[١٩٦] قبرًا مررت به على مَرأنِ
قبرًا تضمن مؤمنًا متخشعًا عبد الإله ودان بالقرآن

وقد روي في هذا الحديث زيادات على ما ذكرنا.

مبحث في مقام عبد الله بن الأهتم عند عمر بن عبد العزيز وحديثه

عن سليمان بن [عبدالملك بن] علاثة قال: أمرني عمر بن عبد العزيز أن أُدخل عليه من العلماء من له علم بأحاديث الأمم، فأدخلت عليه عبد الله بن الأهتم السعدي فقال: يا أبا عبد الله، هل تعلم من الملوك الماضية من يرجع إلى زهد في الدنيا بعد عجب بها؟ قال: نعم. ففرح بذلك، قال: هات أخبرني. قال: كان ملك لا يعلم أحد أطغى ولا أعجب بالدنيا ولا أترف منه، وكان له قصر لم يُر مثله، يقال له المسفر، وفيه يقول القائل:

وسارت حفاة بنو عامر بيت العراق لدى المسفر

فأشرف ذات يوم وقال: ما أظن أحدًا سكن مثل هذا. ثم قال لحاجبه: ائذن للناس. فدخل الناس أفواجًا، فقال لهم: هل رأيتم أو سمعتم بمثل هذا القصر؟ قالوا: لا، قال: فهل فيه عيب، من أخبرني بعيب فيه فأخرجه منه أو زيادة لأزيدها[١٩٧] فيه فله عندي جائزة. فقال أحدهم: رأيت بإصطخر بناءً من بنيان عفاريت سليمان لو كان مثله لكان أحسن، قال: مثّله لي؟ فمثله فهدمه وبنى مثله، ولم يزل يسأل فيخبر بزيادة أو نقصان فيهدمه ويزيد فيه ويزينه حتى قالوا: لا عيب فيه ولا مزيد عليه إلا أنه لو كان طوله وعرضه واحدًا لكان أحسن، فهدمه وفعل ذلك، ثم أذن للناس ودعا بالطعام، فناداه واحد من عرض المجلس وقال: أليس كنت آليت لا يطعم فيه ولقائل فيه مقال؟ قال: ألست وفيت بما قلت؟ قال: لا إنما سألت أهل الجهل فسل أهل العلم به. قال: من هم؟ قال: قوم بجبل الجودي. فقال وزراؤه: لا علم لهم بهذا، هم تركوا الدنيا ولا يرون البناء. قال: لا بد أن أدعوهم وأدخلهم ثلاث مرات، ثم قال لهم: هل ترون في هذا القصر من عيب؟ قالوا: رأينا أعظم العيب، وهو أن جديده يصير إلى فناء، وعامره يصير إلى خراب، فكسره ذلك كسرًا شديدًا قال: أنشدكم بإلهكم هل تعلمون بناء لا يصير جديده إلى خراب،

---

(١٩٦) متوسَّد: مستودع، م، ي. عيون الأخبار ص٢٠٩.

(١٩٧) لأزيدها: لازيده، م، ي.

وعامره إلى خراب وفناء؟ قالوا: نعم، بناء الجنة، ووصفوا له وقالوا: إن ذلك ينال بالطاعة له والعبادة له. فانطلق معم وتعبد لله حتى أتاه الموت.

مبحث في مقام ابن مرزوق عند المهدي

وروي أن المهدي كان يطوف بالبيت بمكة، وكان يُنَحَّى الناس بين يديه عن البيت، فوثب عبد الله بن مرزوق فلببه بردائه ثم هزه وقال: انظر ما يُصنع، مَنْ جعلك بهذا البيت أحق ممن أتاه من البعد حتى إذا صار عنده حلت بينه وبينه[١٩٨]؟ مَنْ جعل لك هذا؟ فنظر إليه وكان يعرفه وكان من مواليهم، فأمر به فحبس مع فرس عضوض سيئ الخلق، فلان له، وبقي في الحبس إلى أن مات المهدي فخلي عنه، فرجع إلى مكة وكان نذر إن نجاه الله أن ينحر مائة بدنة، فكان يعمل في ذلك حتى نحرها.

مبحث في مقام ابن السماك عند هارون

روي أنه مات لهارون الرشيد بعض ولده، فحزن [هارون] عليه واحتجب، فدخل عليه محمد بن السماك وأنشأ يقول في عظته له:

سيباشر التُّرْبَاء[١٩٩] خدك ... وسيضحك الباكون بعدك
وسيشتهي المتقربو ... ن إليك بعد القرب بُعْدَكْ
لله درك ما أجدَّ ... ك في الملاعب ما أجدكْ
فليسرعنَّ[٢٠٠] بك البلى ... وليقصدن الحين قَصْدَكْ
وليُفْنينَّك بالذي ... أفنى أباك به وجَدَّكْ
لو قد ظعنت عن البيو ... ت ودَوْجِها[٢٠١] وسكنْتَ لحْدَكْ
لم تنتفع إلا بفعْـ ... ـلٍ صالحٍ إن كان عندك
وإذا الذين[٢٠٢] تركت ما ... لك بينهم حصصا فكدك
يتلذذون بما جمعْـ ... ـت لهم ولا يجدون فَقْدَكْ

(١٩٨) بينه: بين، م، ي.
(١٩٩) التُّرباء: الترب، م، ي.
(٢٠٠) فليسرعنَّ: فليس عزّ، م، ي. ديوان أبي العتاهية ص١٤٨.
(٢٠١) دَوْجها: روحها، م، ي.
(٢٠٢) الذين: الذي، م، ي.

فبكى هارون وقال: زد، فقال:

أتطمع أن تخلّد لا أبا لك أمِنْتَ قوى[٢٠٣] المنية أن تنالك
فكن متوقعًا لهجوم موتٍ يشتت بعد جمعهم عيالك
كأني بالتراب عليك يُحثى وبالباكين يقتسمون مالك
ألا فاخرج من الدنيا خميصاً ورجّ من المعاش بما رجا لك[٢٠٤]
فلست مخلفًا في الناس شيئًا ولست مزودًا[٢٠٥] إلا فعالك

فبكى ثم أنشد أيضًا:

أفنيتَ عمرك[٢٠٦] باغترارك ومناك فيه بانتظارك[٢٠٧]
ونسيت[٢٠٨] ما لا بد منه وكان أولى بادكارك
وإن اعتبرت بما ترى لكفاك[٢٠٩] علمًا باعتبارك
لك[٢١٠] ساعة تأتيك من ساعات ليلك أو نهارك
بادر بجدك قبل أن تقضي وتزعج من قرارك

يا أمير المؤمنين بلغني أن رجلًا كان يتجر إلى بلاد الصين قال: فهيأت لأميرهم هدايا وسرت إليه، فلما قدمت عليه أكرمني وحباني وأحسن جائزتي وأنزلني في دار، فلبثت عنده أغدو إليه وأروح، فبينا أنا ذات يوم إذ[٢١١] أتاني رسوله، فقال: أجب الملك فقد مات ابنه. فدخلت عليه ولم أر أثر حزن، فبينا أنا عنده إذ دخل أحد وكلمه بشيء وقام وقمنا، وإذا نحن بالجنازة وبعشرة آلاف وصيف ووصيفة على أيديهم أطباق الذهب والفضة مغطاة بالمناديل قد أحدقوا بالجنازة فزمزموا ودندنوا، وسرنا بالجنازة غير بعيد، وإذا نحن بعشرة آلاف رجل

(٢٠٣) قوى: من، م، ي.
(٢٠٤) بما رجا لك: رجاء بالك، م، ي.
(٢٠٥) مزودًا: من وداء م، ي..
(٢٠٦) عمرك: عمر، م، ي.
(٢٠٧) بانتظارك: وانتظارك، م، ي.
(٢٠٨) نسيت: لبست، م، ي.
(٢٠٩) لكفاك: فكفاك، م، ي.
(٢١٠) لك: له، م، ي.
(٢١١) إذ: إذا، م، ي.

مدرعين بالجواشن قد أحدقوا بها وزمزموا ودندنوا، وسرنا بالجنازة، وإذا نحن بعشرة آلاف رهبان قد لبسوا الشعر، عليهم أثر العبادة، فزمزموا، فلما وارينا الغلام وأخذنا المجلس كنت أتعجب وأنكث في الأرض، فقال الملك: أتتعجب مما رأيت، أما الوصفاء[٢١٢] والوصائف فأولئك وصفاء ابني لبسوا أحسن ثيابهم، وتمنطقوا بأحسن مناطقهم، وحملوا على أيديهم أطباق الذهب والفضة، وقالوا: يا سيدنا وابن سيدنا لو أن الذي قبض روحك كان يقبض الرشا لكان فيما معنا كفاية، ولكنه لا يقبض الرشا. وأما الرجال المتدرعون فأولئك رؤساء أصحاب ابني، لبسوا السلاح وقالوا: يا سيدنا وابن سيدنا لو أن الذي قبض روحك كان يستقيم محاربته لكان فينا كفاية، لكنه لا تستقيم محاربته. وأما أصحاب المدارع فأولئك رهبان بلادي أحدقوا بالجنازة، وقالوا: يا سيدنا وابن سيدنا لو أن الذي قبض روحك يؤخر بالشفاعة والاجتهاد لكان فينا[٢١٣] نحن كفاية، ولكن الذي قبض روحك شيء لا بد منه.

فقال هارون: سبحان الله كافر ما أحسن يقينه. وبكى حتى غشي عليه، فقال بعضهم: حسبك يا ابن السماك فقد قتلت أمير المؤمنين. فقال: دعوه فليمت فيقال: إن خليفة الله مات من خوف الله.

مبحث في مقام أبي العتاهية عند الرشيد

عن أبي العتاهية قال: طلبني هارون الرشدي، وقال لحاجبه: أدخله علي في أي وقت جيء به، فأدخلت عليه وهو نائم، فصوت طائر فانتبه، فقلت:

ونائم أنبه بالصوت ... لم يأخذ الأهبة للفوت[٢١٤]
إن لم تَزُلْ نعمته قبله ... زال عن النعمة بالموتِ

فقال هارون: أنشدني، فقلت:

لا تأمن الموت في طرف ولا نفسٍ ... وإن تسترتَ بالحُجَّاب والحرس
واعلم بأن سهام الموت قاصدة ... لكل مدرع منا ومترسِ
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجري على اليبسِ

(٢١٢) الوصفاء: الوصف، م، ي.
(٢١٣) فينا: فيما، م، ي.
(٢١٤) للفوت: للموتِ، م، ي.

فبكى هارون.

وروي أن هارون كان بعث في طلبه وقال: يجب ألاّ يقال له ما يراد به، فقال في بعض الطريق: ما يريد مني أمير المؤمنين؟ قالوا: يضرب عنقك، فكتب في الأرض:

ولعل ما تخشاه ليس بكائن ولعل ما ترجوه سوف يكونُ
ولعل ما هوّنت ليس بهيّنٍ ولعل ما تخشاه سوف يهون

فارتحلوا فإذا الخبر أتاهم بوفاة الرشيد.

عن الحمصي قال: كنا جلوسًا عند الرشيد إذ دخل عليه أبو العتاهية فقال: أنشدني في الزهد، فقال:

أفنيت عمرك إدبارًا وإقبالا تبغي البنين وتبغي الأهل والمالا
الموت هول فكن ما عشت ملتمسًا من هوله حيلة إن كنت محتالا
ولست حقًا لهول الموت منفلتًا حتى تعاين بعد الموت أهوالا
ألم تر الملك الأُمّيّ[٢١٥] كيف مضى ما نال حي من الدنيا كما نالا
أفناه من لم يَزَلْ يُفني الملوك وقد أمسى وأصبح عنه الملك قد زالا[٢١٦]

فبكى الرشيد وتغير وجهه.

مبحث في مقام فضيل عند الرشيد

عن الفضل بن الربيع قال: بينا أنا ذات ليلة نائم إذ سمعت قرع الباب فقلت: من ذا؟ قال: أجب أمير المؤمنين، فنزلت مسرعًا فإذا هارون الرشيد بالباب، فقلت: يا أمير المؤمنين هلاّ أرسلت إلي لآتيك - وذلك بمكة - فقال: ويحك إنه قد حاك[٢١٧] في نفسي شيء لا يخرجه عن قلبي إلا عالم، فالتمس لي رجلًا أسأله، فقلت: هاهنا سفيان بن عيينة، قال: فامض بنا إليه، فأتيناه، فقرعت الباب، قلت: أجب أمير المؤمنين، فنزل مسرعًا وقال: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلي لأتيتك، فقال: خذ لما جئناك له فحدثه، فلما أطال قال: أعليك دين؟ قال:

(٢١٥) الأُمّيّ: الأمسي، م، ي.
(٢١٦) زالا: والا، م، ي.
(٢١٧) حاك: حك، م، ي.

نعم، قال: يا عباسي اقض دينه، فلما خرج قال: ويحك ما أغنى عني صاحبك شيئًا، التمس لي رجلًا، فقلت: يا أمير المؤمنين هاهنا رجل أطوي عنك ذكره منذ الليلة يصدقكم عن عيوبك وينصح لك في نفسك فأمّنه يا أمير المؤمنين، قال: من هو؟ قلت: الفضيل بن عياض، قال: امض بنا إليه وله الأمان، قال: وعرفت الهيبة في وجهه، فخرجنا حتى أتينا فضيلًا وهو في غرفة له، وإذا هو يردّد آية[٢١٨] ويصرخ ويسقط على وجهه، وكان هارون رقيق القلب يستمع ويبكي، فلما خاف الصبح قال: يا عباسي ويحك اقرع الباب، فقرعت الباب، فقال: من ذا؟ فقلت: أجب أمير المؤمنين، فسكت طويلًا ثم قال: ما لي ولأمير المؤمنين، قلت: يا سبحان الله أوما عليك طاعة، أوما سمعت ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «ليس للمؤمن أن يذل نفسه»، فنزل وفتح الباب ثم اطلع في وجوهنا فقال: لَأَنْ ترجعا أحبُّ إليّ من أن تدخلا، ثم ارتقى بين أيدينا، فدخل الغرفة وأطفأ السراج والتجأ إلى زاويتها، فجعلت أنا وهارون نلتمسه بأيدينا، فسبقت كف هارون إليه، فقال: أوه من كف ما ألينها لو نجت من عذاب الله، فقلت في نفسي: ليكلمنه الليلة بكلام من قلب تقي، فقال هارون: خذ لما جئناك؟ قال: وفيم جئت خلطت على نفسك وجميع من معك خلطوا عليك حتى لو سألتهم - عند انكشاف الغطاء عنك وعنهم - أن يتحملوا عنك شقصًا من ذنب ما فعلوا، ولكان أشدهم لك حبًا أشدهم منك هربًا.

بلغني أن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة أرسل إلى سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة، فقال لهم: إني قد ابتليت بهذا الأمر فأشيروا عليّ، فعدّ عمر الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة، فقال له سالم: إن أردت النجاة غدًا من عذاب الله فصُمْ عن الدنيا وليكن إفطارك[٢١٩] منها الموت. وقال محمد بن كعب: إن أردت النجاة غدًا من عذاب الله فليكن كبير[٢٢٠] الناس عندك أبًا، وأوسطهم أخًا، وأصغرهم عندك ولدًا، فوقر أباك، وأكرم أخاك، وتحنن على ولدك. وقال رجاء: إن أردت النجاة غدًا من عذاب الله فأحب للناس ما تحب لنفسك وأهلك، واكره لهم ما تكره لنفسك وأهلك، ثم مِتْ إذا[٢٢١] شئت فلا بأس عليك، فإني لأخاف عليك أشد الخوف من يوم تزل فيه الأقدام، أفمن معك يا أمير المؤمنين

(٢١٨) يردّد آية: يرد رداه، م، ي.

(٢١٩) إفطارك: فطرك، م، ي. العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ٥/ ٤٥٠.

(٢٢٠) كبير: كثير، م، ي. العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ٥/ ٤٥٠.

(٢٢١) مِتْ إذا: متى ذا، م، ي. العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ٥/ ٤٥٠.

من يشير عليك بمثل هذا أو يقول لك مثل هذا؟ فسقط هارون على وجهه يبكي حتى غشي عليه، قال الفضل: فقلت: ارفق بأمير المؤمنين فقال: تقتله أنت وأصحابك يابن الربيع وأرفق به أنا، ما أعجب هذا الأمر.

فأفاق هارون فقال: زدني يرحمك الله.

فقال فضيل: بلغني أن عاملا[٢٢٢] لعمر بن عبد العزيز شكا إليه، فكتب عمر إليه: يا أخي اذكر طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد، فإن ذلك يطردك إلى باب الرب نائمًا ويقظان، وإياك أن ينصرف بك من عند ربك فيكون آخر العهد ومنقطع الرجاء، فلما قرأ الكتاب طوى البلاد وقدم عليه، فقال عمر: ما أقدمك؟ قال: خلعت قلبي، فلست أرجع إلى ولاية أبدًا.

فبكى هارون وقال: زدني.

فقال: إن العباس عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: يا رسول الله أمرني على إمارة، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يا عباس يا عم النبي، نفس تحييها[٢٢٣] خير من إمارة لا تحصيها، فإن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة، فإن استطعت ألاّ تتأمر على أحد فافعل».

فبكى هارون وقال: زدني.

فقال: لقد بلغني في حكمة آل داود أن على العاقل ألاّ يغفل عن ثلاث ساعات من نهاره: ساعة يناجي ربه، وساعة يحاسب نفسه، وساعة يخلو بإخوانه الذين يصرفونه عن غيه، وينصحونه في نفسه، وعلى العاقل ألاّ يكون شاخصا[٢٢٤] إلا في ثلاث: مَرَمَّة[٢٢٥] لمعاش، أو خطوة لمعاد، أو طلب لذة في غير محرم.

فبكى وقال: زدني.

فقال: وأنت يا حسن الوجه، فاتق الله [الذي] يسألك عن هذا الخلق، فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فافعل، وإياك إياك أن تصبح وتمسي ولأحد من المسلمين في قلبك غش، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من أصبح غاشًا لم يرح رائحة الجنة».

---

(٢٢٢) عاملا: غلامًا، م، ي. تاريخ دمشق ٢٦/ ٤٨٦.

(٢٢٣) تحييها: تنجيها، م، ي. تاريخ دمشق ٢٦/ ٤٨٦.

(٢٢٤) شاخصا: طاغيًا، م، ي.

(٢٢٥) مَرَمَّة: مرقة، م، ي.

فبكى الرشيد ثم قال: أعليك دين؟

قال: نعم، دين لربي لم يسألني عليه، فويل لي إن ناقشني، وويل لي إن لم أُلهم حجتي.

فقال: إنما أسألك عن دين العباد.

قال: إن ربي لم يأمرني بهذا، إنما أمرني أن أطيع أمره، وأصدق فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

قال: وهجم الصبح، فقال: يا فضيل ألك حاجة؟

قال: ربي يعلم حوائجي إليه.

فقال الرشيد: فهذه ألف دينار، فخذها وتقوّ بها على على العبادة.

فقال: سبحان الله أنا أدلك على النجاة فتكافئني بمثل هذا، سلمك [الله] ووفقك، والسلام. ثم صمت فلم يكلمنا، فخرجنا، فقال الرشيد: يا عباسي إذا أدخلتني على رجل دللتني على مثل هذا، [هذا] سيد المسلمين. فبينا نحن بالباب إذ دخلت عجوز من نسائه فقالت: يا هذا، قد ترى سوء حالنا وما نحن فيه من السوء فلو أخذت هذا المال؟ فقال فضيل: إن مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير، وكانوا يأكلون من كسبه، فلما كبر نحروه وأكلوا من لحمه، فقال: ارجع فلعله يقبل، فرجعنا فلما أحس بنا خرج من الغرفة وقعد على تراب السطح، فجعل الرشيد يكلمه وهو لا يجيبه، فخرجت جارية سوداء فقال: آذيتما الشيخ فانصرفا، فخرجنا.

مبحث في مقام الرجل الصالح عند الرشيد

روي أن الرشيد خرج متنزهًا ودعا بجارية كانت تحسن الغناء، فغنَّتْ فلم يحمد غناها، فقال: ما شأنك؟ فقالت: ليس هذا عودي، فقال للخادم: جئها بعودها، فوافق شيخًا يلتقط النوى، فرفع الشيخ رأسه فرأى العود فأخذه من الخادم وكسره، فأخذه الخادم وذهب به إلى صاحب الشرط وأخبر هارون بما صنع، فاستشاط غيظًا، فقال له سليمان بن جعفر: ما هذا الغضب يا أمير المؤمنين، مُرْ بضرْب عنقه. فقال: لا ولكن نبعث إليه ونناظره. فبعث إليه وقال: أجب أمير المؤمنين، فجاء يمشي حتى وقف على باب القصر، وقيل لهارون: قد جيء بذلك الشيخ. فقال: أي شيء ترون، نرفع ما قدامنا من المنكر أو نقوم إلى مجلس آخر أصلح؟

فقاموا إليه، وأذن للشيخ فدخل وفي كفه النوى، فقال الخادم: أخرج هذا ثم ادخل، قال: لا، هذا عشاي، قالوا: نحن نعشيك. قال: لا حاجة لي في عشائكم. فسمعه هارون فقال: دعه. فدخل وسلم وجلس ناحية، فقال هارون: ما حملك على ما صنعت؟ قال: أي شيء صنعت؟ فجعل يستحي أن يقول كسرت عودي، فلما أكثر عليه قال: فإني سمعت آباءك على المنبر يقرؤون هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾ [النحل:٩٠] فرأيت منكرًا فهل تعرفه؟ فوالله ما قال لا، فلما خرج أعطى رجلًا بدرة وقال: اتبع الشيخ فإن رأيته يقول قلت لأمير المؤمنين كذا وقال لي كذا فلا تعطه، وإن سكت فأعطه. فلما خرج من القصر إذ بنواه في الأرض قد غاصت، فجعل يعالجها ولم يكلم أحدًا، فقال: يقول لك أمير المؤمنين خذ البدرة، فقال: قل له: يردها من حيث أخذها، ثم قال:

أرى الدنيا لمن هي في يديه ... همومًا كلما كثرت عليه
تهين المكرمين لها بصغرٍ ... وتكرم كل من هانت عليه
إذا استغنيت عن شيء فدعه ... وخذ ما أنت محتاج إليه

مبحث في مقام مالك عند الرشيد

عن مالك قال: دخلت على الرشيد فقال: يا مالك ينبغي أن تختلف إلينا حتى تُسمع صبياننا الموطأ. فقلت: أعز الله أمير المؤمنين إن هذا العلم خرج منكم، فإن أنتم أعززتموه عزّ، وإن أنتم أذللتموه ذل، والعلم يؤتى ولا يأتي. قال: صدقت، اخرجوا إلى المسجد حتى تسمعوا مع الناس.

مبحث في مقام عمرو بن نباتة عند المأمون

أرق المأمون ذات ليلة فأمر [بأن] يخرج من دار الضيافة من يحدثه، فأدخل عليه بعمرو بن نباته، فجرى بينهما كلام إلى أن قال: عظني بعظة يتبين فيها ما ادعيت من العلوم، قال: على ترك الهيبة، ورفع الحشمة، وقبول الحكمة، وإلقاء رداء الكبر عن منكبك؟ قال: ذلك لك، فجثا على ركبتيه وقال: يا ذا الرحل، إنه(٢٢٦) من أطال عنان الأمن(٢٢٧) في الغرّة طوى عذار(٢٢٨) الحذر

(٢٢٦) يا ذا الرحل، إنه: إذا الرجل أتاه، م، ي. تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٣٦، وتاريخ المقريزي الكبير ٥/ ٩١.
(٢٢٧) الأمن: الأمر، م، ي. تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٣٦، وتاريخ المقريزي الكبير ٥/ ٩١.
(٢٢٨) عذار: عنان، م، ي. تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٣٦، وتاريخ المقريزي الكبير ٥/ ٩١.

في المهلة، ومن لم يعدل(٢٢٩) على ما يؤدي إلى النجاة كان بجانب قلة الاكتراث بالمرجع إلى الله تعالى مقيمًا، ومن بحسن الظن كان في أمنه(٢٣٠) المحذور في مثل [نسج العنكبوت لا يأمن عليها نفسها أو يحجرها عن شفقتها](٢٣١)، ألا ولو جرعها سم مخالفتها(٢٣٢) لبادرت(٢٣٣) مطايا خوف المراجعة لما امتدت إليك يد(٢٣٤) الندامة، ولا ركبتك(٢٣٥) الحسرات يوم القيامة، لكنك أُوتيت(٢٣٦) من خلد لايؤدي(٢٣٧) إلى فهم، ومن أذن تمج الكلام مجًا، ثم أعقبك التواني والاغترار، ألا ولو كان لك أمير(٢٣٨) من عقلك ينتقد لك ما سقط من عيبك(٢٣٩) لشغلك ذاك عن النظر في عيب غيرك، لكن الهوى ضرب عليك رواق الحيرة(٢٤٠)، فتركك إذا أخرجت يد موعظةٍ لم(٢٤١) تكد تراها، ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور. فبكى(٢٤٢) المأمون، فقال خادم على رأسه: اسكت فقد أبكيت أمير المؤمنين.

فقال عمرو: يا عبيد الرجعة والذين باعوا أنفسهم من محبوب الهوى، أما رأيتم ما استدرج(٢٤٣) به من قبلكم من الأمم(٢٤٤)، أوما ترونه(٢٤٥) كيف فضح مستورهم، وأمطر بواكر الهوان(٢٤٦) عليهم، وبدل سرورهم، فأصبحوا بعد خفض عيشهم ولين رفاهيتهم في روح

---

(٢٢٩) يعدل: يعول، م، ي. تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٣٦، وتاريخ المقريزي الكبير ٥/ ٩١.
(٢٣٠) أمنه: أمته، م، ي. تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٣٦، وتاريخ المقريزي الكبير ٥/ ٩١.
(٢٣١) تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٣٦، وتاريخ المقريزي الكبير ٥/ ٩١.
(٢٣٢) مخالفتها: مخالفيها، م، ي. تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٣٦، وتاريخ المقريزي الكبير ٥/ ٩١.
(٢٣٣) لبادرت: وبادر، م، ي. تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٣٦، وتاريخ المقريزي الكبير ٥/ ٩١.
(٢٣٤) امتدت إليك يد: أهدت إليه به، م، ي. تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٣٦، وتاريخ المقريزي الكبير ٥/ ٩١.
(٢٣٥) ركبتك: ركبته، م، ي. تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٣٦، وتاريخ المقريزي الكبير ٥/ ٩١.
(٢٣٦) أوتيت: أتيت، م، ي. تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٣٦، وتاريخ المقريزي الكبير ٥/ ٩١.
(٢٣٧) خلد لايؤدي: خلة لا تؤدي،م، ي. تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٣٦، وتاريخ المقريزي الكبير ٥/ ٩١.
(٢٣٨) لك أمير: ذلك، م، ي. تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٣٦، وتاريخ المقريزي الكبير ٥/ ٩١.
(٢٣٩) عيبك: عيبتك، م، ي. تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٣٦، وتاريخ المقريزي الكبير ٥/ ٩١.
(٢٤٠) رواق الحيرة: رونق الحياة، م، ي. تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٣٦، وتاريخ المقريزي الكبير ٥/ ٩١.
(٢٤١) موعظةٍ لم: معرفتك ولم، م، ي. تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٣٦، وتاريخ المقريزي الكبير ٥/ ٩١.
(٢٤٢) فبكى: وبكى، م، ي. تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٣٦، وتاريخ المقريزي الكبير ٥/ ٩١.
(٢٤٣) استدرج: استدرجوا، م، ي. تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٣٦، وتاريخ المقريزي الكبير ٥/ ٩١.
(٢٤٤) قبلكم من الأمم: الأمل، م، ي. تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٣٦، وتاريخ المقريزي الكبير ٥/ ٩١.
(٢٤٥) ترونه: تروه، م، ي. تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٣٦، وتاريخ المقريزي الكبير ٥/ ٩١.
(٢٤٦) الهوان: الهموم، م، ي. تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٣٦، وتاريخ المقريزي الكبير ٥/ ٩١.

بين[٢٤٧] حصائد النقم، ومدارج المثلات.

فقال المأمون: لقد سللت لسانك علينا، وهو أمضى من سيفك.

فقال: لك[٢٤٨] لا عليك.

فقال: هل من حاجة خاصة؟

قال: أبعد تجريد الموعظة وبذل مكنون النصيحة أُسوِّد وَجْه موعظتي بالمسألة؟

قال: ثم ماذا؟

قال: النظر في أمر الرعية، والقسم بينهم بالسوية.

قال: ومن يطيق ذلك؟

قال: من دعى باسمك، وقعد في موضعك.

فلما خرج قال المأمون: لله أبوك، هكذا يكون الرجال. ورويت هذه القصة للشافعي مع المأمون، والصحيح هو الأول.

مبحث في مقام أبي حنيفة عند المنصور

روي أن أبا جعفر دعا بأبي حنيفة والأعمش وسفيان الثوري وشريك ليولي أحدهم القضاء، فقال أبو حنيفة في الطريق: أنا أتفرس فيكم فراسة، أما أنا فأحتال وأتخلص، وأما أنت يا سفيان فتهرب، وأما أنت يا أعمش فتحبس، وأما أنت يا شريك فتول القضاء.

فلما كان بعض الطريق قال سفيان: امضوا[٢٤٩] لأقضي حاجة، وخرج وهرب، وقيل: إنه دخل سفينة وقال: إني أخاف القتل، وتأول قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من ولي القضاء ذبح بغير سكين».

وأما الأعمش فدخل عليه وقال: يا أمير المؤمنين كيف حالك وحال دوابك وأزواجك، كنت الليلة بمكة فرأيتك ببغداد، وقال لي عبد الله مسعود كذا. فقال: خرف الشيخ وجن، أخرجوه.

(٢٤٧) في روح بين: وروح البطالين، م، ي. تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٣٦، وتاريخ المقريزي الكبير ٥/ ٩١.

(٢٤٨) لك: له، م، ي.

(٢٤٩) امضوا: امضي، م، ي.

وقال أبو حنيفة وقد قيل له: ادخل في هذا الأمر، فقال: لا أصلح له، قالوا: تصلح، قال: إذًا كذبتُ، والكاذب لا يولى القضاء.

وأما شريك فقيل: تدخل، قال: على شريطة أن أحكم لكم وعليكم. فولي بهذا الشرط، فلم يزل يطلب حكمًا يتوجه عليهم ويحكم عليهم حتى عزل.

مبحث في مقام حماد بن سلمة عند محمد بن سليمان

عن مقاتل قال: دخلت على حماد بن أبي سلمة وليس في بيته إلا حصير جالس عليه وفي يده مصحف يقرأ فيه، وجراب فيه علمه، ومطهرة يتوضأ منها، فكنت عنده إذ دق الباب، فدخل رسول محمد بن سليمان إلى حماد بن سلمة، فناوله كتابًا، وإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن سليمان إلى حماد بن سلمة، أما بعد، فصبّحك[٢٥٠] الله بما صبح أولياءه وأهل طاعته، وقعت مسألة فأتنا[٢٥١] نسألك عنها، والسلام. فقال: يا صبية هلمي الدواة، ثم قلب الكتاب وكتب على ظهره: أما بعد، وأنت صبحك الله بما صبح به أولياءه وأهل طاعته، إنا أدركنا العلماء وهم لا يأتون أحدًا، فإن وقعت مسألة فأتنا واسأل عما بدا لك، وإن أتيتني فلا تأتني بخيلك ورجلك، فلا أنصحك ولا أنصح نفسي، والسلام.

قال: فبينما أنا عنده إذ[٢٥٢] جاء محمد بن سليمان وقعد بين يديه، ثم قال: [مالي إذا] إذا نظرت إليك امتلأت منك رعبًا؟

فقال حماد: سمعت ثابتا[٢٥٣] البناني يقول: سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء، وإذا أراد أن يكنز الكنوز هاب من كل شيء».

فقال: ما تقول في رجل له ابنان وهو من أحدهما أرضى، فأراد أن يجعل ثلثي ماله له؟

قال: لا يفعل، فإني سمعت ثابتًا يقول: سمعت أنسًا يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وآله

(٢٥٠) صبّحك: صبحتك، م، ي. مرآة الزمان ٨/ ١٨٥.
(٢٥١) فأتنا: آتينا، م، ي. مرآة الزمان ٨/ ١٨٥.
(٢٥٢) بينما أنا عنده إذ: كتب بيده إذا، م، ي. مرآة الزمان ٨/ ١٨٥.
(٢٥٣) ثابتا: ثابت، م، ي.

وسلم يقول: «إن الله تعالى إذا أراد أن يعذب عبدًا من عباده وفَّقه لوصية جائرة».

قال: فغير هذا؟

قال: هات ما لم تكن رزية في دين الله.

قال: أربعون[٢٥٤] ألف درهم تأخذها وتستعين بها على ما أنت عليه.

قال: اردها على مَنْ ظلمته إياها.

قال: لا أعطيك إلا ما ورثته.

قال: لا حاجة لي فيها.

قال: فقسمها.

قال: لعلي إن عدلت فيها أن يقول بعض من لم يرزق منها: لم يعدل في قسمتها فيأثم، فازوها عني زوى الله عنك ناره.[٢٥٥]

مبحث في مقام ذي النون عند المتوكل

دخل ذو النون على أبي جعفر المتوكل فقال: عظنا. فقال: يا أمير المؤمنين، الحمد لله الذي أنهج بك أعلام أدلته حتى اتصلت بها إلى معرفته، وعرفك أنه لم يشارك في تعديل خلقك وتركيب صورتك أحدًا غيره، فأفرِدْه بطيب الثناء، وتخير له أطايب الحمد؛ إذ جعل نفسك من خواص النعم، ومواهب السرور، وأجمله لك إبلاغًا، وأسبغه عليك إسباغًا، فكم من كربة وليها لك بالعافية، وتغمدك فيها بالرحمة، وكم كشف عنك من الغموم التي ساورك فيها الهموم، كم من موعظة وعظك بها وأنت في الدفاع والامتناع لا ترى منها إلا الحسن الجميل، ولا تعرف منه إلا التفضيل، فهو عندك معروف بفضائل الصنائع، موصوف بتتابع المنافع، يجيب دعوتك ولم تجبه إلى ما دعاك كما هو منك أهل له، نصرك على الأعداء، وإياه ترجو غدًا الثواب، وستره لك حافظ، فهذا ما لا تستطيع إمضاءه وتعديل نوافل فضله وصنوف رزقه ألوان، ما أولاك من الأزواد فأنت طليقه من المكاره، وأسيره في المهالك، وعبده عند الرغائب، فماذا صنعت أيها المستمع فيما قصصت عليك من سبوغ هذه النعم، ولبوس هذه المنن؟ أليس قد صورك فأحسن التصوير؟ وقدرك فأحسن التقدير؟ فماذا صنعت

---

(٢٥٤) أربعون: أربعين، م، ي.

(٢٥٥) مرآة الزمان ٨/ ١٨٥.

فيما أمرك ونهاك، وخولك وأتاك، وفيما أعطاك، وفيما استرعاك؟ أمّا ستر العورة؟ وأقال العثرة؟ وعفا عن الغرة؟ وأحفاك مرة بعد مرة على علم منك وخبر؟ أما فرج الغمة؟ وعفا عن اللمة؟ ودفع عنك كل مهمة؟ وأسبغ عليك النعمة؟ أما فتح أبواب الفرج؟ وسهل لك المنهج، وجعل لك الليل سكنًا فيه تتولج؟ وأطعمك من نبات الأرض؟ ووسع عليك في المدخل والمخرج؟ أليس إياه ترجو وتسأل؟ فمن تستعين على الشدائد؟ وإلى من ترغب في الزوائد؟ ومن يحرسك في الليل إذا وسق؟ وفي الصبح إذا انفلق؟ وفي النهار إذا أشرق؟ ومن نومتك إذا احمر الحدق؟ ومن الدافع عنك؟ ومن الفارج؟ ومن سهل المناهج؟ ذلك والله ذو المعارج، لا إله إلا هو إليه المصير، قد أصبحت لك النعم فراشًا ودثارًا، تتقلب في دعة وراحة، فليست لك حاجة إلا ولله عليك فيها نعمة ظاهرة وباطنة متواترة، فكلما نزلت بك آفة درأ عنك فيها الفاقة، والنعم بك محدقة حافة، شرع لك البينة، ووعدك الجنة، وأعظم لك المنة، فبم تلقى هذه النعم؟ تَلقَّها بالاستكانة والتذلل والمهانة، والوفاء بالعهود ليوم يروعك[٢٥٦] في الفرق، وأحاط بك ما تحذر وأحدق، وشخص منك البصر، وجف لسانك فتقلص، وحوسبت ولم تتخلص، وهمتك الندامة، وافتضحت من موقف يوم القيامة، أما اتعظت حين[٢٥٧] غمضتَ الموتى، ورأيت سبلَ الهلكى، فلبست جلابيب من عصا، وآثرت الهوى، واتبعت الحياة الدنيا، وبلغت في طلبها غاية المدى، وأصبحت صريع لذة، قد غلبك عماها، وأعياك رحاها، تؤدي إلى المهالك، وتعمل في اغتيالك، أصبحت لها صاحبًا وخليلًا، وعبدًا مطاوعًا ذليلًا، ونفسك تحصي وتحسب، ليس لها من الله مهرب، ولا عن الله مرغب، أفتطمع أن تخلد ولا تموت، أو تواريك من الله البيوت، وفقنا الله وإياك لرشده، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

مبحث في مقام محمود الوراق عند أصرم بن حميد[٢٥٨]

عن محمود الوراق قال: دخلت على أصرم فقال: يا محمود، قد عزمت على الحج. ثم دخلت عليه بعد ثلاث فقلت له: ما الذي أوهى عزمك؟ قال: خفت أن أموت فيدفنني الغلمان ويصلي علي الأعراب. فقعدت متفكرًا، فقال: فيم تفكر؟ فقلت:

أقام على الرحيل وقد أثيرتْ ركائبه وغَرَّد حادياها

(٢٥٦) يروعك: يورعك، م، ي.

(٢٥٧) حين: حتى، م، ي.

(٢٥٨) حميد: أسد، م، ي. التذكرة الحمدونية ٣/ ١٦٣.

وقـال: أخـاف عاقبـة الليالـي ... علـى نفسـي، وأن تَلْقَـى رداهـا
فقلـت لـه: عزمـتُ عليـك إلا ... بلغـتَ مـن العزيمـة منتهاهـا
ومـن كُتبـتْ منيتُـه بـأرضٍ ... فليـس يمـوت فـي أرضٍ سـواها

فقال: والله لا أقمت في بغداد ساعة، وخرج.

مبحث في مقام سفيان عند المنصور

عن سفيان قال: قيل لأبي جعفر: إن سفيان لا يرى الطاعة، فبعث إلي، فجيء بي وكان قال لغلامه: إذا دخل سفيان فأقعده إلى جنب الدواة، وإذا سألتك الدواة فتغافل. ففعل، ثم قال: يا غلام ناولني الدواة. فتغافل كأنه لم يسمع، فقال: يا سفيان ناولني الدواة. فقال: كيف أناولك الدواة ولا أدري ما تكتب؟

مبحث في مقام سفيان عند المهدي

وعن سفيان قال: كنت في مسجد بني ثور إذ قيل لي: أجب أمير المؤمنين، قلتُ: أدخل على عيالي، قالوا: من طلبه أمير المؤمنين لا يدخل على عياله، فحُملتُ إلى المهدي، فقال: يا سفيان إني أريد أستعين بك على إمامتي. قلت: لا أصلح لذلك. قال: احلف بأيمان غلاظ أنك لا تبرح بغداد(٢٥٩) حتى ترجع إلي. قلت: نعم، وخلعت نعلي في صفة المجلس وخرجت من عنده، فرجعت لأخذ نعلي وجللت عيني برجوعي إليه، فقال: يا سفيان ما لك؟ قلت: نعلي أنسيتها آخذها. قال: إن ملت إلينا صارت لك النعال. فمضيت(٢٦٠) على وجهي ولم أخبر أحدًا من أهلي(٢٦١) حتى أتيت مكة، فسمعت قومًا يقولون: نادى منادي أمير المؤمنين: الناس آمنون مني ما خلا سفيان الثوري، فاغتممت وقضيت نسكي وأخذت طريق البصرة، ونفد الزاد، وكنت أجيء القوم فأقول: حدثني عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبيش، عن عبد الله بن حبيش، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الضيافة ثلاثة فما فوق ذلك فهو صدقة»، وحدثني منصور، عن الشعبي، عن ابن كريمة، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم [قال]: «ليلة الضيف والضيافة ثلاثة أيام، فما فوق ذلك صدقة»، قال: فأعطى من الطعام ما لا أقدر على حمله، فآخذ

(٢٥٩) في بغداد: ببغداد،م؛ بعد اذاءي.

(٢٦٠) مضيت: مضت، م، ي.

(٢٦١) أحدًا من أهلي: أن أدخل على أهل، م، ي.

منه ما يكفيني وأمضي حتى انتهيت إلى البصرة، ونزلت في دار شيخ رويت له حديث الضيافة، فأَدْخَلَ عليَّ يحيى بن سعيد القطان فقال: حدثني، فقلت: حدثني أبو إسحاق، عن أبي بردة، عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما بال قوم يلعبون بحدود الله، يقول أحدهم: تزوجتك، طلقتك[٢٦٢]، راجعتك»، فقال له يحيى: إما أن تكون سفيان أو قيس بن الربيع، فتبسم سفيان، فعلم أنه سفيان، فأدخله داره، فحدثه سفيان بما عنده، فجاء يحيى إلى سفيان بدنانير فقال: يا هذا إنما فررنا من هذا.

مبحث في مقام منصور بن عمار عند الشاب

عن منصور بن عمار قال: بينا أنا ذات يوم ببعض طرقات البصرة، فإذا بقصر مشيد، وأبواب حديد، وخدم وعبيد، وإذا بسمر القنا مركوزة، وبخيام الأدم مضروبة، وإذا بحاجب على منبر من حديد وقدامه الأعوان والعبيد، وقد [ثَنَّى][٢٦٣] رِجْلًا على رِجْلٍ كأنه جبار عنيد، فهممت أن أدنو من الباب، فصاح بي الحاجب: ويحك ارجع عن هذا الطريق لا يلحظك الأمير بعينه، فرفعت رأسي إلى السماء فقلت: يا نفس هذا مَلِكٌ يموت، واللهُ ملك لا يموت، والله لأدنون من هذا الباب، فدنوت، فإذا الأبواب مشبكة بالذهب وأنواع الجواهر، وإذا بغلام جالس على فرش الديباج كأنه غصن بان، أخضر الشارب، مقرون الحاجب، صلت[٢٦٤] الجبين، معقرب الصدغين، خده أشبه بخدود النساء منه بخدود الرجال، وقد خُزِق[٢٦٥] في ألوان الثياب، وهو ينادي في قصره: يا نشوانُ يا نشوانُ، فإذا بجارية قد أقبلت كأنها خوط بان أو قضيب ريحان.

قال منصور: فوالله لا أدري الجارية أجمل أم الغلام أكمل، فخشيت الفتنة، فاستترت خلف الأبواب، فخرج إلي الغلمان فتلببوني[٢٦٦] ثم قالوا: ما كفاك أن تدنو من الباب حتى نظرت إلى حرمة الملك، قلت: ومن هذا الملك؟ قالوا: ابن ملك البصرة، فأدخلت عليه، فأقبل يجيل[٢٦٧] عينيه أمامي كأنهما عينا[٢٦٨] ظبي ثم قال: أمنت سطواتي؟ قلت: بلى أيها الملك،

(٢٦٢) تزوجتك، طلقتك: زوجتك طقتك، م، ي.
(٢٦٣) مصارع العشاق للبغدادي ص١٦١.
(٢٦٤) صلت: صلب، م، ي. مصارع العشاق للبغدادي ص١٦١.
(٢٦٥) خُزِق: غرق، م، ي. مصارع العشاق للبغدادي ص١٦١.
(٢٦٦) فتلببوني: فلوني، م، ي. مصارع العشاق للبغدادي ص١٦١.
(٢٦٧) يجيل: يحيل، م، ي.
(٢٦٨) عينا: عيني، م، ي.

جد بحلمك على جهلي، وبغناك على فقري، فإني طبيب شفيق رقيق وليس في كتب العلماء قتل[٢٦٩] الطبيب، قال: وما طبك؟ قلت: داء مداخل قد احتوت عليه الضلوع، وقد احتجبت في قصرك عن رعيتك يُظلمون عند بابك وحُجّابك، وأنت قد حزقت[٢٧٠] في الفنك[٢٧١] والسمور، ألك صَبرٌ على ما أصف لك وأقول لك من عذاب النار ومقطعات النيران، وسرابيل القطران، ويحك يا غلام، أما علمت أن ملكًا ينادي يوم القيامة: يا نار أنضجي، يا نار أحرقي، يا نار اشتفي[٢٧٢]، وموضع السجود من الموحدين فلا تقربي، فويل يومئذ لأهل الطبق الأعلى من أهل الطبق الأسفل، كيف بتراكم الدخان عليهم، يتوهج حريقها بين أطباقها، ألك صبر على ما أصف من عذابها؟

فلما سمع كلام منصور قام والله وحَلَّ أقبيته وقال: أوه قتلتني يا طبيب، ما أحرّ مكاوي طبك، وأرشق سهام نَبْلِك.

ثم قلت: وقد أعجبتك نشوانك هذه الآدمية، فكيف لو نظرت إليها بعد ثلاث وقد تغير لونها، وجرى صديدها، وكدرت عيناها؟ إذن لعفتها ولم تقربها، ألا أصف لك نشوان الجنان التي وصفهن الرحمن في القرآن، فقال عز من قائل: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۞ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۞ عُرُبًا أَتْرَابًا ۞ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة:٣٥-٣٨]، ويحك يا غلام جارية إذا وقعت انسكبت الخمر من زمام نعلها، خلقت من المسك والعنبر والكافور، وشعرها من جيد الزعفران، قال لها خالق العرش كوني فكانت، مقصورة في الخيام، لم يرها رضوان، ولم تلحظها عين الولدان، يكاد ينطوي من رطوبةٍ[٢٧٣] جسمها، هيفاء، حوراء، عيناء، عُطْبُولة[٢٧٤]، شكلة[٢٧٥]، غَنِجَة[٢٧٦]، عطرة، أفلك صبر على خطبتها؟

قال: أوه قتلتني والله يا طبيب، أفترى الله يقبل غريقًا مثلي، فإني غريق في بحار الذنوب، أمسي وأصبح في أودية الخطايا.

---

(٢٦٩) قتل: مقيل، م، ي. مصارع العشاق للبغدادي ص١٦١.

(٢٧٠) حزقت: عرفت، م، ي. مصارع العشاق للبغدادي ص١٦١.

(٢٧١) الفنك: هو كساء من فرو، والمعنى أنه شد عليه ثيابه الغالية. مصارع العشاق للبغدادي ص١٦١.

(٢٧٢) اشتفي: اسقي، م، ي. مصارع العشاق للبغدادي ص١٦١.

(٢٧٣) يكاد ينطوي من رطوبة: تكاد برطوبة، م، ي. مصارع العشاق ص١٦٣.

(٢٧٤) العُطْبُولَة: الطويلة العنق. تاج العروس (عطبل).

(٢٧٥) امرأة شَكِلَة: حسنة الشكل. تهذيب اللغة (شكل).

(٢٧٦) الغَنِجَة: التي فيها تكسر وتدلل. لسان العرب (غنج).

قال: فقلت: فارم الذنوب عن عنقك لعلك تنجو، وما أراك بناج.

فقام والله رمى سيفه وقام[٢٧٧] يجيل بصره في قصره هاربًا، فإذا نشوان[٢٧٨] من ورائه تنادي: يا مولاي ما أنصفتني، أتهرب إلى الله وتتركني، فابق[٢٧٩] مكانك قليلًا حتى أهرب معك إلى الله، فإذا نشوان قد خرجت ولبست مدرعة من شعر وخرجت معه.

ثم رجعت بعد الثلاث، فإذا أنا بالقباب[٢٨٠] قد نزعت، والخيام قد قلعت، والحجُب قد نحِّيت[٢٨١]، والأبواب مطبقة خالية لا أنيس بها، وكنت أدور بالقصر والعين تدمع والقلب يبكي عليها وأقول: غصن بان أمر وقمر زاهر هربا [إلى] رب قدير.

قال منصور: ثم حججت بعد سنين وإذا بصوت محزون من كبد جريح وهو يقول: يا سيدي ومولاي نحل فيك جسمي، وتغير لوني، وهربت من ملكي وقصري رجاء أن تزوجني نشوان الجنات. [قال منصور: فدنوت منه، فقلت: يا غلام، ما أقل حياءك، بأي حق تطلب من ربك نشوان الجنان؟ فنظر إليّ] واغرورقت عيناه بالدموع، وقال: يا منصور أتضرب بسوط أدبك جسمًا نحيلًا لا تعرفه، أنا ابن ملك البصرة. فوالله ما عرفته إلا بخال[٢٨٢] كان على خده قد درسته كثرة الدموع والأحزان، فقلت: وما فعلت نشوانك؟ قال: هيهات لو رأيتها ما عرفتها، وأخذ بيدي إلى خيمة من شعر فوقفت وأنا أقول: بعد القصور المشيدة، والغلمان والحفدة[٢٨٣]، صرتما إلى بيوت الشعر؟ لقد بلغت بكما العبادة فوق الطاقة. ثم دخل الغلام وقال: يا نشوان هذا معلمك بالباب منصور بن عمار. فما زالت تبكي حتى فارقتها[٢٨٤] روحها، فدفناها، فحججت بعد سنين فسألت عنه فإذا هو قد قضى نحبه ودفن إلى جانب قبرها، فكنت في كل خميس [أذهب] وأتكلم عند قبرهما.

---

(٢٧٧) قام: قبل، م، ي.

(٢٧٨) نشوان: تضوان، م، ي.

(٢٧٩) فابق: فإني، م، ي.

(٢٨٠) القباب: القناة، م، ي. مصارع العشاق ص١٦٣.

(٢٨١) الحجُب قد نحِّيت: الحجاب قد تخبت، م، ي. مصارع العشاق ص١٦٣.

(٢٨٢) الخَالَ: بثرة في الوجه تضرب إلى السواد. تاج العروس (خيل).

(٢٨٣) الحَفَدَةُ: الأعوان والخدم. الصحاح (حفد).

(٢٨٤) فارقتها: فارقها، م، ي.

مبحث في مقام بهلول عند الرشيد

حج الرشيد فلما كان ببعض الطريق عَيَّ، فمال إلى ظل ميل، فإذا بهلول المجنون ينشد:

هب الدنيا تواتيك ... أليس الموت يأتيك؟
فما تصنع بالدنيا ... وظل الميل يكفيك
ألا يا طالب الدنيا ... دع الدنيا لشانيك
ولا تغتر بالدهر ... إذا الدهر يصافيك
كما أضحكك[٢٨٥] الدهر ... كذاك الدهر يبكيك[٢٨٦]

فبكى وشهق وخر مغشيًا عليه حتى فاتته ثلاث صلوات.

مبحث في مقامات الحسن البصري

روى[٢٨٧] محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى عن فضيل بن عياض، عن هشام بن حسان قال: مر الحجاج بالحسن فقال له: هلا تأتينا؟ فقال: وما أصنع[٢٨٨] بك، إن أتيتك فأدنيتني فتنتني، وإن أقصيتني غممتني، وما عندي من الدنيا شيء أخافك عليه، ولا عندك شيء من الآخرة ما أطلبه، فعلى أي حال أجيئك؟

المبّرد بإسناده عن الشعبي قال: لما قدم الحجاج العراق وجه إلى فقهاء الكوفة والبصرة، فأتاه فقهاء البصرة ورئيسهم الحسن، وأتاه فقهاء الكوفة ورئيسهم الشعبي، وقدم قراء المدينة وفيهم أبو سلمة بن عبد الرحمن، فدخلنا عليه في يوم صائف شديد الحر، وهو في آخر ثلاث أبيات، فدخلنا البيت الأول فإذا الماء قد أرسل فيه وفي الثلج والخلاف[٢٨٩] كثير، فدخلنا البيت الثاني فإذا الماء والثلج والخلاف أكثر، ودخلنا الثالث وإذا فيها أكثر مما في البيتين والحجاج قاعد على سريره وبجنبه عنبسة بن سعد، فجلسنا على الكراسي، ودخل الحسن آخر من دخل، فقال الحجاج: مرحبًا بأبي سعيد إلي إلي. ثم دعا بكرسي فوضع إلى جنب سريره

(٢٨٥) أضحكك: أصحلك، م، ي. الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء ص٩٦.
(٢٨٦) يبكيك: ينكيك، م، ي. الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء ص٩٦.
(٢٨٧) البصري روى:-، ي.
(٢٨٨) أصنع: صنع، م، ي.
(٢٨٩) الخِلَافُ: شجر الصفصاف. تاج العروس (خلف).

فقعد عليه، فقال الحجاج: اخلع قميصك. ثم جاءت جارية بمدهنة حتى وضعتها على رأس الحسن، ما صنع ذلك بأحد غيره، ثم قال: يا أبا سعيد ما لي أراك منهوك الجسم، لعل ذلك من سوء ولاية وقلة نفقة، ألا نأمر لك بخادم لطيف، ونفقة توسع[٢٩٠] بها على نفسك؟ فقال: إني من الله لفي سعة، وإن علي من الله لنعمة، وإنني منه لفي عافية. فأقبل الحجاج على عنبسة قال: لا والله ولكن العلم بالله والزهد فيما نحن فيه. وجعل الحجاج يسألهم إذ ذكر عليًّا عليه السلام فنال[٢٩١] منه ونلنا، مقاربة[٢٩٢] له وفرقًا من شره، والحسن ساكت عاض على إبهامه، فقال: يا أبا سعيد، ما لك ساكت أخبرنا[٢٩٣] برأيك في أبي تراب، قال: سمعت الله يقول: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ..﴾ الآية [البقرة:١٤٣]، فعليّ ممن هدى[٢٩٤] الله من أهل الإيمان، وأقول: ابن عم رسول الله وختنه على ابنته، وأحب الناس إليه، وصاحب سوابق مباركات سبقت إليه من الله، لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يحظرها ولا يحول بينه وبينها. فبسر وجه الحجاج وتغير وقام عن السرير مغضبًا ودخل بيتًا خلفه، وخرجنا، وأخذت بيد الحسن فقلت: يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره، قال: إليك عني يا عامر، يقول الناس: عامر الشعبي عالم أهل الكوفة. أتيت شيطانًا من شياطين الإنس تكلمه بهواه وتقاربه في رأيه[٢٩٥]، ويحك يا عامر هلا اتقيت الله[٢٩٦] إذ سئلت فصدقت، أو سكت فسلمت، فقال عامر: قد قلتها يا أبا سعيد وأنا أعلم ما فيها، قال الحسن: فذاك أعظم في الحجة، وأشد في التبعة.

قال عامر: ثم اجتمعنا عند عمر بن هبيرة، فاجتمع قراء الكوفة والبصرة والمدينة والشام، فجعل يسألهم حتى خلص إلى محمد بن سيرين، فجعل يسأله فيقول: قال فلان: كذا، وقال فلان كذا، قال أبو هبيرة: فبأي قول آخذ؟ قال: فاختر لنفسك، قال ابن هبيرة: قد سمع الشيخ علمًا جمًا لو أعين برأي في علمه.

(٢٩٠) توسع: يوسع، م، ي.
(٢٩١) فنال: فقال، م، ي. أنساب الأشراف ٨/ ٤٤١.
(٢٩٢) ونلنا، مقاربة: ويلنا معايه، م، ي. أنساب الأشراف ٨/ ٤٤١.
(٢٩٣) أخبرنا: أخبرك، م، ي. أنساب الأشراف ٨/ ٤٤١.
(٢٩٤) ممن هدى: من هذا، م، ي. أنساب الأشراف ٨/ ٤٤١.
(٢٩٥) رأيه: رأيك، م، ي. إتحاف السادة المتقين ٨/ ١٤٨.
(٢٩٦) اتقيت الله: ألقيت إليه، م، ي. إتحاف السادة المتقين ٨/ ١٤٨.

ثم تكلم عامر فجعل ابن هبيرة لا يسأل عن شيء إلا وجد عنده فيه علمًا.

ثم أقبل على الحسن فسأله فوجد عنده ما لم يجد عند أحد، فقال ابن هبيرة: هما هذان، هذا رجل أهل الكوفة، وهذا رجل أهل البصرة. وأمر الناس فخرجوا، فخلا بعامر والحسن، فأقبل على عامر فقال: يا عامر إني [أمين][٢٩٧] أمير المؤمنين بالعراق [و]عامله عليها، ورجل مأمون على الطاعة، ابتليت بالرعية ولزمني[٢٩٨] حقهم، فأنا أحب حفظهم وتعهد ما يصلحهم مع النصيحة لهم، وقد يبلغني عن العصابة من أهل الدين الديار الأمر أجد[٢٩٩] عليهم فيه، فأقبض طائفة من عطائهم فأضعه[٣٠٠] في بيت المال ومن نِيَّتي أن أرده[٣٠١] عليهم، فيبلغ أمير المؤمنين أني قبضته على ذلك النحو، فيكتب إلي ألاّ ترده، فلا أستطيع[٣٠٢] رد أمره، فهل عليّ في هذا تبعةٌ وفي أشباهه والنية فيها على ما ذكرت؟ فقلت: أصلح الله الأمير إنما السلطان والد يخطئ ويصيب. قال: فسر بقولي وأعجب ورأيت البشر في وجهه، وقال: فلله الحمد.

ثم أقبل على الحسن فقال: ما تقول يا أبا سعيد؟ [قال: قد سمعت] قول الأمير من أوله إلى آخره، وإني سمعت عبد الرحمن بن سمرة صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة[٣٠٣] حرم الله عليه الجنة»، وتقول: إني قبضت ما قبضت من عطائهم إرادة صلاحهم وأن يرجعوا إلى طاعتهم، فيبلغ أمير المؤمنين أني قبضتها فيكتب ألاّ ترده[٣٠٤] فلا أستطيع رده، وحقُّ الله ألزم لك من حق أمير المؤمنين، والله أحق أن تطيع، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فاعرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب الله، فإن وجدته موافقًا لكتاب الله فخذ به، وإن وجدته مخالفًا فانبذه، يابن هبيرة، اتق الله، فإنه يوشك أن يأتيك رسول من رب العالمين يزيلك عن سريرك، ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك، فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك، وتقدم على

(٢٩٧) انظر: إتحاف السادة المتقين ٨/ ١٤٨.
(٢٩٨) لزمني: لرمي، م، ي. إتحاف السادة المتقين ٨/ ١٤٨.
(٢٩٩) الديار الأمر أجد: الا مواحد، م، ي. إتحاف السادة المتقين ٨/ ١٤٨.
(٣٠٠) فأضعه: وأصنعه، م، ي. إتحاف السادة المتقين ٨/ ١٤٨.
(٣٠١) أرده: أرد، م، ي.
(٣٠٢) أستطيع: نستطيع، م، ي. إتحاف السادة المتقين ٨/ ١٤٨.
(٣٠٣) بالنصيحة: النصيحة، م، ي.
(٣٠٤) ألا ترده: لا يرده، م، ي.

ربك، وتنزل على عملك، يابن هبيرة إن الله تعالى يمنعك من يزيد، ولا[٣٠٥] يمنعك من الله أحد، وإن أمر الله فوق كل أمر، وألاَّ طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وإني أحذرك بأس الله الذي لا يرده أحدٌ عن القوم المجرمين. فقام[٣٠٦] ابن هبيرة وغضب وقال: أربع أيها الشيخ على ظَلْعك[٣٠٧]، وأعرض[٣٠٨] عن ذكر أمير المؤمنين فإن أمير المؤمنين صاحب العلم والحكم والفضل، وإنما ولاه الله ما ولاه من أمر هذه الأمة لعلمه[٣٠٩] به وما يعلم من فضله ونيته. فقال الحسن: الحساب من ورائك سوط بسوط، وغضب بغضب، والله بالمرصاد، يابن هبيرة، إنك [إن تَلْقَ من ينصح لك في دينك، ويحملك على أمر آخرتك خير من أن] تلقى رجلًا يغرك ويمنيك. فقام ابن هبيرة وقد بسر وجهه وتغير لونه[٣١٠].

قال عامر: فقلت: يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره وحرمتنا معروفه وصلته، فقال: إليك عني يا عامر. قال: فخرج إلى الحسن الطرف والتحف، واستخف بنا وجفينا، فكان أهلًا [لما] أدي إليه، وكنا أهلا أن يفعل ذلك بنا. فلما خرج الحسن اتبعه الحاجب وقال: ما حملك على ما كلمت به الأمير؟ قال: أخذ الله على العلماء أن يبينوه[٣١١] للناس ولا يكتموه[٣١٢]. ولما [خرجوا أجازهم ابن هبيرة و] أضعف [جائزة] الحسن. قيل للشعبي: ما هذا؟ قال: سفسفنا فسفسف لنا.[٣١٣]

قال عاصم: بعث الحجاج إلى الحسن، فلما دخل إليه قال: أنت الذي تقول: قتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم؟ قال: نعم، قال: ما حملك على هذا؟ قال: ما أخذ الله تعالى على العلماء من المواثيق ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران:١٨٧]، قال: يا حسن أمسك عليك لسانك وإياك أن يبلغني عنك ما أكره فأفرق بين رأسك وجسدك، ثم قال: يا جارية علي بالغالية فغلفه بيده.

---

(٣٠٥) من يزيد، ولا: ممن يريد ولا، م، ي. إتحاف السادة المتقين ٨/ ١٥٠.

(٣٠٦) فقام: فقال، م، ي.

(٣٠٧) معنى أَرْبع على ظَلْعِك: ارفق بنفسك فيما تحاول وكن على قدر طاقتك.

(٣٠٨) أعرض: اعترض، م، ي. إتحاف السادة المتقين ٨/ ١٥٠.

(٣٠٩) لعلمه: بعلمه، م، ي.

(٣١٠) إتحاف السادة المتقين ٨/ ١٥٠.

(٣١١) يبينوه: يبينونه، م، ي.

(٣١٢) يكتموه: يكتمونه، م، ي.

(٣١٣) م، ي. سفسفنا فسفسف لنا: رفعت فريق لنا، م، ي. إتحاف السادة المتقين ٨/ ١٥٠ م، ي.

مبحث في مقامات لأهل البيت عليهم السلام

سفيان الثوري قال: لقيت الصادق عليه السلام فقلت: يابن رسول الله أوصني، فقال: يا سفيان لا مروءة لكذاب، ولا أخ لملول، ولا راحة لحسود، ولا سؤدد لسيئ الخلق، فقلت: يابن رسول الله زدني، فقال: يا سفيان ثق بالله تكن مؤمنًا، وارض بما قسم الله تكن غنيًا، وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلمًا، ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره، وشاور في أمرك الذين يخشون الله، فقلت: يابن رسول الله زدني، فقال: يا سفيان(٣١٤) من أراد عزًا بلا عشيرة، وغنى بلا مال، وهيبة بلا سلطان، فلينتقل من ذل معصية الله إلى عز طاعته، فقلت: زدني، فقال: يا سفيان أمرني والدي بثلاث، ونهاني عن ثلاث، فكان فيما قال: يا بني من يصحب صاحب السوء لا يسلم، ومن يدخل مداخل السوء يتهم، ومن لا يملك لسانه يندم، ثم أنشدني:

عود لسانك قول الحق تحظ به ... إن اللسان لما عودت معتادُ
موكل يتقاضى ما سننت له ... في الخير والشر فانظر كيف يعتادُ

عن عمرو بن مقدام قال: وقع الذباب على المنصور فذبه، فعاد فذبه، فعاد حتى أضجره، فدخل الصادق فقال المنصور: لم خلق الله الذباب؟ فقال: ليذل به الجبابرة.

ذكر السيد أبو طالب أن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن كان في مجلس هارون الملقب بالرشيد، فلما قام عثر فسقط، فضحك العباسيون حوله، فالتفت فقال: إنها ضعف صوم لا ضعف سكر.

مبحث في كتب الصالحين

سعيد بن المسيب: كتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى قيصر: «أما بعد ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾».

وعن معاذ قال: كتب إلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما مات لي ابن: «من محمد النبي إلى معاذ بن جبل، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فعظم الله لك الأجر، وألهمك الصبر، ورزقنا وإياك الشكر، ثم إن أنفسنا وأموالنا وأهالينا وأولادنا

(٣١٤) يا سفيان: يابن سفيان، م، ي.

من مواهب الله الهنية، وعواريه المستودعة يمتع[٣١٥] بها إلى أجل[٣١٦] معدود، ويقبضها لوقت معلوم، ثم [فرض] لله علينا الشكر إذا أعطى، والصبر إذا ابتلى، وكان ابنك من مواهب الله الهنية، وعواريه المستودعة، متعك بها في غبطة[٣١٧] وسرور، وقبضَهُ بأجرٍ كثير إن صبرت واحتسبت، فلا تجمعن عليك يا معاذ أن يحبط حزنك آخرتك، فتندم على ما فاتك، فلو قدمت على ثواب مصيبتك عرفت أن المصيبة قد قصرت عنك، واعلم أن الجزع لا يرد شيئًا، ولا يدفع حزنًا، فيُذهب[٣١٨] حزنك ما هو نازل، والسلام»[٣١٩].

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز: كأن الدنيا لم تكن، وكأن الآخرة لم تزل. فكتب إليه عمر: وكأن آخر من كتب عليه الموت قد مات، والسلام.

وكتب الأنطاكي إلى رجل يعزيه: متى ثبت لرجل عقلٌ وعلم[٣٢٠] وهو يفرح بما فتنه وضرّه، ويحزن على ما نفعه وسرّه في العاقبة، وقد تعلم [أن] الرزية في مالك وبدنك وولدك تحبط الذنوب التي استوجبت العقاب، ويصرف عنك الحساب، ويقيك سوء العذاب، ويظهر منك الحزن والبكاء، ويكثر منك الشكوى، ويقل منك الرضى، مع أني خائف أنك كرهت ما ينفعك في العاقبة، وحزنت على ما يسرك في الآخرة، لأنك لا توقن بالعاقبة، ولا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يعدّ البلوى نعماء.

قال: وكتب أخ إلى أخ: أما بعد فإنه لن يعدمك من معروفك عندنا أمران: الأجر من الله، والشكر منا، وخير مواضع المعروف ما جمع الأجر والشكر، والسلام.

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز: إن الهول الأعظم بين يديك، ومقطعات الأمور أمامك ما قطعت فيها شيئًا، ولا بد لك من مشاهدة ذلك، فإما بالنجاة، وإما بالعطف، والسلام.

وكتب بعضهم إلى آخ له: أما بعد فإنك إن استشعرت ذكر الموت بغض إليك كل فان وحُبّب إليك كل باقٍ، والسلام.

---

(٣١٥) يمتع: فمتع، م، ي. المستطرف في كل فن مستظرف ٢/ ٥٨٤.

(٣١٦) إلى أجل: الرجل، م، ي.

(٣١٧) غبطة: غبطك، م، ي. المستطرف في كل فن مستظرف ٢/ ٥٨٤.

(٣١٨) فيُذهب: فليذهب، م، ي.

(٣١٩) المستطرف في كل فن مستظرف ٢/ ٥٨٤.

(٣٢٠) عقلٌ وعلم: عقلًا وعلمًا، م، ي.

وكتب يوسف بن أسباط إلى بعضهم: من كانت الفضائل أحب إليه من ترك الذنوب فهو مخدوع، ومن قرأ القرآن فآثر الدنيا فهو مستهزئ، وإني لخائف أن يكون ما ظهر من أعمالنا أضر علينا من ذنوبنا، فمن كانت الدراهم أكثر في قلبه من الآخرة كان يرجو أن يضيع الله في دينه ودنياه، والسلام.

وكتب أبو خالد الأحمر إلى بعضهم: اعلم أن الصديقين كانوا يستحيون من الله أن يكونوا اليوم على مثل حالهم بالأمس.

وكتب يحيى بن معاذ كتابًا، ثم كتب في آخره: إني لم أطول، فطوِّله بالعمل بما فيه يَطُلْ قصيره وقليله تكن من الراشدين.

وكتب الربيع بن خثيم إلى بعضهم: قدم جهازك، وافرغ من زادك، وكن وصي نفسك، ولا يكن أوصياءك الرجال، والسلام.

وكتب يوسف بن أسباط إلى حذيفة المرعشي: إنه بلغني أنك بعت دينك بحبتين[٣٢١]. فدخلت إليه وقلت له: أي شيء كتبت إلي؟ قال: بلغني أنك اشتريت بسبع[٣٢٢] حبات، فقال لك البائع: خذ أنت بخمس[٣٢٣] حبات فسُرِرْت[٣٢٤] به.

وكتب ثابت البناني إلى عقبة بن وشاح: إن كانت الديار قد نأت فالقلوب قد دنت، فكتب إليه عقبة: إن الدنيا دار فراق ونفاد، وعند الله الميعاد.

وسأل بعضهم بكر بن عبد الله أن يدعو له في مرضه، فكتب إليه: كتبت إلي تسألني أن أدعو لك، ولست أرجو[٣٢٥] أن يستجاب لي بثقة من عمل ولا براءة من ذنب.

وكتب محمد بن واسع إلى عامل: أما بعد، فإن استطعت أن تبيت وأنت نقي الكف من الدم الحرام، نظيف البطن من الطعام الحرام، خفيف الظهر من مال الحرام فافعل، فإنك إن فعلت ذلك لا سبيل عليك، ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى:٤٢]، والسلام.

---

(٣٢١) بحبتين: بحبين، م، ي. إحياء علوم الدين ٢/ ١٨٢.

(٣٢٢) بسبع: سبع، م، ي.

(٣٢٣) خمس: سبع، م، ي.

(٣٢٤) فسُرِرْت: فشرات، م، ي.

(٣٢٥) أرجو: أردو، م، ي.

وكتب عمر إلى أبي موسى: إياك أن يكون مثلك مثل البهيمة، كلما نظرت إلى أرض خضرة رتعت فيها تلتمس في ذلك [السمنة]، وإنما حتفها في سمنها، والسلام[٣٢٦].

وكتب سليمان بن يزيد [بن] المهلب إلى الخليل ليعينه على عمله، فكتب إليه[٣٢٧]:

أبلغ سليمان أني عنه في سعة ... وفي غنى غير أني لست ذا مالِ
سخي بنفسي أني لا أرى أحدًا ... يموت هزلا ولا يبقى على حالِ
أحتال للمال إن أودى فأكسبه[٣٢٨] ... ولست للنفس إن أودت بمحتال

وكتب معاذ وأبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهم: سلام عليك، إنك قد أصبحت وقد وليت أمر هذه الأمة، فجلس بين يديك الشريف والوضيع، والعدو والصديق، ولكل حظه من العدل، فانظر كيف أنت عند ذلك يا عمر، وإنا نحذرك يومًا [تعنو] فيه الوجوه، وتجف[٣٢٩] فيه القلوب، وتقطع فيه الحجة بحجة ملك قهرهم بجبروته، والخلق كلهم مقهورون ينتظرون رحمته، ويخافون عذابه[٣٣٠].

وكتب عمر إلى سلمان يوبخه لضعفه في عمله بالمدائن، فأجابه: أما بعد فإن التذلل في طاعة الله أحب إلي من التعزز في معصية الله، وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يتألف الناس ويتقرب منهم في نبوته وسلطانه حتى كأنه [بعضهم]، وكان يلبس الخشن، ويأكل الخشن[٣٣١]، وكان [الناس] عنده سواء في الدين، وأشهد لقد سمعته يقول: «من ولي سبعة من المسلمين بعدي ثم لم يعدل بينهم لقي الله وهو عليه غضبان»[٣٣٢].

وكتب عمر إلى ابنه: أوصيك بتقوى الله، فإنه من اتقاه وقاه، ومن أقرضه جزاه، ومن شكره زاده، اجعل التقوى نصب عينيك، وجلاء قلبك، واعلم أنه لا عمل لمن لا نية له، ولا أجر لمن لا حسنة له، ولا مال لمن لا دين له، ولا جديد لمن لا خَلَقَ له، والسلام.

(٣٢٦) مصنف ابن أبي شيبة ٧/ ٩٤.
(٣٢٧) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٧/ ٢٨٠.
(٣٢٨) فأكسبه: أحسنه، م، ي.
(٣٢٩) تجف: تج، م، ي. جمع الجوامع للسيوطي ١٥/ ٤٧٨.
(٣٣٠) جمع الجوامع للسيوطي ١٥/ ٤٧٨.
(٣٣١) الخشن: الحشب، م، ي.
(٣٣٢) بحار الأنوار ٢٢/ ٢٦١.

رسالة أبي الدرداء إلى سلمان: أما بعد فاستشعر التقوى واتخذها شفيعًا على تهمة نفسك، وقابل الخطايا بأدب، وداو الذنوب بالاستغفار، وإنما يُحتاج إلى الطبيب عند المرض، وإلى الدواء عند الداء، ولا داء أكثر من الذنوب، ولا خوف أشد من الموت، وكفى بمن قبلك[٣٣٣] تفكرًا، وكفى بالموت واعظًا لمن عقل، والسلام.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عروة بن محمد: أصلح لله سريرتك يصلح الله لك علانيتك، واشغل نفسك لله بطاعته يفرغك الله لأسباب رزقه، واعلم أنك لا تنال درجة من الدنيا إلا بنقص حظك من الآخرة على قدرها، والله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيما، فإنه بلغني أن قبلك قومًا يطنبون في الثناء[٣٣٤] على الأمراء في حلق الذكر، فمرهم فليكن إطنابهم[٣٣٥] ذلك في الثناء على الله تعالى، والشكر له، والسلام.

وكتب إلى عامل له: أما بعد فالزم الحق ينزلك[٣٣٦] الحق منازل أهل الحق يوم لا يقضى بين الناس إلا بالحق وهم لا يظلمون.

وكتب إلى عامل له: فلتجف يدك من دماء المسلمين، وبطنك من أموالهم، ولسانك من أعراضهم، فإذا فعلت ذلك فلا سبيل عليك ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى:٤٢].

وكتب عامله على المدينة إليه: إن المدينة تحتاج إلى مؤنة، فكتب إليه: أما بعد فإذا أتاك كتابي هذا فحصنها بالعدل، ونظف طرقها من الظلم، والسلام.

وكتب إلى عدي بن أرطأة: أما بعد، فما بقاء هذا الإنسان مع جور من السلطان، ونزغ من الشيطان، واعلم أنه ليس من شيء أعون للمسلم على دينه من إعطاء حقه، والسلام.

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز: عافاك الله ورحمك ووفقك، أمرتني أن أكتب إليك من المواعظ، وكل شيء أيقنت به من الآخرة عن الذنوب زاجر، أنت مطلوب فبادر من يطلبك قبل أن يدركك، فلا تنم وأنت مطلوب، ولا تَلْهُ وأنت مغلوب، فالذي يطلبك يقدر على بياتك وعلى أخذك في ليلك ونهارك، أنت في منزل الظاعن، نزلت اليوم وغدًا ترحل منه، لو خفت

(٣٣٣) قبلك: قلبك، م، ي.

(٣٣٤) الثناء: البناء، م، ي.

(٣٣٥) إطنابهم: إطنابُهم، م، ي.

(٣٣٦) ينزلك: ينزل لك، م، ي. بهجة المجالس ١/ ١٢٨.

الوعيد لقرب منك البعيد، والهرب في الدنيا عما تريد، ولا تغتنم الراحة لنفسك، فإنما الراحة في تعبها، ولا تغتنم(٣٣٧) الري لها(٣٣٨) فإن ريها في ظمئها، ولا تضحك فإن الضحك غدًا في بكائها، ولا تفرح فإن الفرح غدًا في حزنها، ولا توقن(٣٣٩) باليوم أن يكون يومك، ولا تأمن غدًا أن يكون لغيرك، ولا تطيعن النفس فيما نهيت عنه، ولا تدعها بترك ما أمرت به، فإنما الخير(٣٤٠) عادة والشر لجاجة(٣٤١)، والزم الصدق وإن خفت ضره فإنه خير من الكذب [الذى] يرجى نفعه، والصدق له أصل وفرع يؤكل من ثماره، ويؤخذ من حلاوة طعمه، والكذب عقيم(٣٤٢) لا أصل له ولا طعم فاحذره، والسلام.

وكتب إليه: اتق الله يا عمر فإذا كان الله معك فمن تخاف وإن كان عليك فمن ترجوا، والسلام.

وكتب إلى أخٍ له: عليك بتقوى الله، فإنها أكرم سريرة، وأفضل ذخيرة، وخير الأمور عاقبة، فالزمها في علانيتك وسريرتك تغتبط يوم تبلى أخبارك في يوم افتقارك واضطرابك(٣٤٣)، إلى متى ترجي(٣٤٤) البر من أعمالك؟ واعلم أن لك يومًا(٣٤٥) يمر بك ويومًا يمر عليك، وهما يومان ليس ينبغي أن تقر عينك(٣٤٦) بشيء حتى تعلم بأنك [رابح] فيهما: يوم موتك وحسرتك، وحشرك وعرضك على ربك، واذكر يا أخي(٣٤٧) المصادر والورود أوحي إلى نبيك(٣٤٨) أنك من أهل الورود ولم يخبرك أنك من أهل الصدور والخروج(٣٤٩)، وإياك أن تغرك الدنيا، فإنها دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع مَن [لا] عقل له، يا أخي أصبحت الدنيا تخدع

(٣٣٧) تغتنم: تعم، م، ي.
(٣٣٨) لها: له، م، ي.
(٣٣٩) توقن: تيقن، م، ي.
(٣٤٠) الخير: الحيرة، م، ي. صحيح ابن حبان ٢/ ٨.
(٣٤١) والشر لجاجة: الشر بحاجة، م، ي. صحيح ابن حبان ٢/ ٨.
(٣٤٢) عقيم: عيمًا، م، ي.
(٣٤٣) اضطرابك: اضطرارك، م، ي.
(٣٤٤) ترجي: أقبل، م، ي.
(٣٤٥) يومًا: يوم، م، ي.
(٣٤٦) عينك: أعيننا، م، ي.
(٣٤٧) يا أخي: ربحك على، م، ي. الزهد لابن أبي الدنيا ص٩٦.
(٣٤٨) أوحي إلى نبيك: وقد أخبرك، م، ي. الزهد لابن أبي الدنيا ص٩٦.
(٣٤٩) الخروج: الخروك، م، ي. الزهد لابن أبي الدنيا ص٩٦.

بخداعها، وتتزين بغرورها، وتخلو بأهلها، فما أسرع ما يتضح أمرها للمخدوع، ويستبين حالها للمغرور، ويحك إن حلالها حساب، وحرامها عقاب، مزج ربي حلالها بالموت، ومزج حلالها بالتبعات، وملأها باللذات، وحشاها بالآفات، فأشغلنا قليل لذاتها عن كثير آفاتها، فتعجلنا الأمان لها، والإبراح فيها قبل الاقتدار عليها، فلما قدرنا سكرنا، فويل للغني وويل للفقير، أما الغني فسكران لا يعقل، وأما الفقير فملهو لا يصر ولا يفرح، مات قلب الغني بالاقتدار، ومات قلب الفقير بالإقتار، خلصنا الله وإياك من شر هذه الدار، ورزقنا وإياك الاعتبار[٣٥٠].

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن يأمره أن يصف له الدنيا ويذمها، فكتب إليه: أما بعد، فإن الله جعل الدنيا طريق مخافة، ولم يجعلها دار إقامة، وإنما أهبط آدم إليها ابتلاء، يحسب من لا يدري ثواب الله أنها ثواب، ويحسب من لا يدري عقاب الله أنها عقاب، ليست والله صرعتها كالصرعة، تهين من أكرمها، وتفقر من أنعمها، هي كالسم يأكله من لا يعرفه لحينه وإنما حتفه فيه، فكن فيها يا أمير المؤمنين كالمداوي جرحه، صبر على ألم الدواء مخافة طول البلاء، وأهل الفضائل فيها ملتبسهم فيها الاقتصاد، ومشيهم[٣٥١] بالتواضع، وأكلهم الطيب من الرزق، سعوا لله بالطاعة فمضوا غاضِّين أبصارهم عن المعصية، وأقفلوا[٣٥٢] سماعهم على العلم، نشبت قلوبهم بالخوف فتحروا بالورع عن المعاصي، خوفهم في البر كخوفهم في البحر، وخوفهم في البحر كخوفهم في البر، لولا الآجال التي كتب الله عز وجل عليهم ما بقيت أرواحهم في أجسادهم، عظم الخالق في أنفسهم، وصغر المخلوق في أعينهم، والسلام.

وكتب إليه: اتق الله يا عمر فإذا كان الله معك فمن تخاف وإن كان عليك فمن ترجو؟ والسلام.[٣٥٣]

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى ابنه لما بلغه أنه اشترى فصًا بألف وثلاثمائة درهم ونقش عليه العزيز: بلغني عنك كذا وكذا، فعزمت عليك إذا أتاك كتابي هذا إلا بعته بألف وثلاثمائة درهم فوضعته في بطن ألف وثلاثمائة جائع، واتخذت خاتمًا من ورق، ونقشت عليه: رحم الله امرءًا عرف قدره.

---

(٣٥٠) شعب الإيمان للبيهقي ١٣/ ١٨٤.

(٣٥١) مشيهم: سنتهم، م، ي.

(٣٥٢) أقفلوا: أقفال، م، ي.

(٣٥٣) وكتب إليه...والسلام: -، ي.

وكتب عمران حطان إلى روح بن زنباع وكان مستترًا عنده فعلم عبد الملك فأمره بأن يحضره مجلسه، فهرب وكتب إليه - ذكره المبرد في الكامل -[٣٥٤]: أما بعد فإنك في دار تعب[٣٥٥] وزوال، وتغير وانتقال، وتصرم واضمحلال، وتنقل من حال إلى حال، قد تزخرفت بزينتها، وطرحت بزتها[٣٥٦]، وخدعت بآمالها، وغررت بأعوانها[٣٥٧]، وتشوقت لخطابها، وتزينت لطلابها، وتبرجت لأحبابها، فصارت كالعروس المجلية الفتانة البهية، فالقلوب عليها والهة، والعيون إليها شاخصة، والنفوس لها عاشقة، وهي لأزواجها قاتلة، فلا الباقي بالماضي معتبر، ولا الآخر بالأول منزجر، ولا الجاهل بالعاقل مزدجر، كل في لجة بحرها غريق، وكل في حبلها وثيق، وكل في سرحها راتع، وكل لها ذليل خاضع، إلا من زهد في شهواتها، ورغب عن لذاتها، ورضي منها بما يكفيه، وترك ما يلهيه، ودافع فيها الأيام، وتجنب الآثام، ورضي منها باليسير، ولم يرغب في الكثير، قنع فاستغنى، ورفض الشهوات فصار حرًا، وخلع الدنيا فنجا، ورجا منها ما رجا، فهو في طول نهاره صائم، وفي ليله قائم، وقد نحل من العبادة، وشمر في طلب الشهادة، أما الليل فجاثٍ على ركبتيه يتضرع إلى الله تعالى في فكاك رقبته، وأما النهار فمقبلٌ على شأنه، فكرته في الحساب، ورغبته في الثواب، فهو إذا فرح الناس محزون، وإذا ضحك الناس مشجون، الخوف شعاره، والهم دثاره، والمسجد منزله، والفكر مجلسه، والحياء رفيقه، والصلاة همته، والمعروف فرصته، والعقل وزيره، والعلم قائده[٣٥٨]، والموت نصب عينيه، والموقف متمثل بين يديه، طوبى له غدًا من سعيد منعم، وطوبى له غدًا من محبوب مكرم، قد رضي الثواب، وأمن العقاب، وعانق الشكلات[٣٥٩] الأبكار، في جنات وأنهار، وظلال وأشجار، لا يخاف زوال نعيمها، ولا يظعن عنها، قد توج بتاج الكرامة، وسكن في دار الإقامة، فحتى متى لا تفكر في معاد؟ ولا تحرص على رشاد، تعيش عيش البهائم، نهارك هائم، وليلك نائم، غايتك الدرهم والدينار، وسعيك في اكتساب الأوزار، تعمل عمل المخلدين، وتقيم إقامة الآمنين، وتجمع جمع الوارثين، وتهاون بأمر رب العالمين، فما أجرأك على نفسك يا مسكين، إذ نهاك خالقك عن المعاصي فتهاونت، أما تخاف أن يكون

(٣٥٤) لم ترد هذه القصة في الكامل للمبرد حسب المطبوع.

(٣٥٥) تعب: تغلب، ي.

(٣٥٦) طرحت بزتها: طوحت بزيها، ي.

(٣٥٧) غررت بأعوانها: عرضت بأعوالها، ي.

(٣٥٨) قائده: قايدته، ي.

(٣٥٩) الشَّكِلاتُ: المتحبِّبات إلى أزواجهن. تاج العروس (عرب).

الجليل جل ثناؤه إنما أطال في العاجل نعمتك ليعظم في الآجل نقمتك، فتوقع حلول الموت بعرصتك، واستعد له أهبتك، وهيئ زادك لسفرك، فكأنك عاينت الأهوال وقد وضح لك الطريق وأنت تحيد عن الجادة إلى المضيق، قد مضت الأيام، وانقضت الأعوام، وأحصيت الآثار(٣٦٠)، وفنيت الأعمار، وكثرت الأوزار، وعن قليل تدعى فتجيب، فعجبًا لقلبك كيف لا يتصدع، وعجبًا لجسمك كيف لا يتزعزع، وعجبًا لركنك كيف لا يتضعضع، وعجبًا لك كيف تجمع لدار الغرور، وكيف تنسى أهوال القبور، فكأنما قد عاينت ما غاب عنك، وكأني بك(٣٦١) قد أسلمك أهلك(٣٦٢) وولدك، وكأني بك قد أفردت في حفرتك، فصارت نفسك مرهونة لما تقدم من جريرتك، فيا لك من يوم تتصدع فيه الأمور المستورة، ويحمل جسدك إلى القبور المهجورة، قد صرت في برزخ الأموات إلى يوم الميقات، فهيهات فهيهات، ما أبعد ما فات، وما أقرب ما هو آت، وما أغفل الأحياء عما حل بالأموات، وكأني بك في سكرات الموت متورط، وفي غمراته متشحط، فد تغير حالك، واضطربت أوصالك، فاحذر الدنيا، فإن نعيمها بائد، وحتفها راصد، وسهمها قاصد، وسيفها قاطع، ولهبها ساطع، وأموالها مقسومة، وعواقب أمورها مذمومة، وصاحبها مرغوم، وحريصها محروم، والجامع لها جاهل، والمائل إليها زائل، فيا رضيع الدنيا قد آن فطامه، ويا طالب الدنيا قد حان حمامه، ألدنيا خُلقتَ؟ أم بجمعها أُمرت؟ يا مطلوب، أما علمت أنك على سرير المنايا غدًا محمول، وأنك إلى دار البلى عن قليل منقول، وبعد ذلك مسؤول، فإما أن تفوز فتنجو، وإما أن تعلق بجريرتك فتخسر. فانظر يا مغرور فاحذر، فكم تركن إلى الدنيا. أليس(٣٦٣) من عاش لا بد يومًا [من] سفر؟ فاحذر الصرعة عند الدعة، وألا تجد لما نزل بك مانعًا ولا دافعًا في سكرة الموت وغمرته وغصصه، قد غمرك الجزع، ونَفَسُك في الصدر يعتلج(٣٦٤)، فيا لَكِ مِنْ منية لا تقلع، ويا لَكَ من مسافر لا يرجع، ويا لك مِنْ مسلك وعر، ويا لك من أمر عسر، ويا لك من شغل شاغل، ويا لك من مصرع قاتل، ويا لك من عين مغموضة، ويا لك من نفس مقبوضة، فالمبادرة قبل جهد السباق، ومفارقة الأصحاب، ومباينة الأحباب، ومن قبل تجرع سكرات الموت وغمراته، نسأل الله العصمة، وتوفيقًا لطاعته.

(٣٦٠) الآثار: الأيام، ي. مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم الرسي ٢/ ٣٣٩.

(٣٦١) كأني بك: كأنك، ي.

(٣٦٢) أهلك: أهل، ي.

(٣٦٣) أليس: ليس، ي.

(٣٦٤) عظيم الخالق في أنفسهم م، ي... يعتلج: -، م.

فلما بلغ الكتاب إلى روح بن زنباع قرأه وبكى، ثم قرأ عبد الملك فقال: ما سمعت كلامًا أجزل منه، ثم أمر فدون فما زال يقرأه حتى حفظه.

وكتب أيوب المتكلم إلى محمد بن الجراح: أما بعد أوصيك بتقوى الله العظيم فإن فيه الحظ لنفسك، والدرك لحظك، وإن الله تعالى جعل التقوى إلى كل خير سببًا، ومن كل سوء مهربًا، أعاننا الله وإياك عليها، وأوجب لنا ولك ثوابها، كتبت إليك وبنا من نعم الله ما لا نحصيه مع كثرة ما نعصيه، فما أدري ما أشكر، أجميل ستره، أم حسن أثره، أم تتابع نعمائه، أم عظيم دفاعه، وقد خفت يا أخي مع السترِ العورةَ، ومن ثناء الناس الفتنة، فأخاف أن أكون بالستر مغرورًا، وبثناء الناس مفتونًا، وبالإحسان مخدوعًا، أعاذنا الله وإياك من الفتنة المستورة، ومن الغرة بالسرور، واعلم أن العاقل من اكتفى بقوت يومه، وبادر في طلب الآخرة قبل موته، يا أخي من استغنى بالله اكتفى، ومن انقطع إلى غيره يعمى، ومن كان من[٣٦٥] [قليل] الدنيا لا يشبع لم ينفعه كثير ما يجمع، فاكتف فيها بالكفاف، وألزم نفسك العفاف، وإياك وجمع[٣٦٦] الفضول فإن حسابه غدًا يطول[٣٦٧].

ومنها: نسأل الله أن يبصرنا وإياكم عيوب الدنيا حتى لا يُؤثر في طاعة ربنا، ونسأله أن يمن علينا وعليكم بأداء شكره.

ومنها: وإن أعظم نعمة علينا الإسلام، فنسأله التوفيق لندوم عليه حتى نلقاه ونحن متمسكون بعراه، يا أخي كأن أيامنا قد انقطعت، وآجالنا قد احتضرت، ولعمري لو هتف هاتف بأهل القبور: هل وجدتم ما وعد ربكم حقا وما الذي وجدتم[٣٦٨] في مضاجعكم؟ لقالوا: وجدنا التقوى[٣٦٩] عونًا من وحشة القبور.

وكتب الأوزاعي إلى رجاء بن أبي مسلم: أما بعد، فإنه لم يكن شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك، وهو صائر إلى أهل بعدك، وليس لك منه إلا ما مهدت لنفسك[٣٧٠]، فلا تؤثر عليها أحدًا من بعدك، فإنما تجمع لأحد رجلين: رجل أنفق ما جمعت له في معصية الله

(٣٦٥) من: في، م، ي.

(٣٦٦) جمع: جميع، م، ي.

(٣٦٧) الزهد الكبير للبيهقي ص١١٥. أدب الدنيا والدين ص٢١٨.

(٣٦٨) وجدتم: أحدى عنكم، م، ي.

(٣٦٩) التقوى: التوقي، م، ي.

(٣٧٠) مهدت لنفسك: شهدت بنفسك، م، ي.

فشقي(٣٧١) به، ورجل عمل بطاعة الله فسعد به، وليس واحد منهما بحقيق أن تؤثره على نفسك وتحمله(٣٧٢) على ظهرك، والسلام.

وكتب سفيان الثوري إلى حسان بن إبراهيم: أوصيك بتقوى الله فإنك إن اتقيت الله كفاك الناس، فإن اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئًا، وإياك والأمراء أن تدنو منهم، واحذر على دينك، واذكر الموت وليكن من بالك، واحذر الناس وأقلل مخالطتهم، فقد بلغني عن سعيد بن المسيب أنه كان يقول: العزلة عبادة، واعلم أن قراء زمانك ليسوا(٣٧٣) بالقراء فلا تغتر بهم، وليكن همك(٣٧٤) لنفسك، وأقبل على عبادة ربك، وتفقَّد بيتك، فقد بلغني عن بعض الصالحين أنه قال: رحم الله عبدًا وقف عند همه، فإن كان [لله] مضى، وإن كان لغيره(٣٧٥) أمسك، وقد أدركنا زمانًا كان فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورضي عنهم يتعوذون من شره، ويخشونه، وعندهم من العلم ما ليس عندنا، وكان القراء يكتب بعضهم إلى بعض: من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته، [ومن أصلح ما بينه] وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس.

وكتب ابن السماك إلى بعضهم وسأله عن الدنيا: إن الله تعالى حفّها بالشهوات، ثم ملأها بالآفات، مزج حلالها بالحسنات، وحرامها بالتبعات، حلالها حساب، وحرامها عقاب.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عون بن عبد الله يعزيه عن ابن: أما بعد فإنا قوم من أهل الآخرة سكان الدنيا، آباء أموات، وأبناء أموات، وإخوان أموات، فكيف يعزي ميت ميتًا لميت. والسلام.

وكتب أبو العتاهية إلى سلم بن عمرو:

نعى نفسي إليَّ من(٣٧٦) الليالي ... تصرفُهن حالًا بعد حالِ
فما لي(٣٧٧) لستُ مشغولًا بنفسي ... ومالي(٣٧٨) لا أخاف الموت ما لي؟

---

(٣٧١) شقي: يشقى، م، ي.
(٣٧٢) تحمله: ماله على، م، ي.
(٣٧٣) ليسوا: ليس، م، ي.
(٣٧٤) همك: هنك، م، ي.
(٣٧٥) لغيره: عليه، م، ي.
(٣٧٦) من: مر، م، ي.
(٣٧٧) فما لي: أما لي، م، ي.
(٣٧٨) ومالي: أما لي، م، ي.

لقد أيقنتُ أني غيرُ باقٍ ولكني أراني لا أبالي
تعالى الله يا سلم ابن عمرٍ أذلَّ الحرصُ أعناق الرجالِ
هب الدنيا تساق إليك عفوًا أليس مصير ذاك إلى زوال
فما ترجو بشيء ليس يبقى وشيكًا ما تغيره الليالي

فكتب إليه سلم يجيبه:

ما أقبح التزهيد من واعظ يزهّد الناس ولا يزهدُ
لو كان في تزهيده صادقًا أمسى وأضحى بيتَه المسجدُ
[إن] يرفض الدنيا فما باله يجمع من مال ويسترفدُ
يخاف أن تنفد أرزاقه والرزق عند الله لا ينفدُ
الرزق مقسوم على ما ترى يسعى له الأبيض والأسودُ

ذكر الأنطاكي أن بعض الصالحين كتب إلى أخ له: أما بعد، فإن الله تعالى لم يرفع المتواضعين بقدر تواضعهم، ولكن رفعهم بقدر عظمته، ولم يؤمِّن الخائفين بقدر خوفهم، ولكن أمَّنهم بقدر كرمه وجوده، ولم يُفرح المحزونين بقدر حزنهم، ولكن بقدر رأفته ورحمته، ما ظنك بأرحم الراحمين الذي يتودد إلى من يعاديه فكيف بمن يواليه(٣٧٩)، والسلام.

وكتب بعضهم إلى آخر وقد استوصفه الدنيا: الدنيا حلم، والآخرة يقظة، والمتوسط بينهم الموت، ونحن في أضغاث الأحلام، والسلام.

وكتب أحمد بن حرب إلى بعض إخوانه: اعلم يا أخي أنك في دار المرضى، وأهل البلوى، وأهل المجون، وأهل القبور، وأهل النشور، وأهل الجنان، وأهل النيران، فاغتنم يومك وبقية عمرك، فمن أحب شيئًا طلبه، ومن طلبه وجده، ومن خاف شيئًا هرب منه، ومن أراد سفرًا اهتم له، ومن أحب اللحوق بقوم اقتدى بفعالهم، وسلك سبيلهم، ومن فضل(٣٨٠) قومًا بالعلم يحق أن يفضلهم بالعمل، فليكن الغالب من همومك هم المعاد، والتزود له، والغالب من كلامك ذكر الموت، والاستعداد له، فهو أشد شيء نزل بك قط، وأهون شيء فيما بعده، ويقال: إن بعد الموت سبعين هولًا أشد من الموت، ولا بد من مشاهدة ذلك، والسلام(٣٨١).

---

(٣٧٩) يواليه: يعادي، م، ي.

(٣٨٠) فضل: وصل، م، ي. معترك الأقران ٣/ ١٢٠.

(٣٨١) معترك الاقران ٣/ ١٢٠.

وكتب بلال بن سعد إلى بعضهم: رأيت لنفسي ولك أن نشتغل بذكر أربع خلال لا بد من المصير إليهن: خلتان في الدنيا، وخلتان في الآخرة، فأما التي في الدنيا: فمعاينة ملك الموت ساعة يقصد إليك ويشغلك عن همومك، لا ينفعك مال ولا ولد، والأخرى دخولك القبر ملفوفًا[٣٨٢] في أكفانك، والحالة الثالثة[٣٨٣]: هي الورود على ربك والمقام بين يديه، عريان ظمآن، وقد[٣٨٤] أخرج لك كتابًا منشورًا جمع فيها ما عملت، وأحصى ما نسيت، والخلة الرابعة منصرفك من عند الله. فإن لم تنبهك ذكر هذه الخصال من سِنَتِك، ولم توقظك من غفلتك فهيهات لا مطمع لي فيك، والسلام.

وكتب بعضهم إلى تائب متعبد: إن كنت تصدقت بما مضى من عمرك على الدنيا ولذاتها. فتصدق بما بقي على الآخرة ونعيمها وحياتها، والسلام.

وكتب غيلان الدمشقي إلى أخ يعزيه بابن له: أما بعد، فإن الله تعالى وهب لك موهبة عليك نفقته ومؤونته، وكنت تخشى فتنته، فاشتد لذلك فرحك، فلما قبض الله موهبته، وكفاك مؤونته ونفقته، اشتد لذلك حزنك، أقسم بالله إن كنت تقيًا لعزيت على ما هنئت عليه ولهنئت على ما عزيت عليه، فإذا قرأت كتابي[٣٨٥] هذا فاصبر نفسك على الأمر الذي لا غنى بك عن ثوابه. واعلم أن كل[٣٨٦] مصيبة وإن عظمت لم يُذهب فرحُ[٣٨٧] ثوابها حُزْنَها فذلك الحزنُ الدائم. والسلام.

من كتب أمير المؤمنين عليه السلام

كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر: أوصيك بتقوى الله وبسبع خصال هي جوامع الإسلام: [أن] تخشى الله في الناس ولا تخشى الناس في الله، وإن خير القول ما صدقه الفعل، ولا تقض في أمر واحد بقضاءين فيختلف عليك أمرك وتزلّ[٣٨٨] عن الحق. وأحبب لعامة الناس ما تحب لنفسك وأهل بيتك، واكره لهم ما تكره لنفسك وأهل بيتك.

---

(٣٨٢) ملفوفًا: ملفوف، م، ي.

(٣٨٣) الثالثة: الثانية، م، ي.

(٣٨٤) قد: من، م، ي.

(٣٨٥) كتابي: كتاب، م، ي.

(٣٨٦) أن كل: أيما، م، ي.

(٣٨٧) فرحُ: فرج، م، ي.

(٣٨٨) تزلّ: ترد، م، ي.

والزم الأمر ذا الحجة عند الله، وأصلح لرعيتك، وخض الغمرات إلى الحق ولا تخف في الله لومة لائم، وانصح المرء إذا استشارك، واجعل نفسك أسوة(٣٨٩) لقريب المسلمين وبعيدهم، وأمر بالمعروف، وانهَ عن المنكر، واصبر على ما أصابك، إن ذلك من عزم الأمور.

وروي عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: قلت: يا رسول الله علمني الزهد، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يا علي، مثّل الآخرة في قلبك والموت بين عينيك، ولا تنس موقفك بين يدي الله، وكن من الله على وجَلٍ، أدِّ فرائضه، واكفف عن محارمه، ونابذ هواك، واعتزل الشك والشبهة، والحرص والطمع، واستعمل التواضع والنصفة، وحسن الخلق، ولين الكلام، واخضع لقبول الحق من حيث ورد عليك، واجتنب الكبر والبخل والرياء ومشية الخيلاء، ولا تستصغر نعم الله وجازها بالشكر، واحمد الله على كل حال، وانصف من ظلمك، وصِلْ مَنْ قطعك، وأعطِ مَنْ حرمك، وأحسن إلى من أساء إليك، وليكن صمتك تفكرًا، وكلامك تذكرًا، ونظرك اعتبارًا، وتحبب ما استطعت، وباشر بالحسنى، واصبر على المنازلة، واستهن بالمصيبة، وأطل [الفكر] في المعاد، واجعل شوقك(٣٩٠) إلى الجنة، واستعذ بالله من النار، وأمر بالمعروف، وانه عن المنكر، ولا تأخذك في الله لومة لائم، وخذ من الحلال كما(٣٩١) شئت إذا أمكنك، وجانب الشح والمنع والسرف، واعتصم بالإخلاص والتوكل، ودع الظن، وابنِ على أساس اليقين، وميز ما اشتبه عليك بعقلك، فإنه حجة الله عليك وبرهانه عندك، ووديعته في قلبك، فذلك أعلام الزهد ومناهجه، والعاقبة للمتقين، والنار للمجرمين، قد خاب من افترى [ولا يظلم] ربك أحدا»(٣٩٢).

(٣٨٩) نفسك أسوة: لنفسك ما، م، ي.

(٣٩٠) اجعل شوقك: احمل سبوقك، م، ي.

(٣٩١) كما: كم ما، م، ي.

(٣٩٢) جواهر المطالب في مناقب الإمام علي ٢/ ١٤٨.

باب الأخلاق ومعالي الأمور

فصل في الصبر

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾ [آل عمران:٢٠٠]، وقال: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ﴾ [البقرة:١٧٧]، وقال: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل:١٢٧]، وقال: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ [الشورى:٤٣]، وقال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠] ونظائرها من الآيات.

قال النبي عليه السلام: «الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله»، رواه ابن مسعود.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «العلم خليل المؤمن، والحلم وزيره، والعقل دليله، والعمل قائده، والرفق[1] والده، والبر أخوه، والصبر أمير جنوده».

أبو الدرداء وقال: من يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد من عطاء خيرًا وأوسع من الصبر.

عمر رضي الله عنه: وجدنا خير معيشتنا في الصبر، وجميع خير المؤمن في صبر ساعة.

عمر بن عبد العزيز: الصبر معول المؤمن.

يحيى بن أبي كثير: الصبر ضياء كله.

الحسن: الصبر صبران: صبر عند المصيبة، وصبر عما نهاك الله عنه وهو أفضل، والذكر ذكران: ذكر باللسان، وذكر عند ما أمرك الله به وهو أفضل.

عمر: لو كان الصبر والشكر بعيرين لم أُبال أيهما ركبتُ.

وكان ابن شبرمة إذا نزل به بلاء[2] يقول: سحابة ثم[3] تنقشع.

---

(١) الرفق: الرفيق، م، ي. شعب الإيمان ٦/ ٣٦٦.

(٢) نزل به بلاء: نزلت به آية، م، ي. عدة الصابرين ص٧٧.

(٣) ثم: لم، م، ي. عدة الصابرين ص٧٧.

شعر:

اصبر لدهر نال منـ ـك فهكذا مضت الدهور
فرحًا وحزنًا تارة لا الحزن دام ولا السرور

آخر[٤]:

إن الأمور إذا اشتدت مسالكها فالصبر يفتح[٥] منها كل ما ارتجا
لا تيأسن وإن طالت مطالبه إذا استعنت بصبرٍ أن ترى فرجا

آخر[٦]:

الصبر مفتاح ما يُرجّى[٧] وكل صعب[٨] به يهون
فاصبر وإن طالت الليالي فربما أمكن[٩] الحزون

وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله علي وسلم: «لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله، إنه يُشْرَك به ويُجعل له ولدٌ، ثم هو يعافيهم ويرزقهم ويدفع عنهم».

وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الآية ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة:١٠٥]، قال: «بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحًا مطاعًا، وهوًى متّبعًا[١٠]، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كلّ ذي رأي برأيه، فعليك نفسك، ودع أمر العوام، فإن من ورائكم أيام الصبرِ، الصبرُ فيهن مثل قَبْضٍ[١١] على جمر، [للعامل] فيهن أجر خمسين رجلًا يعملون مثل عمله».[١٢]

أبو الدرداء: ذروة الإيمان أربع: الصبر للحُكم، والرضا بالقضاء، والإخلاص للتوكل، والاستسلام للرب[١٣].

---

(٤) المستطرف في كل فنٌ مستظرف ص٣١٥.
(٥) يفتح: يفتق، م، ي. المستطرف في كل فنٌ مستظرف ص٣١٥.
(٦) غرر الخصائص الواضحة وغرر النقائص الفاضحة ص٤٤٢.
(٧) مفتاح ما يُرجى: مصباح من ترجى، م، ي.
(٨) صعب: شيء، م، ي.
(٩) أمكن: هون، م، ي.
(١٠) هوًى متّبعًا: هو متبع، م، ي.
(١١) قَبْضٍ: وقع، م، ي.
(١٢) سنن ابن ماجة ٢/ ١٣٣٠.
(١٣) للرب: للموت، م، ي.، انظر: منها شعب الإيمان ١/ ٣٧٨.

علي عليه السلام: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد.

أبو ذر قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أبا ذر كيف تصنع عند ولاة من بعدي يستأثرون بهذا الفيء»؟ قلت: إذًا والذي بعثك بالحق أضع سيفي على عاتقي ثم أضرب به حتى ألقاك. قال: «أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك»؟ قلت: نعم. قال: «اصبر حتى تلقاني».

شعر [لأبي العباس] النامي[١٤] قاله لبعض الأمراء:

سأصبر إن جفوت فكم صبرنا ... لمثلك من أمير أو وزير
فلما لم ننل منهم سرورًا ... رأينا فيهم كل السرور
فبتنا بالسلامة وهي غنمٌ ... وباتوا بالمحابس والقبور

آخر[١٥]:

يا نفسُ صبرًا وإلا فاهلكي كَمَدًا ... إن الزمان على ما تكرهين بُنِي
لا تحسبي نعمًا سرَّتك صحْبتُها ... إلا مفاتيح أبوابٍ من الحَزَن
أشكو إلى الله أحداثًا من الزمن ... يُبْرينني مثل بري القدح في السفن[١٦]
لم يبق في العيش لي إلا مرارته ... إذا تذوقته والحلو منه فَنِي

فصل في النصيحة

قال الله تعالى: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٢] ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف:٧٩].

وروى ابن مسعود أن رجلًا قال: يا رسول الله إن الله قد بارك في جميع المسلمين بك فخصني بخير. قال: «هل أنت مستوص بما أوصيك»؟ قال: نعم. قال: «إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته، فإن كان رشدًا فأمضه، وإن كان غيًّا فَانْتَهِ».

(١٤) النامي: لليامي،ي؛الشافعي،م م، ي.
(١٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣/ ٣٤٣.
(١٦) السفن: السكن، م، ي. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣/ ٣٤٣.

أبو هريرة وابن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الدين النصيحة، الدين النصيحة»، فقال: يا رسول الله لمن؟ قال: «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين».

وقال عليه السلام: «من أتى لله بخمس دخل الجنة: النصح لله، والنصح لكتاب الله، والنصح لرسول الله، والنصح لجماعة المسلمين، والنصح لولاة الأمر».

أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا إن الدين النصيحة، ألا من لم ينصح فقد غش، ألا مَنْ غَشَّ فليس منا، ألا من صحب ضالًا لم يسلم حتى يبتلى بنفسه أو بدينه ويرى عقوبة ذلك في عياله، ألا من مدح فاسقًا ذهب ماء وجهه، ألا من فعل شيئًا فعل به، ألا من جمع مالًا من حرام فتصدق به لم يؤجر وهو مأخوذ به»، ذكره أبو يحيى البزاز.

جرير بن عبد الله قال: «بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيدي فاشترط علي النصح لكل مسلم».

وروي: أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت: أبايعك على الإسلام، فقبض يديه وقال: «النصح لكل مسلم، وإنه من لا يرحم الناس لا يرحمه الله».

أبو أمامة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «قال الله تعالى: أحب ما تعبد به عندي النصح».

أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا أخبركم عن أقوام ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم[١٧] يوم القيامة الأنبياء والشهداء بمنازلهم من الله على منابر من نور، يُعرفون». قالوا: ومن هم؟ قال: «الذين يحببون عباد الله إلى الله، ويحببون الله إلى عباده، ويمشون في الأرض نصحًا»، قلنا: هذا يحبب الله[١٨] إلى عباده، فكيف يحببون عباد الله إلى الله؟ قال: «يأمرونهم بما يحب الله وينهونهم عما يكره الله، فإذا أطاعوهم أحبهم الله».

الحسن: ما زال لله نصحاء ينصحون لله في عباده وينصحون لعباد الله في حق الله عليهم، ويعملون له في الأرض بالنصيحة، أولئك خلفاء الله.

قال ميمون بن مهران لبعض إخوانه: قل لي في وجهي ما أكره، فإن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول في وجهه ما يكرهه.

عبد الوهاب اليشكري قال: كان يقال: كيف ينصحك من غش نفسه.

---

(١٧) يغبطهم: يعطيهم، م، ي. جمع الجوامع للسيوطي ١٩/ ٢٨١.

(١٨) يحبب: تحبب، م، ي. جمع الجوامع للسيوطي ١٩/ ٢٨١.

فصل في حفظ اللسان[١٩]

أنس أن النبي عليه السلام قال لأبي ذر: «أقل الطعام والكلام تكن معي في الجنة كهاتين، وأشار بالسبابة والوسطى».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «البلاء موكل بالمنطق»، رواه أنس عنه.

وروي أن رجلًا تكلم عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأكثر، فقال عليه السلام: «كم دون لسانك من حجاب»؟ فقال: شفتاي ولساني، فقال: «إن الله يكره الانبعاق[٢٠] في الكلام، فرحم الله امرءًا أوجز في كلامه، واقتصر على حاجته».

وقال: «رحم الله عبدًا قال خيرًا فغنم، أو سكت عن سوء فسلم»، رواه خالد بن أبي عمران.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الصمت زين للعالم، وستر للجاهل»، رواه أنس.

وقال: «كلام ابن آدم كله عليه إلا أمْرٌ بمعروف أو نهيٌ عن منكر، أو ذكر الله»، روته أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال: «من كف غضبه كف الله عنه عذابه، ومن خزن لسانه ستر الله عورته، ومن اعتذر إلى الله قبل عذره»، رواه أنس.

سفيان بن عبد[الله الثقفي] قال: قلت يا رسول الله ما أكثر ما تخاف عليّ[٢١]؟ فأخذ بلسان نفسه ثم قال: «هذا»[٢٢].

محارب بن دثار قال: صحبت القاسم بن عبد الرحمن فعِلَمْناه بثلاث: طول صمت، وحسن خلق، وسخاء نفس.

وكان الربيع بن خثيم إذا أصبح وضع عنده قرطاسًا وقلمًا ولا يتكلم يومه بشيء إلا كتبه، ثم يحاسب نفسه عند المساء.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من وقاه الله شر ما بين لحييه وشر ما بين رجليه دخل الجنة».

---

(١٩) م، ي. حفظ اللسان: ضبط اللسان، م.

(٢٠) الانبعاق: الانتعاق، م، ي. انظر: تاج العروس (بعق)، والأدب لابن أبي شيبة ص١٦٠.

(٢١) تخاف عليّ: تخاف، م، ي. مسند أحمد ٢٤/ ١٤٣.

(٢٢) مسند أحمد ٢٤/ ١٤٣.

ووضع أبو بكر في فمه حجرًا سنين[٢٣] فكان لا يخرجه إلا عند الأكل والصلاة، مخافة أن يقول ما لا يعنيه، ثم جعل ينضنض[٢٤] لسانه عند الموت ويقول: هذا الذي أوردني الموارد.

وقال رجل للأحنف: لئن قلت واحدة لسمعت[٢٥] عشرًا، فقال: لأنك لو قلت عشرًا لم تسمع مني واحدة.

وروى أبو يحيى البزاز بإسناده عن أبي أمامة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ويشهد أني رسول الله فليسعه بيته، وليبك على خطيئته، وليقل خيرًا ليغنم[٢٦]، أو يسكت عن شر فيسلم».

أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «المجالس ثلاثة: فسالمٌ[٢٧] وغانم، وشاحب[٢٨]، فأما السالم الذي يسكت لا له ولا عليه، وأما الغانم فالذي يذكر الله في مجلسه، وأما الشاحب[٢٩] فالذي يكثر كلامه وعمله في معصية».

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لأبي هريرة: «ألا أدلك على أفضل الأعمال وأهونها مؤنة على الجسد: الصمت، وحسن الخلق، فإنك لن تعمل لله بمثلها».

وعن معاذ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن شئت أنبأتك برأس هذا الأمر وعموده وذروته وسنامه»؟ قال: قلت: أجل يا رسول الله. قال: «أما رأس الأمر فالإسلام، وأما عموده فالصلاة، وأما ذروته وسنامه فالجهاد في سبيل الله، وإن شئت أنبأتك بأمْلَك لك من ذلك كله»؟ قال: فسكت فإذا راكبان أقبلا[٣٠]، قال: فخشيت أن يشغلاه عن حاجتي[٣١] قلت: ما هو يا رسول الله؟ قال: «فأهوى[٣٢] بأصبعه إلى فيه»، قال: قلت يا رسول الله، فإنا لنؤاخذ بما

---

(٢٣) حجرًا سنين: حواسين، م، ي. خزانة الأكمل لأبي يعقوب الجرجاني ٤/ ١٩٩.
(٢٤) يُنَضْنض لسانه أي يحركه. تاج العروس (نضض)، ومصنف ابن أبي شيبة ٧/ ٤٣٢.
(٢٥) لسمعت: لسمعي، م، ي.
(٢٦) ليغنم: يغنم، م، ي.
(٢٧) سالمٌ: سالمن، م، ي.
(٢٨) شاحب: ساحف، م، ي. شعب الإيمان ١٣/ ٢٧٣.
(٢٩) الشاحب: الساحف، م، ي. شعب الإيمان ١٣/ ٢٧٣.
(٣٠) أقبلا: أقبل، م، ي.
(٣١) حاجتي: حاجته، م، ي. المستدرك للحاكم ٢/ ٤٤٧.
(٣٢) فأهوى: ما هو، م، ي. المستدرك للحاكم ٢/ ٤٤٧.

تقول ألسنتنا؟ قال: «ثكلتك أمك يابن جبل، هل يكبُّ الناسَ على مناخرهم في نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم، وهو يقول: إلا ما عليك ولك[٣٣]».

قال أبو أمامة: قال عقبة بن عامر: يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «أملك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابْكِ على خطيئتك».

أبو سعيد الخدري يرفعه: «إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان، تقول: ننشدك[٣٤] الله فينا، فإنك إن[٣٥] استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا».

قتادة قال: كان ابن عباس يطوف وهو آخذ بلسانه يقول: يا لسان قل فاغنم أو اصمت فاسلم قبل أن تندم.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله عند لسان كل قائل، فليتق الله امرؤ علم ما يقول».

وعن الصادق في وصيته لسفيان وقد مر في باب الوصايا: ومن لم يملك لسانه يندم، ثم أنشد:

عود لسانك قول الحق تحظ به ... إن اللسان لما عودت معتادُ
معود يتقاضى ما سَنَنْتَ له ... في الخير والشر فانظر كيف يعتادُ

آخر:

ترى المرء يعجبه أن يقول ... وأسلم للعبد ألاّ يقولا
فأمسك عليك فضول الكلام ... فإن لكل كلام فضولا

آخر:

أمسك لسانك أن[٣٦] تقول: قتلتني ... إن البلاء موكل بالمنطق

---

(٣٣) ولك: ذلك، م، ي. المسند للشاشي ٣/ ٢٦٤.
(٣٤) ننشدك: أنشدك، م، ي. حلية الأولياء ٤/ ٢٠٩.
(٣٥) إنك إن: إن كنت، م، ي. حلية الأولياء ٤/ ٢٠٩.
(٣٦) أن: لا، م، ي.

فصل في حسن الخلق

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤].

وسئلت عائشة عن خلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت: خلقه القرآن ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن أثقل الأعمال في الميزان يوم القيامة حسن الخلق»، رواه ابن عباس.

وروى أبو هريرة قال: بعث النبي عليه السلام سرية فقاتلوا المشركين وقتلوا، وأتي من الكفار بعشرة، فأمر بتسعة فقتلوا، فلما جيء بالعاشر نظر إليه وأمر بتخليته، فقيل: هذا كان أشدهم قتالًا، قال: «إن جبريل يقول لي: خل عنه، فإنه كان حسن الخلق سخيًا يقري الضيف».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «حُسْن الخلق يُمْنٌ[٣٧]، والبر زيادة في العمر، والصدقة تدفع ميتة السوء».

وروى جابر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال حاكيًا عن جبريل عن الله تعالى: «هذا دِينٌ أرتضيه لنفسي، ولن يصلحه إلا السخاء، وحسن الخلق، فأكرموه بهما ما صحبتموه».

أسامة بن شريك: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي الأعمل أفضل؟ قال: «حسن الخلق».

وفي بعض الأخبار: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قبل وجهه فقال: أي الأعمال أفضل؟ قال: «حسن الخلق»، ثم أتاه عن يمينه وقال: أي الأعمال أفضل؟ قال: «حسن الخلق»، ثم أتاه عن شماله فقال: أي العمل أفضل؟ قال: «حسن الخلق»، ثم أتاه عن خلفه وقال مثل ذلك، ثم رفع رأسه وقال: «ما لك[٣٨] لا تفقه؟ حسن الخلق، وألا تغضب إن استطعت».

عائشة: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن حسن الخلق وحسن الجوار وصلة الرحم، يعمرن الديار، ويزدن في الأعمار[٣٩]».

---

(٣٧) كتب الحديث تذكر (حسن الخلق) أو (حسن الملكة). ولا تجمع بينهما في حديث واحد. سنن أبي داود ٤/ ٣٤١.

(٣٨) ما لك: ملك، م، ي.

(٣٩) الأعمار: الأعمال، م، ي. شعب الإيمان ١٠/ ٣٤٤.

ابن مسعود: كان رسول الله يقول: «اللهم كما حَسَّنْتَ خَلْقي فأحسن خُلُقي».

وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [قال]: «اللهم إني أسألك الصحة، والعفة، والأمانة، وحسن الخلق، والرضا بالقدر».

ابن عباس: حسن الخلق يذيب [الخطايا](٤٠) كما تذيب الشمس الجليد، وإن خلق السوء يفسد العمل كما يفسد الخلُّ العسلَ.

وعن عمر بن الخطاب أنه قال لقَبِيصة(٤١) بن جابر: إنك حديث السن، فصيح اللسان، فسيح الصدر، وإنه يكون في الرجل عشرة أخلاق، تسعة أخلاق حسنة، وخلق سيئ، فيغلب الواحد التسعة(٤٢)، واتق عثرات اللسان.

وقيل للأحنف: دلنا على مودة بغير مال؟ فقال: الخلق السجيح(٤٣)، والكف عن القبيح، ألا أنبئكم بأدوأ الداء: الخلق الدني، واللسان البذيء.

وسئل ابن المبارك عن حسن الخلق فقال: بَسْطُ الوجه، وكفُّ الأذى، وبذل الندى.

وسئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ما أكثر ما يلج به الناس الجنة؟ قال: «تقوى الله، وحسن الخلق»، فقيل: ما أكثر ما يلج به الناس النار؟ قال: «الأجوفان، وسوء الخلق».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا زعيم بيت في أعلى الجنة وبيت في وسطها، وبيت في ربض(٤٤) الجنة، لمن ترك المراء وإن كان محقًا، وترك الكذب وإن كان لاغيًا، ولمن حسن خلقه».

علي: من كثر همه سقم بدنه، ومن ساء خُلقه عذَّب نفسه، ومن لاحى الرجال سقطت مروءته، ومن كثر ضحكه قلت هيبته، ومن قل ورعه مات قلبه.

أبو حازم: إن أسعد الناس بحسن الخلق لنفسه، هي منه في راحة، ثم زوجته، ثم ولده، ثم أصحابه، حتى إن فرسه ليصهل إذا سمع صوته، وإن سيئ الخلق أشقى الناس به نفسُه، هي

(٤٠) شعب الإيمان ١٠/ ٣٨٦.
(٤١) قبيصة: قيبضة، م، ي. السنن الكبرى للبيهقي ٥/ ٢٩٦.
(٤٢) التسعة: تسعة، م، ي.
(٤٣) المخلصيات ص١٧٣، والخُلق السجيح: اللين السهل. انظر: لسان العرب (سجح).
(٤٤) ربض: رص، م، ي. سنن أبي داود ٤/ ٢٥٣.

منه في بلاء، ثم زوجته، ثم ولده، ثم خدمه، وإنه ليدخل بيته وهم[٤٥] في سرور فيتفرقون فرقًا منه[٤٦].

الفضيل: لأن يصحبني فاجر حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبني عابد سيئ الخلق.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أربع فرغ منها: الخَلْق، والخُلُق، والرزق، والأجل»؛ يعني أنه قسم وقدر فلا تتغير.

عن يحيى بن معاذ: في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «ما حَسَّن [الله] خَلْق امرئ وخُلُقه فتطعمه النار»[٤٧].

عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وألطفهم لأهله».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «خياركم أطولكم أعمارًا، وأحسنكم أخلاقًا»، رواه أبو هريرة.

وسئل صلى الله عليه وآله وسلم: ما خير ما أُعطي العبدُ؟ قال: «الخلق الحسن»، رواه أسامة بن شريك.

أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة، وشرف المنازل، وإنه لضعيف العبادة، وإنه ليبلغ بسوء خلقه أسفل درك من جهنم».

حميد، عن أنس، أن أم حبيبة قالت: يا رسول الله المرأة يكون لها زوجان وتموت فتدخل[٤٨] هي وزوجاها الجنة، لأيهما تكون؟ قال: «تُخَيَّر[٤٩] أحسنهما خلقًا كان معها في الدنيا، فيكون زوجها في الجنة، يا أم حبيبة ذهب حُسْنُ الخُلق بخير الدنيا والآخرة».

وسئل: ما حسن الخلق فقال: «موافقة الناس ومواتاتهم ما لم يكن لله معصية»، رواه علي.

(٤٥) بيته وهم: بينه وهو، م، ي. مساوئ الأخلاق للخرائطي ص٢٢.
(٤٦) فرقًا منه: فرعانه، م، ي. مساوئ الأخلاق للخرائطي ص٢٢.
(٤٧) المعجم الأوسط للطبراني ٧/ ٣٧.
(٤٨) تدخل: يدخل، م، ي.
(٤٩) تُخَيَّر: لخير، م، ي. المعجم الكبير للطبراني ٢٣/ ٢٢٢.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «إنكم لن تسعوا[٥٠] الناس بأموالكم، ولكن يسعهم[٥١] بسط الوجه[٥٢]، وحسن الخلق»، رواه أبو هريرة.

فصل في المروءة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠].

سئل محمد بن حرب عن المروءة، فقال: على الخبير سقطتم، هي بحذافيرها في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ..﴾ الآية.

وقيل لسفيان بن عيينة: قد استنبطت كل شيء من القرآن فأين المروءة؟ قال: قوله: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

علي بن موسى الرضا، عن آبائه عليهم السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «المروءة ستة: ثلاثة في السفر، وثلاثة في الحضر، فأما التي في الحضر: فتلاوة كتاب الله، وعمارة مساجد الله، واتخاذ الإخوان في الله، وأما التي في السفر: فبذل الزاد، وحسن الخلق، والمزاح في غير معاصي الله».

أبو رافع، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ليأتين على الناس زمان تقصر فيه المروءة، وترقّ فيه الأخلاق، ويستغني الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، فإذا كان كذلك فانتظروا العذاب صباحًا ومساء».

مسعر بن كدام: لا دين لمن لا مروءة له، ولا مروءة لمن لا حياء له.

ودخل عبد الملك بن مروان على معاوية، فلما خرج قال معاوية لعمرو بن العاص: ما أكمل مروءة هذا الفتى، قال: يا أمير المؤمنين إنه أخذ بأخلاق أربعة، وترك أخلاقًا ثلاثة، أخذ بأحسن البِشْر إذا لقي، وبأحسن الحديث إذا تحدث، وبأحسن الاستماع إذا حُدِّث، وبأيسر المؤنة إذا خولف، وترك مزاح من لا يثق به، وترك من الكلام ما يُعتذر عنه، وترك مخالطة لئام الناس.

---

(٥٠) تسعوا: تسعون، م، ي.

(٥١) يسعهم: ليسعهم، م، ي.

(٥٢) الوجه: العذر، الوجوه؛م ي.

وقال معاوية للمغيرة بن شعبة: ما المروءة؟ قال: العفة والحرفة[٥٣]، قال: وما هما؟ قال: أن تعف عما حرم الله، وتحترف[٥٤] فيما أحل الله، قال: بخ بخ، وما هي في نفسي، ثم قال: يا يزيد ما المروءة؟ قال: إذا أُعطيت شكرت، وإذا أُبتليت صبرت، وإذا قدرت غفرت، وإذا وعدت أنجزت، وإذا سئلت بذلت، قال: صدقت أنت مني وأنا منك.

وعن حكيم: ليس المروءة الفسوق والفجور ولا شرب الخمور، وإنما هي طعام موضوع، ولسان معسول، ونائل مبذول، وعفاف معروف، وأذى مكفوف.

الحسن: مروءة الرجل صدق لسانه، واحتماله عثرات إخوانه، وبذل المعروف لأهل زمانه، وكف الأذى عن أباعده وجيرانه.

الحسن بن علي عليهما السلام: المروءة: العفاف، وملك النفس، والبذل في العسر واليسر.

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «كرم المرء دِينُه، ومروءته: عقله، وحسبُه: خُلقه».

احتجم الحسن أو أخذ من شعره فأعطى الحجام درهمًا، فقيل له: يكفي دانق، فقال: لست من دوانيقكم في شيء، إنما المسلم يقاسم أخاه الدرهم، لا دين إلا بالمروءة.

عمرو بن العاص: المروءة أن تعطي مَنْ حَرَمَكَ، وتعفو عمن ظلمك.

سوار القاضي سئل: ما المروءة؟ فقال: الإنصاف، والتفضل.

الحسن بن علي عليهما السلام: المروءة: حفظ الدين، وإحرار النفس عن الدنس، والقيام للضيف، وأداء الحقوق، وإفشاء السلام.

زيد بن علي عليهما السلام: المروءة إنصاف مَنْ دونك.

فضيل: المروءة: الاستغناء[٥٥] عن الناس، والذل: الحاجة إلى الناس.

وقيل لأبي هلال: ما المروءة؟ فقال: ورعٌ يحجز عن المحارم، ويسارع إلى المكارم، وصفح عن الزلات، وصبر في الملمات.

بهرام: المروءة: اسم جامع للمحاسن كلها. وقيل[٥٦] المروءة التامة مباينة العامة.

(٥٣) الحرفة: الخرفة، م، ي. السنن الكبرى للبيهقي ١٠/ ٣٢٩.

(٥٤) تحترف: تخترف، م، ي.

(٥٥) الاستغناء: الاستعفا، م، ي.

(٥٦) قيل: قياد، م، ي.

أنوشروان: المروءة: ألاّ تعمل في السر ما تستحي منه في العلانية.

أبو الفضيل البلعمي: المروءة: الجمع بين الدين والدنيا، والتوقي من سخط الخالق وذم المخلوقين.

ونظير ذلك ما روي أن مروان بن أبي حفصة قال:

تشاغل الناس بالدنيا وزبرجها ... وأنت لا شك عن دنياك مشغول

فقال: ما زدت على أن جعلتني عجوزًا في محرابها معها سبحتها، هلا قلت كما قال جرير لعبد العزيز بن مروان:

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه ... ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

شعر:

ومن المروءة للفتى ... ما عاش دارٌ فاخرة
فاقنع من الدنيا بها ... واعمل لدارِ الآخرة

آخر:

إذا المرء أعيته المروءة يافعًا ... فمطلبها كهلًا عليه شديد

ومدح المنصور بعض العلويين:

ما واحدٌ من(٥٧) واحد ... أولى بمجدٍ أو مروه
ممن أبوه وجدُّه ... بين الخلافة والنبوه

وحبس عبد الله بن طاهر إنسانًا فجرى يومًا ذكره، فقيل: إنه صاحب مروءة، فقال عبد الله: وهل لمن يعصي الرحمن، ويعبد الشيطان، ويهجر السلطان، ويقول البهتان مروءة.

فصل في الفتوة

قال الله تعالى: ﴿سَمِعْنَا فَتًى﴾ [الأنبياء:٦٠]، ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾ [الكهف:١٣]، ﴿[وَإِذْ قَالَ](٥٨) مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ [الكهف:٦٠]، ﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ(٥٩)﴾ [يوسف:٦٢].

(٥٧) من: كم، م، ي.

(٥٨) و اذ قال: وقال موسى، م، ي..

(٥٩) لِفِتْيَٰنِهِ: لفتيته، م، ي.

وسئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن الفتوة فقال: ما أمر الله تعالى نبيه ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ الآية [الأعراف:١٩٩].

وقيل لحكيم: ما الفتوة؟ فقال: أن تصل مَنْ قطعك، وتعطي من حرمك، وتوافق من خالفك، وتراقب في جميع ذلك مَنْ خلقك.

وقيل لأبي ذؤيب: ما الفتوة؟ قال: ألاّ يراك الله حيثما نهاك، ولا يفقدك حيثما[٦٠] أمرك.

وقال الرشيد لصالح المري: من الفتى؟ قال: مَنْ أرضى عن نفسه المولى.

وقيل لعارف: من الفتى؟ قال: من له حياء كحياء المعيون العريان، وشوق كشوق العاشق الحيران.

وقيل: ليس الفتى من أقبل على الدنيا وشهواتها، ولكن الفتى من استعد للقيامة وفزعاتها.

وعن بعضهم: ليس بفتى من سبق شهوتُه مروءَتَه.

وسأل[٦١] عبد الملك بن مروان بثينة عن مروءة جميل، فقالت: هو كما وصف نفسه:

لا والذي تسجد الجباه له ... ما لي بما دون ثوبها خبر
ولا بفيها ولا هممت بها ... ما كان إلا الحديث والنظر

شعر:

وليس فتى الفتيان من راح فاغتدى ... لشرب صبوح[٦٢] أو لشرب غبوق[٦٣]
ولكن فتى الفتيان من راح واغتدى ... لضرٍّ عدوٍ أو لنفع صديق

فصل في السخاء والبخل

ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن لله عبادًا يخصهم بالنعم لمنافع العباد، فمن بخل بتلك المنافع عن العباد نقل الله ذلك عنهم وحولها إلى غيرهم».

(٦٠) حيثما: حيث ما، م، ي.
(٦١) سأل: سئل، م، ي.
(٦٢) الصَّبُوح: ما يشرب بالغداة. لسان العرب (صبح).
(٦٣) الغَبُوق: الشرب بالعشي. تاج العروس (غبق).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «السخيّ قريب من الله، قريب من الجنة، قريب من الناس، بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله، بعيد من الجنة، بعيد من الناس، قريب من النار، والجاهل السخي أحب إلى الله من العابد البخيل»(٦٤)، روته عائشة.

وقال عليه السلام: «لا يجتمع الشح والإيمان في قلب رجل مؤمن»، رواه أبو هريرة.

وقال عليه السلام: «إذا كان أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم سمحاءكم(٦٥)، وأموركم شورى بينكم، فظهر الأرض خير لكم من بطنها، وإذا كان أمراؤكم شراركم، وأغنياؤكم بخلاءكم، وأموركم إلى نسائكم، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها»،رواه أبو هريرة.

عائشة: الجنة دار الأسخياء، والنار دار البخلاء.

زيد بن أسلم: أمرك الله أن تكون سخيًا وتدخل الجنة، ونهاك أن تكون لئيمًا وتدخل النار، وكان رضاه عنك في إحسانك [إلى نفسك]، وسخطه في إساءتك [إلى نفسك]، فكيف ينبغي أن تكون مكافأتك إياه؟(٦٦)

وقال عليه السلام: «تجافوا عن ذنب السخي، فإن الله يأخذ بيده كلما عثر»، رواه ابن عباس.

إبراهيم بن أدهم: يا كاذب بخلت بالدنيا على أصدقائك، وسخوت بالآخرة على أعدائك، فلا أنت فيما بخلت به معذور، ولا أنت فيما سخوت به محمود مأجور.

يحيى بن معاذ: عجبت لمن يبقي ماله ورب العزة يستقرضه.

ابن مسعود: إن استطعت أن تجعل مالك حيث لا يأكله السوس ولا يناله اللصوص فافعل.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من أدى الزكاة وقرى الضيف وأدى في النائبة فقد وقي شح نفسه».

وقال عليه السلام: «الرزق والبركة أسرع في البيت الذي يكون فيه السخاء من الشفرة(٦٧) في سنام البعير».

---

(٦٤) سنن الترمذي ٣/ ٤٠٧.

(٦٥) سمحاءكم: سخاكم، م، ي. سنن الترمذي ٤/ ٩٩.

(٦٦) تاريخ دمشق ١٩/ ٢٨٨.

(٦٧) الشفرة: السفرة، م، ي.

وقال أسد بن عبد الله لرجل من بني شيبان: بلغني أن السؤدد فيكم رخيص، قال: لا يسود فينا إلا من يوطئنا رحله[٦٨]، ويفرشنا عرضه، ويخدمنا نفسه، ويبذل لنا ماله، قال: إنه إذًا فيكم لعزيز.

ومن موجع الهجاء قول الأخطل يصف بالبخل قومًا:

قوم إذا أكلوا أخفوا كلامهم ... واستوثقوا من رتاج الباب والدار
قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم ... قالوا لأمهم: بولي على النار

جابر قال: «ما سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم شيئًا قط، فقال: لا».

ابن عباس: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل».

أنس قال: «جاء سائل من الأعراب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأمر له بأربعين شاة»، فرجع إلى قومه وقال: يا قوم أسلموا فإن محمدًا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر.

عروة بن الزبير قال: بعث معاوية إلى عائشة بمائة ألف، فما قامت من مجلسها حتى فرقت، فقال خادمها: لو حبست درهمًا لنا نشتري به لحمًا، فقالت: هلا ذكرتني قبل ذا، وكانت ترقع قميصها.

وكان حماد بن أبي سليمان يفطِّر كل يوم من شهر رمضان خمسين إنسانًا، فإذا كان ليلة الفطر كساهم ثوبًا ثوبًا، وأعطاهم مائة مائة.

وخرج أسماء بن خارجة الفزاري فوجد رجلًا على باب داره، فسأله عن حاله، فقال: خيرًا، فألحّ عليه[٦٩] فقال: جئت سائلًا إلى هذه الدار، فخرجت جارية اختطفت قلبي، قال: وتعرفها؟ قال: نعم، فدعا الجواري وعرضهن عليه حتى قال لواحدة: هي هذه، فقال: مكانك، ودخل الدار وخرج وقال: أما إنها لم تكن لي، كانت لبعض بناتي فابتعتها بثلاثة آلاف درهم، خذ بيدها بارك الله لك فيها، وكان أسماء يقول: ما بذل لي رجل وجهه فرأيت شيئًا من الدنيا - وإن عظمت - عوضًا لبذل وجهه، وفيه يقول الأخطل:

(٦٨) يوطئنا رحله: يوطينا برجله، م، ي. البصائر والذخائر ٥/ ١٧٩.
(٦٩) ألحّ عليه: ألحق به، م، ي.

إذا مات ابن خارجة بن حصن فلا مطرتْ على الأرض السماءُ
ولا رجع البشير بغنم جيشٍ[٧٠] ولا حملت على الطهر النساء
فيومٌ منكَ خيرٌ من أناس تروح عليهمُ نَعَمٌ وشاءُ
فبُورك في بَنِيكَ وفي أبيهم إذا ذُكروا ونحن لهم فداء

ولبعضهم:

أرى نفسي تتوق إلى أمور يقصّر دون مبلغهنَّ مالي
فلا نفسي تطاوعني ببخلٍ ولا مالي يُبلِّغني فعالي

آخر:

لعمرك ما المصيبة هدم دارٍ ولا شاة تموت ولا بعير
ولكن المصيبة موت حرٍ يموت لموته بشر كثيرُ

ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الجود من جود الله، فجودوا يجد الله عليكم، ألا وإن الله خلق الجود في صورة شجرة فجعل اسمها سخاء في أصل شجرة طوبى، وشبك أغصانها بأغصان سدرة المنتهى، وتدلى غصن من أغصانها إلى الدنيا، فمن تعلق بغصنٍ من أغصانها دخل الجنة، ألا وإن السخاء من الإيمان، والإيمان في الجنة. وخلق البخل من مَقْتِهِ فجعله في صورة شجرة راسخ في أسفل شعب من الجبل الذي سمي في كتابه (صعودا) إلى جهنم، وشبك أغصانها بأغصان شجرة الزقوم، وتدلى بعض من أغصانها إلى الدنيا، فمن تعلق بغصْنٍ من أغصانها أدخله النار، ألا وإن البخل من الكفر، والكفر في النار»[٧١].

أسماء بنت أبي بكر قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا زيد إن الله يحب السخاء ولو بفلق تمرة».

وعن عائشة رضي الله عنها، عنه عليه السلام: «الجنة دار الأسخياء».

الصادق عن آبائه عليهم السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها مدلاة في الدنيا، فمن أخذ بغصن منها قاده ذلك الغصن إلى الجنة، والبخل شجرة من شجر النار مدلاة أغصانها في الدنيا، فمن أخذ بغصن منها قاده ذلك الغصن إلى النار».

(٧٠) جيش: قوم، م.
(٧١) إحياء علوم الدين ٣/ ٢٥٤.

عائشة قالت: أهديت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شاة فقسمها[٧٢]، فقلت: لم يبق لنا إلا عنقها، فقال صلى الله عليه: «قد بقي كلها إلا عنقها».

حميد بن هلال قال: تفاخر هاشمي وأموي كل واحد يقول: قومي أسخى، ثم قالا: ليسأل كل واحد عشرة من قومه ليظهر الأمر، فانطلق الأموي فسأل عشرة من قومه فأعطوه مائة ألف، وانطلق الهاشمي إلى ابن عباس فأعطاه مائة ألف، ثم جاء إلى الحسن فقال: هل لقيت أحدًا قبلي؟ قال: نعم أتيت ابن عباس فأعطاني مائة ألف، قال: لو كنت بدأت بي لأعطيتك شيئًا لا تسأل غيره، فأعطاه ثلاثين ومائة ألف، ثم أتى الحسين فقال: هل أتيت أحدًا قبلي؟ قال: أتيت ابن عباس والحسن بن علي فأعطياني كذا، قال: ما كنت لأزيد على سيدي، وأعطاه ثلاثين ومائة ألف. ثم التقيا، فقال الأموي: أتيت عشرة من قومي فأعطوني مائة ألف، كل رجل عشرة آلاف، وقال الهاشمي: لقيت ثلاثة من قومي فأعطوني ثلاثمائة ألف وستين ألفًا، فقال: قومك أسخى من قومي. ثم رجع الأموي إلى قومه وقص عليهم القصص ورد المال فقبلوا، ورد الهاشمي إلى أصحابه وقص القصة ورد المال، فقالوا: ألقها إن شئت في الطريق، فما كنا لنقبل شيئًا أعطيناكه[٧٣].

ابن سيرين قال: جلب رجل من أهل البصرة سكرا إلى المدينة فكسد عليه، فذكر ذلك لعبد الله بن جعفر، فأمر قَهْرَمانه[٧٤] أن يشتريه ويدعو الناس إليه، فيهبهم إياه[٧٥].

ابن سيرين قال: تزوج الحسن بن علي امرأة فبعث إليها بمائة جارية مع كل واحدة ألف درهم.

وروى علي عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله يبغض البخيل في حياته السخي عند موته»[٧٦].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «[شر] ما في الرجل بخل هالع وجبن خالع»[٧٧].

(٧٢) فقسمها: فقسمتها، م، ي. الفتوة للنيسابوري ص ١٦.
(٧٣) تاريخ دمشق ٣٧/ ٤٨٧.
(٧٤) شعب الإيمان ١٣/ ٣١٤. والقَهْرَمَانُ: المسيطر الحفيظ على ما تحت يده. العين (قهرم).
(٧٥) يهبهم إياه: يهبه إياهم، م، ي. شعب الإيمان ١٣/ ٣١٤.
(٧٦) إحياء علوم الدين ٣/ ٢٥٤.
(٧٧) مسند أحمد ١٣/ ٣٨٥.

فصل في المواساة والإفضال

قال الله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥]، ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٩٥].

وروى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: من كان له ظهر فليعد به على من لاظهر له، ومن كان له زاد فليعد به على من لا زاد له، حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل[٧٨].

وقال الحسن: كان أحدهم يشق إزاره باثنين.

وسئل ابن عمر: ما حق المسلم على المسلم؟ قال: لا تشبع ويجوع، وتلبس ويعرى، وأن تواسيه ببيضائك وصفرائك[٧٩].

ابن عمر: كان أهدي لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأس شاة، فقال: أخي فلان أحوج إليه، فبعث إليه، فلم يزل يبعث به بعد واحد حتى تداوله سبعة أبيات، فرجع إلى الأول، فنزلت: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر:٩].

وتزوج رجل من جلساء زيد بن أرقم فقال: أعينوا أخاكم[٨٠]، فجمعوا له نفقة سنة وما ساق إليها من المهر.

الضحاك في قوله: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:٣٦]، قال: كان إحسانه إذا مرض أحد في السجن قام عليه، وإذا ضاق [عليه المكان] وسع له[٨١]، وإذا احتاج جمع له[٨٢].

علي عليه السلام: خير المسلمين من وصل وأعان ونفع.

وقال علي بن حشرم: قال لي عصام بن يوسف: أقم معي بالكوفة نسمع من أبي بكر بن عياش، فقلت: لم أحمل نفقة سنة، فقال: أعطيك مائة دينار، قلت: ليس من الرأي أن أستقرض، قال: ومن يعطيكها قرضًا.

(٧٨) صحيح مسلم، ر. ١٧٢٨.

(٧٩) بيضائك وصفرائك: بيضائه وصفرائه، م، ي.

(٨٠) أخاكم: أخوكم، م، ي.

(٨١) له: عليه، م، ي.

(٨٢) الدر المنثور للسيوطي ٤/ ١٩.

ويقال في المثل: من لم تنفعك[٨٣] صداقته، لم تضرك عداوته.

وقال: من طلب مرضاة الإخوان بلا شيء[٨٤] فليصادق أهل القبور.

علي عليه السلام:

ما أحسن الدنيا وإقبالها إذا أطاع الله من نالها
من لم يواس الناس من فضله عرض للإدبار إقبالها
فإن ذا العرش جزيل العطا يعطيك بالحبة أمثالها

وروى أبو يحيى البزاز بإسناده عن أبي أمامة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يابن آدم إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف[٨٥]، فابدأ بمن تعول[٨٦]، واليد العليا خير من اليد السفلى».

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ربه عز وجل: «يابن آدم مثله»[٨٧].

المنذر بن حربة، عن أبيه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجاءه قوم حفاة من مصر، فرأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتغير لما رأى بهم من الفاقة، ثم دخل بيته، ثم خرج فأمر بلالًا فأذن وأقام فصلى الظهر ثم قال: «أيها الناس ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ...﴾ الآية [النساء:١]، ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر:١٨]، ليتصدق الرجل من ديناره ودرهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره، حتى قال: بشق التمرة»، قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، ثم تتابع الناس حتى رأيت كومتين من طعام وثياب، ورأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتهلل كأنه مُذْهَبَةٌ، فقال: «من سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجور من عمل بها بعده غير منتقص من أجورهم شيئًا، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده غير منتقص من أوزارهم شيئًا».

(٨٣) تنفعك: ينفعك، م، ي.
(٨٤) بلا شيء: بالمشي، م، ي. البداية والنهاية ٩/ ٣٤٩.
(٨٥) كفاف: ما كفاك، م، ي. صحيح مسلم ٢/ ٧١٨.
(٨٦) تعول: يعول، م، ي. صحيح مسلم ٢/ ٧١٨.
(٨٧) يقصد بالحديث نفسه برواية أبي هريرة.

فصل في اصطناع المعروف

قال الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [لقمان:١٧]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الخلق كلهم عيال الله، وأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله»، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر»، رواه عبيد بن عمير.

جابر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «كل معروف صدقة، وإن[٨٨] من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طليق، وأن تفرغ من دلوك في إناء أخيك».

عيسى عليه السلام: استكثروا من شيء لا تأكله النار، قيل: ما هو؟ قال: المعروف.

وروى أبو يحيى بإسناده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وروي مرفوعًا عن الباقر: «اصطنع المعروف إلى من هو أهله ومن ليس أهله، فإن أصبتَ أهله فقد أصبت، وإن لم تصب أهله فأنت أهله».

ابن السماك: عجبت لمن يشتري المملوك بماله ولا يشتري الأحرار بمعروفه.

عمر: ثلاث يُصَفِّين[٨٩] لك وُدَّ أخيك[٩٠]: تسلم عليه إذا لقيته، وتوسع عليه في مجلسه، وتدعوه بأحب أسمائه إليه.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من اصطنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ذلك فأثنوا عليه[٩١] خيرًا».

ابن عباس: لا يتم المعروف إلا بثلاث: بتعجيله، وتصغيره، وستره[٩٢]، فإذا عجله فقد هنأه، وإذا صغَّره فقد عظمه، وإذا ستره فقد تممه، ليس فيه منٌّ ولا أذى.

لأشكرنك معروفًا هَمَمْتَ به ... فإن همَّك بالمعروف معروفُ
ولا أذمك إن لم يُمْضِهِ قَدَرٌ[٩٣] ... فالشيء بالقدر المكتوب مصروف

(٨٨) وإن: في أن، م، ي. مسند أحمد ٢٣/ ١٦١.

(٨٩) يُصَفِّين: تصفين، م، ي. المستدرك للحاكم ٣/ ٤٨٥.

(٩٠) وُدَّ أخيك: ولأخيك، م، ي. المستدرك للحاكم ٣/ ٤٨٥.

(٩١) أثنوا عليه: ادعو له، م، ي. مسند الروياني ٢/ ٤١٣.

(٩٢) ستره: تيسيره، م، ي. المجالسة وجواهر العلم ٣/ ٧١.

(٩٣) يُمْضِهِ قَدَرٌ: تمضه أبدًا، م، ي. شعب الإيمان ١١/ ٣٨٩.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة»، رواه ابن عمر، وسلمان، وأبو هريرة.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن المعروف والمنكر خليقتان ينصبان[٩٤] للناس يوم القيامة، فأما المعروفُ فيبشِّر أصحابَه ويَعِدُهم الخير، وأما المنكر فيقول: إليكم، فلا يستطيعون له إلا لزومًا».

وعن حماد بن أبي سليمان قال: أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو مُحْتَبٍ ببرده وهدبها[٩٥] على قدميه، فسلمت عليه [فقلتُ: عليك السلام][٩٦] فقال: «(عليك السلام) تحية الموتى، ولكن قل: السلام عليكم»، ثم قال: «لا تحقرن من المعروف ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستقي، ولو أن تلقى أخاك وأنت تبسط إليه وجهك».

وروى نافع عن ابن عمر قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله، إني أعرابي جافٍ[٩٧]، فعلمني شيئًا أنتفع به، قال: «اتق الله ما استطعت، ولا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن [تصبّ][٩٨] دلوك في إناء صاحبك، وأن[٩٩] تلقاه وأنت منبسط الوجه إليه، وإياك وجر الإزار فإنها من المخيلة، وإن الله لا يحب المخيلة، وإذا سابّك[١٠٠] رجل فعيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه، فإن أجر ذلك لك ووباله عليه».

وروى أبو سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أحبوا المعروف وأهله، فوالذي نفسي بيده إن البركة واليمن والعافية معهما، ولا يزال صاحبهما في كفاية من الدنيا وأجر عظيم من الآخرة».

شعر[١٠١]:

مـن يفعـل الخيـر لا يعـدم جوازيـه لا يذهـب العـرف بيـن الله والنـاس

(٩٤) ينصبان: يان فيه، م، ي. مسند أحمد ٣٢/ ٢٣٤.
(٩٥) هدبها: هدبه، م، ي.
(٩٦) مصنف ابن أبي شيبة ٥/ ٣٤٥ وغيره.
(٩٧) جافٍ: حافي، م، ي. إتحاف الخيرة المهرة ٤/ ٥١٠.
(٩٨) إتحاف الخيرة المهرة ٤/ ٥١٠.
(٩٩) أن: أنت، م، ي. إتحاف الخيرة المهرة ٤/ ٥١٠.
(١٠٠) سابّك: سألك، م، ي. إتحاف الخيرة المهرة ٦/ ٥٨.
(١٠١) البيت للحطيئة.

وفي بعض خطبة خالد بن عبد الله: أيها الناس عليكم بالمعروف، فإن فاعل المعروف لا يعدم جوازيه[١٠٢]، فمهما[١٠٣] ضعف الناس عن[١٠٤] أدائه قدر الله على جزائه.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «كل معروف صدقة إلى غني أو فقير»، رواه ابن مسعود.

وروى أبو يحيى البزاز بإسناده عن أبي وكيع قال: اجتمع علي والعباس وعبد الله بن جعفر فتذاكروا المعروف، فقال علي: المعروف كنز من أفضل الكنوز، وزرع من أفضل الزروع، فلا يجحّدنك في المعروف كُفْرُ مَنْ كفر، وجحود من جحد، فإن[١٠٥] مَنْ شكرك عليه أكثر ممن جحدك وكفرك. وقال العباس: لا يتم المعروف إلا بثلاث: تعجيله، وتصغيره، وبستره[١٠٦]، فإذا عجلته فقد هنأته، وإذا صغرته فقد عظمته، وإذا سترته فقد تممته. وقال عبد الله بن جعفر: إن بأهل المعروف من الحاجة إليه أكثر مما بأهل الرغبة إليه، وذلك أن حمده وأجره وذكره وذخره وثناه له، فما صنعت من صنع أو أتيت من معروف فإنما تصنعه إلى نفسك، فلا تطلبن من غيرك شكر ما أتيت إلى نفسك.

أنس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يدور المعروف على يدي مائة رجل أجرهم في الآجل مثل أولهم».

ويروى عن علي بن الحسين عليهما السلام ولم يقل شعرًا غيره:

يـد المعـروف غنـم حيـث كانـت ... تحمّلهـا[١٠٧] شـكور أو كفـور

ففـي شـكر الشـكور لهـا جـزاء ... وعنـد الله مـا جحـد الكفـور

جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من أُعطي عطاء فلْيَجْزِ به فإن لم يجد فليُثْنِ به، فمَنْ أثنى به فقد شكره، ومن كتمه فقد كفره، ومن تحلى بما لم يعط فهو كلابس ثوبي زور».

واستعان بعض دهاقين السواد بعبد الله بن جعفر على علي عليه السلام في حاجة فقضاها،

(١٠٢) جوازيه: جواريه، م، ي.

(١٠٣) فمهما: وما، م، ي. أنساب الأشراف ٦/ ٥٢.

(١٠٤) عن: على، م، ي. أنساب الأشراف ٦/ ٥٢.

(١٠٥) فإن: إن، م، ي.

(١٠٦) بستره: بتستره، م، ي.

(١٠٧) تحمّلها: تحلها، م، ي.

فأهدى إلى عبد الله أربعين ألف درهم ومتاعًا، فقال: ردوها عليه وقولوا: إنا أهل بيت لا نبيع المعروف بشيء.

شعر:

إن للمعروف أهلًا وقليل فاعلوهُ
حبذا المعروف ما لم تبتذل[١٠٨] فيه الوجوه

فصل في الحب في الله سبحانه

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة:١]، ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر:٩]، ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة:٧١].

وروت عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل على الصفا في الليلة[١٠٩] الظلماء، وأدناه أن تحب على شيء من الجور وتبغض على شيء من العدل، وهل الدين إلا الحب في الله والبغض في الله».

وعن ابن مسعود أن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أتدري أي عرى الإسلام أوثق»؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «أوثق عرى الإسلام: الحب في الله والبغض في الله»، وفي رواية ابن عباس عنه قال لأبي ذر: «أي عرى الإسلام أوثق»؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: «الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله».

أبو أمامة عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله، فقد استكمل الإيمان».

وقال عليه السلام: «أحب الأعمال إلى الله تعالى الحب في الله والبغض في الله»، رواه أبو ذر.

فصل في المتحابين

قال الله تعالى: ﴿إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر:٤٧]، ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧].

(١٠٨) تبتذل: يبذل، م، ي. عيون الأخبار ٣/ ٢١٧.

(١٠٩) الليلة: ليلة، م، ي. قوت القلوب ٢/ ٢١.

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانًا».

وروى معاذ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «وجبت محبتي للذين يتحابون في الله، وحقت محبتي للذين يتصادقون في الله، وحقت محبتي للذين يتزاورون في الله، وحقت محبتي للذين يتباذلون في الله».

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «خرج رجل من قرية يزور أخًا له في الله، فأرصد الله على طريقه ملكًا فقال له: أين تريد؟ قال: أزور أخًا لي في هذه القرية في الله، فقال: ما له عليك من نعمة تزوره بها؟ فقال: لا، ولكن أحببته في الله، قال: فإني رسول رب العالمين إليك أني قد أحببتك كما قد أحببت في».

أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من أحب أخًا في الله رفعه الله به درجة في الجنة، وما توادَّ رجلان في الله إلا كان أفضلهما عند الله أشدهما حبًا لأخيه حتى يحدث أحدهما، وشرُّهما المُحْدِثُ».

الحسن: قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنا نحب الله ونحبك، فأنزل الله: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١].

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وفتًى نشأ في عبادة ربه، وعبد طلبته امرأة ذات جمال فقال: إني أخاف الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد حتى يرجع إليه، ورجل ذكر الله ففاضت عيناه، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم(١١٠) شماله ما تنفق يمينه، ورجلان تحابا في الله، واجتمعا على حب الله وافترقا على حب الله».

أبو مسلم الخولاني قال: أتيت مسجد حمص فإذا فيه حلقة فيها كهول من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإذا فيهم شاب أكحل العينين براق الثنايا، كلما تنازعوا في شيء رجعوا إليه، فقلت لجليس لي: من هذا؟ قال: معاذ بن جبل. قال: فحضرت من العشي ولم يحضر، وغدوت من الغد فلم يحضر، ورحت فإذا أنا به يصلي إلى سارية فركعت ثم تحولت إليه فسلمت، فرد علي، فدنوت منه وقلت: إني لأحبك في الله، فجبذني إليه وقال: كيف قلت؟

(١١٠) تعلم: يعلم، م، ي.

قلت: إني إحبك في الله. فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «المتحابون في الله على منابر من نور في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله».

عمر وأبو مالك الأشعري قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أيها الناس اسمعوا واعقلوا واعلموا أن لله عبادًا ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله»، فجاء أعرابي من قاصية الناس وقال: يا رسول الله أناس من الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء لقربهم من الله؟ انعتهم لنا، صفهم لنا شَكْلَهم [لنا] فسر وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسؤال الأعرابي فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «هم ناس من أفناء الناس(١١١) ونوازع القبائل، لم تصل بينهم(١١٢) أرحام متقاربة، تحابوا في الله وتصافوا، يصنع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها، يجعل وجوههم نورًا، وثيابهم نورًا، يفزع الناس في القيامة ولا يفزعون، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»(١١٣).

وتوفي ليونس بن عبيد ولد فقيل له: إن ابن السماك لم يأتك. قال: إنا إذا وثقنا بمودة أخينا لا يضرنا ألاّ يأتينا.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا وإن لله في الأرض أوانٍ وهي القلوب، فأحب الأواني إلى الله أصفاها وأصلبها وأرقها، أصفاها من الذنوب، وأصلبها في الدين، وأرقها على الإخوان».

الحسن: أدركتهم وإن الرجل كان يخلف أخاه في أهله بعد موته أربعين سنة.

وسئل الثوري عن الأخوة في الله قال: يا أخي تلك طريق نبت عليها العَوْسَجُ(١١٤).

ميمون بن مهران: من كان الناس عنده سواء فليس له من أصدقاء(١١٥).

أنشد الجاحظ:

أخـوك الـذي إن سَـرَّكَ الدهـرُ سَـرَّهُ ... وإن غِبْـتَ يومًـا ظـل وهـو حزيـنُ

يقـرب مَـنْ قَرَّبـتَ مِـنْ ذي مـودةٍ ... ويُقصـي إذا أقصيتَـه ويهيـنُ

(١١١) الناس: الدنيا، م، ي.

(١١٢) تصل بينهم: يصل منهم، م، ي.

(١١٣) مسند أحمد ٣٧/ ٥٤١.

(١١٤) العَوْسَجُ: شجر كبير الشوك. العين (عسج).

(١١٥) من أصدقاء: إلا الأصدقاء، م، ي.

آخر:

ألا إنما الإخوان عند الحقائق ... ولا خير في وُدِّ الخليل المُمَاذِقِ(١١٦)
لعمرك ما شيء من العيش كله ... أقرّ لعيني مِنْ خليلِ المحاذق
وكل خليل ليس في الله وُدُّه ... فإني به في حبه غير واثِقِ

فصل في علامة الإخوة

﴿هَٰرُونَ أَخِي * ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى﴾ [طه: ٣٠، ٣١]. وروى أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما أحب عبد أخًا إلا أحدث الله له درجة في الجنة».

علي: عليكم بالإخوان، فإنهم عدة للدنيا، وعدة للآخرة، ألا ترى إلى قول أهل النار: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٠٠، ١٠١].

وعنه: ينبغي للمسلم أن يجتنب مؤاخاة ثلاثة: الفاجر، والأحمق، والكاذب، أما الفاجر فيزين لك أفعاله(١١٧) ولا يعينك على أمر دينك، فمدخله ومخرجه من عندك عار عليك، وأما الأحمق فإنه لا يشير عليك بخير، ولا ترجوه لصرف السوء، ولربما أراد أن ينفعك فيضرك، سكوته خير من نطقه، وبُعْدُه خير مِنْ قُرْبه، وأما الكاذب فإنه لا يهنئك معه عيش، ينقل حديثك إلى غيرك، وينقل أحاديث الناس إليك، ويغري بينك وبين الناس العداوة والشحناء.

لقمان: يا بني الإخوان ثلاثة: مخالب، ومحاسب، ومراغب، المخالب الذي ينال من معروفك ولا يكافئك، [والمحاسب: الذي ينيلك] بقدر ما ينال منك، والمراغب الذي يحتسب في صلتك ويبتدي بالمعروف إليك بغير طمع يرجوه منك(١١٨).

وقيل: علامة الصديق أن يكون لصديق صديقك صديقًا، ولصديق عدوك عدوًا، عن العتابي.

وقيل لخالد بن صفوان: أي إخوانك أحب إليك؟ قال: الذي يغفر زللي، ويقبل عللي.

---

(١١٦) المماذق: غير المخلص في حبِّه. ديوان أبي العتاهية ص ٢٢٢.
(١١٧) أفعاله: أفعال، م، ي.
(١١٨) محاضرات الأدباء ٢/ ٩.

وهب: ثلاث من روح الدنيا للمؤمن: لقاء الإخوان، وإقصار الصوم، والتهجد في آخر الليل.

المدائني: كان[١١٩] يقال: لقاء الأحباب لقاح الألباب، ولقاء الإخوان مسلاة الأحزان.

قيل لابن السماك: أي الإخوان أحق ببقاء[١٢٠] المودة؟ قال: الوافر دينه، الوافي عقله، الذي لا يملُّك على القُرْب، ولا ينساك على البعد، إن دنوت منه زارك، وإن بعدت أرادك، ولا يقطعه عنك عسر ولا يسر، يعدك في الأمور كنفسه، إن استعنت عضدك، وإن احتجت [إليه] رفدك، وإن استغنيت وصلك، مودة فعله أكثر من مودة قوله، يستقل كثير المعروف من نفسه، ويستكثر قليل المعروف منك، وتبلغ من مودته ألا يستأنس مع أحد بعد حبيبه[١٢١].

شعر:

أخاك أخاك إن مَنْ لا أخًا له ... كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاحِ
وإن ابن عمّ[١٢٢] المرء - فاعلم - جناحه ... فهل ينهض البازي بغير جناحِه

آخر:

حسب الخليلين أن الأرض بينهما ... هذا عليها وهذا تحتها بالي

آخر:

فتيان قومك لا أنسى مكانهمُ ... إذا تلون لون المرء ألوانا

سلمان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من رجل مسلم أكرم أخاه بتكرمة يريد بها وجه الله إلا نظر الله إليه، وما نظر الله إلى عبده فعذبه أبدًا».

السجستياني: إذا بلغني موت أخ فكأنما سقط مني عضو.

---

(١١٩) كان: فإن، م، ي.

(١٢٠) أحق ببقاء: أخلق لبقاء، م، ي. المستطرف في كل فن مستظرف ص١٠٨.

(١٢١) المستطرف في كل فن مستظرف ص١٠٨.

(١٢٢) عمّ: عمر، م، ي.

فصل في الانبساط مع الإخوان

روى جابر قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيدي ذات يوم فقال: «أما من غداء»؟ فأخرجت فلقا من خبز، فقال: «هل من إدام»؟ قلت: لا إلا شيء من خل، قال: «أروني فإن الخل نعم الإدام»، قال جابر: فما زلت أحب الخل مذ سمعته من النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

- وعن حماد بن أبي سليمان قال: أتى إبراهيم منزلي فقال لي: أين كيسك[١٢٣]؟ فأتيت بصرة مشدودة، ففتحها فأخذ درهمين ورد الباقي، فعرضت عليه الكيس فأبى أن يقبله.

قال: كان لابن سيرين بغل[١٢٤]، قال: وكان[١٢٥] من احتاج إليه جاء فأخذه وقضى حاجته ثم رده ولا يستأمره.

وجاء فتح الموصلي إلى بيت عيسى التمار فقيل: هو غائب، فقال: أخرجوا إلي كيس أخي، فأتي به، فأخذ منه درهمًا ورد الباقي، فلما جاء عيسى أخبرته جاريته فقال: إن كنت صادقة فأنت حرة لوجه الله.

حامد اللفاف قال: لا تنبسط في هذا الزمان إلى أحد، فإن قدر الشيء قد رسخ في القلوب، ولا تسترسل قلبك إلى الإخوان فإنهم سريعو الانقلاب، وإن قربك أقرب الإخوان فكن منه على حد السنان[١٢٦].

جابر قال: صنع أبي حريرة[١٢٧] وقال: احملها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فرفعتها، فلما رأيته صلى الله عليه قال: «يا جابر، ألحم ذا»؟ قال: حريرة[١٢٨] بعث بها أبي، فلما رجعت إلى أبي قال: هل رأيت رسول الله؟ قلت: نعم. قال: فما قال؟ قلت: قال: «ألحم ذا»؟ فقال أبي: عسى أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اشتهى اللحم، فذبح داجنًا

(١٢٣) كيسك: كسبك، م، ي.
(١٢٤) بغل: نعل، م، ي. الزيادات في كتاب الجود والسخاء للطبراني ص/ ٢٨٢.
(١٢٥) وكان: كل، م، ي. الزيادات في كتاب الجود والسخاء للطبراني ص/ ٢٨٢.
(١٢٦) السنان: اللسان، م، ي.
(١٢٧) حريرة: جريرة، م، ي. المستدرك للحاكم ٤/ ١٢٤.
(١٢٨) حريرة: جريرة، م، ي. المستدرك للحاكم ٤/ ١٢٤.

وشواها، ودفعتُها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: «ما هذا يا جابر»؟ فقلت: صنع أبي كذا، فقال: «جزى الله الأنصار عنا خيرًا، ولا سيما عبد الله بن عمرو بن حرام وسعد بن عبادة».

فصل فيمن يفطر تكرمة لأخيه

روى أبو يحيى البزاز بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال: صنعت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه طعامًا، فلما قربت إليهم قال رجل من القوم: إني صائم، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «دعاكم أخوكم وتكلف ثم تقول: إني صائم؟ أفطر واقض يومًا مكانه».

عائشة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من أفطر تكرمة لأخيه فله أجران».

أم هاني أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل عليها فأتي بإناء فشرب ثم ناولها فشربت، ثم قالت: بأبي وأمي يا رسول الله إني كنت صائمة ولكني كرهت أن أرد سؤرك، فقال عليه السلام: «إن كان قضاء من رمضان فاقضي يومًا آخر، وإن كان تطوعًا فإن شئت فاقضيه، وإن شئت فلا تقضيه».

وكان إبراهيم بن أدهم إذا دعي إلى طعام وهو صائم أكل ولا يقول: إني صائم، ومن دعي وهو صائم إن شاء أفطر وله أجر الصوم، وإن شاء ترك(١٢٩) وله(١٣٠) أجر الإجابة وأجر الصوم، ولا بد أن يجيب، هذا هو السنة.

وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من دعي وهو صائم فليدع بالبركة».

فصل في الضيافة

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحجر:٥١].

أبو سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «حق الضيافة ثلاثة، فما زاد على ثلاث فهو صدقة».

---

(١٢٩) ترك: قعد، م، ي.

(١٣٠) له: لا، م، ي.

علي عليه السلام: لأن أجمع نفرًا من إخواني على صاع أو صاعين من طعام أحب إلي من أن أخرج إلى سوقكم هذا فأعتق نسمة.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تكلفوا للضيف فتبغضوه، فإن من أبغض الضيفَ فقد أبغض اللهَ، ومن أبغض اللهَ فقد أبغضه اللهُ».

أنس: زكاة الدار أن يُتخذ فيها بيت للضيافة.

عائشة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا نزل الضيف بالقوم نزل برزقه(١٣١)، فإذا ارتحل ارتحل بذنوبهم».

عطاء: كان إبراهيم إذا أكل خرج ميلًا أو ميلين يلتمس من يتغدى معه، وكان يكنى أبا الضيفان.

أنس: كل بيتٍ لا يدخله الضيف لا تدخله الملائكة.

مجاهد في قوله: ﴿ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤] قال: قيامه عليهم بنفسه.

حاتم: كان يقال: العجلة من الشيطان إلا في خمس فإنها من سنّة النبي عليه السلام: إطعام الضيف إذا حلّ، وتجهيز الميت إذا مات، وتزويج البكر إذا أدركت، وقضاء الدين إذا وجب، والتوبة إذا أذنب.

ورئي علي حزينًا فسئل عنه فقال: لسبع أتت علينا لم نضف فيها ضيفًا.

حامد اللفاف: المتزهد المرائي إذا ضافه(١٣٢) إنسان حدّثه بسخاوة إبراهيم، وإذا ضاف(١٣٣) إنسانًا حدّثه بزهد عيسى(١٣٤).

وعن عبد الرحمن بن عوف أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يابن عوف، إنك من الأغنياء، لن تدخل الجنة إلا زحفًا، فأقرض الله يطلق لك قدميك»، فقال: ما الذي أقرض الله. قال: «تتبرأ(١٣٥) مما أمسيت فيه»، قلت: من كله؟ قال: «نعم»، قال: فهممت به، فأرسل

---

(١٣١) برزقه: رزقه، م، ي. كنز العمال ٩/ ٢٤٣.
(١٣٢) ضافه: أضاف إلى، م، ي. الإمتاع والمؤانسة ص٢٩٤.
(١٣٣) ضاف: أضاف، م، ي. الإمتاع والمؤانسة ص٢٩٤.
(١٣٤) المرائي: المراي، م، ي. الإمتاع والمؤانسة ص٢٩٤.
(١٣٥) تتبرأ: سرًا، م، ي. شعب الإيمان ٥/ ٣٩.

إلي رسول الله وقال: «إن جبريل قال: مر[١٣٦] ابن عوف فليضيف الضيف، وليطعم المسكين، وليعط السائل، وليبدأ بمن يعول، فإذا فعل ذلك كان تزكية ما هو فيه».

أبو هريرة، عن النبي عليه السلام: «من السنّة أن يخرج الرجل مع ضيفه إلى باب الدار».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت».

عبد الرحمن بن أحمد بن يوسف: المروءة الكبرى إطعام الطعام، ومجالسة الكرام قبل الضيافة سنة، والضيف دليل الجنة، وإطعام الأضياف من عادة الأشراف.

وقيل: لا مروءة لمن لا يجتمع الإخوان على خوانه[١٣٧]، ولا تقع الأجفان على جفانه.

فصل في إجابة الدعوة

روى أبو يحيى البزاز بإسناده عن جابر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا دعي أحدكم فليجب، فإن شاء طعم وإن شاء ترك».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا دعي أحدكم فليجب، فإن كان مفطرًا فليأكل، وإن كان صائمًا فليدع بالبركة»، رواه عبد الله بن شداد.

وقال: «لا تردوا الهدية، وأجيبوا الداعي، ولا تضربوا المسلمين»، رواه ابن مسعود.

وقال: «لو أهدي إلي كراع لقبلت، ولو دعيت إلى ذراع لأجبت»، رواه أنس وأبو هريرة.

وقال: «شر الطعام طعام الوليمة، يدعى إليها الأغنياء ويترك الفقراء، ومن ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله»، رواه أبو هريرة. «وكان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جار يهودي فصنع طعامًا ودعاه فأجابه»، عن أنس عنه.

مجاهد قال: مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخياط يأكل التمر في دكانه فدعاه، فجلس على خرق الدكان يأكل معه، وكأن القوم أعظموا، فقال: «نعم، لو دعيت إلى كراع لأجبت، ولو أهدي إلي ذراع لقبلت».

---

(١٣٦) مر: بشر، م، ي.

(١٣٧) خوانه: إخوانه، م، ي. عين الأدب والسياسة ص١٣٣.

وعن أبي حنيفة ومحمد: لا بأس بإجابة الدعوة من الناس، وأن يأكل ويشرب من طعامهم ما لم يعرف خبيثًا بعينه.

وذكر عن مسروق أنه كان يجيب الدعوة أبي العرجاء العشّار وهو قول إبراهيم.

وعن أبي حنيفة في دعوة فيها اللهو والمعازف قال: لا بأس أن تجتنب وتأكل وتخرج ولا تقيم، وإنما أراد به الرخصة، والأولى ألاّ يدخل.

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تصحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقي»(١٣٨)

ودعي أبو ذر إلى وليمة، فلما أحضر إذ هو بصوت، فرجع، فقيل له: ألا تدخل؟ فقال: أسمع فيه صوتًا، ومن كثر سوادًا كان من أهله، ومن رضي عملًا كان شريكه(١٣٩).

وروي أن سعيد بن المسيب دعي إلى طعام فأجاب، ثم دعي من الغد فأجاب، ثم دعي الثالثة فحصب الرسول وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الوليمة أول يوم حق، والثاني معروف، والثالث رياء وسمعة».

فصل فيما يكره من إجابة أخيه(١٤٠)

[روى أبوهريرة: نهينا أن نجيب ثلاثا: من دعا الأغنياء وترك الفقراء، ومن يتخذ طعامه رياء وسمعة] ومن يتخذ بيته كما تتخذ الكعبة»(١٤١).

ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تطعمن طعامك إلا كل تقي نقي، ولا تأكل إلا طعام تقي نقي»، وكان عمر لا يجيب أحدًا إلا [من] يثق بدينه.

ودعي حذيفة إلى مائدة فرأى زي العجم، فانصرف وقال: من تشبه بقوم فهو منهم.

محمد بن سلام قال: مضت سنة الولائم أن الجفان كانت تملأ وتبعث(١٤٢) إلى المساجد

(١٣٨) وروى أبو هريرة.... تقي:-ء م.
(١٣٩) كشف الخفاء ٢/ ٣٢٨.
(١٤٠) باب ومن يكره إجابة أخيه: -، ي.
(١٤١) في الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم ١٥/ ٢٧٦.وفي رواية للحديث لأبن مسعود.
(١٤٢) تملأ وتبعث: تملى وتعدا، م، ي.

وإلى مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فيأكل من يحضر، وكان لا يختار الغني على الفقير ولا الشريف على الوضيع، كلهم كانوا [رجلا] واحدًا.

الحسن عن أبي هريرة قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن إجابة الفاسقين إلى طعامهم».

عمر قال: يا أيها الناس، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعدن على مائدة يدار عليها بالخمر».

ودعي ابن مسعود إلى طعام وفي البيت صورة، فأبى أن يدخل حتى كسرت الصورة.

وعن علي عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه «نهى عن تستير الجدر ما خلا جدر الكعبة».

إبراهيم: كل دعوة فيها معزف(١٤٣) فليس لها حرمة.

الحسن: إذا كانت الدعوة فيها معازف(١٤٤) فليس عليك أن تجيب.

فصل في التعفف(١٤٥)

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، فقر المستعفف شرف، وفقر المستكف تلف».

أيوب السجستاني: لا ينبل(١٤٦) الرجل حتى تكون فيه خصلتان: العفة عما في أيدي الناس، والتجاوز عما يكون بينهم.

ودعا العلاء بن زياد قومًا إلى طعامه منهم مالك بن دينار، فلما حضر قال: من هاهنا؟ قيل: فلان المهلبي وفلان، قال: أنا لا أحسن أن أقضي على آل المهلب، ثم رجع ولم يدخل وقال: هؤلاء قوم جبابرة.

---

(١٤٣) معزف: معرف، م، ي.

(١٤٤) معازف: معارف، م، ي.

(١٤٥) باب إجابة اومن يكره من اجابة أخيه:-، ي. البابان متداخلان في نسخة ي.

(١٤٦) ينبل: تسل، م، ي. إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة ١٥/ ٣٦٣.

الثوري: ما وضع رجل يده في قصعة رجل إلا ذل له.

حميد بن نعيم قال: دعي عمر وعثمان إلى طعام فأجابا، فلما خرجا قال عمر لعثمان: لقد شهدت طعامًا لوددت أني لم أشهده، قال: وما ذلك؟ قال: خشيت أن يكون مباهاة.

وأرسل(١٤٧) عثمان إلى أبي ذر بصرّة فيها النفقة على يد عبد له وقال: إن قبلها فأنت حر لوجه الله. فأتاه بها فلم يقبلها، فقال: اقبلها يرحمك الله فإن فيها عتقي. قال: إن كان فيها عتقك فإن فيها رقي، فأبى أن يقبلها.

وبعث حبيب بن مسلمة إلى أبي ذر بمال فقال: عندنا أعنز نحتلبها، وبعير ننقل عليه، وخادم يخدمنا، والفضل على ذلك أخاف الحساب عليه. وأبى أن يقبلها.

الحسن: أدركتهم وإن أحدهم ليعرض له الحلال وهو مجهود فلا يقبله مخافة أن يفسد عليه دينه.

ويقال: قد اختلفت الأخبار في هذا، فكيف يجمع بينها على مذهب أبي حنيفة وأصحابه؟

قلنا: متى(١٤٨) كان الداعي(١٤٩) أخًا في الله يدعو إلى طعام حلال وجبت الإجابة، وإن دعاه فاسق إلى حرام لم يحل الإجابة، وإذا دعي إلى طعام لا يعلم أنه حرام بعينه أو يعلمه(١٥٠) حلالًا ولكن يوجد عنه المناكير فهو مخير إن شاء أجاب وأمر بالمعروف، وإن شاء لم يحضر، وإذا دعي إلى طعام فيه شبهة فلا ينبغي أن يحضر، على هذه(١٥١) الوجوه تحمل الآثار.

فصل في إدخال السرور على المؤمن

روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مَنْ نَفَّس عن مؤمن كربة نَفَّس الله عنه كربة يوم القيامة، ومن يسَّر على مسلم يسر الله عليه أمره يوم القيامة، ومن ستر على مؤمن عورة ستر الله عليه عورته يوم القيامة، والله في عون العبد ما كان في عون أخيه، ومن

(١٤٧) وأرسل: فأرسل، م، ي.
(١٤٨) متى: من، م، ي.
(١٤٩) الداعي: مؤمنًا، م، ي.
(١٥٠) يعلمه: يعلم، م، ي.
(١٥١) هذه: هذا، م، ي.

سلك طريقًا يلتمس بها علمًا سهل الله له بها طريقًا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفت بهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من ستر أخاه المسلم بما يرضيه أرضاه الله في الدنيا والآخرة»[١٥٢]، رواه أبو هريرة.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن [من] موجبات المغفرة[١٥٣] إدخال السرور على أخيك المسلم»[١٥٤]، رواه علي.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن لله عبادًا يفزع[١٥٥] الناس إليهم في حوائجهم، وإدخال السرور عليهم، أولئك هم الآمنون من عذاب الله يوم القيامة»، رواه ابن عباس.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من يكن في حاجة أخيه يكن الله في حاجته، ومن أجرى الله على يديه فرجًا لمسلم فرج الله عنه كرب الدنيا والآخرة».

ابن عباس: إني لأستحيي من الرجل يطأ بساطي ثلاث مرات لا يرى عليه أثر من أثري. قال: وأتى رجل أسماء بن خارجة، فقال: إني أتيتك في حاجة صغيرة، قال: فاطلب لها رجلًا صغيرًا.

أبو قلابة: من سعى في حاجة أخ له مسلم قُضِيتْ أو لم تُقْضَ كتب الله له عبادة ألف سنة قيامها وصيامها.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير: الإيمان بالله، والنفع لعباده، وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر: الشرك بالله، والضر لعباده».

علي عليه السلام: خير المسلمين من وصل وأعان ونفع.

وعن حميد الطويل قال: أرسلني أنس في حاجة فقضيتها، فلما رجعت قال: أبشرك أن يكون لك في الآخرة مثل مملكة عبد الملك بن مروان؟ قال: نعم، قال: فوالله لهو خير لك من

(١٥٢) كنز العمال ٣/ ٣٥١.

(١٥٣) المغفرة: المغرفة، م، ي.

(١٥٤) المعجم الكبير للطبراني ٣/ ٨٣.

(١٥٥) يفزع: يستريح، م، ي. كتب الحديث. كنز العمال ٦/ ٤٤٥.

الدنيا بحذافيرها، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من مشى[١٥٦] لأخيه في حاجة أعطي بوزن ما مشى عليه حسنات[١٥٧]، ويرفع له بوزنه درجات».

ابن عمر قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله؟ وأي العمل أحب إلى الله قال: «أحب الناس إلى الله: أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله: سرور تُدخله على مسلم».

هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله، دلني على عمل يدخلني الله بَه الجنة؟ قال: «يا عائشة، من أدخل على بيت من المسلمين سرورًا لم يرض الله له ثوابًا دون الجنة»، قلت: يا رسول الله زدني، قال: «من أدخل على ذي شيبة من المسلمين سرورًا لم يرض الله له ثوابًا دون الجنة».

وعن أبي بكر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من أحب أن يسمع الله دعوته، ويفرج كُربته في الدنيا والآخرة فليُنظر معسرًا أو ليضع له، ومن سره أن يظله الله من فوْر جهنم يوم القيامة ويجعله في ظله، فلا يكن على المؤمنين غليظًا، وليكن بهم رحيمًا»[١٥٨].

فصل في الشفاعة

قوله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً﴾ [النساء:٨٥]، مجاهد قال: هي شفاعة الناس بعضهم لبعض.

سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «اشفعوا تؤجروا، فإن الرجل ليسألني فأمنعه، لكن تشفعوا له فتؤجروا».

الحسن: الشفاعة يجري أجرها لصاحبها [ما] جرت منفعتها.[١٥٩]

وروي أن رجلًا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسأله بعيرًا ليغزو فلم يكن عنده ذلك، فبعثه إلى رجل من الأنصار فأعطاه الأنصاري بعيرًا، فجاء بالبعير إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «الدال على الخير كفاعله».

---

(١٥٦) مشى: حف، م، ي.

(١٥٧) حسنات: حسان، م، ي..

(١٥٨) شرح مشكل الآثار ٩/ ٤٢٣.

(١٥٩) بستان العارفين ص٨٢.

عائشة عن النبي عليه السلام: «مَنْ كان وصلةً لأخيه إلى ذي سلطان[١٦٠] في مبلغ بِرٍّ أو تيسير عسير أعانه الله على إجازة الصراط عند دحض الأقدام».

علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من أجرى الله على يديه فرجًا لمسلم فرج الله عنه كرب الدنيا والآخرة».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يزال الله في حاجة المرء ما كان المرء في حاجة أخيه»، رواه أنس.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من مشى في حاجة أخيه المسلم كتب الله بكل خطوة سبعين حسنة، ومحا عنه سبعين سيئة من حين يفارقه إلى أن يرجع إلى بيته، فإن قضيت حاجته على يديه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وإن مات بين ذلك دخل الجنة»، رواه أبو يحيى البزاز بإسناده عن أنس عنه.

فصل في ظن السوء

قال الله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً﴾ [الحجرات:١٢]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إياك الظن فإن الظن أكذب الحديث»، رواه أبو هريرة، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله حرم من المؤمن دمه وعرضه ونفسه وأن يظن به السوء»، رواه ابن عباس، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا حسدتم فلا تبغوا، وإذا ظننتم فلا تحققوا، وإذا تطيرتم فامضوا، وعلى الله فتوكلوا»[١٦١].

إسماعيل بن أمية، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاث لا يَعْجَزُهن[١٦٢] ابن آدم: الطيرة، وسوء الظن، والحسد»، قال: «فينجيك من الطيرة ألا تعمل بها، وينجيك من سوء الظن ألا تتكلم به، وينجيك من الحسد ألاّ تبغي أخاك بسوء».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «احترسوا من الناس بسوء الظن»، رواه أنس.

الصادق: إذا كان في آخر الزمان فمحرم على أحد أن يظن بأحد خيرًا حتى يعلم ذلك منه.

(١٦٠) سلطان: سلطانه، م، ي. معجم الطبراني الأوسط ٤/ ٤٨.
(١٦١) كنز العمال ٣/ ٤٦١.
(١٦٢) يَعْجَزُهن: يعجز بهن، م، ي.

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تدابروا، وكونوا إخوانًا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا -وأشار إلى صدره ثلاثًا- بحسب[١٦٣] امرئ من الشر أن يحقر أخاه، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وعرضه، وماله».

فصل في الشماتة والمداراة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ﴾ [طه:٤٤]، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «مدارة الناس صدقة».

واثلة بن الأسقع عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تظهر الشماتة بأخيك، فيعافيه الله ويبتليك».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاث من لم يكن فيه لم يجد طعم الإيمان: حلم يرد به جهل الجاهل، وورع يحجره عن المحارم، وخُلُق يداري به الناس».

داود: يا بني لا تستقل عدوًا واحدًا، ولا تستكثر ألف صديق.

قيل لمحمد بن الفضل الهاشمي: لم تجلس إلى فلان وقد عرفت عداوته؟ قال: أخبئ نارًا وأقدح عن ود.[١٦٤]

عمر قال لطليحة [الأسدي]: قلبي لا يحبك أبدًا، قال: معاشرة جميلة يا أمير المؤمنين فإن الناس يتعاشرون على البغضاء.[١٦٥]

وذكر خالد بن صفوان شبيب بن شيبة فقال: ذلك رجل ليس له صديق في السر ولا عدو في العلانية.

وقيل لأيوب عليه السلام: أي شيء كان أشد عليك في بلائك؟ قال: شماتة الأعداء.

---

(١٦٣) بحسب: فحسب، م، ي.، صحيح مسلم ٤/ ١٩٨٦.
(١٦٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨/ ١٠٧.
(١٦٥) عيون الأخبار ٣/ ١٣.

وبلغ يزيد بن عبد الملك أن هشاما استبطأ موته[١٦٦] فقال:

تمنى رجال أن أموت فإن أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحدِ .
وقد علموا لو ينفع العلم عندهم متى مت ما الداعي علي بمخلدِ

وبلغ الصاحب أن بعض المتصلين به بشر بموته فقال:

ولو علم المسكين ماذا يناله من الذل بعدي مات قبل مماتي

آخر:

جميع فوائد الدنيا غرور فلا يبقى لمسرور سرورُ
فقل للشامتين بنا: استعدوا فإن نوائب الدنيا تدورُ

آخر:

إذا ما الدهر جر على أناس حوادثه أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا: أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

عن الشعبي:كنا نعايش الناس بالدين زمانًا طويلًا حتى ذهب الدين، ثم كنا نعايشهم بالمروءة زمانًا طويلًا حتى ذهبت المروءة ثم صرنا نعايشهم بالرغبة والرهبة، وأظن سيأتي بعد هذا ما هو أشد منه.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تعادين أحدًا حتى تنظر كيف صنعه فيما بينه وبين ربه، فإن كان حسن الصنيع فإن الله لا يسلمه إليك بعداوته إياك، وإن كان سيئ الصنيع عاديته».

عمر: استعيذوا بالله من معاداة العاقل.

الحسن: لا تشتروا مودة ألف إنسان بعداوة رجل.

شعر:

وليس كثيرًا ألف خل وصاحبٍ وإن عدوًا واحدٍ لكثيرُ

وقال عليه السلام: «إن لله ملكًا نصفه من نار ونصفه من ثلج يقول: اللهم كما ألفت بين الثلج والنار فكذلك ألف بين قلوب عبادك الصالحين»[١٦٧].

الوضين بن عطاء: ما سلمت على عدوك تسليمة إلا حللت من غل صدره عقدة.

(١٦٦) هشاما استبطأ موته: هشام أستر بموته، م، ي.
(١٦٧) إحياء علوم الدين ٢/ ١٦٠.

وقال هلال الرقي: تدبرت هذه الأبيات فاسترحت من غم العداوات:

إذا عفوت ولم أحقد على أحد   أرحت نفسي من غم العداواتِ
إني أُحيِّي عدوي حين رؤيته   لأدفع الشر عندي بالتحياتِ
وأظهر البِشْر للإنسان أبغضه   كأنه قد حشا قلبي موداتِ

آخر:

وذقتُ مرارة الأشيا جميعًا   فما طعمٌ أمرُّ من السؤالِ
ولم أر في الخطوب أمر هولًا   وأصعب من معاداة الرجالِ

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «رأس العقل بعد الإيمان بالله المدارة للناس، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، ولن يهلك امرؤ بعد مشورة»، رواه سعيد بن المسيب.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله أمرني بمدارة الناس كما أمرني بإقامة الفرائض»، روته عائشة.

فصل في التواضع

أنس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله تعالى أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفجر أحد على أحد».

ابن عمر عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إني عبد وابن عبد، وإنه قد أوحي إلي أن تواضعوا ولا يبغي أحد على أحد».

عائشة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لو شئت لسارت معي جبال الذهب، أتاني ملك فقال: يا محمد [إن شئت] نبيًا عبدا و[إن شئت] نبيًا ملكًا، فأشار إليَّ جبريل أنْ تواضع، فقلت نبيًا عبدًا»[١٦٨]، قال: وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك لا يأكل متكئًا ويقول: «آكل أكلة العبد، وأقعد قعدة العبد».

عن كعب الأحبار قال: دخلت على عائشة فقالت: يا أبا إسحاق، إن الله ذكر جبريل وميكائيل

---

(١٦٨) مجمع الزوائد ٩/ ١٩، وكنز العمال ١١/ ٤٣٢.

فحدثني عن إسرافيل، فقال: سأحدثك حديث إسرافيل، فإن وافق حديثي حديث رسول الله بشَّرتني، قالت: نعم، قال: إن إسرافيل من أشراف الملائكة وأرفعهم منزلة، وهو صاحب الصور، وهو صاحب الوحي، وإن الله لم يرسله إلى أحد قط حتى أرسله إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فنزل وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره له ستة أجنحة، جناحان[١٦٩] اتزر بهما وجناحان[١٧٠] تردف بهما وجناح بالمشرق وجناح بالمغرب، فقال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أرسلني الله إليك أخيرك بأن تكون ملكًا نبيًا أو رسولًا عبدًا، فنظر رسول الله إلى جبريل فقال جبريل: تواضع، فقال: «لا بل رسولًا عبدًا، قال له إسرافيل: فإن لك ما تواضعت أنك أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، وأنت سيد ولد آدم يوم القيامة، وأنت أول شافع». فقالت عائشة: هكذا حدثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من لبس الصوف وانتعل المخصوف، وركب حماره، وحلب شاته، وأكل مع عياله، فقد نحى الله عنه الكبر، إني عبد وابن عبد، أجلس جلسة العبد، وآكل أكلة العبد»، ولم يأكل طعامًا إلا وهو جاثٍ على ركبته.

وقال عليه السلام: «ما نقص مال من صدقة، ولا عفا رجل عن مظلمة إلا زاده الله عزًا، ولا تواضع لله إلا رفعه الله».

ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن يد الله مبسوطة على خَلْقه، فمن رفع نفسه وضعه الله، ومن وضع نفسه رفعه الله، ولا يمشي امرؤ على الأرض شبرًا يبتغي به[١٧١] سلطان الله كبرًا منه إلا كبه الله في النار».

وروى أبو يحيى بإسناده أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمسى بقباء صائمًا، فأتاه أوس بقدح فقال: يا رسول الله أفطر على هذا، فأخذه فذاقه ثم وضعه، فقال: «ما شرابك هذا»؟ قال: لبن جعل عليه عسل، قال: «أما إني لا أحرِّمه، ولكني أدعه تواضعًا، فإنه من تواضع لله رفعه، ومن تكبر قصمه الله، ومن اقتصد أغناه الله، ومن بذَّر أفقره الله، ومن ذكر الله أحبه الله»

يحيى بن أبي كثير، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الكرم التقوى، والشرف التواضع، والغنى اليقين».

---

(١٦٩) جناحان: جناحين، م، ي.

(١٧٠) وجناحان: وجناحين، م، ي.

(١٧١) يبتغي به: يبغي، م، ي. جمع الجوامع ١٠/ ١٢٨.

عمر: إنكم أيها الناس لا تجدون محض الإيمان حتى يكون الفقر أحب إليكم من الغنى، وحتى يكون التواضع أحب إليك من الشرف، وحتى يكون من مدحكم عندكم بمنزلة من ذمكم، قالوا: هلكنا والله إذًا يا أمير المؤمنين، ما منا أحد هكذا، فقال عمر: بل كلكم هكذا، قالوا[١٧٢]: أخبرنا؟ قال: حتى يكون الفقر في الحلال أحب إليكم من الغنى في الحرام، وحتى يكون التواضع في طاعة أحب إليكم من الشرف في معاصي الله، وحتى يكون من مدحكم وذمكم في أداء الحق الذي أوجب الله عليكم بمنزلة، قالوا: فَرَّجْتَ عنا فرج الله عنك كرب يوم القيامة.

وكان عمر بن عبد العزيز لا يسجد إلا على التراب.

ومر المهلب بمطرف بن الشخير[١٧٣] وهو يتبختر في جبّة خز فقال مطرف: يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله، فقال المهلب: أما تعرفني؟ قال: بلى أعرفك، أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وتحمل بين ذلك عذرة. فترك المهلب تلك المشية ومضى.

فصل في اللباس

قال الله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر:٤]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «خلق الله الجنة بيضاء، وأحب الزي إلى الله البياض، فليلبسه أحياؤكم، وكفنوا به موتاكم»، رواه عطاء.

روى ابن عمر قال: رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم على عمر بن الخطاب ثوبين أبيضين فقال: «أجديدان أم غسيلان يا عمر»؟ فقال: لا بل جديدان، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لبست جديدًا، وعشت حميدًا، ومت شهيدًا، وأرانا الله وإياك قرة عين وسرورًا في الدنيا والآخرة».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إِزْرَةُ المسلم في نصف الساق، ولا جناح عليه فيما بينه وبين[١٧٤] الكعبين، فما كان أسفل من الكعبين ففي النار، ولا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرًا»، رواه أبو سعيد الخدري.

---

(١٧٢) قالوا: قال، م، ي.

(١٧٣) الشخير: السخير، م، ي. سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٠٣.

(١٧٤) بينه وبين: يرون دون، م، ي. جملة من كتب الحديث. السنن الكبرى للبيهقي ٢/ ٣٤٥.

عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «كلوا واشربوا والبسوا واصَّدَّقوا[١٧٥] في غير سرف ولا مخيلة[١٧٦]، فإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده».

ابن عباس: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يلبس قميصًا قصير اليدين والطول»[١٧٧].

القاسم، عن أبي أمامة أن عمر بن الخطاب كان جالسًا يومًا في جميع أصحابه إذ دعي بقميص جديد فلبسه، فلا أحسبه بلغ ترقوته إلا قال: «الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي، وأتجمل به في حياتي، ثم قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبس ثوبًا جديدًا فقال مثل ذلك [ثم قال: والذي نفسي بيده، ما من عبد مسلم لبس ثوبا جديدًا، ثم يقول مثل ما قلت] ثم يَعْمِد إلى أخلاقه التي وضع[١٧٨] فيكسوها إنسانًا مسكينًا فقيرًا [مسلما][١٧٩] لا يكسوه إلا لله [إلا] لم يزل في حرز الله، وفي ضمان الله، وفي جوار الله، ما دام عليه[١٨٠] منها سِلْكٌ واحد حيًا وميتًا».

عمر: المروءة الظاهرة في الثياب الطاهرة، وتلا: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤].

السري بن يحيى: قيل للحسن: أي اللباس أحب إليك؟ قال: أغلظها وأخشنها وأوضعها لك عند الناس، فقال رجل: أليس يقال: إن الله جميل يحب الجمال؟ فقال: أي لكع، ذهبت[١٨١] إلى غير ما ذهب الله إليه، لو كان الجمال بالثياب لكان الفجار أوجه عند الله، ولكن الله جميل يحب أن يُتجمل له بطاعته.

فصل في الطيب

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «حبب إلي من دنياكم ثلاث: الطيب، والنساء، وجعل قرة عيني في الصلاة».

---

(١٧٥) سنن ابن ماجة ٢/ ١١٨٤.

(١٧٦) مخيلة: تخيلة، م، ي.

(١٧٧) المستدرك للحاكم ١/ ١٩٩.

(١٧٨) وضع: رفع، م، ي. الدعاء للطبراني ص١٤٢.

(١٧٩) الدعاء للطبراني ص١٤٢.

(١٨٠) عليه: عليها، م، ي. الدعاء للطبراني ص١٤٢، المستدرك للحاكم ٤/ ٣١٤.

(١٨١) ذهبت: ذهب، م، ي.

وعن عائشة قالت: طيبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لإحرامه حين أحرم، ولإحلاله حين أحل قبل أن يطوف بالبيت، ولقد رأيت وميض الطيب في مفارق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد إحرامه بثلاث.

وعن عائشة: «أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يصبح يوم العيد فيغتسل ويلبس أحسن ثيابه، ويتطيب، ويخرج إلى المصلى».

العتبي: في الطيب أربع خصال: سنة، ومروءة، ولذة، وقوة.

أبو أيوب الأنصاري، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أربع من سنن المرسلين: التعطر، والنكاح، والحياء، والسواك». شعر[١٨٢]:

عليَّ بندٍّ كصفو الزمانِ ونيل الأماني وحرز الأمان
إذا نالت النار مِنْ جسمه أتت ريحه[١٨٣] بنسيم الجنان

وقيل للصاحب: الاستقصاء مذموم في كل شيء إلا في البخور فإنه من المروة، فقال: في إيجاده لا في استعماله.

شعر:

وندٌّ ما له نِدٌّ تعاطيه من السُّنَّهْ
إذا ما دخل النار حكى[١٨٤] رائحة الجنه

جعفر بن سليمان الهاشمي: الطيب لسان المروءة.

وقيل: أربعة من المروءة لا يجوز الإخلال بها: السواك، والحلال، والنسك[١٨٥]، والبخور.

فصل في الهدية

الهدية بين الإخوان سنَّها النبي واستحبها[١٨٦]، فقد روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(١٨٢) الأبيات لأبي المنصور الثعالبي.
(١٨٣) ريحه: روجه، م، ي.
(١٨٤) حكى: على، م، ي.
(١٨٥) والنسك: والمرتك، م، ي.
(١٨٦) سنَّها النبي واستحبها: سنة، وهدية استحبها، م، ي.

قال: «تهادوا تحابوا»، وقال: «الهدية تَذْهَبُ بالسمعوالبصر والقلب»(١٨٧)، وقالت عائشة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لي جاران إلى أيهما أهدي؟ [قال]: «إلى أقربهما منك»، وأهدى النجاشي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم خفين أسودين، فقبلهما ومسح عليهما، وأهدى المقوقس ملك الإسكندرية [إلى النبي] دُلْدُل(١٨٨) وذا(١٨٩) الفقار.

أبو عوانة قلت للأعمش: عندي بط سمين فهيًّا فتغدّى(١٩٠) عندي؟ قال: وما يغنيني بالمجيء إليك، ابعث به إلى البيت.

وقيل: الهدية تفتح الباب المصمت، وتسل(١٩١) سخيمة القلب.

وأهدى الصاحب إلى بعضهم حلوى وكتب إليه:

حلاوة حبك يا سيدي تُسَوِّغُ(١٩٢) بغِشِي إليك الحلاوةْ

وأهدى إليه هدية فبعث منها إلى أبي سعيد السبتي وكتب إليه(١٩٣):

رويتفي السُّنَّة المشهورة البركة أن الهدية في الإخوان مشتركة

وأهدى العميري قاضي قزوين إليه كتبًا، وكتب:

[العميري] عَبْدُ(١٩٤) كَافِي الْكُفَاةِ وإن اعتد(١٩٥) في وجوه القضاة

خدم المجلس الرفيع بكتبٍ مفعمات من حسنها مترعات

فوقع تحتها:

قد قبلنا من الجميع كتابا ورددنا لوقتها الباقيات

لست أستغنم الكثير فطبعي قَوْلُ خُذْ ليس مذهبي(١٩٦) قول هات

(١٨٧) معجم الطبراني الكبير ١٧/ ١٨٣.

(١٨٨) دُلْدُل: اسم بغلة. المحيط في اللغة (دل).

(١٨٩) ذا: ذو، م، ي.

(١٩٠) فهيًّا فتغدّى: أهيه فتغد، م، ي.

(١٩١) تسل: سل، م، ي.

(١٩٢) تُسَوِّغُ: سوغ، م، ي. يتيمة الدهر ٣/ ٣١٠.

(١٩٣) يتيمة الدهر ٣/ ٢٣٠.

(١٩٤) عبد: عند، م، ي. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ١٣/ ٣٧٦.

(١٩٥) اعتد: عيد، م، ي. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ١٣/ ٣٧٦.

(١٩٦) مذهبي: طبعي، م، ي. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ١٣/ ٣٧٦.

وأهدي إليه مصحف فكتب إلى مهديه: البر - أدام الله على الشيخ - أنواع [وتقصر عنه أبواع، فإن يكن فيها ما هو أكرم منصبًا، وأشرف مَنْسبًا، فتحفة الشيخ إذ أهدى مالا تشاكله النعم، ولا تعادله القيم، كتاب الله وبيانه، وكلامه وفرقانه][١٩٧].

أبو سعيد بن حميد: من لم يؤت في هديته إلا من جهة قدرته فلا مطعن عليه في همته.

ولبعضهم يعتذر في الإخلال بهدية في يوم عيد:

شعر:

وافــق العيــد والمهرجــان منــي رقــة الحــال وهــي داء الكــرام

فاقتصرنــا علــى الدعــاء، وفيــه عــون صــدق علــى قضــاء الذمــام

فأما من كره الهدايا: فقد ورد عن ابن عمر أنه قال لابن مسعود في وصيته: إياك والهدية، وليست بحرام عليك، ولكني أخاف عليك القالة.

علي عليه السلام: هدايا العمال غلول.

وسأل رجل مسروقا[١٩٨] حاجة فقضاها، فأهدى له هدية فردها وحلف لا يقضي له حاجة[١٩٩]، فقيل له: ما كنا نرى بالهدية بأسًا، فقال مسروق: هذا السحت.

وأهدي إلى عمر بن عبد العزيز هدية فردها، فقيل: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقبل الهدية، فقال: كانت الهديةُ له هديةً، وهي اليوم لنا رشوة.

وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنسًا على الصدقات، فلما رجع عزل شيئًا وقال: أهدي إلي، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «هل قعدت في حِفْش[٢٠٠] أمك فتأتي إليك هديتك[٢٠١]».

وأهدى زيد بن ثابت إلى عمر طبق تمر وكان له عليه دين فرده، فأتاه زيد وقال:لم رددته؟ فقبله.

وكان أبو حنيفة يقول: كل قرض جر في منفعة فهو ربًا؛ يعني فهو حرام.

(١٩٧) أعيان الشيعة ٣/ ٣٥٧.

(١٩٨) مسروقا: مسرور، م، ي. الينابيع الفقهية ١٢/ ٢٤٣.

(١٩٩) حاجة: حاجته، م، ي. الينابيع الفقهية ١٢/ ٢٤٣.

(٢٠٠) الحِفْشُ: البيت الصغير جدًا القريب من الأرض. تاج العروس (حفش).

(٢٠١) هديتك: هديته، م، ي.

فصل في العدل

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾ [النحل:٩٠]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إني أخاف على أمتي من بعدي من أعمال ثلاثة: زلة عالم(٢٠٢)، وحكم جائر، وهوًى(٢٠٣) متبع».

عبد الله بن عمرو عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «إن المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم القيامة بين يدي الرحمن، كما أقسطوا في الدنيا».

عمار، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاث من جمعهن فقد جمع خلال الإيمان: الإنفاق من الإقتار، والإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم».

الباقر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الأعمال ثلاثة: مواساة الإخوان في المال، وإنصاف الناس من نفسك، وذكر الله على كل حال».

جرير بن عبد الله في قوله تعالى: ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود:١١٧]، قال: ينصف بعضهم بعضًا.

ابن مسعود: من أحب أن ينصف الناس من نفسه فليأت إلى الناس الذي يحب أن يأتوا إليه.

وذكر الظلم في مجلس ابن عباس فقال كعب: إني لأجد في كتاب الله المنزل(٢٠٤) أن الظلم يخرب البيوت، فقال ابن عباس: أنا أجد ذلك في القرآن ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾ [النمل:٥٢].

ومر عمير بن عبيد بباب سليمان بن علي وهو يقطع يد سارق فقال: يا عجبًا من سارق العامة يقطع يد سارق البيت.

وحبس الرشيد رجلًا فكتب إليه: ما من يوم يمضي من نعمك إلا يمضي مثله(٢٠٥) من بؤسي، والأمر قريب، والحكم الله. فخلى سبيله.

---

(٢٠٢) عالم: حاكم، م، ي. مسند الشهاب ٢/ ١٧٤ وغيره من الكتب.

(٢٠٣) هوًى: هو، م، ي.

(٢٠٤) لعله يقصد التوراة. المجالسة وجواهر العلم ٥/ ٢٢٣، وحسن التنبه لما ورد في التشبه ٧/ ١٤٦.

(٢٠٥) مثله: فيه، م، ي.

شعر[٢٠٦]:

كلما مر من سرورك يوم ... مر في الحبس من بلائي يومُ
لا لنُعْمى ولا لبُؤْسَى دوامٌ ... لم يدُمْ في النعيم والبؤس قوم

وقيل لإبراهيم بن أدهم: السلطان يفرق المال في الفقراء، فهلا تأخذ؟ قال: أكره أن يقال للظالم يوم القيامة: ماذا صنعت بالمال؟ فيشير إلي ويقول: دفعته إلى هذا.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «خمسة غضب الله عليهم، إن شاء أمضى غضبه عليهم في الدنيا، وإلا فثوابهم في الآخرة النار: أمير قوم يأخذ حقه من رعيته ولا ينصفهم من نفسه ولا يدفع الظلم عنهم، وزعيم قرية يطيعونه فلا يسوي بين القوي[٢٠٧] والضعيف ويتكلم بالهوى، ورجل لا يأمر أهله وولده بطاعة الله، ولا يعلمهم أمر دينهم، ولا يبالي إذا أخذوا دنياهم ما تركوا من دينهم، ورجل استأجر أجيرًا فاستعمله ولا يوفيه أجره، ورجل ظلم امرأةً مَهْرَها».

فصل في العفو

قال تعالى: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ﴾ [آل عمران:١٥٩]، ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ [الأعراف:١٩٩].

عائشة قالت: «ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحدًا من نسائه، ولا ضرب خادمًا له قط، ولا ضرب شيئًا بيمينه إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا نيل منه شيء قط فانتقم لنفسه إلا أن تنتهك[٢٠٨] محارم الله فينتقم لها».

الصادق: لأن[٢٠٩] أندم على العفو أحب إلي من أن أندم على العقوبة.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ينادي مناد يوم القيامة: أين الذين كانت أجورهم على الله؟ فيقوم العافون عن الناس فيدخلون الجنة، قال الله تعالى: ﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٣٤]».

---

(٢٠٦) الوافي بالوفيات ٣/ ١٧.
(٢٠٧) القوي: القوم، م، ي.
(٢٠٨) تنتهك: ينتهك، م، ي. مسند أحمد ٤٠/ ٣٧.
(٢٠٩) لأن: لا، م، ي.

وأدخل على مصعب بن الزبير رجل قد أحدث له حدثًا، فدعا له بالسياط[٢١٠]، فقال الرجل: أسألك بالذي أنت بين يديه يوم القيامة أذل مني بين يديك الساعة أن تعفو عني، فنزل مصعب عن السرير وألصق خده بالأرض وقال: قد عفوت.

قتادة: أفضل الناس: أعظم الناس للناس عفوًا، وأسلمهم لهم صدرًا.

ونزل معروف الكرخي دجلة يتوضأ فترك ثوبه ومصحفه في المسجد، فأخذتهما امرأة، فرآها، فجعل يمشي خلفها حتى لحقها، فجعل يكلمها ولا ينظر إليها، لئلا يراها فيعنف عليها، وجعل يقول: أختي، أنا معروف الكرخي ليس عليك بأس، ألك ابن يقرأ أو زوج؟ قالت: لا، قال: فهاتي المصحف وخذي الثوب.

وكان خلف بن أيوب يصلي، فدخل سارق داره وجمع المتاع وشده برسن وحمله، فلما بلغ الحائط لم يقدر مجاوزة الثلمة[٢١١]، فخشي خلف العطب، فقطع صلاته وناداه: إن الباب هاهنا، فخرج، فلما علم أنه خلف ترك المتاع ومضى.

الزهري قال: لما كان يوم الفتح أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى صفوان بن أمية وإلى [أبي] سفيان بن حرب، الحارث[٢١٢] بن هشام، فدعاهم، فقال عمر: إن أمكنني الله منهم أعرّفهم ما صنعوا، [حتى] قال رسول الله: «مثلي ومثلهم كما قال يوسف لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف:٩٢]»، قال عمر: فانتضحت عرقًا حياء من رسول الله.[٢١٣]

ورُفع إلى أبي جعفر المنصور أن أهل المدينة تأخروا عن البيعة، فأراد أن يبعث عليهم من يعاقبهم ويسمل أعينهم، وعنده جعفر بن محمد عليهما السلام، فقال: أتأذن لي في الكلام يا أمير المؤمنين؟ قال: تكلم، فقال: إن سليمان أعطي فشكر، وإن أيوب ابتلي فصبر، وإن يوسف قدر فغفر، وأنت من عترة الطيبين الذين إذا أعطوا شكروا، وإذا ابتلوا صبروا، وإذا قدروا غفروا. فعفا عنهم.

---

(٢١٠) بالسياط: بالبساط، م، ي.

(٢١١) الثُّلْمَةُ: الخلل في الحائط وغيره. الصحاح (ثلم).

(٢١٢) الحارث: والحرث، م، ي. تاريخ دمشق ٣/ ٣٨٤.

(٢١٣) تاريخ دمشق ٣/ ٣٨٤.

عن المأمون: ليس علي في الحلم مؤنةٌ، ولوددت أن أهل الجرائم علموا رأيي في العفو فيذهب عنهم الخوف فتخلص لي قلوبهم.

وحُكي أن جارية للصادق جاءت بقصعة مملوءة مرقة لعشائه وكان عنده ضيف، فعثرت بها فأهوت بها على رأسه، فقال: يا جارية أحرقتني، قالت: يا معلم الخير ومؤدب الناس وابن رسول الله ارجع إلى ما قال الله، قال: وما قال؟ قالت: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٣٤]، قال: قد كظمت غيظي، قالت: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾، قال: قد عفوت عنك، قالت: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤]، قال: أنت حرة لوجه الله.

أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابًا يسيرًا يوم القيامة وأدخله الجنة برحمته»، قال: وما هي؟ قال: «تعطي مَنْ حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وتصل مَنْ قطعك».

فصل في الحلم

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود:٧٥]، وقال: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾ [الفرقا:٦٣].

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أن جبريل نزل عليه فقال: يا محمد إني أتيتك بمكارم الأخلاق كلها في الدنيا والآخرة: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩] وهو يا محمد أن تصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك».

علي عليه السلام: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ فأول عوض الحليم مِنْ حِلْمه أن الناس أنصاره.

وقال رجل للأحنف: لئن قلت واحدة لتَسْمَعنّ عشرًا، فقال الأحنف: لكنك إن قلت عشرًا لم تسمع واحدة.

شعر:

تحلَّمْ عن الأدنين واستبْقِ وُدَّهم ... ولن تستطيع الحِلْم حتى تحلَّما

وقال: السكوت عن الأحمق جوابه.

شعر:

وإذا بليتُ بجاهلٍ متحكم — يجد[٢١٤] المحال من الأمور صوابا
أوليتُه مني السكوت وربما — كان السكوت عن[٢١٥] الجواب جوابا

وسئل بعض الأعراب: من سيدكم؟ فقال: من احتمل شتمنا، وأعطى سائلنا، وأغضى عن جاهلنا. ولعروة بن الزبير في معناه:

لن يبلغ المجد أقوام وإن كرموا — حتى يذلوا وإن عزوا لأقوامِ
ويُشتموا فترى الأجفان مشرقة — لا عفو ذلٍ ولكن عفو أحلامِ

وعن الأحنف: ما نازعني أحد إلا أخذت في أمري بإحدى ثلاث خصال: إن كان فوقي عرفت له قدره، وإن كان دوني أكرمت نفسي عنه، وأن كان مثلي تفضلت عليه.

خالد بن صفوان قال: شتم رجل عمرو بن عبيد، فلما فرغ قال عمرو له[٢١٦]: يأجرك الله على ما ذكرت من صواب، وغفر لك ما ذكرت من خطأ.

شعر:

رجعتُ على السفيه بفضل حلمٍ — وكان الحلم صار له لجاما
وظنَّ بي السَّفَاهَ فلم يجدْني — أُسافهُهُ وقلتُ له سلاما
فقام يجرّ رِجْليه ذليلًا — وقد كسب المذمّة[٢١٧] والملاما
وفضْلُ الحلم أبلغ من سفيهٍ — وأحرى أن ينال به انتقاما

ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من لم يكن فيه ثلاث لم يجد طعم الإيمان: حِلْم يردّ به جهْل الجاهل، وورع يحجزه[٢١٨] عن المحارم، وخلق يداري به الناس».

وشتم رجل فيلسوفا[٢١٩] فقال: لست أدخل في حرب الغالب فيه مغلوب.

---

(٢١٤) يجد: يعد، م، ي.

(٢١٥) عن: من، م، ي.

(٢١٦) عمرو له: عمّ وفيم، م، ي. بهجة المجالس ٢/ ٦٠٨.

(٢١٧) المذمّة: الملامة، م، ي.

(٢١٨) يحجزه: يحجره، م، ي. مداراة الناس لابن أبي الدنيا ص٢٥.

(٢١٩) فيلسوفا: فلسفيًا، م، ي.

الزبرقان بن بدر: ما استب رجلان إلا غلب ألأمهما.

معاوية: لو كان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت، قيل: وكيف؟ قال: إذا خلوها مددتها، وإذا مدوها خليتها.

وقال رجل لأبي ذر: أنت الذي نفاك معاوية من الشام، لو كان فيك خيرٌ ما نفاك. فقال: يابن أخي إن ورائي عقبة كؤودًا إن نجوتُ منها لم يضرني ما قلت، وإن لم أنج منها فأنا شر مما قلت.

وقال رجل لمالك بن دينار: يا مراءِ. فقال: يا هذا، اليوم وجدت اسمي الذي أضلته أهل البصرة منذ سنين.

عيسى عليه السلام: احتملوا من السفيه واحدة كي تربحوا عشرًا.

وقال بعضهم للأحنف: إن قلتَ واحدة لتسمعن عشرًا، فقال: بل لو قلت عشرًا ما سمعت واحدة.

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مر بقوم(٢٢٠) قد اجتمعوا على رجل فقال: «من»؟ قالوا: رجل يرفع حجر الأشداء(٢٢١)، قال: «ألا أنبئكم بمن هو أشدّ: رجل شتمه رجل فعفا عنه وصفح، فغلبه وغلب الشياطين».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم لأبي هريرة: «احتمل الأذى عمن هو أكبر منك وأصغر منك وخير منك وشر منك، فإنك إن كنت كذلك باهى الله بك الملائكة».

معاوية بن قرة: كان يقال: [العارضة كناية عن البذاء و] الحدّة [كناية عن] الجهل(٢٢٢).

شقيق: خُلُق الجنة ثلاثة: تعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك.

قيل للشعبي: فلان(٢٢٣) يكثر الوقيعة فيك، فقال:

هنيئًا مريئًا غير داء مُخامر لعَزَّةَ مِنْ أعراضنا ما استحلتْ

(٢٢٠) قوم: قبيلة، م، ي. مستدرك الوسائل ١١/ ٢٨٩.

(٢٢١) يرفع حجر الأشداء: لم يضع أحد حه، م، ي. مستدرك الوسائل ١١/ ٢٨٩.

(٢٢٢) الجهل: أبو جهل، م، ي. الجاحظ، البيان والتبيين. وتنسب المقولة لشريح القاضي.

(٢٢٣) فلان: فلا، م، ي.

وقيل لسالم بن عبد الله: إنك شيخ سوء، فقال: ما أراك بعدت.

ابن مسعود قال: قسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قسمة فقال رجل: ما أراد بذلك رسول الله وجه الله، فذهبت إلى رسول الله فتغير لونه ثم قال: «رحم الله موسى لقد أوذي بما هو أعظم منه فصبر».

حدث أبو زينب بن الزارع قال: خرج جدي الزارع وافدًا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع الأشَجّ واسمه عباد[٢٢٤] بن عمرو، قال: فانطلقنا حتى أتينا المدينة، فرأينا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فما ملكنا أنفسنا أن وثبنا عن رواحلنا فقبلنا يديه ورجليه، قال: ونزل الأشج فأناخ رواحله فعقلها، ثم وضع عنه ثياب السفر وأخرج ثوبين أبيضين فلبسهما، وأقبل فأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعين رسول الله كل ما يصنع، قال: فلما أتاه قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أشج إن فيك لخلقين يحبهما الله ورسوله»، قال: وما هما يا رسول الله؟ قال: «الحلم والأناة»، وقال: خلقان تخلقتهما من قبل نفسي أم الله جبلني عليهما؟ قال: «بل الله جبلك عليهما»، قال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله.

وعن النابغة قال: أنشدت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

بلغْنا السما جودًا ومجدًا ونائلًا ... وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا
ولا خير في جَهْلٍ إذا لم يكن له ... حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا
ولا خير في حِلم إذا لم يكن له ... بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أجدت يا أبا ليلى، لا يفضض الله فاك، إلى أين المظهر»؟ قال: قلت إلى الجنة، قال: «إن شاء الله».

علي عليه السلام: إن الرجل ليدرك بالحلم درجات الصائم القائم، وإن الرجل يكتب جبارًا وما يملك إلا أهل بيته.

فصل في كظم الغيظ

قال الله تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ [آل عمران:١٣٤]، وعن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من كظم غيظه وهو يقدر على أن يمضيه ملأه الله يوم القيامة رضًا».

---

(٢٢٤) عباد: عائذ، م، ي. وفي رواية اسمه المنذر بن عائذ. الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم ٣/ ٢٠٤. مجمع الزوائد للهيثمي، ٣/ ٣٩١.

وعن أبي ذر أنه كان على حوض يسقي إبلًا له، فأسرع بعض الناس إليه وكسر الحوض، فغضب فجلس ثم اضطجع، فسئل عنه فقال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرنا إذا غضب الرجل أن يجلس، فإن ذهب عنه وإلا فليضطجع».

يحيى بن سالم: مكتوب في الإنجيل: يابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى:٣٧]، وقد ذكرنا قصة الصادق عليه السلام مع جاريته، وكان الشعبي يتمثل:

ليست الأحلام في حين الرضا إنما الأحلام في حين الغضب

ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من كف غضبه لله ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رضًا يوم القيامة، ومن كظم غيظه ستر الله عورته في الدنيا والآخرة».

علي، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أشدكم من غلب نفسه عند الغضب».

وعن أبي سعيد الخدري قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله علمني عملًا أدخل به الجنة وأقلل لعلي أعقل؟ قال: «لا تغضب».

معاذ: استب رجلان عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى عُرف الغضب في وجه أحدهما، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب غيظه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

ابن مسعود: كفى بالرجل إثمًا أن يقال له: اتق الله، فيغضب ويقول: عليك نفسك.

قيل للأحنف: كنا نعد المروءة الصبر على كظم الغيظ، فقال: من لم يصبر على كلمة سمع كلمات.

محمد بن كعب قال: لما ترعرع سليمان قال له داود عليهما السلام: ما أحلى شيء؟ وما أبرد[٢٢٥] شيء؟ وما الذي لا يصلح في الجدب والخصب؟ وما الذي لا يفسد في الجدب والخصب؟ قال: أحلى شيء: [رَوْح الله بين عباده]، وأما أبرد شيء فعفو الرب عن العباد وعفو العباد بعضهم عن بعض، وما لا يصلح لا في الخصب ولا في الجدب فذلك قلب الكافر،

(٢٢٥) أبرد: أمر، م، ي.

وما لا يفسد[٢٢٦] في الخصب والجدب فذلك قلب المؤمن، وإن الخصب والجدب: الرخاء والشدة[٢٢٧].

شعر:

لـم يملـك الناس شيئًا مـن أمورهم أحلى وأحمـد عصيانًا مـن الغضب

ولا تلحَّـف إنسـان بملحفـة أبهـى وأزيـن مـن علـمٍ ومـن أدب

فصل في أداء الأمانة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء:٥٨].

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ستة تجثو عند الرحمن تخاصم عن صاحبها يوم القيامة، تقول: يا رب تعذب فلانًا وقد كان يعمل بي: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصلة الرحم، وأداء الأمانة»، رواه أبو أمامة.

ثابت، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة»، قال ثابت: قد يكون الرجل يصوم ويصلي ولو ائتمن على أمانة لم يرد، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ الآية [آل عمران:٧٥].

حذيفة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من اقتراب الساعة إذا رأيتم الناس أقاموا الصلاة وأضاعوا الأمانة».

عائشة، عن النبي صلى الله عليه و وسلم قال: «لا يزال الدين ظاهرًا ما لم تَرَ أمتي الصدقة مغرمًا، والأمانة مغنما[٢٢٨]، ويؤخروا صلاة المغرب حتى تشتبك النجوم».

حذيفة قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر، حدثنا «أن الأمانة نزلت[٢٢٩] في قلوب الرجال ونزل القرآن فقرأوا[٢٣٠] القرآن وعَلِموا

(٢٢٦) يفسد: يقصد، م، ي.

(٢٢٧) الزهد لابن حنبل ٣٦.

(٢٢٨) مغنما: مغرمًا، م، ي. مجمع الزوائد ٧/ ٣٢٨.

(٢٢٩) نزلت: قدلت، م، ي. جامع معمر بن راشد ١١/ ١٥٧.

(٢٣٠) فقرأوا: فاقروا، م، ي. جامع معمر بن راشد ١١/ ١٥٧.

من السنة»، ثم حدثنا عن رفعها فقال: «ترفع الأمانة فينام الرجل ثم يستيقظ وقد رفعت الأمانة من قلبه، ويبقى أثرها كالوكت[٢٣١] أو كالجمر[٢٣٢] دحرجته على رجلك فهو يرى أن فيه شيئًا وليس فيه شيء، وترفع الأمانة حتى إنه يقال: إن في بني فلان رجلًا أمينًا، وإن في بني فلان رجلًا أمينًا، وقد رأيتني وما أبالي أيكم بايعت إن كان مسلمًا ليردنه عليَّ إسلامه، وإن كان معاهدًا ليردنه عليَّ ساعيه، وأما اليوم فإني لم أكن لأبايع إلا فلانًا وفلانًا»[٢٣٣].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»، رواه أنس.

زاذان، عن ابن مسعود قال: القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها إلا الأمانة، يجاء بالرجل يوم القيامة وإن كان قُتل في سبيل الله فيقال له: أدِّ أمانتك، فيقول: يا رب كيف أؤدي أمانتي وقد ذهبت الدنيا؟ قال: فيقال: اذهبوا به إلى الهاوية، فيذهب، حتى إذا انتهى إليها مثلت له أمانته في قعرها كهيئتها يوم دفعت إليه، فيأخذها فيحملها إلى عاتقه، ثم يصعد بها حتى إذا ظن أنه خارج زلت من عاتقه وهوت وهوى في إثرها أبد الآبدين، ثم قال: إن الأمانة في كل شيء، في الوضوء، والصلاة، وفي الزكاة، وفي الجنابة، وفي الحديث، وفي الكيل والوزن، وفي الصوم، وأعظم ذلك الودائع. قال زاذان: فأتيت البراء بن عازب وأنا ضجر من ذلك فقال: ما جاء بك؟ قلت: ما حدث بك أخوك عبد الله بن مسعود، وحدثته، فقال: صدق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء:٥٨]»[٢٣٤].

عبد الله بن عمرو، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعِفَّةٌ طُعْمَة»[٢٣٥].

عمر: من شاء صام ومن شاء صلى، لا يغرَّنك[٢٣٦] صلاة أحد ولا صيامه، وإنه لا دين لمن لا أمانة له.

---

(٢٣١) الوَكْتُ والوكتة في الرطبة: نقطة تظهر فيها من الإرطاب. لسان العرب (وكت). جامع معمر بن راشد ١١/ ١٥٧.

(٢٣٢) الجمر: الجمل، م، ي. إرشاد السَّاري لشرح صحيح البخاري ٩/ ٢٨٦.

(٢٣٣) جامع معمر بن راشد ١١/ ١٥٧. إرشاد السَّاري لشرح صحيح البخاري ٩/ ٢٨٦.

(٢٣٤) حلية الأولياء ٩/ ٣٠.

(٢٣٥) شعب الإيمان ٧/ ٢٠١.

(٢٣٦) يغرَّنك: تعرا، م، ي.

قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ﴾ [النساء:٥٨]، ابن عباس قال: هي مبهمة في البرّ والفاجر.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أدِّ الأمانة إلى مَنْ ائتمنك ولا تخُنْ مَنْ خانك»، رواه أبو هريرة.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تنظروا إلى صلاتهم ولا إلى صيامهم إذا صاموا، ولكن انظروا إلى صدقهم إذا حدثوا، وإلى أمانتهم إذا ائتمنوا، وإلى ورعهم إذا أشْفوا[٢٣٧]».

علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاث ليس لأحد من الناس فيهن رخصة: بر الوالدين مسلمين أو كافرين، والوفاء بالعهد لمسلم أو كافر، وأداءالأمانة إلى مسلم أو كافر»[٢٣٨].

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «كان رجل في بني إسرائيل يسلف الناس [إذا][٢٣٩] أتاه الرجل بوكيل، فأتاه رجل وقال: أسلفني ستمائة دينار، قال: نعم، وأين وكيلك؟ قال: الله، قال: سبحان الله، نعم قبلت، وأعطاه ستمائة دينار، وضرب أجلًا، وركب القابض البحر للتجارة، وحلّ[٢٤٠] الأجل ولم يقدم، فكان رب المال يغدو إلى ساحل البحر ويسأل عنه، فيقال: هو بمكان كذا، فقال: اللهم إني أسلفت فلانًا فإنما أعطيته لك. فانطلق الذي عليه المال ونحت خشبة حين حمل الأجل وجعل المال فيها، وكتب إليه صحيفة: من فلان إلى فلان، إني قد دفعت مالك إلى وكيلي. ثم شدها ورمى بها في عرض البحر، فهوى البحر بها حتى رمى بها الساحل، وغدا رب المال يسأل عن صاحبه، فوجد الخشبة فحملها إلى أهله، فكسروها فانتثرت الدنانير والصحيفة، فقرأها، فلما رجع الغريم غدا إليه وطالبه بالمال، فقال: أما مالك فقد دفعته إلى وكيلي الذي توكل به[٢٤١]، وأما أنت فهذا مالك فخذه، فقال: لا، وكيلك قد أوفاني».

(٢٣٧) أشاف على الشيء وأشْفَى بمعنى: أشرف عليه. لسان العرب (شوف).
(٢٣٨) شعب الإيمان ٦/ ٢٠٢.
(٢٣٩) المخلصيات ٤/ ٦٠.
(٢٤٠) حلّ: حمل، م، ي. المخلصيات ٤/ ٦٠.
(٢٤١) توكل به: توكلت بي، م، ي. المخلصيات ٤/ ٦١.

وحدثنا الشيخ أبو حامد أحمد بن محمد النجار[٢٤٢] رضي الله عنه قال: حدثنا القاضي أبو نصر محمد بن سهل، محمد بن عبد الله الصعار الأصفهاني، أبو بكر أحمد بن عمر، سعيد بن يحيى بن سعيد، محمد بن حمزة، عن الخليل بن مرة، عن عطاء، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «[ثلاث] من لم يكن فيه واحدة فلا تعبأوا بشيء من عمله: من لم يكن له وَرَعٌ يحجره عن معاصي الله، أو حلم يكفُّ به السفيه، أو خلق يعيش به في الناس. وثلاث من كان فيه واحدة منهن تزوج من الحور العين: رجل اؤتمن على أمانة خفية فأداها من مخافة الله، ورجل [عفا] عن قاتله، ورجل قرأ (قل هو الله أحد) في دبر كل صلاة. وثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، ومن أكون خصمه أخصمه: رجل استأجر أجيرًا فظلمه ولم يوفه[٢٤٣] أجره، ورجل حلف بالله فغدر، ورجل باع حرًا وأكل ثمنه»[٢٤٤].

وقال أيضًا: «ومن كفل ثلاثةأيتام كان كالذي قام الليل وصام النهار، ورجل خرج شاهرًا سيفه في سبيل الله، فأنا وهو في الجنة كهاتين -وأشار إلى السبابة والتي تليها-»[٢٤٥].

فصل في ترك ما لا يعنيه

قال الله تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ [الصافات:٦١]، وروى قاضي القضاة ركن الدين أبو الحسن بإسناده، عن علي بن الحسين عن أبيه[٢٤٦]، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «مِنْ حُسْنِ إسلام المرء تَرْكُه ما لا يعنيه»، ورواه أبو هريرة أيضًا.

قيل للقمان: ما حكمتك[٢٤٧]؟ قال: لا أسأل عما كفيت ولا أتكلف ما لا يعنيني.

معروف: إن كلامك فيما لا يعنيك من خذلان الله إياك. وقيل: إنه قال ذلك لداود.

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن

---

(٢٤٢) النجار: عبدالجبار، ي.

(٢٤٣) يوفه: يوفر، م، ي.

(٢٤٤) الترغيب والترهيب لقوام السنة ١/ ١٧٣.

(٢٤٥) الترغيب والترهيب لقوام السنة ١/ ١٧٣.

(٢٤٦) عن علي بن الحسين عن أبيه: عن أبيه عن علي بن الحسين، ي.

(٢٤٧) ما حكمتك: بم حكمت، م، ي. مصنف ابن أبي شيبة ٧/ ٧٤، مسند ابن الجعد ٢٦٠.

وليت أمر [أمة] محمد صلى الله عليه وآله وسلم فليكن[٢٤٨] أقربهم منك وأبعدهم في الحق سواء، وإذا صليت فصلِّ صلاة مودع، وإياك وكثرة السؤال فيما لا يعنيك، واكتف بما آتاك الله يغنك[٢٤٩]».

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن أكثر الناس ذنوبًا يوم القيامة أكثرهم كلامًا فيما لا يعنيه».

ومر حسان بن أبي سنان يومًا فرأى غرفة قد بنيت فقال: مذ كم بنيت هذه الغرفة؟ ثم أقبل على نفسه وقال: سألت عما لا يعنيك. وعاقب نفسه بصوم سنة.

أبو بكر قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوصي معاذ بن جبل فقال: «يا معاذ إياك وكثرة الكلام فيما لا يعنيك فإنك مأخوذ به».

وروى قاضي القضاة ركن الدين بإسناده عن الأعمش قال: سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امرأة قتل ابنها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تقول: وا شهيداه، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «اسكتي فلعله كان يتكلم بما لا يعنيه أو يسكت عما يعنيه».

ميمون بن مهران قال: لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة صعد المنبر، فكانت أول خطبته أن حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس من صحبنا فليصحب بالخمس وإلا فلا يقربنا: يرفع إلينا حاجة مَنْ لا يستطيع رفعها، ويعيننا على الخير بجهده، ويدلنا على ما لا نهتدي له من الخير، ولا يغتاب عندنا الرعية، ولا يتعرض فيما لا يعنيه. قال: فانقشع الشعراء والخطباء وثبت الفقهاء، وقالوا: لا يسعنا أن نفارق هذا الرجل حتى يخالف قوله فعله.

وعن المغيرة: إذا تكلم اللسان بما لا يعنيه قال القلب: واحرباه[٢٥٠].

وروي أن رجلًا أراد أن يخلو بعبد الملك بن مروان ويكلمه، فقال عبد الملك: بشرط ألاّ تمدح نفسي فإني بها أعلم، وألاّ تغتاب أحدًا، ولا تكلم إلا فيما يعنيك، فقال الرجل: لو أذن لي أمير المؤمنين أنصرف، فقال: انصرف.

فضيل: ابن آدم تقطع نهارك فيما لا يعنيك، فلان حج كذا، وفلان تصدق بكذا، وفلان غزا

(٢٤٨) فليكن: فليكون، م، ي.

(٢٤٩) يغنك: يغنيك، م، ي. المتفق والمفترق ٢/ ١٢٢٥.

(٢٥٠) احرباه: احزناه، م، ي. معجم ابن المقرئ ص٥٣.

بكذا، أنت ماذا صنعت، أما والله لو همك شأنك لشغلك شأنك عن شأن غيرك، ولكن لما قَلَّ همك اشتغلت(٢٥١) بشأن غيرك.

فصل في النيات

قال تعالى: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف:٢٩].

وعن الحسن ومعاوية بن قرة في قوله: ﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ [الإسراء:٨٤] قال: على نيته.

وروى أبو يحيى البزاز بإسناده عن علقمة بن وقاص الليثي قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول وهو على المنبر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لامرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»، وروى أبو الدرداء عنه صلى الله عليه وآله وسلم مثله.

وبإسناده عن زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من كانت الدنيا نِيَّتَه فرَّقَ الله عليه أمره، وجعل فَقْره بين عينيه، ومن كانت نيته الآخرة جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة».

وعن أبي الحويرة في قوله: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾ [النساء:٩٥] قال: من نوى ولم يخرج فله درجة، ومن نوى فخرج فله درجات على من نوى ولم يخرج.

ثابت البناني: بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن المؤمن نيته أبلغ من عمله»، وروي: «نية المؤمن خير من عمله»، ومعناه: قيل: إنه عملُ خيرٍ مِنْ جملة خيرٍ من جملة خيرات أعماله، وقيل: خير من ظاهر أعماله الذي يدخله الرياء، وقيل: لأن النيات أكثر والأعمال أقل، وقيل: لأن العمل إنما يصير عبادة بالنية.

عكرمة قال: إن الله ليعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله؛ وذلك أن النية لا رياء فيها، والعمل قد يخالطه(٢٥٢) الرياء.

(٢٥١) اشتغلت: وانشغلت، م، ي.

(٢٥٢) يخالطه: خالطه، م، ي.

عن يعلى قال: جئت بأبي في يوم فتح مكة، فقلت: يا رسول الله هذا أبي يبايعك على الهجرة، فقال: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية».

سفيان: ما عمل أفضل من طلب العلم إذا صحت النية، قيل: وما تلك النية؟ قيل: يريد به الله والدار الآخرة.

قتادة، عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «خير الدين أيسره».

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من يسر على مسلم يسر الله عليه في الدنيا والآخرة».

أبو هريرة قال: لما وجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم جعفر إلى الحبشة شيعه وعلّمه وزوده كلمات قال: «اللهم الطف لي بتيسير كل عسير، فإن تيسير العسير عليك يسير، وأسألك التيسير والمعافاة في الدنيا والآخرة».

الحسن: لما نزل قوله: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح:٦]، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه: «أبشروا أتاكم اليسر، إنه لن يغلب عُسْرٌ يُسْرين».

فصل في معالي الأمور

محمد بن المنكدر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله تعالى يحب معالي الأمور، ويكره سفسافها وقبيحها».

سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله كريم يحب الكرم ومعالي الأخلاق، ويبغض سفسافها».

يحيى بن عبد الرحمن قال: كنا عند سعيد بن المسيب فجاء شاب عليه قميص رقيق يسطع منه ريح الطيب، وكان بعض القوم يضحك منه، فقال سعيد: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، جواد يحب الجود، كريم يحب الكرماء، فنظفوا ساحتكم وأفنيتكم، ولا تشبهوا باليهود يطرحون الأَكْبَاء[٢٥٣] في دورهم».

أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن مكارم الأخلاق من أعمال الجنة».

---

(٢٥٣) الأكبا: الأكسا، م، ي. والأكباء: الكناسة. لسان العرب (كبا). مسند البزار ٣/ ٣٢٠.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»، رواه أبو هريرة.

عن بعضهم: إذا رغبت في المكارم فاجتنب المحارم.

فصل في الحياء

ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن آخر ما يحفظ من كلام النبوة: إذا لم تستحي فاعمل ما شئت».

عمران بن الحصين، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الحياء خير كله».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الحياء شعبة من الإيمان»، رواه أبو هريرة.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الرفق يُمْنٌ، والخُرْقُ[٢٥٤] شؤم، وإن الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، ولو كان الحياء رجلًا لكان رجلًا صالحًا. وإن الفحش من الفجور، والفجور في النار، ولو كان الفجور رجلًا لكان رجل سوء»، رواه أبو هريرة.

ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من سنن المرسلين: الحلم، والحياء».

ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «استحيوا من الله حق الحياء»، قلنا: إنا نستحي، قال: «ليس ذلك، ولكن من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء».

الصادق عليه السلام عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أربع من كن فيه كمل إسلامه: الصدق، والشكر، والحياء، وحسن الخلق».

زيد بن علي، عن آبائه عليهم السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من لم يستحي فهو كافر».

شعر[٢٥٥]:

إذا لم تخش عاقبة الليالي ... ولم تستحي فاصنع ما تشاء
فلا وأبيك ما في العيش خير ... ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

---

(٢٥٤) شعب الإيمان ١١/ ١٠.: في الأصل: (والحرق). والخُرْقُ: الحمق والجهل. لسان العرب (خرق).
(٢٥٥) اللأبيات لأبي تمام

قيل: الحياء سبب[٢٥٦] كل جميل، ومن كساه الحياء ثوبه ستر عن العيون عيبه.

وقيل: الحياء والإيمان مقرونان في قرن واحد، إذا رفع أحدهما ارتفع الآخر.

فصل في حفظ السر

أبو بكر بن حزم، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما يتجالس المتجالسان بأمانة الله، فلا يحل لأحد أن يفشي على صاحبه ما يكره».

أبو الدرداء، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من سمع من رجل حديثًا لا يشتهي أن يُذكر فهو أمانة وإن لم يستكتمه».

علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: المجالس بالأمانة في الحديث.

جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إذ حدث الرجل حديثًا فالتفت فهو أمانة».

وعن الوليد بن أبي الوليد قال: سمعت أبان بن عثمان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «المجالس بالأمانة»، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أحسنوا مجلس العشيرة»، فقيل لأبان: ما بال مجلس العشيرة؟ قال أبان: لأن الرجل إذا كان في مجلسه لا يبالي ما قال، فإذا كان في قوم[٢٥٧] [غيره] يحفظ كلامه.

شعر:

لا يكتم السرَّ إلا كلُّ ذي كرم ... والسر عند كرام الناس مكتوم
والسر عندي في بيت له غُلقٌ ... قد ضاع مفتاحه والباب مختوم

آخر:

أَصِلُ الكريم إذا أراد وصالنا ... وأَصُدُّ عند صُدوده أحيانا
إن كان أعرض كنت أول معرضٍ ... ووجدت عنه مذهبًا ومكانا
لا في القطيعة مفشيا أسراره[٢٥٨] ... بل حافظٌ مِنْ ذاك ما استرعانا
إن اللئيم إذا تقطع[٢٥٩] وصله ... من ذي المودة قال كان وكانا

---

(٢٥٦) سبب: ست، م، ي. كتاب اللطائف والظرائف ص١٤٢.

(٢٥٧) قوم: قومه، م، ي.

(٢٥٨) مفشيا أسراره: عنه مفش سره، م، ي. تاريخ بغداد ١٦/ ٩٦.

(٢٥٩) تقطع: انقطع، م، ي. تاريخ بغداد ١٦/ ٩٦.

فصل في التختم

عن عقيل قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتختم في يمينه». وكان عقيل يتختم في يمينه.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يا علي تختم باليمين فإنها فضيلة من الله للمقربين»، قال: يا رسول الله وما المقربون؟ قال: «جبريل، وميكائيل، وعزرائيل، ومن دونهم من الملائكة»، قال: بماذا يتختم؟ فقال: «بالعقيق[٢٦٠] الأحمر فإنه أول جبل أقر لله بالوحدانية، ولي بالرسالة، ولك بالولاية، ولشيعتك بالجنة، ولأعدائك بالنار».

علي عليه السلام: «نهاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن التختم بالذهب»، وعن ابن مسعود مثله.

عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: جلس رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليه خاتم من ذهب فأعرض عنه، فلبس خاتم حديد فقال: «هذا لبسة أهل النار»، فلبس خاتم ورق، فسكت.

وما روي أن البراء لبس خاتمًا من ذهب وقال: كسانيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهو منسوخ بالخبر الذي تلقته الأمة بالقبول.

وقد روى معاوية بن سويد[٢٦١] عن البراء قال: «نهاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن خاتم الذهب».

النعمان بن بشير قال: أخذت خاتمًا من ذهب، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «ما لي أرى عليك حلية أهل النار»، فانتزعته وأخذت خاتمًا من شَبَهٍ[٢٦٢]، فدخلت عليه فقال: «ما لي أجد منك ريح الأصنام»؟ قلت: فما أصنع؟ قال: «اتخذه مِنْ وَرِقٍ لا تبلغ به مثقالًا، وتختم في يمينك».

وروي أن خاتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان نقشه: محمد رسول الله. في ثلاثة أسطر، وكان مع أبي بكر وعمر، ثم سقط في بئر أيام عثمان.

(٢٦٠) العقيق: العيق، م، ي.

(٢٦١) سويد: قرة، م. فتح الباري، ١٦/ ٤١٦

(٢٦٢) الشَّبَهُ: ضربٌ من النحاس، يلقى عليه دواء فيصفرّ، وسمي شبها لأنه شبه بالذهب. العين (شبه).

وذكر السلامي في النتف أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يتختم في يمينه والخلفاء الأربعة بعده، فنقله معاوية إلى اليسار وأخذ الناس بذلك، فبقي إلى آخر دولة المروانية، فنقله السفاح إلى اليمين، فبقي إلى أيام الرشيد، فنقله إلى اليسار وأخذ الناس بذلك.

وقال محمد بن الفضل لأبي أحمد بن أبي بكر: لماذا تختمت في اليمين؟ قال: لأن فيه[٢٦٣] أربعة أشياء [منها] السنة.

فصل في تشميت العاطش

خالد بن عرفجة قال: كنا مع سالم بن عبيد، فعطس رجل من القوم فقال: السلام عليكم، فقال سالم: وعليك وعلى أمك، ما شأن السلام هاهنا؟ ثم سار ساعة ثم قال: سالم[٢٦٤] للرجل: أعَظُم عليك ما قلت؟ فقال: وددت أنك لم تذكر [أمي] بخير ولا غيره، فقال: بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ عطس رجل من القوم فقال: السلام عليكم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «وعليك وعلى أمك، إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله رب العالمين، أو على كل حال، وليردوا عليه: يرحمك الله، وليرد عليهم: يغفر الله لكم»[٢٦٥]، وإلى هذا ذهب أصحابنا.

وما روي أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لما عطس قالوا: يرحمك الله، فيقول: «يهديكم الله ويصلح بالكم»، محمول على أنه كان عنده اليهود والنصارى، فقد روى أبو موسى قال: كانت اليهود تتعاطس عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجاء أن يقول: يرحمكم الله، وكان يقول: «يهديكم الله ويصلح بالكم».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليقل من سمعه: يرحمك الله، وليقل هو: يغفر الله لنا ولك».

وروي أنه عطس عنده رجلان فشمّت النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحدهما ولم يشمّت الآخر، فقال: يا رسول الله عطس هذا فشمَّته ولم تشمتني، فقال: «لأنه حمد الله فشمته، وأنت لم تحمد الله فلم أشمتك».

---

(٢٦٣) فيه: في، م، ي.

(٢٦٤) سالم: سلام، م، ي.

(٢٦٥) مسند أبي داود الطيالسي ٢/ ٥٢٨.

وعن أبي حنيفة: يستحب أن يخفض صوته بالعطاس ويرفع صوته بالتحميد.

وسمع ابن عمر رجلًا عطس فقال: يرحمك الله إن كنت حمدت الله.

محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن عطس إنسان فشمته، ثم إن عطس فقل له: أنت مزكوم».

وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «كان إذا عطس نكس رأسه وخمّروجهه وخفض صوته»(٢٦٦).

فصل في المزاح

قيل: المزاح إذا لم يكن فيه باطل لا يحزن أحدًا فكثيره(٢٦٧) لا يجوز.

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لصبي: «يا أبا عمير ما فعل النُّغَيْر(٢٦٨)»، فكان يقول: «إني لأمزح وما أقول إلا حقًّا»(٢٦٩).

وقال [النبي صلى الله عليه وآله وسلم] لرجل يكنى أبا عمرة(٢٧٠): يا أم عمرة(٢٧١)، فلمس(٢٧٢) الرجل فرجه، قال: وكنت أرى أني امرأة [لما قال له: يا أم عمرة]، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما أنا بشر أمازحكم»(٢٧٣).

وقالت عجوز: يا رسول الله ادع لي أن يدخلني الجنة، فقال: «إن الجنة لا يدخلها العجزة، فبكت، فقرأ صلى الله عليه وآله وسلم ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۞ فَجَعَلْنَٰهُنَّ..﴾ الآية [الواقعة:٣٥-٣٦]»، فسري عنها.

---

(٢٦٦) مسند ابن الجعد ص٤٧٦.

(٢٦٧) فكثيره: وكثيره، م، ي.

(٢٦٨) النُّغَرُ: فرخ العصفور والنغير: تصغيره. تاج العروس (نغر).

(٢٦٩) معجم الطبراني الأوسط ١/ ٢٩٨.

(٢٧٠) عمرة: عمرو، م، ي.

(٢٧١) عمرة: عمرو، م، ي.

(٢٧٢) فلمس: ومن يلمس، م، ي.

(٢٧٣) سبل الهدى والرشاد ٧/ ١١٧.

وعن عطاء بن السائب: كان سعيد بن جبير لا يقص علينا إلا أبكانا بوعظه، ولا يقوم من مجلسه حتى يضحكنا بمزحه.

فأما ذم المزاح: فقيل: مَنْ مازح ذمه الصلحاء، واجترأ عليه السفهاء.

وعن عمر قال للأحنف(٢٧٤): من كثر ضحكه قلت هيبته، ومن مزح استخُف به، ومن أكثر من شيء عُرف به، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قَلَّ حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه.

وقيل: لكل شيء بَذْرٌ، وبذر العدواة: المزاح، وقيل: المزاح يذهب المهابة، عن أكتم بن صيفي. وقيل: المزاح مكسبة للبهاء(٢٧٥) مقطعة للصداقة.

شعر(٢٧٦):

رُبَّ مَـنْ كانـت منيتـه بمـزاح هاجـه لعبـا

آخر(٢٧٧):

أمـا المزاحـة والمـراء فدعهمـا خلقـان لا أرضاهمـا لصديـق

وقيل: المزاح يجلب الشرَّ صغيرُه، والحربَ كبيرُهُ(٢٧٨).

ابن المعتز(٢٧٩): المزاح يأكل الهيبة كما تأكل النار الحطب، المزاح أوله فرح وآخره ترح.

أبو نواس:

صـار جِـدًّا مـا مزحـتُ بـه(٢٨٠) رُبَّ جِـدٍّ جَـرَّهُ اللعـبُ

وقيل: الإفراط في المزاح مجونٌ(٢٨١)، والاقتصاد فيه ظرف.

---

(٢٧٤) للأحنف: الأحنف، م، ي.
(٢٧٥) للبهاء: المهابة، م، ي. إتحاف السادة المتقين ٩/ ٢٢٣.
(٢٧٦) مجمع الحكم والأمثال للميداني ٤٧٣.
(٢٧٧) الآداب الشرعية والمنح المرعية ١/ ١٩.
(٢٧٨) الحربَ كبيرُهُ: الحزن كثيره، م، ي. اللطائف والظرائف ص١٥٢.
(٢٧٩) ابن المعتز: ابن المغيرة، ي. اللطائف والظرائف، ١٤٨.
(٢٨٠) مزحتُ به: مر حدثته، م، ي.
(٢٨١) مجونٌ: مجوم، م، ي. زهرة الآداب وثمر الألباب ١/ ٤٢٦.

آخر:

أفد طبعك المكدود بالهم راحة ... يجم[٢٨٢] وعلّله بشيء من المزحِ
ولكن إذا أعطيتَهُ المزح[٢٨٣] فليكن ... بمقدار ما تعطي الطعام من الملحِ

وقيل: المزاح في الكلام كالملح في الطعام.

عمر بن عبد العزيز: امتنعوا من المزاح تسلم لكم الأعراض.

قيل: المزاح سباب إلا أن صاحبه يضحك، وقيل: المزاح سباب النَّوْكَى[٢٨٤].

وعن مجاهد: مازح صديق صديقًا بكلمة فتهاجرا حتى ماتا.

فصل في السلام

قال تعالى: ﴿فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام:٥٤].

هذا الباب يشتمل على ثلاثة فصول:

منها: ذكر السلام، وأنواعه في القرآن.

ومنها: ما جاء في السلام.

ومنها: حسن الكلام للناس.

أما السلام: ففي القرآن على وجوه ستة:

منها: ﴿هُوَ ٱللَّهُ [ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ] ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾ [الحشر:٢٣].

ومنها: الجنة ﴿إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس:٢٥].

ومنها: بمعنى الخبر ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان:٦٣]، ﴿فَٱصْفَحْ [عَنْهُمْ] وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾ [الزخرف:٨٩].

---

(٢٨٢) يجم: تحم، م، ي. أدب الدنيا والدين ص٣١١.
(٢٨٣) المزح: ذاك، م، ي. أدب الدنيا والدين ص٣١١.
(٢٨٤) النَّوْكَى: الحمقى. العين (نوك).

ومنها: بمعنى التحية وهي على وجوه.

ومنها: (السلام عليكم)، قيل: سلمكم الله، وقيل: الله حافظ عليكم، وهو قوله: ﴿وَإِذَا[٢٨٥] جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ﴾ [الأنعام:٥٤]، ﴿[سَلَٰمٌ] عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الصافات:١٠٩]، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات:١٨١]، ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾ [الصافات:١٣٠].

ومنها: بمعنى السلامة: ﴿يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩]، ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ [ق:٣٤].

فأما بمعنى التحية فعلى وجوه:

أولها: سلام الناس، لقوله: ﴿فَإِذَا[٢٨٦] دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟﴾ [النور:٦١]، وقوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟[٢٨٧]﴾ [النور: ٢٧].

ثانيها: وعلى أنفسهم كقوله تعالى[٢٨٨]: ﴿فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور:٦١].

ثالثها: سلام النبي على المؤمنين ﴿فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام:٥٤].

رابعها: سلام الملائكة ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [القدر:٤] يعني ليلة القدر.

وخامسها: على لسان ملك الموت ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [النحل:٣٢] يبشرونهم عند استقبال رضوان وغيره: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ [الزمر:٧٣].

وسابعها: زوار الملائكة ﴿يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد:٢٣].

وثامنها: سلام المؤمنين ﴿سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ [الواقعة:٢٦].

وتاسعها: سلام الله ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:٥٨].

وعاشرها: سلام الملك حين يخرج من القبر كقوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب:٤٤].

فأما ما جاء في السلام: فقد روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أطعموا الطعام، وأفشوا السلام، واضربوا الهام، تورثوا[٢٨٩] الجنان».

---

(٢٨٥) وإذا: إذا، م، ي.

(٢٨٦) فإذا: إذا، م، ي.

(٢٨٧) بيوتكم حتى تأتنسوا وتسلموا: بيوتكم فسلموا تحية، م، ي.

(٢٨٨) في م ي: كقوله نظيره: ﴿وإذا حييتم بتحية﴾.

(٢٨٩) تورثوا: ترثون، م، ي. تحفة الأحوذي ٥/ ٤٧٧.

زرارة عن عبد الله بن سلام قال: لما قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة انجفل الناس إليه، وقيل: قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: وجئت في الناس أنظر إليه، فلما تبين لي وجهه عرفت أنه ليس وجه كذاب، فكان أول شيء سمعته يتكلم به: «يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا والناس نيام، تدخلوا[٢٩٠] الجنة بسلام».

فضالة عن ابن عبيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «سلام الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير».

وعنه عليه السلام: ثلاث مَنْ جَمَعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسه، والإنفاق على الإقتار، وبذل السلام للعالم».

صهيب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «خيركم من أطعم الطعام، ورد السلام».

وعن ابن عمر أن النبي جاءه رجل فقال: السلام عليكم، فقال[٢٩١]: حسنة، ثم أتاه رجل فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فقال[٢٩٢]: حسنتان، ثم أتاه ثالث فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال[٢٩٣]: ثلاث حسنات.

وقال[٢٩٤] عمر: والله إني لأخرج من بيتي من غير حاجة إلا أن أسلم على الناس.

علي رضي الله عنه: حق المسلم على المسلم ستة: يسلم عليه إذا لقيه، ويجيبه إذا دعاه، ويشمته إذا عطس، ويعوده إذا مرض، وينصح له إذا غاب، ويشهد جنازته إذا مات.

الحسن: السلام سُنَّة، وردُّه فَرْضٌ.

وكتب بعضهم إلى أخ له: على أبي فلان سلامُ صبٍّ إلى قُربه، مستوحِشٍ من بُعده، مقيمٍ على عهده، غير مغياض من ورده.

شعر:

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء أن يترحما

(٢٩٠) تدخلوا: تدخلون، م، ي. مصنف ابن أبي شيبة ٧/ ٢٥٧.

(٢٩١) فقال: فقالوا، م، ي.

(٢٩٢) فقال: فقالوا، م، ي.

(٢٩٣) فقال: فقالوا، م، ي.

(٢٩٤) وقال: فقال، م، ي.

تحيةَ مَنْ غادرْتَه غرض الردى[٢٩٥] إذا زار عن شحْطٍ[٢٩٦] بلادك سلما

آخر:

عليك سلام لا سلام مودعٍ ولكن سلام لا يزال جديدا

آخر:

عليك سلام لا سلام مودعٍ ولكن سلام لا يكن آخر العهد
سلام محبٍ خانه حُسْن صبرِه فأصبح في كرب الحياة وفي جهدِ

آخر[٢٩٧]:

عليك سلام الله أما قلوبنا فمرضى وأما ودنا فصحيح
نبيت[٢٩٨] بود خالص وصبابة ونغدو بحبٍّ صادق ونُرُوحُ[٢٩٩]

وأما حسن الكلام: فقد قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلاً لَّيِّنًا﴾ [طه:٤٤]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن في الجنة غرفًا ترى بطونها من ظهورها، وظهورها من بطونها»، فقال أعرابي: لمن هي يا رسول الله؟ قال: «لمن طيب الكلام، وأطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى بالليل والناس نيام»، رواه علي، وقال: «الكلمة الطيبة صدقة»، رواه أبو هريرة.

أبو ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أبا ذر، لا تدعن شيئًا من المعروف إلا فعلته، فإن لم تقدر على ذلك فكلم الناس وأنت إليهم طليق».

وروى أبو يحيى بإسناده عن الحسن، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن في الجنة لغرفًا يرى باطنها من ظاهرها، وظاهرها من باطنها»، قيل: فمن سكانها؟ قال: «الذين يديمون الصيام، ويفشون السلام، ويطيبون الكلام، ويصلون والناس نيام»، قيل: ومن يطيق ذلك[٣٠٠] يا رسول الله؟ قال: «من صام رمضان فقد أدام الصيام، ومن أطعم عياله فقد أطعم الطعام، ومن لقي أخاه فسلم عليه فقد أفشى السلام، ومن قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله

---

(٢٩٥) غرض الردى: عرض الجوى، م، ي. الحماسة المغربية ٢/ ٨٢٨.

(٢٩٦) عن شحْطٍ: من سحط، م، ي. الحماسة المغربية ٢/ ٨٢٨.

(٢٩٧) الظرف والظرفاء ص٢١٢.

(٢٩٨) نبيت: بليت، م، ي.

(٢٩٩) نرُوحُ: بروحُ، م، ي. الظرف والظرفاء ص٢١٢.

(٣٠٠) قيل: ومن يطيق ذلك: قال: حقًا لهؤلاء، م، ي. حلية الأولياء ٢/ ٣٥٦.

أكبر، فقد أطاب الكلام، ومن صلى العشاء الآخرة فقد صلى والناس نيام، واليهود والنصارى وسائر المشركين». وقيل: البِرّ شيء هيّن وجه طلق ولسان ليّن[٣٠١].

فصل في التهاني

ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى على عمر ثوبًا جديدًا فقال: «لبست جديدًا، وعشت حميدًا» مختصرًا.

وهنّأ علي عليه السلام بعض أصحابه بولد فقال: شكرت الواهب، وبوركت في الموهوب.

وهنّأ بعضهم رجلًا بِعِيدٍ [فقال]: من كان محلك من[٣٠٢] العز، ونباهة الذكر، وارتفاع الدرجة، وبعد الأمد، وعلو المنزلة، ومتحلّيًا بالعلم، لم يتقرب إليه في يوم جديد إلا بصالح العمل وحسن الثناء[٣٠٣].

فصل في الإحسان إلى الأيتام

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى:٩]، ﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا﴾ [الإنسان:٨]، ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾ [الضحى:٦]، ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ [الأنفال:٤١]، وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يتيم أبي طالب.

روى السيد أبو طالب بإسناده عن عبد الله بن أبي أوفى قال: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأتى غلام فقال: يا رسول الله، يتيم له أم أرملة وأخت يتيمة، أطعمنا مما أطعمك الله، أعطاك الله حتى ترضى، قال: «ما أحسن ما قلت يا غلام، يا بلال اذهب إلى أهلنا فأتنا بما وجدت عندهم»، فذهب فجاء بإحدى وعشرين تمرة، فوضعها في كف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فرفعها رسول الله إلى فيه ودعا فيها بالبركة، ثم قال: «يا غلام، سبع لك، وسبع لأمك، وسبع لأختك تتغدى بها وتتعشى»، فانصرف الغلام، فقام إليه معاذ بن جبل وقال: يا غلام جبر الله يتمك، وجعلك خلفًا من أبيك. وكان من أولاد المهاجرين، فقال له

(٣٠١) كنز العمال ١٦/ ٢٢٧.
(٣٠٢) محلك من: محلًا لأم، م، ي.
(٣٠٣) صبح الأعشى ٩/ ٥٠.

رسول الله صلى الله عليه: «قد رأيت يا معاذ ما صنعت»، قال رحمة له يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «والذي نفس محمد بيده لا يلي مسلم يتيمًا فيحسن إليه في ولايته ويضع يده على رأسه إلا رفع الله له بكل شعرة منه درجة، وكتب له بكل شعرة حسنة، ومحا عنه بكل شعرة سيئة».

فصل في المشورة

قال الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «المستشار بالخيار: إن شاء أمسك، وإن شاء قال، [فإذا قال] فلينصح».

عمر رضي الله عنه: الرأي كثير، والجزم قليل.

وقيل: المشورة أداة كاملة، والمستشير محصن من السقط.

شعر:

إذا بـابُ أمـرٍ عليـك الْتَـوَى فشـاوِرْ لَبيبًـا ولا تَعْصِـهِ

قال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى:٣٨].

وشاور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الأسارى وأخذ برأى(٣٠٤) أبي بكر في أخذ الفداء. وجعل عمر الخلافة شورى بين ستة.

فصل في القرين

قال الله تعالى: ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ [الزخرف:٣٨]، ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذِۭ﴾ [الزخرف:٦٧]، ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا﴾ [النساء:٣٨]، ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ [البقرة:١٦٦]، ﴿إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر:٤٧]، ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ [الصافات:٥١].

جابر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تجلسوا إلا عند عالم يدعوكم من خمس

---

(٣٠٤) برأى: من، ي.

إلى خمس: من الشك إلى اليقين، ومن الكبر إلى التواضع، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن العداوة إلى النصيحة، ومن الرغبة إلى الزهد».

حماد بن واقد: أتيت مالك بن دينار فرأيت كلبًا ربطه، فقلت له: لِمَ حَبَسْتَ[٣٠٥] هذا الكلب؟ فقال: هذا خير من قرين السوء.

مالك بن دينار: الناس أشكال كأشكال الطير، الغراب مع الغراب، والحمام مع الحمام، وكل إنسان مع شكله.

الباقر: قال الصادق: يا بني من يصحب صاحب السوء لا يسلم.

أبو ذر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الوحدة خير من جليس السوء، والجليس الصالح خير من الوحدة، وإملاء الخير خير من السكوت، والصمت خير من إملاء الشر».

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «مثل القرين الصالح مثل الداري إن لم يجدك من عطره علقك من ريحه، ومثل جليس السوء كمثل الكير إن لم يصبك من شرره أصابك من دخانه».

شعر:

فجانب كل حداد وجالس كل عطار
فريح المسك مبذول وإن أحرزه الداري
وماذا لجليس الكيـ ـر إلا شرر النارِ

الداري: العطار.

مالك قال لجليس له: احفظ عني: كل أخ وصاحب وجليس لا تستفيد منه خيرًا في أمر دينك ففر منه.

فصل في اللحن

ابن عمر قال: مر عمر بقوم يرمون، فقال: بئس ما رميتم، فقالوا: يا أمير المؤمنين إنا قوم متعلمين، فقال: والله لذنبكم في لحنكم أشد من ذنبكم في رميكم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «رحم الله امرءًا أصلح من لسانه».

(٣٠٥) لِمَ حَبَسْتَ: لو حست، م، ي.

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أعربوا القرآن واتبعوا غرائبه[٣٠٦]».

عمر قال: عليكم بالعربية، فإنها تثبت[٣٠٧] القلب، وتزيد في المروءة.

وقال رجل للحسن: يا أبو سعيد، فقال الحسن: كَسْبُ الدوانيق شغلك عن[٣٠٨] أن تقول: يا أبا سعيد.

عبيدة: رأى عمرو بن العلاء أعدالا مكتوبًا عليها: لأبو فلان، فقال: يا رب أيلحنون ويرزقون ويربحون؟

مالك بن دينار: تلقى[٣٠٩] الرجل [وما] يلحن حرفًا، وعمله لحنٌ كله[٣١٠].

إبراهيم بن أدهم: أعربنا في الكلام ولحنًا في الأعمال فما نعرب.

شعر:

مكب على النحو ينحو به ... ليسلم في قوله خطلْ
يقول أقوِّم زيغ[٣١١] اللسان ... فهلاَّ[٣١٢] يقوِّم زيغ[٣١٣] العملْ

ابن أبي أويس: حضرت مجلس مالك وحضره رجل من الأشراف وعليه ثوب حرير، فلحن مالك، فقال الشريف: ما كان لأبوي[٣١٤] هذا درهمان ينفقان عليه؛ يعني: يعلمانه النحو، فسمع مالك فقال: لأن تعرف[٣١٥] ما يحل لبسه لك مما يحرم عليك خير لك من (ضرب عبد الله زيدًا) (وضرب زيد عبد الله).

محمد بن قيس قال: قال رجل لمحمد بن كعب: ما بك بأس إلا أنك تلحن، فقال محمد:

---

(٣٠٦) غرائبه: إعرابه، م، ي. الدر المنثور ٢/ ٦.
(٣٠٧) تثبت: تنبت، م، ي.
(٣٠٨) عن: لمن، م، ي.
(٣٠٩) تلقى: يلقى، م، ي.
(٣١٠) حلية الأولياء ٢/ ٣٨٣.
(٣١١) زيغ: ريع، م، ي.
(٣١٢) فهلاَّ: فهل، م، ي.
(٣١٣) زيغ: ريع، م، ي.
(٣١٤) لأبوي: لا يومي، م، ي.
(٣١٥) تعرف: تعرب، م، ي.

ألست أفهمك إذا كلمتك؟ قال: بلى، قال: فإنما سألى موسى ربه أن يحلل عقدة من لسانه لكي يفقهوا قوله.

ومر عمر بن عبد العزيز برجل يقرأ، فقال آخر: لحنت، فقال عمر: أما كان فيما سمعت ما يشغلك عن اللحن.

علي بن نصر: رأيت الخليل بن أحمد في المنام فقلت: ما فعل بك ربك؟ قال: أرأيت ما كنا فيه؟ لم يك شيئًا، لم نجد شيئًا أفضل من (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر).

شعر:

سيبلى لسان كان يعرب لفظه ... فيا ليته من وقعة[٣١٦] العرض يسلم
فما ينفع الإعراب إن لم يكن تُقًى ... وما ضر ذا تقوى لسانٌ معجم

تمّت أبواب مكارم الأخلاق بحمد الله الكريم الخلاق
وبها تم الجزء الثالث من كتاب السفينة
أعان الله على تمامه
فله الحمد إنه ولي الخير ومفيض الرحمة.

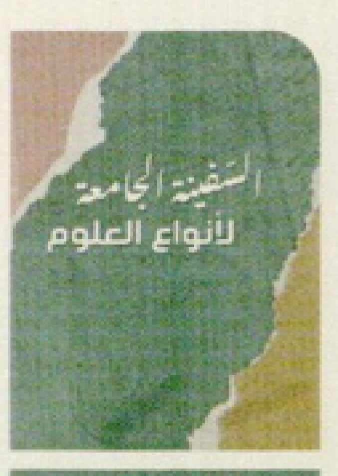
(٣١٦) وقعة: وقفة، م، ي.

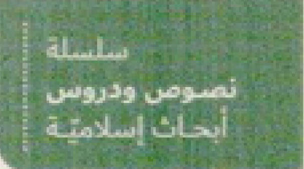
فهرس المحتويات

الطباعة: بيبلوس برينتينغ ش.م.ل.

٢٠٢٤/٦/٣٠٠٠,٣-١٦٨١٩٢

انتهت رئاسة المعتزلة في نيسابور بلا منازع في القرن ١١/٥ للحاكم الجشميّ، فهو يمثّل ثقافة نيسابور آنذاك ويعدُّ أحد شخصيّاتها الموسوعيّة، الجامعة بين علم الكلام والفقه والأخباريّين والمحدّثين والمفسّرين. وحين صنّف الجشميّ كتابه هذا كان في مقتبل العمر، وكان هذا الكتاب من أوائل مصنّفاته. لقد أراد الجشميّ في مسمّاه من كتابه هذا أن يكون بمثابة السفينة في حمولتها؛ أي أن يكون ناقلًا معرفيًّا لكلّ ما لديه من أخبار وقصص ومعارف. ويمكن أن يجمل القول في كتاب السفينة بأنّه مصنّف الحاضرة أو الإقليم، ليعكس ثقافة الإقليم ونقاشاته وأفكاره، فهو يمثّل ثقافة الوسط الثقافيّ العامّ. ولو تتبّعنا مصنّفات الجشميّ فأعماله تكشف لنا تنوّعها بين علوم التفسير (ضمّت جلّ آراء التفاسير المعتزليّة)، وكذلك في علوم الحديث، وأحاديث الأخباريّين وقصص السير، وهذا كان الشاغل في حوزات نيسابور وجوامعها. وهو في تصنيفه هذا استطاع أن يبرز ثقافة نيسابور بكلّ أطيافها ومدارسها، وقد أوضح من جهة أخرى الآراء الاعتزاليّة في قصص الأخبار والمحدّثين ونحوها.






ISBN 978-2-7214-8190-0
9 782721 481900
Réf: TXTISL000012A

